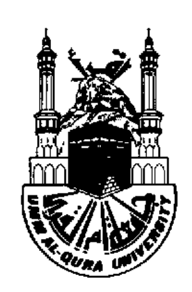
المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي
الكتاب العشرون

إتحاف الورى بأخبار أم القرى

للنجم عمر بن فهد
محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد

٨١٢ هـ - ٨٨٥ هـ



تحقيق وتقديم
فهيم محمد شلتوت

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

ايداع رقم ٢٥١٤ / ١٩٨٣ دولى رقم ٠ — ٣٠٠٣ — ٥٠٥ / ٩٧٧

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

دار الجيل للطباعة : ١٤ ش قصر اللؤلؤة (الفجالة) مصر

مطابع جامعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

إن الحمد لله نحمده ونستعين ، ونستغفره ونتوب إليه ونسأله العون والتوفيق والسداد ، ونصلى ونسلم على خيرة خلقه سيدنا ونبينا محمد الذى فتح الله به قلوبنا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا . وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد ، لقد سررت كثيرا لهذا الجهد وهذا العطاء السخى الذى يقوم به مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى . ولقد كان لى — والفضل لله وحده — شرف تبنّي فكرة إنشاء هذا المركز عام ١٣٩٥ هـ عندما كنت عميدا لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وما أن عرضت الأمر على زملائى بالكلية حتى شجعونى على إبراز الفكرة إلى حيز الوجود . وبحمد الله تحقق الحلم وأنشىء المركز فى بضع غرف ، وأنشئت له مكتبة نمت وأنبتت من كل زوج بهيج ، وسار الأخوة زملائى الذين تولوا عمادة الكلية وإدارة المركز فيما بعد بهذا المركز خطواتٍ موفقة إلى الأمام فلهم شكرى وتقديرى . وهاهو المركز يقدم لنا اليوم عطاء جديداً وتحفة ثمينة من تحفه الغالية « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » لمؤلفه العلامة النجم محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد القرشى الهاشمى المكى المشهور بعمر . وقد ولد بمكة المكرمة عام ٨١٢ هـ وتوفى بها عام ٨٨٥ هـ . رحمه الله . بعد أن

ضرب فى الأرض طلبا للعلم ورغبة فى الاستزادة فيه ، وقرأ على علماء عصره وأخذ عنهم وأصبح حجة فى ميدان تخصصه . وأصبح كتابه « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » من أهم المصادر بعده . يرجع إليه المؤرخون لهذا البلد الحرام ؛ ولم يؤلف مثله فى عصره فى بابه . وللمؤلف مشاركات جيدة فى علم الفقه الحنبلى والشافعى وعلم الحديث وغير ذلك — وجميل جدا أن تهتم جامعة أم القرى بتحقيق ونشر كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، وأن يشرف على تحقيقه باحث قدير عرف بدقته واهتمامه بالتراث الإسلامى ، وأحد المحققين بالمركز ؛ إنه الأستاذ فهيم محمد شلتوت جزاه الله خيرا . وهذا السفر الجليل يعد صورة مشرقة وواضحة **لتاريخ أم القرى** وأعمالها ؛ حيث تناول عدة جوانب سياسيه واجتماعية وثقافية وعمرانية ، واقتصادية على رقعة واسعة جدا من التاريخ — كما يقرر المحقق — حيث يغطى الفترة مابين عام الفيل حتى سنة ٨٨٥ هـ .

وتهنئتى الصادقة لعمادة كلية الشريعة وإدارة المركز على هذا الاهتمام بإحياء تراثنا الإسلامى الأصيل ، والله أسأل التوفيق والسداد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مكة المكرمة ٤/٤/١٤٠٣

مدير الجامعة
د . راشد الراجح

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على نعمائه ، والشكر له على أفضاله وآلائه ، والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف رسله وأكرم أنبيائه . سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين ، وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد :ـ

فحين أكرمنى الله تعالى بالعمل فى مكة المكرمة كنت أقوم بتحقيق الجزء الأخير من كتاب تاريخ المدينة لأبى زيد عمر بن شبة ، وطالما جلست فى المسجد الحرام أمام بيت الله الكريم متفكرا فى بعض التعبيرات التى أغلق علىّ فهمها وحلها نتيجة لخرم فى الكلام ، أو اضطراب فى السياق أو عدم تحرير للكلمات ، وكنت بفضل الله تعالى وتوفيقه أهتدى إلى المخرج مما أهمنى فأفهم ما أغلق علىّ فهمه وأتبين الوجه فيما بين يدى من خرم أو اضطراب فى السياق .

وتطلعت نفسى لأن أحقق كتابا فى تاريخ مكة المكرمة يقرن به اسمى كما قرن بتاريخ المدينة ، وعقدت العزم ، ووجهت الهمة للقيام بذلك عند أول فرصة تسنح . وشاء الله أن يتحقق الأمل ؛ فقد وضع مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى فى برنامج خطته للتحقيق الاهتمام بتاريخ مكة المكرمة ، وبدأ فى تصوير المخطوطات الموجودة بمكتبة الحرم ، وكلفني بتصوير مايمكن تصويره من مكتبة دار الكتب المصرية . وأسند إلىّ المكز تحقيق كتاب « إتحاف الورى

بأخبار أم القرى » للنجم عمر بن فهد ، ووجدتنى ألهج — فى خاطرى — بالشكر والتقدير للمركز والقائمين عليه ؛ حيث أسند إلىّ تحقيق سفر جليل له قيمته العلمية بين الأسفار التى أرخت لمكة المكرمة ؛ أم القرى ومهوى أفئدة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وهيأ لى أن يقرن اسمى به ، وتلك أمنية تمنيتها فى رحاب بيت الله الحرام .

وقد يسر المركز كل وسائل إنجاح مهمة التحقيق — وهذا دأبه مع كل المنسوبين إليه الذين يعملون فى تحقيق التراث أو فى غيره من البحوث العلمية — وسوف أظل مدينا بالشكر لجامعة أم القرى وكلية الشريعة ومركز البحث العلمى وإحياء التراث ما حييت . وما سجّلتُ هذا هنا إلا ليكون الشكر مستمرا طوال ماهذا الكتاب بين يدى القراء يفيد منه الدارسون . بينما أكون فى عالم البقاء وأحوج ما أكون إلى ترحم المستفيدين من الدارسين .

* * *

مؤلف الكتاب

ومؤلف الكتاب هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد القرشى الهاشمى المكى ، وقد اشتهر بعمر ، وترجمته كتب التراجم ضمن من اسمه عمر .

ولد بمكة المكرمة فى ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وثمانمائة من الهجرة النبوية ، ونشأ بها كما ينشأ أبناء العلماء ؛ فحفظ القرآن الكريم ، وكتابا فى الحديث ألفه له والده ، ثم اتجه إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل فأخذ يحفظ كتابا فيه ، وقبل أن يتمه حفظا حوله أبوه إلى فقه الإمام الشافعى ؛ فأقبل على دراسته ، واشتغل بكتبه ، وإلى جانب ذلك أقبل على حفظ أصول كتب النحو ومتونه ؛ كل ذلك على جلة الشيوخ بمكة المكرمة المقيمين بها والوافدين إليها .

ومما لاشك فيه أنه سمع من الوافدين إلى مكة المكرمة عن مجالس العلم وشيوخه المبرزين فى فنونه المختلفة فى مصر والشام وغيرهما ، فتطلعت نفسه إلى حضور تلك المجالس ولقاء هؤلاء الشيوخ ومدارستهم والأخذ عنهم . فلما أنس من نفسه إلحاح الرغبة على الاستزادة من العلم والمعرفة ، والقدرة على الارتحال إلى حيث يقيم العلماء الذين طبقت سمعتهم آفاق العالم الإسلامى والعربى منه على وجه الخصوص بدأ أول رحلاته العلمية ؛ فخرج إلى مصر فى أخريات سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، ودخل القاهرة فى الرابع والعشرين من المحرم من سنة ست وثلاثين ، والتقى بشيوخها وعلمائها ، فسمع منهم وحضر عليهم وأخذ عنهم ، ولازم شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر ، فتدرب به فى التدريس والفتوى ، وأخذ عنه ماشاء ، ثم خرج إلى الشام فى رمضان من نفس السنة مارا بغزة والخليل والقدس الشريف والرملة وأخذ فيها عن جلة شيوخها

ونزل الشام وطوف ببلاده حتى وصل حلب ، ثم قفل راجعا ، ولم يترك فى البلاد التى زارها عالما يشار إليه بالبنان إلا والتقى به وأخذ عنه .

ثم عاد إلى القاهرة ولكنه لم يطل المقام بها ورجع إلى البلاد الشامية ، وطوّف بها ، وزار مدنها ، والتقى بعلمائها . ثم أقام بحلب فترة طويلة أتاحت له أن يأخذ عن البرهان إبراهيم بن محمد بن خليل ، الحافظ الحلبى شيئا كثيرا جدا .

ثم عاد إلى القاهرة مرة ثالثة وارتحل منها إلى الإسكندرية ، وفى طريقه إليها زار مدنا كثيرة والتقى بشيوخها وسمع منهم ، ولم يتيسر له دخول الإسكندرية لخلاف وقع بينه وبين رفيقه فى الرحلة برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى .

ورجع إلى مكة المكرمة مع ركب الحاج المصرى فى موسم سنة ثمان وثلاثين . وقد استغرقت رحلته هذه قرابة ثلاث سنوات ، تحمل فيها كثيرا من العلوم عن خلق كثيرين ، وتزايدت فوائده ، وصار كثير المسموع والمروى ، والمجاز فيه .

وأصبح بيته فى مكة مقصد العلماء وطلاب المعرفة ، وذاع صيته وراج علمه ، وقوبل من الشيوخ ورواد العلوم بالتقدير ؛ فاستمدوا من فوائده ، وعوّلوا على اعتماده .

وكأن ابن فهد لم يقنع بما استفاده فى رحلته هذه لذلك نراه يشد الرحال فى جمادى الآخرة من سنة خمسين وثمانمائة إلى القاهرة

ويلتقى بشيخه الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر ويلازمه ويكتب عنه بخطه الكثير من المطولات وغيرها ، ويعرف العالى والنازل ، ويأخذ عن غيره أيضا من العلماء . فى تواضع لا يحول بينه وبين الاستفادة حتى ممن هو مثله أو ممن هو دونه .

ثناء العلماء عليه

ولقد أثنى عليه شيوخ العصر فى العلم ، والمشار إليهم فيه ، والمعول على رأيهم فى التزكية . ووصفوه بما يرفع شأنه ويعلى قدره .

قال عنه الحافظ محمد بن أبى بكر عبد الله القيسى . الشمس أبو عبد الله بن ناصر الدين : الشيخ العالم الفاضل البارع المحدث المفيد الرحالة ؛ سليل العلماء الأماثل ، فخر الفضلاء الأفاضل جمال العترة الهاشمية . تاج السلالة العلوية ، نجم الدين ضياء المحدثين .

وقال البرهان الحلبى : إنه قرأ على شيئا كثيرا جدا ، واستفاد وكتب الطباق والأجزاء ، ودأب فى طلب الحديث . وقراءته سريعة وكذا كتابته — وكان لايعرف النحو — رده الله إلى وطنه سالما .

وقال زين الدين رضوان بن محمد بن يوسف العقبى : إنه نشأ فى سماع الحديث بمكة على مشايخها والقادمين إليها من البلاد ، ثم رحل إلى الديار المصرية فأكثر بها من العوالى وغيرها . وساق أخبار رحلته .

وكتب إليه الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر : **وقد كثر شوقنا إلى مجالستكم وتشوقنا إلى متجدداتكم ،**

ويسرنا مايبلغنا من إقبالكم على هذا الفن الذى باد حُمّاله . وحاد عن السنن المعتبر عماله .

وقد كُنَّا نَعُدُّهُمُ قليلا فقد صاروا أَقَلَّ من القليل

فلله الأمر ... إلى أن قال : ويعرفنى الولد بأحوال اليمن ومكة ، ووفيات من انتقل بالوفاة من نبهاء البلدين ، وتقييد ذلك حسب الطاقة ، ولا سيما منذ قطع الحافظ تقى الدين تقييداته ، وإن تيسر للولد الحضور فى هذه السنة إلى القاهرة فليصحب معه جميع ماتجدد له من تخريج أو تجميع ليستفاد .

ووصفه مرة بقوله : من أهل البيت النبوى نسبا وعلما ، وأنه جد واجتهد فى تحصيل الأنواع الحديثية النبوية .

ومرة أخرى : بأنه محدث كبير شريف من أهل البيت النبوى .

وأخرى : بأنه من أهل العلم بالحديث ورجاله .

وروى عنه التقى المقريزى فضل البيت فقال : وكتب إلىّ المحدث الفاضل أبو حفص عمر الهاشمى ، وشافهنى به غيره مرة . ووصفه فى ترجمة فتح الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح المدنى قاضى المدينة بصاحبنا . وقال فى ترجمة أبيه عنه : إنهما محدثا الحجاز ، كثيرا الاستحضار ، وأرجو أن يبلغ عمر فى هذا العلم مبلغا عظيما ؛ لذكائه واعتنائه بالجمع والسماع والقراءة . بارك الله له فيما آتاه

وقال عنه السخاوى : صاحبنا بل ومفيدنا ، شيخ الجماعة النجم والسراج أبو القاسم عمر ، ويسمى محمدا لكنه بعمر أشهر .

وقال : وأخذ عمن هو مثله ، بل وممن دونه ممن هو فى عداد من يأخذ عنه ، ولم يتحاش عن ذلك كله حتى إنه سمع منى بمكة جملة تصانيفى ، وحضر عندى ما أمليته بها ، وسلك فى صنيعه هذا مسلك الحفاظ الأئمة .

ووصفه بصدق اللهجة ومزيد النصح ، وعلو الهمة ، وطرح التكلف ، والعفة والشهامة ، والإعراض عن بنى الدنيا ، وعدم مزاحمة الرؤساء ونحوهم ، وكونه فى التواضع والفتوة وبذل نفسه وفوائده وكتبه وإكرامه للغرباء والوافدين بالمحل الأعلى ، ومحاسنه جمة .

هذا ، ويكفى النجم ابن فهد ألا يجد فيه السخاوى ماينقصه فيذكره ؛ فمن شأنه أن يجرح وهو يمدح ، وقل أن يسلم من جرحه عالم من العلماء .

مؤلفاته :

ألف ابن فهد فى الحديث وفنونه كما ألف فى التاريخ ؛ فخرج لنفسه ولأبيه المعجم والفهرست ، وخرج لأبى الفتح وأبى الفرج المراغيين ولوالدهما ولابن أختهما المحب المطرى ، وللنور المحلى سبط الزبير ، ولزينب ابنة اليافعى ، وعمل لها العشاريات ، وللعز بن الفرات ، ولسارة ابنة ابن جماعة ، حتى إنه خرج لأصحابه فمن دونهم ، وعمل لنفسه

المسلسلات ، وانتقى وحرر الأسانيد ، وعمل الألقاب ، وترجم الشيوخ ؛ ومهر فى هذا النوع . وعمل مشيخة لشيخه البرهان الحلبى فى مجلد ضخم . وإلى جانب ذلك ألف :ـــ

إتحاف الورى بأخبار أم القرى .
التبيين فى تراجم الطبريين .
تذكرة الناسى بأولاد أبى عبد الله الفاسى .
الدر الكمين فى الذيل على العقد الثمين .
السر الظهيرى بأولاد أحمد النويرى .
غاية الأمانى فى تراجم أولاد القسطلانى .
المشارق المنيرة فى ذكر بنى ظهيرة .
نور العيون مما تفرق من الفنون .
وكتابا عن بنى فهد .

ورتب أسماء تراجم الحلية ، والمدارك . وتاريخ الأطباء . وطبقات الحنابلة لابن رجب ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ، والذيل عليه ، كل ذلك على حروف المعجم بحيث يُعيِّن محل ذاك الاسم من الأجزاء والطبقة ؛ ليسهل كشفه ومراجعته ، وهو من أهم شيء عمله وأفيده .

وفاته :

يقول السخاوى فى ضوئه : ولم يزل على طريقته مع انحطاطه قليلا ، وضعف بصره حتى مات فى وقت الزوال من يوم الجمعة سابع رمضان سنة خمس وثمانين [وثمانمائة] وصلى عليه بعد العصر ، ثم دفن عند

قبورهم ، وتأسف جميع أحبابه على فقده ، ولم يخلف بعده — فى مجموعه — مثله .

وقال ابنه العز عبد العزيز فى كتابه بلوغ القرى : مات مؤلف الأصل [أى إتحاف الورى] الوالد نجم الدين عمر بن محمد بن فهد الهاشمى المكى — تغمده الله برحمته — بعد أن تعلل مدة بالبطن والإسهال ، ثم عرض له ثقل ، وانقطع عن البروز نحو عشرين يوما . كان حاضر الذهن ، ويكثر من الشهادة حتى كانت آخر كلامه عند خروج روحه ، فجهز فى يومه وصلى عليه صديقه قاضى القضاة الشافعى برهان الدين بن ظهيرة القرشى ، عند باب الكعبة بعد صلاة عصر يومه ، وحضر خلق كثير ، ودفن بالمعلاة على والده ، بجانب مصلب عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما .

أثره العلمى :

لاشك أن ماتركه ابن فهد من دراسات مكتوبة فى الحديث ورجاله كانت ذخيرة يستمد منها دارسوا الحديث وعلومه . وأن ماقام به من ترتيب أسماء تراجم الكتب التى أشرنا إليها سابقا قد سهل على طلاب المعرفة مؤنة البحث ووفر لهم الجهد والوقت ، وأن كثيرا ممن أخذ عنه وسمع عليه كانوا حملة علم إلى من جاءوا بعدهم . وقد ترجم ابنه العز لكثير منهم .

أما ما أرخه ابن فهد فقد تأثر به من جاء بعده من المؤرخين ، فالقطب النهروالى يضمن كتابه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام نقولا كثيرة عن إتحاف الورى ، ويقول عن مؤلفه : إنه ممن أدركناه ولنا عنه رواية . ويصفه بقوله شيخ شيوخنا حافظ عصره ، وقد اعتمد عليه اعتمادا كليا فى التاريخ للأحداث التى وقعت فى مكة فى الحقبة من سنة ٨٣٠ ـــ ٨٨٥ هـ حيث لم يكن أمامه من كتب المؤرخين عن هذه الحقبة غير كتب النجم ابن فهد ، ثم من بعده كتب ولده العز ، كذلك المؤرخ عبد القادر بن محمد الأنصارى الجزيرى المصرى نقل عنه كثيرا فى كتابه درر الفرائد المنتظمة ، بل إنه لم تخل كتابته عن موسم من مواسم الحج من النقل الكامل عن ابن فهد .

هذا إلى ماطلبه منه الحافظ ابن حجر من تقييدات عن أحوال اليمن ومكة مما أشرنا إليه . ويقول السخاوى : إنه رأى شيخه ابن حجر استعار منه أسماء شيوخه ، ورأيته ينتقى منها ، بل ونقل عنه فى ترجمة « رَتَنَ » من كتاب الإصابة .

وكذلك اعتمد عليه السخاوى فى تراجم المكيين المتوفين بمكة أو غيرها ذاكرا : أنه كذا أرخه صاحبنا ابن فهد .

ونقل عنه جمال الدين محمد بن ظهيرة القرشى نقولا كثيرة فى كتابه الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف .

كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى

يقول النجم عمر بن فهد فى مقدمته لهذا الكتاب : وقد ألف شيخنا السيد الشريف الإمام العلامة الحافظ المؤرخ قاضى المسلمين تقى الدين أبو الطيب محمد بن شيخنا الإمام العلامة أقضى القضاة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن على بن أبى عبد الله الحسنى الفاسى المكى المالكى ـــ أثابه الله الثواب الجزيل ، وكان له بكل خير كفيل ـــ لأخبار بلده مكة المشرفة عدّة مؤلفات ؛ منها : شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام ، ومختصراته الستة ، وكتاب العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ومختصراته الثلاثة ، وذكر أثناء كتبه المذكورة حوادث وأخبارا اتفقت بمكة المشرفة وأعمالها ، فى الجاهلية والإسلام ؛ أحببت أن أفرد ذلك مرتبا على السنين ، مبتدئا من مولد النبى ﷺ ، وألحق به كثيرا مما لم يذكره ، وأذكر فى كل سنة من مات بها من الأعيان من أهلها وغيرهم ، وكثيرا ممن مات من أهلها بغيرها .

وقد تبين لى من معايشتى للكتاب أنه اعتمد فى تاليفه على كل مَنْ سبقه من المؤرخين سواء فى كتب السيرة النبوية أو كتب التاريخ العام ، وهى كثيرة يمكن تبينها من التعليقات التى أثبتناها فى الهوامش توثيقا لنقول ابن فهد ، وحقا فقد كان صادق اللهجة أمينا فى النقل ، ولا شك أنه بذل جهودا مضنية فى جمع معلوماته ، وتتبع رواياته ، وإسنادها إلى أهلها ، وترتيب إيرادها ضمن سياقه . وهو يؤرخ

للأحداث فى سنة وقوعها منتقلا من سنة إلى سنة ، لا يخرج عن أحداث مكة إلا فيما له صلة بها . مع الاهتمام ببيت الله الحرام وكل مايحدث بشأنه منذ واقعة الفيل حتى سنة ٨٨٥ هـ . وكل مايتجدد فى المسجد الحرام ، ومايطرأ على مكة من سلم أو حرب ، وغلاء أو رخص ، وماينزل بها من أمطار وسيول ، وما يعتورها من أوبئة وأمراض ، ومن يموت بها من الأعيان ، وما يقع فيها من الحوادث ، ويتابع مواسم الحج . وأحوال ضيوف الرحمن ، ومايلقونه فى الطريق من أمن وسلامة ، أو نهب وإهانة . ويصف حجّ الخلفاء والسلاطين والملوك وعلية القوم من علماء وصلحاء وأثرياء ، ويتابع ذكر أمراء مكة وقضاتها وأئمتها ومايجرى منهم وعليهم .

وبالجملة فهو يقدم صورة واضحة عن مكة المكرمة وأعمالها من النواحى السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والعمرانية ، والاقتصادية ، على رقعة واسعة جدا من التاريخ . ولعل ابن فهد هو المؤرخ الوحيد الذى أرخ لمكة فى الحقبة التى تقع بين سنتى ٨٣٠ ، ٨٨٥ من الهجرة النبوية ؛ فلم نعثر بعد على كتاب يتناول هذه الحقبة ، اللهم إلا ماكتبه أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء القرشى المكى المتوفى سنة ٨٥٤ هـ ضمن مخطوطته عن تاريخ مكة والمسجد الحرام والقبر الشريف ؛ مع ضيق فى المساحة الزمنية من الحقبة التى تناولها ابن فهد ، وضيق فى المساحة العلمية التى أوردها إذا قورنت بما أورده ابن فهد .

ومن هنا تأتى قيمة كتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، لعمدة المؤرخين لما بعد زمن التقى الفاسى * .

* * *

ومن معالم منهجنا فى تحقيق هذا الكتاب : أننا تتبعنا ماورد به فوثقناه جزئية جزئية مستهدين بالمراجع الواردة ضمن الفهارس ، ومافاتنا من التوثيق فهو النذر اليسير .

وأننا اعتمدنا فى تحقيق الجزء الأول على مصورات لثلاث نسخ مخطوطة هى :ــ

١ ــ مصورة عن نسخة تيمور المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٤ تاريخ تيمور ، وقد رمزنا إليها بالحرف « ت » .

٢ ــ مصورة عن نسخة الحرم المكى الشريف بخط أحمد بن مصطفى كتبجى ، وقد رمزنا إليها بالحرف « م »

٣ ــ مصورة عن نسخة هندية محفوظة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد رمزنا إليها بالحرف « هـ »

وأننا وقفنا بالتحقيق عند نهاية أخبار سنة ثلاثين وثمانمائة .

---

* مراجع التقديم : الضوء اللامع للسخاوى ٦ : ١٢٦ ــ ١٣١ ، والبدر الطالع للشوكانى ١ : ٥١٢ ــ ٥١٣ . وبلوغ القرى للعز بن فهد ، وبنو فهد مؤرخو مكة المكرمة للدكتور ناصر بن سعد الرشيد .

أما بقية الكتاب فموضوع رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى التاريخ الإسلامى ، يعدها المحاضر عبد الكريم على الباز .

* * *

وأخيرا فإذا كان آل فهد : النجم عمر ، والعز عبد العزيز ، وجار الله محمد قد أرخوا لمكة المكرمة وعلمائها وأعيانها وأمرائها وأوديتها وبلدانها ، فما أحرى بجامعة أم القرى أن تنهض بجمع تراث آل فهد ، وأن تضعه بين يدى المحققين توطئه لنشر مكتبة تاريخية عن مكة المكرمة .

والله ولى التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير

فهيم محمد شلتوت

مكة المكرمة

فى ٣ من ربيع الثانى سنة ١٤٠٣

(١٧ من يناير سنة ١٩٨٣)

شكر وتقدير

وإننى إذ أنوه هنا بالجهد المخلص الذى بذله الأستاذ شفيق السيد على المحاضر بالمركز والذى كلفه المركز بمعاونتى لأشكره جزيل الشكر وأقدر له حسن معاونته وتفانيه فى أداء واجبه مما كان له الأثر الطيب فى إنجاز هذا العمل

والله يتولاه ، عنى بحسن الجزاء .

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العلامة الحافظ المؤرخ نجم الدين أبو القاسم محمد المدعو عمر ابن العلامة الحافظ الرحلة تقي الدين أبي الفضل محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي رحمه الله تعالى

الحمد لله الذي جعل الدنيا مضمارا لخليقته ابتلى فيها أخبارهم، وأحصى آثارهم في دار قرارهم، وكتب أعمالهم وجعل الموت غايتهم التي إليها صائرون، وغاية الأحداث التي بهم يتسلون، وبيّن لهم في ديوان الأنساب إليه ما يشهدون، ونوّه قدرا لنبيه عليه الصلاة والسلام الذي حيث وأنهم ميتون أحيا هم على نعمه الباطنة والظاهرة، وأشكره على حسناته المتكاثرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها عند لقائها، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير البرية وأتقاها، وأعلاها رتبة عند الله وأزكاها، نبي الذي أزال به عن الأمة عماها، وألهمها رشدها وهداها، صلى الله عليه صلاة لا تتناهى، وعلى آله وأصحابه الكاشفين عن الأمة عماها، الباذلين في نصرة دينه الهمم التي لا تتناهى. وبعد فإن علم التاريخ لا شك في جلالة قدره وعظم موقعه يستشرف به للاطلاع على حوادث الزمان وسير الناس وما أبقى الدهر من أخبارهم بعد إبادتهم حياته عبرة لمن اعتبر وتنبيه لمن افتكر، واختبار حال من مضى وغبر، وإعلام أن ساكن الدنيا على سفر، وفي ضبطه بالسنين أمور مهمة، وفوائد جمة، لحفظ الفاروق والصحابة رضي الله تعالى عنهم عند وضع التاريخ، وقد رأيت بخط شيخنا الإمام العلامة المؤرخ الكبير تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الفاسي المقري تغمده الله برحمته في بعض تعاليقه ما نصه: من أرخ فقد حاسب الأيام عن عمره ومن كتب حوادث دهره فقد كتب كتابا إلى من بعده يحدث دهره، ومن قيدها شهد فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره ولهو بعد إلى الفضلاء أخبارا وتزال سماعهم وأبصارهم ديارا ما كانت لهم ديارا

غرضي أن أرى الديار بطرفي ... ولعلي أرى الديار بسمعي

فسبحان من هو كل يوم في شأن. انتهى. وقد ألف شيخنا السيد الشريف الإمام العلامة الحافظ المؤرخ قاضي المسلمين تقي الدين أبو الطيب محمد بن شيخنا الإمام العلامة

أقضى

أقضى القضاة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي بن [illegible] الحسني المكي المالكي أثابه الله الثواب الجزيل، وأنال له بحظ قبر لنيل [illegible] المشرفة عدة مؤلفات منها شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ومختصره [illegible] وكتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ومختصراته الثلاثة، وذكر في أثناء كتبه المذكورة حوادث وأخبار اتفقت بمكة المشرفة [illegible] والإسلام أحببت أن أورد ذلك مرتبا على السنين مبتدئا من حين مولد النبي صلى الله عليه وسلم وألحق به كثيرا مما لم يذكره في مؤلفاته من هذا المعنى وأذيل عليه إلى زماني، وأذكر في كل سنة من مات بها أيضا من الأعيان من أهلها وغيرهم وكثيرا ممن مات من أهلها بغيرها، وسميت ذلك إتحاف الورى بأخبار أم القرى، والله المسئول الإعانة والإتمام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، والرضى عن آله وأصحابه الكرام.

باب ذكر تزويج والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب والدته [illegible]

كان جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي لما شخص خرج إلى اليمن في رحلة فلقيه رجل من يهود فقال يا عبد المطلب هل تأذن لي أن أنظر إلى شيء منك قال نعم ما لم تكن عورتي قال لست أريد عورتك إنما أريد أنفك ومنخريك فبسط يديه ونظر فقال أرى في إحدى يديك ملكا وفي الأخرى نبوة ولا يتم ذلك إلا من بني زهرة يا عبد المطلب هل لك من شاعة قال ما هي قال الزوجة قال لا قال يا عبد المطلب تزوج من بني زهرة فرجع فتزوج هالة بنت وهيب وزوج ابنه عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب فخرج عبد الله على عبد المطلب وكان عبد المطلب قد نذر حين لقي من قريش ما لقي لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة فلما تموا عشرة وهم الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم والعباس وأبو لهب وحمزة وأبو طالب وعبد الله وعلم أنهم

نسخة تيمور المرموز لها بالحرف « ت »

نسخة مكتبة الحرم المكي المرموز لها بالحرف « م »



نسخة الهند المرموز لها بالحرف « هـ »

إتحاف الورى بأخبار أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العلامة الحافظ المؤرخ نجم الدين أبو القاسم محمد ـــ المدعو عمر ـــ بن العلامة الحافظ الرُّحَلَة تقىّ الدين أبى الفضل محمد بن محمد بن أبى الخَيْرِ محمد بن فهد الهاشمىّ المكىّ الشافعى ـــ رحمه الله تعالى (١) :

الحمدُ لله الذى جعل الدنيا مِضْمَاراً لخَلْقِه ، ابْتَلَى فيها أخْبَارهَم ، وأحْصَى آثارَهم ، وقدَّر فيها آجالَهم ، وكتَبَ بها أعمالَهم ، وجعلَ الموتَ غايتهم التى إليها يجْأَرُون ، وعنها من الأجداث إلى رَبِّهم يَنْسِلُون ، وبيّن أنهم فى ديوان الانتقال إليه تعالى يشهدون(٢) بقوله تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣) ﴾ أَحْمَدُه علَى نِعَمِهِ الباطنة والظاهرة ، وأشكره على حَسَنَاتِه المُتَكَاثِرة ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له ، شهادةً أَدَّخِرُهَا عندَه لألقاها ، وأشهد أن سيّدنا محمدا عبده ورسوله خيرُ البريّة وأتقاها ، وأعلاها رُتْبَةً عند الله وأذكاها ، فهو الذى أزالَ به عَنِ الأمّة عَنَاها ، وأَلْهمَهَا رُشْدَها وهُدَاها ، صلى الله عليه صلاة لا تَتَنَاهَى ، وعلى آله وأصحابه الكاشفين عن الأمّة عَمَاها ، الباذِلين فى نُصْرَة دينه الهِمَمَ التى لا تُضَاهى . وبعد . فإنّ

(١) يرجح أن هذا التقديم من عمل أحد النساخ ، ولم يرد فى م .

(٢) كذا فى ت ، هـ . وفى م « ميتون » .

(٣) سورة الزمر آية ٣٩ .

علم التاريخ لا شَكَّ فى جلالَةِ قَدْرِه ، وعِظَمِ مَوْقِعِه ؛ يُنْتَفَع به للاطلاع على حَوَادِثِ الزَّمان ، وسِيَرِ الناس وما أبْقى الدهرُ من أخبارهم بعدَ أنْ أبَادَهُم ، مع أنه عبرةٌ لِمَنِ اعْتَبَر ، وتَنْبِيهٌ لِمَن افْتَكَر ، واختبارُ حالِ مَن مَضَى وغَبَر ، وإعلامُ أنّ ساكِنى [(١)] الدنيا عَلَى سَفَر ، وفى ضَبْطِه بالسنين أمورٌ مهمةٌ وفوائدُ جَمّة ، لحَظَهَا الفارُوقُ والصحابةُ [(٢)] رضى الله تعالى عنهم عِندَ وَضْعِه [(٣)] التاريخ . وقد رأيت بخطِّ شَيْخِنا الإمام العلامة المؤرخ الكبير تقىّ الدين أبى العباس أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى [(٤)] المصرىّ — تغمَّدَه الله برحمته — فى بعض تَعَالِيقِه ما نصه « مَنْ أَرَّخَ فقد حاسَبَ الأَيَّامَ عن عُمْرِه ، ومن كَتَبَ حوادِثَ دَهْرِهِ [(٥)] فقد كَتَبَ كِتَاباً إلى مَنْ بعده بحديثِ دَهْرِهِ ، ومن قَيّدَ ما شَهِدَ فقد أشْهَدَ عَصْرَه مَنْ لم يَكُنْ مِن أَهْلِ عَصْرِهِ ؛ فهو يهدى إلى الفضلاء أعماراً ، ويُبَوِّىءُ أسْمَاعَهُم وأبصارهم دِيَاراً مَا كَانت لَهُم دِيَارا .

---

(١) كذا فى ت ، وفى م ، هـ « ساكن » .

(٢) كذا فى ت ، هـ . وفى م « وأصحابه » .

(٣) كذا فى ت ، هـ . وفى م « وضع » .

(٤) فى ت ، هـ « الفاسى » وهو خطأ لأن الفاسى اسمه محمد بن أحمد بن على ابن محمد الحسنى الفاسى . تقى الدين أبو الطيب . والمقريزى هو أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم ، تقى الدين أبو العباس ، أشتهر جده بالمقريزى نسبة إلى حارة المقارزة ببعلبك . ولد بالقاهرة بعد الستين وسبعمائة بسنيات ، وتوفى فى يوم الخميس سادس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، وصفه العلماء بعمدة المؤرخين ورأس المحدثين . (النجوم الزاهرة ١٥ : ٤٩٠ ، والضوء اللامع ٢ : ٢١) .

(٥) كذا فى ت ، هـ . وفى م « أمره » .

عَزَّنِى أَنْ أَرَى الدِّيارَ بِعَيْنِى وَلَعَلِّى أَرَى الديارَ بِسَمْعِى

فسبحانَ مَن هُوَ كُلَّ يومٍ فِى شَأْن . انتهى . »

وقد أَلَّف شيخنا السيِّد الشريف الإمام العلامة الحافظ المؤرخ قاضى المسلمين تقىُّ الدين أبو الطيِّب محمد بن شيخنا الإمامِ العلامة / أقْضَى القضاةِ شهابِ الدين أبى العباس أحمد بن على بن ٣ أبى عبد الله الحَسنِىّ الفاسىّ المكىّ المالكىّ [١] ـــ أثابَه اللهُ الثوابَ الجزيل ، وكان له بكلِّ خَيْر كَفِيل ـــ لأخبار بلدِهِ مكّةَ المشرفةِ عِدَّةَ مؤلفات ؛ منها شِفَاءُ الغَرام بأخبار بَلَدِ اللهِ الحَرَام ، ومختصراته الستة [٢] ، وكتاب : العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ، ومختصراته الثلاثة [٣] . وذكر فى أثناء كتبه المذكورة حوادث وأخباراً اتّفقت بمكة المشرفة وأعمالها فى الجاهلية والإسلام ، أَحْبَبْتُ أن أُفْرِدَ ذلك مُرَتَّباً على السنين ، مبتدئا مِن حين مَوْلِدِ النبىّ صلى الله تعالى [٤] عليه

---

(١) وانظر ترجمته فى كتابه العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ١ : ٣٣١ ـــ ٣٦٣ ، والضوء اللامع ٧ : ١٨ .

(٢) وفى العقد الثمين ١ : ٣٤٢ « وهذه التآليف خمسة أكبرها شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام فى مجلدين ، ثم مختصره المسمى تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام فى نصف أصله ، ثم مختصره تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام ، ثم مختصره هادى ذوى الأفهام إلى تاريخ البلد الحرام ، ثم مختصره الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة . ١٥

(٣) لم يذكر المؤلف من أسماء هذه المختصرات سوى عجالة القرى للراغب فى تاريخ أم القرى . ٢٠

(٤) أكثر ناسخ ت من ذكر لفظ « تعالى » فى الصلاة على النبى ﷺ .

وسلّم : وألحقَ به كثيراً مِمَّا لم يَذْكُرْه فى مؤلفاته مِن هذا المَعْنَى ، وأُذَيِّل عليه إلى زمانى ، وأَذْكُر فى كلِّ سنة مَنْ مات بها أيضا من الأعيان من أهلها وغيرهم ، وكثيرا ممن مات من أهلها بغيرها ، وسمَّيْتُ ذلك « إتْحافَ الوَرَى بأخبارِ أمّ القُرَى [1] » واللّه المسئول الإعانة والإتمام . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ، ٥ والرضى عن آله وأصحابه الكرام .

* * *

ذكر [2] تَزْوِيج والِدِ رسولِ اللّه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم عبدِ اللّه بن عبد المطلب والدتَه آمنةَ بنتَ وَهْب .

١٠ كان جدُّه صلّى اللّه تعالى عليه وسلم عبدُ المطلب بنُ هاشم ابن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلَاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنَانَة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة ابن إلياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عَدْنان القُرَشِىّ الهاشمى خرجَ إلى اليمن فى رِحْلةٍ فلقيَهُ رجلٌ من يَهُود ، فقال : ياعبد المطلب ١٥ هل لك أن تأذن لى أن أَنْظُرَ إلى شيئين منك ؟ قال : نَعَم ، ما لَمْ تَكُن عَوْرَتِى . قال : لستُ أريدُ عَوْرَتَك ، إنما أريدُ أنْفَكَ ويَدَيْك . فَبَسطَ يديه ونظرَ فيها فقال : أَرَى فِى إحْدَى يَدَيْك وفى أَنْفِك نُبُوَّةً ، ولا يَتِمُّ ذلك إلاّ بِبَنِى زُهْرَة ، ياعبدَ المطلبِ ، هلْ لَكَ من شَاعَةٍ ؟ ــ والشاعةُ : الزوجة ــ قال : لا . قال : ياعبدَ المطلب

---

٢٠ (١) فى م « وسميت ذلك الإصابة بتعريف الصحابة وأم القرى » وهو خطأ من الناسخ .

(٢) فى م « سبب تزويج » .

تَزَوَّج فى بنى زُهْرة . فرجع فتزوّج هَالَةَ بنت وَهْب [١] ، وزوّج ابنه عبدَ الله أبَا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلم آمنةَ بنتَ وهب ، فرجح عبدُ الله علَى عبد المطلب .

وكان عبد المطلب قد نَذَر حين لَقِىَ من قريش مالقى : لئن وُلِدَ له عشرةُ نفرٍ ثم عاشوا حتى يَمْنَعُوه ليَنْحَرَنّ أحَدَهم لله عزّ وجلّ عند الكعبة . فلَمّا تَمُّوا عشرة ، وهم : الحارثُ ، والزُّبَيْر ، وحجل ، وضِرَار ، والمقوَّم ، والعَبّاس ، وأبو لَهَب ، وحمزة ، وأبوُ طالب ، وعبدُ الله ؛ وعَلِمَ أنّهم / سَيَمْنَعُونَه جَمَعَهم ثم أَخْبَرَهم بنَذْرِهِ الذى نَذَر ، ودَعاهم إلى الوَفَاءِ للهتعالى بذلك ، فأطاعوا له ، وقالوا : كيف نَصْنَع ؟ قال : يأخُذُ كلُّ رجلٍ منكم قِدْحاً فيكتب فيه اسمَه ثم أْتُونِى به . ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل على هُبَل ــ وكان أعظم أصْنَامِهم ــ وقال لِقَيِّمِ الصَّنَمِ : اضربْ بقِدَاحِ هؤلاء ، وكان عبد الله بن عبد المطلب ــ أبو النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ أصغرَ وَلَدِ أبيه ، وكان أحبَّ ولدِ عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله تعالى لا يَخْرج القِدْح على عبد الله . ثم ضرب صاحبُ القِدَاح فخرجَ القِدْح على عبد الله ، فأخذه عبد المطلب بيَدِه وأخذ الشَّفْرَة ، ثم أقبل به إلى إسَاف ونَائِلَة ؛ الوثَنَيْن اللَّذَيْن تَنْحَرُ قريش عندهما ذبائحهم . لِيَذْبَحَه بها ، فقام إليه قريش من أنديتها وقالوا : ماتُرِيدُ أن تَصْنع ياعبدَ المطلب ؟! قال : أَذْبَحه ــ

(١) كذا فى الأصول . وفى تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٦ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٥١ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٣٨٩ « هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة » .

ويقال إن العباس بن عبد المطلب اجْتَرَّهُ مِن تحت رجل أبيه حتى خَدش وجه عبد الله خَدْشا لم يزل فى وجهه حتى مات — فقالت قريش وبنوه : واللهِ لاتذبحه أبدا ونحن أحياء حتى تُعْذِر فيه ، ولئن فعلت هذا لايزال الرجل [١] مِنّا يأتى بابنه [١] حتى يذبَحَه ، فما بقاء الناس على ذلك ! وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — وكان عبد الله بن عبد المطلب ابنَ أخت القوم — : والله لا تذبحه أبدا حتى تُعْذِر فيه ، فإن كان فِدَاء فَدَيْناه بأموالنا . فقالت له قريش وبنوه : لا تفعل ، وانطلِق إلى الحجاز فإن به عرّافة يقال لها سَجَاح ، لها تابعٌ فسَلْها ، ثم أنت على رأس أَمْرِك . فقال : نعم . فانطلقوا حتى جاءُوها وهى — فيما يزعمون — بِخَيْبَر ، فسألوها فقالت : ارْجِعُوا عَنِّى اليومَ حتى يأتينى تابعى فأسأله . فخرج عبد المطلب يدعوا لله تعالى ، ثم غدوا عليها فقالت : نَعَم قد جاءنى تابعى بالخَبَرِ ؛ فكم الدِّيَةُ فيكم ؟ فقالوا : عشرة من الإبل — وكانت كذلك — قالت : فارجعوا إلى بلادكم فقدِّمُوا صاحِبَكم وقدِّمُوا عَشْراً من الإبل ، ثم اضربوا عليه وعليها بالقِدَاح ، فإن خرجت القداحُ على صاحبكم فَزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضَى رَبّكُمُ ، فإذا خرجت القِداح على الإبل فقد رَضِىَ ربُّكم فانحروها ونَجَا صاحبكم . فخرجوا حتى قدموا مكّة ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبدُ المطلب يدعو الله تعالى ، ثم

(١) فى الأصول « لايزال رجل منا يأتى ابنه » والمثبت من سيرة النبى لابن هشام ١ : ٩٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٣ .

قَرِّبُوا عبد الله وعشرا من الإبل ، فخرجت على عبد الله ، فلم يزالوا
عَلَى هذا إلى أن جعلوها مائةً ، فخرج القِدْحُ على الإبل ؛ فقالت
قريش ومن حضر : قد انتهى رضاء ربِّك ، وخلص لك ابنُك / .
فقال عبد المطلب : لا والله حتى أضرب عليه وعليها ثلاث مَرَّات .
فضربوا فخرج القِدْح على الإبل فِى المرَّاتِ الثلاث ، فنُحِرَت ثم تُرِكَت
لا يُصَدّ عنها إنسان ولا سَبُع ، ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد ابنه
عبد الله ، فمرّ به على امْرَأةٍ من بنى أسَد يقال لها أم قَتَّال بنت نَوْفَل
ابن أَسد بن عبد العُزَّى (١) ، وهى أخت وَرَقة بن نَوْفَل — وهى
عند الكعبة — فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أينَ تذهبُ ياعبدَ
الله ؟ فقال : مع أبى . قالت : لك عندى مثلُ الإبل التى نُحِرَت
عنك وَقَعْ علىَّ الآن . فقال لها : إنى مع أبى الآن لا أستطيع خِلافَه
ولا فراقه ، ولا أريد أن أعصيه شيئا . فخرج به عبد المطلب حتى أتى
به وَهْبَ بن عَبْد مناف بن زُهْرَة — وهو يومئذ سيّد بنى زُهْرة نسبا
وشرفا — فزوّجه ابنته آمنة ، وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا
وموضعا ، فدخل عليها حين أَمْلَكها مكانه فوقع عليها ، فحمَلَت
بنبيّنا محمد ﷺ ، ثم خَرَجَ من عندها حتى أَتَى المرأة التى كانت
عَرَضَتْ عليه نفسَها — وهى فى مجلسها — فجلس إليها فقال لها :
مالك لاتعْرِضِين علىّ اليوم ماكنت عَرَضْتِه علىّ بالأمس — أو مثل
ماعرضت على بالأمس — ؟ فقالت له : فَارَقَكَ النورُ الذى كان

(١) وانظر الخلاف حول اسم هذه المرأة ونسبها فى طبقات ابن سعد ١ : ٨١
وتاريخ الخميس ١ : ١٨٤ .

معك بالأمس ، فليس لى بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها وَرَقَة بن نوفل ـــ وكان قد تنصَّرَ وَٱتَّبَع الكُتُبَ ـــ إنه لكائنٌ فى هذه الأمة نبىٌّ من بنى إسماعيل . فقالت فى ذلك شعرا :

الآن قد ضيَّعْت ماكنت قادرا عليه وفارَقَك النورُ الذى كان حابكا
غَدَوْتَ علىَّ حافِلاً قَدْ بَذَلْتَه هُنَاكَ لِغَيْرِى فَالْحَقَنَّ بِشَانِكا ٥
ولا[1] تَحسَبَنِّى اليوم خِلْوًا وَلَيْتَنِى أصبتُ حبيبا منك ياعبد داركا
ولَكِنَّ ذاكُم صارَ فى آل زُهْرَةٍ به يَدْعَم الله البريَّة ناسكا

وقالت أيضا :

عليك بآل زُهْرَة حيث كانوا وآمنة التى حَمَلت غلاما
ترى المهدىّ حين نَزَا عليها[2] ونُورًا قد تقدّمه إماما[3] ١٠

وذكرت أبياتا وقالت فيها :

فكلُّ الخلق يَرْجُوه جميعا يَسُودُ الناسَ مهتديا إماما
بَرَاهُ اللهُ من نورٍ صفاه فأذْهَب نورُه عَنَّا الظلاما / ٦
وذلك صنع رَبِّك إذْحَباهُ إذا ماسار يوما أو أقاما
فيهدى أهل مكة بعد كُفْرٍ ويَفْرِضُ بعد ذَلكُمُ القياما[4] ١٥

ويقال إن المرأة التى عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب هى فاطمة بنت مُرّ الخَثْعَمِيّة ، وذلك أنّ عبد المطلب خرج

---

(١) فى م « فلا تحسبنى » .
(٢) فى ت « عليه » .
(٣) وانظر السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٧٧ . ٢٠
(٤) كذا فى ت . وفى م والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٧٨ « الصياما » . وفى هـ « القساما » .

بابنه عبد الله ليزوجه ، فمرّ به على كاهنة من أهل تَبالة (١) مُتَهوِّدَة قد قرأت أكثر الكتب ، يقال لها فاطمة بنت مُرّ الخَثْعَمِيّة ، وكانت من أجمل الناس وأَعَفِّهم (٢) ، وكانت قد قرأت الكُتُبَ ، وكان شباب قريش يتحدثون إليها ، فرأت نورَ النُّبُوّة فى وجهِ عبد الله ، فقالت له : يافَتَى ، مَنْ أَنْتَ ؟ فأخبرها ، قالت فهل لك أن تَقَع علىَّ الآن وأُعْطِيَكَ مائةً من الإبل ؟ فنظر إليها وقال :ـ

أما الحرام فالممات دونه والحِلّ لا حِلّ فاستبينه

فكيفَ بالأَمْرِ الذى تَبْغِينَه (٣)

ثم مضى مع أبيه فزوّجه آمنة بنت وَهْب ، فأقام عندها ثلاثا ، ثم ذكر الخَثْعَمِيّة وجمالها وماعرضت عليه ، فأتاها فلم يَرَ مِنَ الإقبال عليه ما رَأَى منها أولا ، فقال : هل لك فيما قلتِ لِى ؟ فقالت : قد كان ذلك مَرَّة واليوم لا . فذهبت مثلا ، قالت : أىّ شىء صنعتَ بعدِى ؟ قال زوَّجَنِى أبى آمنة بنت وَهْب . فقالت : إنى والله لستُ بصاحبة رِيبَةٍ ولكنى رأيتُ نورَ النبوة فى وَجْهِكَ ، فأَرَدْتُ أن يكون ذلك لى ، وأبى الله إلاّ أن يجعله حيث أحَبّ .

---

(١) تبالة : بلدة مشهورة من أرض تهامة فى طريق اليمن بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخا ، وبينها وبين الطائف ستة أيام ، وبينها وبين بيشة يوم واحد ، أسلم أهلها بدون حرب ، وفتحت فى سنة عشر من الهجرة . (معجم البلدان لياقوت) وهى باقية باسمها إلى يومنا هذا ، وهى واد مجاور لوادى بيشة على شاطئ بيشة الشمالى ، ويصب سيلها فى أسفل وادى بيشة . (صحيح الأخبار ١ : ٦٧) .

(٢) كذا فى ت ، هـ . وفى م « من أجمل النساء وأعفها ما عفها » .

(٣) أضاف الروض الأنف ٢ : ١٤١ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٤ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٥٠ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٨٤ « يحمى الكريم عرضه ودينه » .

وبلغ شبابَ قريش ماعَرَضت علىَ عبدِ الله بن عبد المطلب وتَأبِّيه عليها فذكروا ذلك ، فأنشأت تقول :

إنى رأيتُ مَخِيلَةً لمعت فتلألأت بِحَنَاتم [١] القَطْر
فلَمَأتُها [٢] نُوراً يضئُ به ما حوله كإضاءة الفجر
فرجَوْتُها فَخْراً أَبوءُ به ما كُلّ قَادِحِ زَنْدِه يُورِى ٥
لله ما زُهْرِيَّة سلبت منك الذى استلبت وماتدرى[٣]

وقالت أيضا :

بنى هاشم قدغادَرَت من أخيـ ـكم أمينةُ إذ للباه يعتلجان
كما غادَرَ المصباحُ عندَ خُموُدِه فتائلَ قد مِيهَتْ[٤] له بِدِهَان
٧ وما كل مايحوى الفتى من تِلاَدِه لِحَزْمٍ ولا مافاته لتَوَانِ / ١٠
فأجْمِل إذا طَالَبْتَ أمراً فإنه سيكفيكه جدّان يصطرعان
فلما قضت منه أمينةُ مَاقَضَت نَبَا بَصَرِى عنه وكَلَّ لسانى[٥]

وقيل أن عبد الله بن عبد المطلب حين مَرّ بالخَثْعَمِيّة كان مُتَزَوِّجا بآمنة بنت وهب ؛ وذلك أن عبد الله كان فى بناء له ، فأقبل

(١) الحناتم : السحائب السود . (المعجم الوسيط) ١٥
(٢) فلمأتها : لمحتها ونظرتها . (هامش السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٧٩)
(٣) وانظر تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٧٩ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٤ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٤) فى ت « صبت » وفى م « ميث » والمثبت عن هـ وتاريخ الطبرى ٢ : ١٧٦. ٢٠
(٥) وانظر تاريخ الطبرى ٢ : ١٧٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٤ والبداية والنهاية ٢ : ٢٥٠ ، ٢٥١ .

وعليه أثرُ الطِّين والغُبَار ، فمرّ بامرأة من خثعم (١) ، فلما رأته ورأت ما بين عينيه دَعَتْه إلى نفسها وقالت له : إن وَقَعْتَ بى الآن (٢) فلك مائة من الإبل . فقال لها : أَغْسِلُ (٣) عنى هذا الطين الذى علىّ وأرجع إليك . فدخل على آمنة بنت وَهْب فواقَعَها ، فحملت برسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطَّيِّب المُبَارَك ، ثم رجعَ إلى الخَثْعَمِيّة فقال لها : هَلْ لَكِ فيما قُلْتِ ؟ فقالت : لا . قال : ولم ؟ قالت : إنك مَرَرْت بى وبين عَيْنَيْك نُورٌ ثم رجعت إلىّ وقد انْتَزَعَتْهُ (٤) آمنة بنت وَهْب منك (٥) .

ويقال : إن المرأة الخَثْعَمِيّة كانت تَعْرِض نفسها فى موسم من المواسم ، وكانت ذات جمال ، وكانت معها أُدم (٦) تطوفُ بها كأنها (٧) تبيعها ، فأتت على عبد الله بن عبد المطلب ، فلما رأته أعجبها فقالت : والله إنى ما أطوف لِبَيْع الأُدْم ومَالى إلى ثمنها من حاجة ، ولكن أتوَسَّم الرِّجَال أنظر هل أجد كُفئاً ، فإن كان لَكَ حاجة فَقُمْ . فقال لها : مكَانَكِ حتى أَرْجِعَ إليك .

---

(١) كذا فى م ، هـ وفى ت « بامرأة خثعمية » .

(٢) هذا اللفظ من ت .

(٣) فى م « حتى أغسل » .

(٤) فى ت « نزعته » .

(٥) السيرة الحلبية ١ : ٦٤ .

(٦) الأدم : جمع إدام : وهو مايستمرأ به الخبز ، وجمع أديم : وهو الجلد أو الطعام المأدوم . (القاموس المحيط)

(٧) فى الأصول « كأنه تبيعه » .

فانطلق إلى أهله فبدا له فواقع أهله ، فحَمَلَت بالنبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلما رجع إليها قال : ألا أراك هاهنا ! قالت : ومَنْ أَنْتَ ؟ قال أنا الذى وَعَدْتُك . قالت : لا ما أنتَ هو . ولئن كنتَ ذاكَ لقد رأيتُ فى وجهك وبين عَيْنَيْك نورا ما أراه الآن .

وقيل : إن المرأة التى مر بها عبد الله بن عبد المطلب هى ليلى العَدَوِيّة ؛ وذلك أن عبد الله خرج ذات يوم متخصرا [١] مترجلا حتى جلس فى البَطْحَاء ، فنظرت إليه ليلى العَدَوِيّة فَدَعَتْه إلى نفسها ، فقال عبد الله : أَرْجِعُ إليك . ودخل علَى آمنة بنت وهب فواقعها وخَرَج ، فلما رأته ليلى قالت : ما فعلتَ ؟ فقال : قد رجعت إليك . قالت : لقد دَخَلْتَ بِنُورٍ ماخَرَجْتَ به ، ولئن كنت لَممْتَ بآمنة بنت وَهْب لتِلِدَنَّ مَلِكاً .

ويقال إنّ المرأة التى مَرّ بها عبد الله بن عبد المطلب هى امرأة له أُخْرَى كانت مع آمنة بنت وهب ؛ فمرّ بامرأته تلك وقد أصابه أثرٌ من طين عمل به ، فدعاها إلى نفسه ، فابطأت عليه لما رأت من أثر الطين ، فدخل فغسل أثر الطين ثم دخل عامدا إلى آمنة / بنت وهب ، ثم دعته صاحبته التى كان أرادها إلى نفسه فأبى للذى صَنَعَت به أوّل مَرّة ، فدخل على آمنة فأصابها . ثم خرج فدعاها إلى نفسه فقالت : لا حاجة لى بك ؛ مَرَرْتَ وبين عينيك غُرَّةٌ فرجوت أنى أصبتها [٢] منك ، فلما دخلتَ على آمنة ذهَبَتْ بها منك .

---

(١) متخصرا : أى وضع رداءه أو يده على خصره ، أو متكئا على المخصرة : وهى العصا التى يتوكأ عليها . (القاموس المحيط)

(٢) كذا فى ت ، م . وفى هـ « أصيبها » .

وكانت هذه المرأة تقول : مَرّ بى وإنّ بَيْنَ عينيه لَنُورًا مثل الغُرّة ، ودَعَوْتُه له رجاء أن يكون لِى ، فدخل على آمنة فأصابها ، فحملت بِرَسُولِ الله ﷺ .

وكان الحَمْلُ برسول الله ﷺ فى شِعْب أبى طالب — قيل عند الجمرة الكبرى ، ويقال الوسطى — فى ليلة الجمعة من شهر رجب ، وقيل فى أيّام التشريق . وكان من دلالة حمل آمنة بالنبىِّ صلى الله تعالى عليه وسلم أن كل دَابَّةٍ كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت : حُمِلَ برسولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم وَرَبِّ الكعبة ، وهو إمام [1] الدنيا وسِرَاجُ أهلها . ولم يبق كاهنة فى قريش ، ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها ، وانتزع علم الكهانة منها . ولم يبق سَرِيرُ مَلِك من ملوك الدنيا إلا أصبح مَنْكُوسا والمَلِكُ مخروسا [2] لا ينطق يَوْمَه ذلك . ومرت وَحْش الشرق إلى وَحْش الغرب بالبشارات ، وكذلك أهل البحار يُبَشِّر بعضهم بعضا [وله] [3] فى كل شهر من شهوره نداءٌ فى الأرض ، ونداءٌ فى السماء : أبشروا فقد آن لأبى القاسم أن يخرج إلى الأرض مَيْمُونًا مُبَارَكا [4] .

قالت آمنة : ماشعرت أنى حملت بالنبىّ صلى الله تعالى عليه

---

(١) فى الأصول والزهر الباسم لوحة ١٣٥ « أمان » . والمثبت عن شرح المواهب ١ : ١٠٨ ، وقد أكدها بقوله بالميم .

(٢) كذا فى هـ : وفى ت ، م « فحرسا » . وفى الزهر الباسم لوحة ١٣٥ « أخرس » .

(٣) الإضافة عن تاريخ الخميس ١ : ١٨٥ والزهر الباسم لوحة ١٣٥ .

(٤) وقد ضعفه القسطلانى فى المواهب اللدنيه ١ : ١٠٨ .

وسلم ، ولا وجدت له ثقلا كما تجد النساء ، إلا أنى قد أنكرت رفع الحيض .

وبقى ﷺ فى بطن أمه تسعة أشهر كَمَلاً ، ويقال ستة ، وقيل سبعة ، ويقال ثمانية ، وقيل عشرة أشهر [١] لا تشكو وَجَعاً ولا رِيحا ولا مَغَصا ولا مايعرض للنساء من الثقل والوخم وأدواء الحمل ، إلا أنها أنكرت رفع حيضتها ـــ وفى حديث شداد [٢] عكسه ، وجُمِع [٣] بأن الثقل فى ابتداء العلوق والخِفّة عند استمرار الحمل ؛ ليكون خارجا عن المعتاد .

وهلك أبوه عبد الله وهوحَمْل ، فقالت الملائكة : إلَهنا وسيدنا ومولانا بقى نبيُّك هذا يتيما . فقال الله تعالى للملائكة : أنا لنبيى ولىٌّ وحافظٌ ونصير [٤] . ويقال مات عبد الله قَبْل ميلاد النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم بشهرين ، وقيل وهو فى المَهْد ، ويقال ابن ثمانية

---

(١) عيون الأثر ١ : ٢٥ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٨٦ .

(٢) هو شداد بن أوس بن ثابت الأنصارى ، أبو يعلى الصحابى ، ابن أخى حسان بن ثابت ، توفى بالشام قبل الستين ، وقيل بعدها . وعنه : أن رجلا من بنى عامر سأل رسول الله ﷺ ماحقيقة أمرك ؟ فقال : بدوّ شأنى أنى دعوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيسى ، وأنى كنت بكر أبى وأمى ، وأنها حملت بى كأثقل ماتحمل النساء ، وجعلت تشتكى إلى صواحبها ثقل ماتجد ، ثم إن أمى رأت فى منامها أن الذى فى بطنها نور ... الخ » . (شرح المواهب ١ : ١٠٧)

(٣) والذى جمع بين حديث شداد وما قبله هو الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى . (المرجع السابق)

(٤) الزهر الباسم لوحة ١٣٦ .

وعشرين يوما ، وقيل وهو ابن شهرين ، ويقال ابن سبعة أشهر ، ويقال ابن سنة ، وقيل ابن سنتين ، وقيل ابن ثمانية وعشرين شهراً (١) / ٩ والأول أثبت — فى دار النابغة (٢) بالمدينة ، وقيل بالأبواء بين مكة والمدينة .

٥ ولما مَرّ من حمله ﷺ ستة أشهر قالت آمنة : أتانى آتٍ : وأنا بين النائم واليقظان فوكزنى برجله وقال لى : يا آمنة هل شعرت بأنك قد حملت ؟ فكأنى أقول ما أدرى . فقال : إنك قد حملتِ بخيرِ البرية وسيِّدِ هذه الأمة ونَبيِّها ، وخير العالمين طُرًّا ، فإذا وَلَدْتِيه فسمِّيه أحمد ومحمدا ؛ فإن اسمه فى التوراة والإنجيل أحمد ، يحمده أهلُ السماء ١٠ والأرض ، واسمه فى الفُرقَان محمد ، فسمِّيه بذلك واكْتُمى شأنه ؛ فإن آية ذلك أن يخرج معه نورٌ يملأ قصورَ بُصْرَى من أرض الشام وعلقى عليه هذه . فَأَنْتَبَهْتُ وعند رأسى صحيفةٌ مِن ذهب مكتوبٌ فيها هذه : أُعِيذُه بالوَاحِد . من شَرِّ كُل حَاسِدِ . وكل خَلْقٍ رائد . من قائم وقاعد . عن السبيل عَانِد . على الفساد جَاهِد . من نافث أو ١٥ عَاقِد . وكل جِنٍّ مارِدِ . يأخذ بالمراصد . فى طرق الموارد . أنهاهم عنه بالله الأعلى . والكفّ الذى لا يدى (٣) . يد الله فوق أيديهم ، وحجاب

(١) وانظر تاريخ الخميس ١ : ١٨٧ ، وشرح المواهب ١ : ١٠٩ .

(٢) وفى شرح المواهب ١ : ١١٠ « النابعة بفوقية فموحدة فعين مهملة كما فى الزهر الباسم ، قال الخميس وهو رجل من بنى عدى بن النجار » .

٢٠ (٣) كذا فى الأصول . وفى الخصائص الكبرى ١ : ١٠٦ « والكف الذى لا يرى » وفى شرح المواهب ١ : ١٠٧ « والكنف الذى لا يرى » .

الله دون عاديهم ، لا يطردونه ولايضرونه فى مقعد ولا منام ، ولامسير ولامقام ، أول الليل وآخر الأيام [١] .

ويقال قال لها : إذا وقع على الأرض فقولى أعيذه بالواحد . مِن شَرّ كل حاسد . فى كل برّ عاهد . وكل عبد[٢] رائد . يرود غير رائد ؛ فإنه عبد الحميد الماجد[٣] ، حتى أراه قد أتى المشاهد . قالت آمنة : فكان ذلك مما تَيَقَّن عندى الحملُ به صلى الله تعالى عليه وسلم[٤] .

* * *

« السنة الأولى التى ولد فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم »

وهى السنة الثامنة والتسعون بعد الخمسمائة من رفع عيسى عليه السلام ، والسنة الثامنة والثمانون بعد الثمانمائة من تاريخ ذى القرنين ، والسنة التاسعة والتسعمائة من وفاة الإسكندر الرومى ، والسنة الحادية عشرة بعد الألف والثلاثمائة من ابتداء ملك بختنصر ، والسنة الأربعون بعد ستة آلاف من هبوط آدم صلى الله تعالى عليه وسلم .

فيها فى أوّل يوم من المحرم ـــ وقيل النصف منه ، ويقال لثلاث عشرة بقيت منه يوم الأحد ، وكان أوّل المحرم فى هذه السنة يوم الجمعة ـــ كان قدوم الفِيل إلى مَكّة المشرَّفة ، وسَبَبُ قُدُومه إلى مكة المشرفة أن أبا يَكْسُوم أَبْرَهة الأَشْرَم الحبشىّ ملك اليمن بنى كنيسة

(١) وعلق عليه الزرقانى فى شرح المواهب ١ : ١٠٧ بقوله « قال الشامى وسنده واه جدا » .

(٢) كذا فى م . وفى ت ، هـ « وكل عابد رائد » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ١ : ١٠٧ « عبد حميد ماجد » . وفى الزهر الباسم لوحة ١٣٤ عبد المجيد الماجد .

(٤) وانظر مع المراجع السابقه تاريخ الخميس ١ : ١٨٦ .

بصنعاء إلى جنب غُمْدَان[١] / بحجارة قصر بُلْقَيس الذى بمأرِب ، وكانت [من] [٢] رخام أبيض وأحمر وأصفر وأسود ، وجَدّ فى بنائها وأحكمها ، ولم يُرَ مثلُها فى زمانها بشىء من الأرض ، وجعلها مربّعة مستوية التربيع ، وجعل طولها فى السماء ستين ذراعا ، وكبسها من داخلها عشرة أذرع فى السماء ، فكان يصعد إليها بدرج الرخام ، وحلاّها بالذهب والفضة ، وحَفّها بالجواهر ، وجعل فيها ياقوته حمراء عظيمة ، وأوْقَدَ فيها المَنْدَل[٣] ، ولطخ جوانبها بالمِسْك ، وسمّاها القُلَّيس [٤] ، وأمر أهل مملكته بالحجّ لها يُضَاهِىء بذلك البيت الحرام ، ثم كتب إلى النجاشى ملك الحبشة : إنى قد بَنَيْتُ لك — أيها الملك — بصنعاء بيتا لم يَبْنِ العربُ ولا العجم مثلَه لِمَلِكٍ كان قبلك ، ولستُ بِمُنْتَهٍ حتى أصرف إليه حاجّ [٥] العرب ، ويتركوا الحجّ إلى بيتهم . فلما تحدّثت العرب بكتاب أَبْرَهَة بذلك إلى النجاشى غَضِبَ رجلٌ من النَّسَأة [٦] أحد بنى فُقَيْم من بنى مالك

---

(١) غمدان : قصر بين صنعاء وطيوه ، قيل بناه ليشرح بن يحصب على أربعة أوجه : وجه أبيض ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر . وقيل بنته الشياطين بأمرٍ من سليمان عليه السلام لبلقيس ملكة سبأ مع قصرين آخرين . (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) إضافة على الأصول .

(٣) المندل : عود طيب الرائحة وهو من أنواع البخور . (المعجم الوسيط) .

(٤) وانظر صفة القليس فى معجم البلدان لياقوت ، والروض الأنف ١ : ٦٣ .

(٥) كذا فى ت ، م . وفى هـ « حج » .

(٦) النسأة : هم الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية أى يحلونها فيؤخرون الشهر من الأشهر الحرم إلى الذى بعده ويحرمون مكانه شهرا من أشهر الحل ، ويؤخرون ذلك الشهر . وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله ﴿ إنما النسىء زيادة فى الكفر ﴾ معجم البلدان لياقوت — الروض الأنف ١ : ٦٣ .

ابن كنانة . فخرج حتى أتى القُلَّيْس فأَحْدَث فيه : أى سَلَح ، ثم خرج فلحق بأرضه . فدخل أَبْرَهَة فرأى أثَرَه فيه ، فقال : مَن آجْتَرَأ عَلىَّ بهذا ؟ فقال له أصحابة : أيها الملك ، هذا رجل من العَرَب من أهلِ ذلك البيت الذى يَحُجّ العربُ إليه بمكة لَمّا سمع قولك إنى أريد أن أصرف إليه حاج [(١)] العرب غضب فجاء فأَحْدَث فيه ؛ أى أنها ليست لذلك بأَهْل – ويقال : إنهما كانا رَجُلَين من النَّسَأَة – فغضب عند ذلك أبرهة وقال : أَفَعَلَىّ آجْتَرَأ بهذا ؟! ونَصْرانِيَّتِي لأهدِمَنّ ذلك البيت ولأُخَرِّبَنّه حتى لايحجه حاج أبدا . فدعا بالْفِيلِ وأذّن فى قومه بالرِّحِيل والخروج ومن اتبعه من أهل اليمن ـــ وكان أكثر من اتَّبَعَه منهم عَكّ والأَشْعَرون وخَثْعَم ـــ فخرجوا يرتجزون : ـــ

إن البلـد لبلـد مأكول يأكله عَكّ والأشعرون والفيل

ويقال : إن أبرهة لما رأى ذلك بالقُلَّيْس كان عنده رجالٌ من العرب ؛ منهم محمد بن خُزَاعِيّ الذَّكْوانِيّ وأخوه قَيْس ، فأمّر محمدا على مُضَر ، وأَمَرَه أن يسيرَ بالناس يدعوهم إلى حَجّ القُلَّيس ، فسار محمد حتى إذا نزل ببعض أرض بنى كِنَانَة ـــ وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وماجاء له ـــ بَعَثُوا له رجلا من هُذَيل يقال له عُرْوَة بن عِيَاض ، فرَمَاه بسهم فقتله ، فهرب أخوه قيس فلحق بأَبْرَهَة ، فزاد ذلك أبْرَهَة غيظا وجُرْأَة ، وحلف ليغزُوَنّ بنى كِنَانة ، وليهدِمَنّ البيت . ثم أمَرَ الحبشة فتهيّأت وتجهّزَت ، ثم سار وخرج بالفِيَلَةِ معه .

(١) كذا فى ت ، م . وفى هـ « حج » .

وقيل : إن سبب مسير أبرهة الأشرم بالفيل إلى مكة أنّ النجاشى وجّه أَرْيَاطا أبا أُصْحَم / فى أربعة آلاف إلى اليَمَن فغَلَب عليها ، ١١ فقام رجلٌ من الحبشة يقال له أَبْرَهَة الأشرم فقَتَلَ أَرْيَاطًا ، وغلب على اليمن ، فرأى الناسَ يجهدون [١] فى أيّام المَوْسم ، فسأل أبرهةُ : أين يذهب الناسُ ؟ فقيل له : يحجون بيت الله بمَكَّة . قال : ماهو ؟ ٥ قالوا : حجارة . قال : وما كُسْوَتُه ؟ قالوا : يؤتى من هاهنا بالوصائل . فقال أبرهة : والمسيح لأبنيَنّ لكم خَيْرًا منه . فبنى لهم بَيْتًا عمله بالرخام الأبيض والفضَّة ، وحفّه بالجواهر ، وجعل له أبوابا عليها صَفَائِحُ الذهب ومساميرُ الذهب ، وجعل فيه ياقوتة حمراء عظيمة وجعل لها حجابا ، وكان يوقد فيه بالمَنْدَل ويلطِّخ جُدُرَه ١٠ بالمِسْك ، وأمر الناس [أن] [٢] يحجوه ، فحجّه كثيرٌ من قبائل العرب سِنِين ، ومكث فيه رجال يتعبَّدُون ، وكان نُفَيْلٌ الخثعمى يعرض [٣] له مايكره ، فأَمْهل . فلما كانت ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرّك فقام فجاء بعَذِرَة فلطّخ بها قبلته ، وجمع جِيَفًا فألقاها فيه .

١٥ (١) كذا فى الأصول . وفى تاريخ الخميس ١ : ١٨٨ ، وشرح المواهب ١ : ٨٣ « يتجهزون » .

(٢) إضافة على الأصول .

(٣) كذا فى هـ . وفى م « فعرض له ما يكره » وبياض فى ت بمقدار كلمتين . وفى شرح المواهب ١ : ٨٣ « كان نفيل الخثعمى يتعرض لأبرهة بالمكروه فأمهله » وفى ٢٠ تاريخ الخميس ١ : ١٨٨ « كان نفيل الخثعمى يتعرض لها بالمكروه » أى للكنيسة . وفى سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٠ « وكان نفيل بن حبيب الخثعمى يورض له مايكره » وفسرها فى ص ٢٦١ بقوله : أى ينوى له مايكره .

وأُخبِرَ أَبْرَهَةُ بذلك فغضِبَ غضباً شديداً ، وقال : إنما فعَلَتْ العربُ هذا غضبا لِبَيْتِهم ، لأَنْقُضَنَّه حَجَراً حجرا . وكتب إلى النجاشي يُخْبِرُهُ بذلك ، ويسأله أن يبعث إليه بفِيلِهِ محمود — وكان فِيلاً لم يُرَ قَطّ مِثْله عِظَماً وجِسْماً وقُوَّة — فبعث به إليه ، فسار أَبْرَهَة بالناسِ ومعه مَلِكُ حِمْيَر(١) .

وقيل : إن أبرهة لم يَسِر بنفسه إنما بعث رجلا من أصحابه يقال له شمر بن مقصود على عشرين ألفا من خَوْلاَن ومَعْرَاء والأشعريين .

ويقال : إن سبب بعث أبرهة بالفيل إلى مكة أنّ ابن بِنْتِه أَكْسُوم بن الصباح الحِمْيَرِيّ خرج حاجا ، فلما انصرف من مكة نزل بكنيسة نَجْرَان ، فعدا عليها ناس من أهل مكة فأخذوا ما فيها من الحلى ، وأخذوا متاع أَكْسُوم ؛ فانصرف إلى جَدِّه مُغْضَباً ، فلما ذكر له مالقى بمكة من أهلها تألّى بيمين أن يَهْدِم البيت ؛ فبعث رجلا من أصحابه يقال له شمر بن مقصود على عشرين ألفا من خولان ومعراء والأشعريين .

ولما سمعت بذلك العرب أعظموه وفُظِعوا به ، ورأوا أن جهاده حق عليهم حين سمعوا أنه يريد هَدْمَ الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج إليه رجلٌ من أشراف اليمن وملوكهم يقال له ذُو نَفْرٍ ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أَبْرَهة ومُجَاهدته عن بيت الله سبحانه ، ومايريد من هدمه وإخرابه ؛ فأجابه من أجابه إلى ذلك . ثم

(١) تاريخ الخميس ١ : ١٨٨ ، وشرح المواهب ١ : ٨٣ .

عرض له فقاتله ، فَهُزِم ذونَفْر ، فأُتِى به أسيرا ، فلما أراد قتله قال له ذونَفْر : أيها الملك لاتقتلنى فعسى أن يكون مقامى معك / خيرا لك ١٢ من قتلى . فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق .

ومضى أبرهةُ على وجهه يريد ما خرج إليه ، حتى إذا كان فى ٥ أرض خثْعَم عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلٍ من خثعم : شهران وناهس ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وقتل من قتل ، وأُخِذَ نُفَيْلٌ له أسيرا فأُتِىَ به فأمرأن يُضْرَب عنقه ، فقال نفيل : أيها الملك لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداى [لك] (١) على قبيلتى (٢) خثعم : شهران وناهس ؛ يمينى على ١٠ شهران وشمالى على ناهِس ، بالسمع والطاعة . فأعفاه وخلّى سبيله ، وسار به معه ومعه ذونَفر فهما دليلاه .

وقيل إنهم لما نزلوا بأرض خَثْعَم تَنَحَّت خَثْعَم عن طريقهم ، فكلَّمَهم نُفَيْل الخثعمى ــ وكان يعرف كلام الحبشة ــ فقال : (٣ هذان على سمر ٣) ؛ إن قَوْسِى عَلَى أَكْلُب ، وسهمى على ١٥ قُحَافَة ، وأنا خادمك . فسار معه وأحبّه ، فقال له نُفَيل : إنى أعلم الناس بأرض العرب ، وأدرى (٤) بطريقهم . فطفق فى مسيرهم يجنبهم الأرض ذات المهد حتى تقطعت أعناقهم عطشا (٥) .

---

(١) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٠ .
(٢) كذا فى م . وفى ت ، هـ « قبائل » وكذا فى اخبار مكة للأزرق ١ : ١٤٢ .
٢٠ (٣) كذا فى الأصول ، والمفروض أنه كلام حبشى .
(٤) كذا فى ت ، هـ . وفى م « أهداهم بطريقهم » .
(٥) سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٠ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٣٤ ــ ١٤٢ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٧١ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٢٤٨ ــ ٢٥٢ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٨٨ ، وشرح المواهب ١ : ٨٣ .

ويقال : إن أبرهة فى بعض طريقه بعث رجلا من بنى سُلَيم يدعو الناس إلى حجّ بَيْتِهِ الذى بناه ، فتلقاه أيضا رجل من الحُمْس [١] من بنى كنانة فقتله ، فازداد بذلك الأمر حنقا وجرأة ، وأحث السيرَ والانطلاق ، وجعل أبرهةُ لا يَمُرّ على حيٍّ من العرب إلا استتبعهم فتَبِعُوه ، فأقبل فى جمع كثير من الحبشة وحمير وكندة ، فلما افترقت الطريقان ؛ طريق إلى مكة وطريق إلى الطائف تآمر ذونَفْر ونُفَيْل ومن معهما فقالوا : يذهبون إلى بيت الله الذى ليس له فى الأرض بيت غيره لهدمه ؟! اِلْفِتُوه واشْغَلُوه بثقيف عسى أن يجد عندهم ما يكسره . فمالاَ به إلى الطائف ، فلم يشعر أهلُ الطائف إلا بأبرهة قد جاءهم ضُحًى معهم الفيلة والدَّهْم من الناس ، فخرج إليه مسعود بن مُعَتّب فى رجال من ثَقِيف ، فلما رأى مسعودا قال : ماأنت ؟ قال مسعود : أيها الملك خرجت لأمر تريده فامض للذى تريد أمامك ، ليس بَيْتُنَا هذا البيتَ الذى تريد ــ يعنون اللات [٢] ــ وماعندنا مكان يُحَجُّ إليه ، إنما البيت الذى يَحُجّ إليه العربُ بمكة ، ونحن عبيدك [٣ سامعون لك مطيعون ، وليس لك عندنا خلاف ، ونحن نبعث ٣] معك من يدلّك . فتجاوَزَ عنهم ، ودعا أبرهةُ ذَا نَفْر ونُفَيْلاً فقال :

(١) الحمس : قريش ومن ولدته قريش خاصة من العرب . وانظر المحبر لابن حبيب ١٧٨ ، و شفاء الغرام ٢ : ٤١ ــ ٤٣ .

(٢) اللات : بيت لثقيف بالطائف كانوا يعظمونه مثل تعظيم الكعبة . سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣١ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٨٨ .

(٣) سقط فى ت ، هـ . والمثبت عن م والمرجعين السابقين ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٢ .

قَدَّمْتُمَانى إلى هاهنا ؟! فقالا : هؤلاء عَدُوٌّ ، وأولئك عَدُوّ ، ولو أتينا مكة كان هؤلاء وراء ظهورنا فخشينا أن تُؤْتَى من خلفك ، فأردنا أن نبدأ بهم حتى لايكون خلفك أحد . / فصَدَّقهما وقال : إنى لم أُرِدْ ١٣ هؤلاء ، إنما أردتُ أن أهْدِم البيتَ الذى يحجُّ إليه العرب ، وأغيظهم بما ٥ صنعوا بكنيستى .

وانصرف عن الطائف ، وطلب منهم دليلا ، فبعثت معه ثقيف أبارِغَال [1] يدلّه على طريق مكة . فخرج أبرهة ومعه أبورِغَال حتى أنزلهم المُغَمَّسِ ـــ وهو من مكة على سِتة أميال [2] ـــ فلما نزل به مات أبورِغَال هناك ، فرجمت العربُ قبْرَه ، فهو قبره الذى يرجم ١٠ بالمُغَمّس ، وهو الذى يقول فيه جرير بن [عطية بن حذيفة] .[3] الخطفى : ـــ

إذا مات الفرزدق فارجموه   كرجمكُمْ لقبرِ أبى رغال

ولما نزل أبرهة المُغَمّس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود ابن مقصود[4] على خَيْلٍ ؛ يَحْشُر عليه أموال أهل مَكّة ، فدخل

---

١٥ (١) رغال بِكسر الراء وخفة المعجمة واللام ، عن شرح المواهب ١ : ٨٤ .

(٢) وفى الروض الأنف ١ : ٦٨ المغمس « على ثلث فرسخ من مكة » . وفى تاريخ الخميس ١ : ١٨٨ « على ثلثى فرسخ من مكة » . ويقال : هو واد على طريق الشرائع يعرف بهذا الاسم إلى اليوم يعترض من طريق عرفة إلى الجعرانة .

(٣) الإضافة عن الأعلام للزركلى . والبيت فى ديوانه ص ٣٤٢ مع اختلاف فى ٢٠ بعض الألفاظ .

(٤) كذا فى الأصول ، وسيرة النبى لابن هشام ١ : ٣١ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٨٩ . وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٣ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٧٢ ، والزهر الباسم لوحة ٣٢ ، وشرح المواهب ١ : ٨٥ « مفصود » بفاء موحدة .

الحرمَ فجمع سوائم ترعى فى الحرم لأهل تهامة من قريش وغيرهم ، فضمّها إليه ، وأصاب فيها لعبد المطلب مائتى بعير مُقَلَّدة ، ثم انصرف إلى معسكره ، فأخبره الخبر ، وأنّه لم يصده أحدٌ عن أخذها .

فبعث أبرهة حُنَاطَة الحميرى إلى مكة فقال : سَلْ عن سيّد أهل هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له إن الملك يقول لكم : إنى لم آت لحربكم ، ولا لقتال أحد ؛ إنما جئت لهدم هذا البيت لِمَا نَذَرْتُ وأوْجَبْتُ على نفسى ، لما صنعت العرب بكنيستى ، ثم أنْصرِف ؛ فإن صددتموناعنه قاتلناكم ، وإن تركتمونا هَدَمناه وانصرفنا عنكم ، ولا حاجة لى بدمائكم ، فإن هو لم يُرِدْ حربى فأتنى به .

فلما دخل حُنَاطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فجاءه وأخبره بما قال أبرهة ، فقال عبد المطلب : والله مانريد حربه ، ومالنا بذلك من طاقة ولا يدان ، وسنخلى بينه وبين مايريد ؛ هذا بيت الله الحرام ، وبيت خَلِيلِه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ـــ أو كما قال ـــ فإن يمنعه فهو بيتُه وحَرَمُه ، وإن يُخل بينه وبينه فو الله ماعندنا من يدفع عنه . فقال له حناطة : فانطلق معى إلى الملك ؛ فإنه قد أمرنى أن آتيه بك . فانطلق معه عبد المطلب راكبا على فرس ، وركب معه وَلَدُه الحارث ، فلما دخل عسكره جاء حُنَاطة إلى أبرهة فأخبره بما قال عبد المطلب ، وأنه قد دخل عسكره . فقال له أبرهة : أخبرنى عن بيتهم أى شىء بناؤه . قال : حجارة منضودة . فعجب أبرهة من

ذلك ، وكان عبد المطلب حين دخل سأل عن ذى نَفْر الحميرى — وكان له صديقا — فَدُلّ عليه ، فجاءه وهو فى محبسه وقال له : ياذَا نَفْر ، هل عندك من غَنَاء ؟ فقال : فى ماذا ؟ قال : / فيما نزل ١٤ بنا — أو قال فى إبلى التى أخذت — قال له ذُو نَفْر : وما غناء رجل أسير فى يد رجل أعجمى مَلِك ينتظر أن يقتله بُكْرَةً أو عشية ، ٥ ماعندى غناء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أُنَيْساً سائس الفيل صديقٌ لى ، فسأرسل [١] إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك تكلمه فيما بدا لك وماتريد ، ويَشْفَع لك عنده بخيرٍ إن قدر على ذلك . قال : حسبى . فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْس فقال له : هذا عبد المطلب سيّد قريش ، وصاحب عين [٢] ١٠ مكة ؛ يحمل على الجياد ، ويهب الأموال ، ويطعم الناس فى السهل والجبل ماهبت الريح ، والوحش والطيرَ فى رءوس الجبال ، وقد أصاب الملك له مائتى بعير فأحبّ أن يكلمه حتى يردّها عليه ؛ فاستأذِنْ عليه وانْفَعْه عنده بما استطعتَ . فقال : أفعل . فكلم أُنَيْس أبرهةَ فقال له : أيها الملك هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو ١٥ صاحب عير مكة ، وهو يُطْعم الناس بالسهل والجبل ، والوحوش فى رءوس الجبال — وقد طلبه الملك قبل ذلك فأَرسَل إليه حُنَاطة — فأْذَنْ له عليك يكلِّمْك فى حاجته ، وأحسِن إليه . فأذن له أبرهةُ فوافَى

(١) كذا فى م ، هـ . وفى ت « فسأرسلك » .

٢٠ (٢) فى الأصول ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٤ « عير » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٣٣ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٢ . وعلق محقق السيرة بقوله : والمقصود بعين مكة زمزم التى حفرها عبد المطلب .

عبد المطلب بابَ الملك ــ وعنده حُنَاطَة وأُنَيْس ــ فقال أُنَيْس : هذا صاحب عير مكة ، وهو يطعم الناس فى السهل والجبل ، والوحش والطير . وقال حناطة : هذا سيّد أهل مكة . فأذِنَ له فدخل ــ وكان عبد المطلب من أوْسَمِ الناس وجها وأعظمه وأجمله ــ فلما رآه أبرهة أجلَّه وأعظمه واستبشر برؤيته ، وكان أبرهة على سَرِيرٍ ٥ فنزل عنه وأكرمه أن يُجْلِسَه تحته ، وكَرِهَ أن يجلسه على السرير فتراه الحبشة جالسا معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة فجلس على بساط ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ورحَّب به ، ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك ؟ فكل حاجة جئت تطلبها قُضِيَت لك . فقال الترجمان ذلك . فقال : إنا فى بلد حرام ، فى سبيل بين أرض العرب وأرض ١٠ العجم ، فكانت لى مائتا ناقة مقلدة ترعى بهذا الوادى بين مكة وتهامة ، عليها نَمِيرُ أهلنا ، ونخرج بها إلى تجارتنا ، ونَتَجَمّل فى غُدُوِّنا ، عَدَا عليها جيشك فأخذوها ، وليس مثلك يَظْلِم من جاوَرَه ، أسألك أن تردّها علىّ . فلما قال له ذلك الْتَفَت أبرهةُ إلى بعض جلسائه : وهو ذو نَفْر ، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى ١٥ عجبا ، وقال : لو سألنى كل شئ أحرزهُ أعطيته إيّاه ، ثم قال ١٥ لترجمانه قل له : قد كنت أعجبتنى / حين رأيتك ؛ لهيبتك مع ماذُكِر لى من شَرَفِك وفِعَالك ، وتقدمك على أهل بيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى ؛ أتكلمنى فى مائتى بعير أصبْنَاهَا لك وتترك بَيْتًا هو دِينُك ودِينُ آبــائك ، وعِــزُّك وشرفُك ، وقــد جئتُ لأهدمــه ٢٠ لاتكلمنى فيه ؟! فما منعك أن تكلمنى فيه ؟ وأما إبلك فقد رَدَدْتُها عليك ومثلَها . فقال عبد المطلب : أنا رَبّ الإبل ، وإنّ للبيت الذى

تريدبه ماتريد رَبًّا سيمنعه . قال أبرهة : ماكان يمتنع منى . قال عبد المطلب : أنت وذاك . قال : ما أرى القوم يُصَدّقون أنّا نصل إليه ، وسَيَرْونَ نصلُ إليه أم لا ؛ فإنى لا أرى أحداً همّ بشئ من هذا قبلى فيقولون قد حيل بينه وبين ذاك . قال : أنت وذاك ، وقد خرجنا عنه ومادونه أحدٌ يَصُدّك عنه ، أرْدُد إلىّ إبلى . فأمر بإبله فَرُدّت عليه . ٥

وأمر أبرهة عند ذلك بالرحيل ، وتألّى ليهدِمَنّ الكعبة ، فانصرف عبد المطلب وقد سمع تألِّيَه .

ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُنَاطَة الحميرى يَعْمُرُ بنُ نفاثة بن عدى بن الديل [1] بن بكر بن عبد مناة [2] بن كنانة — وهو يومئذ سيد بنى بكر وكنانة — وخُوَيْلد ابن وَاثِلَة الهذلى — وهو يومئذ سيد هذيل — فعرضوا عَلَى أبرهة ثُلْثَ أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولايهدم البيت ، فأبى عليهم . ١٠

وقيل : إن عبد المطلب لما سمع أن إبله أخذها جيش أبرهة خرج حتى انتهى إلى القوم . وكان حاجب أبرهة رجلا من الأشعريين ، وكانت له بعبد المطلب معرفة مِنْ قَبْل ذلك ، فلما انتهى إليه عبد المطلب قال له الأشعرى : ما حاجتك ؟ قال له : حاجتى أن تستأذن لى على الملك . فدخل عليه حاجبه فقال : أيها الملك ، جاءك سيّد ١٥

---

(١) كذا فى الأصول ، والبداية والنهاية ٢ : ١٧٢ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٨٨ . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٣ « الدئل » أى بضم الدال المشددة ثم همزة مكسورة . ٢٠

(٢) فى الأصول « عبد مناف » والتصويب عن المراجع السابقة .

قريش الذى يُطْعِمُ إنْسَها فى السهل ووحشها فى الجبل . فقال : إيذن له — وكان عبد المطلب رجلا جسيما — فأذن له فدخل عليه ، فلما أن رآه أبويكسوم أعظمه أن يُجْلِسَه تحته ، وكره أن يجلسه معه على سريره ؛ فنزل من سريره فجلس على الأرض ، وأجلس عبد المطلب معه ، ثم قال له : ماحاجتك ؟ قال : حاجتى مائتا بعير أصابتها لى مُقَدّمتك . فقال أبويكسوم : لقد رأيتُك فأعجبتَنى ، ثم تكلمت فزهدت فيك . فقال له : ولم أيها الملك ؟ قال : لأنى جئتُ إلى بيت هو مَنَعَتُكُم من العرب ، وفَضْلُكم فى الناس ، وشَرَفُكم عليه ، ودِينكُمُ الذى تعبدون ؛ فجئت لأكسره ، وأصبتُ لك مائتى بعير ، فسألتك عن حاجتك فكلمتنى فى مالك ، ولم تطلب إلىّ فى دينكم [(١)] وبيتكم ! / فقال له عبد المطلب : أيها الملك إنما أكلمك فى مالى ، ولِهَذَا البيتِ ربٌّ هو يمنعه ، ولست أنا منه فى شئ . فراع ذلك أبايكسوم ، وأمر بِرَدِّ إبل عبد المطلب عليه ثم رجع .

وأَمْسَت ليلتُهم تلك ليلة كالحة نجومها ، كأنها تكلمهم كلاما لاقترابها منهم ، فأَحَسّتهم أنفسهم بالعذاب ، وخرج دليلهم حتى دخل الحرم وتركهم . وقام الأشعريون وخثعم فكسّروا رِمَاحهم وسيوفهم ، وبرئوا إلى الله تعالى أن يُعِينُوا على هَدْم البيت ، فباتوا كذلك بأخبث ليلة .

ولما رجع عبد المطلب إلى قريش أخبرهم الخبرَ ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز فى شعف الجبال والشعاب ؛ خوفا عليهم من معرة الجيش [(٢)] .

---

(١) وفى م ، هـ « ولم تطلب إلى فى بيتك » .

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٥ ، وسيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٣ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٤ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٨٩ .

وقيل : إن عبد المطلب لما رجع من عند أبرهة منصرفا وجدَ أهل مكّة قد هَرَبُوا ، ولم يجد فيها أحداً إلا أهل بيته ؛ فقام عبد المطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله عز وجل ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده . فقال عبد المطلب مرتجزا وهو آخذ بحلقة باب الكعبة : —

يارَبِّ لا أرجو لهم سِوَاكا ... يارب فامنع منهمُ حِمَاكا
إن عدوّ البيت من عاداكا ... امنعهمُ أن يُخْرِبوا قُرَاكا [١]

وقال أيضا :

يارَبِّ إن المرء يمنـ ... ـع رحله فامنع حلالك [٢]
[وانصر على آل الصليـ ... ـب وعابديه اليوم آلك] [٣]
لايغلبـن صليبهم ... ومحِالهم عَدْوًا محِالك
فلئـن فعـلت فربما ... أولى فأمرٌ ما بدالك
ولئـن فعـلتَ فإنـه ... أمرٌ تُتِمُّ به فعـالك
جَرُّوا جموع بلادهـم ... والفيلَ كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلا وما رقبوا جلالك
فلئـن تركتهمُ وكعـ ... ـبتنا فواحَزَنِى هنالك [٤]

---

(١) تاريخ الخميس ١ : ١٩٠ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٤ — مع اختلاف فى ترتيب الشطرات .

(٢) فى الأصول « يمنع رحله وحلاله » . والتصويب عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٥ .

(٣) هذا البيت إضافة من سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٤ ، وشرح المواهب ١ : ٨٤ .

(٤) سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٣ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٣٥ وسبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٤ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٩٠ ، وشرح المواهب ١ : ٨٤ — مع زيادة ونقصان واختلاف فى بعض الألفاظ .

وقال عبد المطلب أيضا :[١]

لَاهُمّ فاخْزِ الأَسْوَدَ بن مَقْصُودْ الآخِذَ الهَجْمة ذاتَ التقليدْ[٢]
بَيْنَ حِرَاء وثَبِيرَ فَالْبِيدْ أَخْفَرْتَهُ رَبٍّ وَأَنْتَ المحمودْ[٣]
قَدْ أَجْمَعُوا أَلاّ يَكُونَ لك عِيدْ ويَهْدِمُوا البيتَ الحرام المَعْمُود
وَالْمَرْوَتَيْنِ وَالمَشَاعِرَ السُّودْ /

١٧ ٥

ثم أرسل عبدُ المطلب حَلْقة باب الكعبة ، وانطلق هو وعمرو بن عامر بن عمْران بن مَخْزُوم ، ومُطْعِمُ بن عَدِيّ بن نَوْفَل بن عبد مَنَاف ، ومسعود بن عمرو الثقفى ، ومن معهم من قريش إلى شَعَفِ الجبال ، فتحرَّزُوا فيها ينظرون مَا أَبْرَهَةُ فاعلٌ بمكة إذا دَخلها . وقال عبد المطلب :ـــ

١٠

(١) وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٤ « قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن هاشم ابن عامر بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى :ـــ

لاهم أخز الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد يحبسها وهى أولات التطريد
فضمها إلى طماطم سود أخفره يارب وأنت محمود

١٥

قال ابن هشام هذا ماصح له منها . والطماطم : الأعلاج .

وفى سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٣ والزهر الباسم لمغلطاى لوحه ٣٢ قال مقاتل فقال عبد المطلب :

لاهم أخز الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة بعد التقليد
فتلها إلى طماطم سود بين ثبير وحرا والبيد
والمروتين والمساعى السود يهدم البيت الحرام المقصود
قد أجمعوا ألا يكون لك عيد اخفرهم ربى وأنت المحمود

٢٠

(٢) الهجمة : هى مابين التسعين إلى المائة من الإبل ، وقيل مابين الخمسين إلى الستين ، وقيل القطعة من الإبل . ذات التقليد : أى فى اعناقها القلائد . (سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٦٢)

٢٥

(٣) حراء وثبير : جبلان بمكة ـــ أخفرته : أى نقضت عزمه وعهده ولم تؤمنه .

قُلْتُ والأشرَمُ تَرْدَى خَيْلُه إنَّ ذَا الأَشْرَمَ غِرٌّ بالحَرَم
كادَهُ تُبَّعُ فِيمَنْ جَنَّدَتْ حميرٌ والحَيُّ مِن آل قُدم[(١)]
فَانْثَنَى عَنْه وفِى أوْدَاجِهِ جَارِحٌ أمْسَكَ[(٢)] عنه بالكَظَم[(٣)]
نحنُ أهْلُ اللهِ فى بَلْدَتِهِ لم يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عَهْدِ ابْرَهَمَ
٥ نعبـدُ الله وفِيناشيمـةٌ صِلَةُ القُرْبَى وإيفاءُ الذِّمَم
إن للبيت لَرَبًّا مَانِعاً مَنْ يُرِدْهُ بإمامٍ يُصْطَلَم[(٤)]

ويقال : لمَّا دَنَا أصحابُ الفيلِ من مكة استقبلهم عبدُ المطلب فقال لِمَلِكِهم : (٥ ماجاءَ بك إلينا ؟ ما عَنَاك إلينا ؟ ألاَ بَعَثْتَ إلينا فنأيتك بما تُرِيد ؟٥) فقال : أُخْبِرْتُ بهذا البيت الذى لا
١٠ يدخله أحدٌ إلا أَمِنَ ، فجئتُ أخيف أهْلَه . فقال : إنّا نأتيك بكلِّ شىء تريدُه فارْجِع . فأبى إلاّ أَنْ يَدْخُلَه ، فانطلقَ يسيرُ نحوه .

وتخلَّف عبدُ المطلب ، وقام على جَبَلٍ فقال : لا أَشْهَدُ مَهْلِكَ هذَا البيتِ وأهْلِه ، ثم قال : (٦ اللهم إن لِكُلِّ إلهٍ حِلاَلاً فامْنَع حِلاَلك ، لايَغْلِبَنَ غداً مِحَالهم مِحَالَك ، اللهم فإنْ فَعَلْتَ فأمْرٌ
١٥ مَابَدَا لَكَ ٦) .

---

(١) انظر قصة تبع وعزمه على هدم الكعبة فى سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٨ .
(٢) كذا فى م ، وأخبار مكة للأزرق ١ : ١٤٦ . وفى ت ، هـ « إن مسك » .
(٣) الكظم : سداد الشئ .
(٤) وانظر أخبار مكة للأزرق ١ : ١٤٦ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٨
٢٠ والزهر الباسم لوحة ٣٦ — مع اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٥) كذا فى م . وفى ت ، هـ « ماجاء البيت ماعناك إلينا إن بعثت إلينا فنأتيك بكل ما أردت » .
(٦) وفى خبر سابق عبر عبد المطلب عن هذه المعانى بالشعر فقال : =

وقيلَ لَمَّا نزَلَ أصحابُ الفيل الصِفَّاح (١) أتاهم عبدُ المطلب فقال : هذا بيتُ الله لم يُسَلَّط عليه أحدٌ . قالوا : لانَرْجِعُ حتى نَهْدِمَه (٢) .

ويقال : إنَّ أَبْرَهَة لما نزلَ المُغَمِسَ أوّلُ من جاءَ مكةَ بنزوله أبو قحافة ، ومَعْمَرُ بن عثمان ، وعمَيْرُ بن جُدْعَان ؛ كانوا فى إبلِ عبد الله ابن جُدْعَان هناك ، فأخبروا الناسَ ، فهمَّت قريشٌ وخُزَاعةُ وكِنَانةُ وهُذَيْل ، ومَن كان فى الحَرَم من سائرِ الناس بقتالِهِ ، ثم عَرَفُوا أنّهم لا طاقَةَ لهم به ؛ فتركوا ذلك وخَفُّوا فَلَحِقُوا برءوس الجبال ، وبالشعاب ، وبطون الأودية ، وقالوا : لا طَاقَة لَنَا اليومَ بقتالِ هؤلاء القِوم . ولم يَبْقَ بمكَّة إلا عبدُ المطلب قامَ على سِقَايَتِه وعثمانُ بن شَيْبَة ابن عبد الدار قام عَلَى حِجَابَة البيت .

ولما أصبح أمرَ أصحابَه بالتهيُّؤ والتَّعْبِئَة . وتهيأ أَصْحَابُ أَبْرَهَة لاقْتَحامِهِم العَرَبَ ، فتَعَبَّوا تعبئةَ القتال / ، وصَفُّوا الصفُوفَ ، ١٨

= يارب إن المرء يمنـ ـع رحله فامنع حلالك
لايغلبـن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
فلئن فعلت فربما أولى فأمر مابدالك

وقد وردهذ الخبر فى الخصائص الكبرى ١ : ١٠٧ ورسم هذا النثر على صورة الشعر لكن يلاحظ أنه لايمكن أن يستقيم وزنا .

(١) الصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسرة الداخل إلى مكة من مشاش . (معجم البلدان لياقوت) وفى صحيح الأخبار ١ : ١٢٧ « الموضع الذى يقال له الصفاح معروف فى حدود الجبال المشرفة على وادى المغمس ، وهى آخرها يتركها قاصد مكة على شماله » .

(٢) الخصائص الكبرى ١ : ١٠٩ .

وقدَّموا الفيلَ كما يصنعون فى الحروب . وقدَّم صاحبَ مُقَدّمَتِه الأسودَ ابن مَفْصود ، ووقفَ أبرهةُ كما كان يقوم فى الحرب ؛ معه وُجُوه أصحابه قد حَفّوا به ؛ من وجوه الحبشة والعرب مِمَّن قد سار به ، وقد أخذت صفُوفُه أقطارَ الأرض ، بعضُها خَلْفَ بعض ، يريدون أن يُصبحوا بمكة ، فلما وجَّهُوا الفيلةَ إلى مكة ، وقدّموا فيلَ الملكِ النجاشيِ الأكبرَ ـــ وكان لَمْ يَسِرْ به قَطُّ إلى جَمْع إلاَّ هَزَمَهُم ، واسمه محمود ـــ فأقبلَ نُفَيْلُ بن حَبيب الخَثْعَمِىّ حتى قامَ إلى جَنْب الفيلِ فَٱلْتَقَم أُذُنَه فقال : اِبْرِك محمودُ ، وارجع راشدا مِن حيثُ جئت ؛ فإنّك فى بلد الله الحرام . ثم أرسلَ أذنه ، فبَرَكَ ، وخرج نُفَيْلٌ حينئذ حتى صعد الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا رأسه بالطَّبْرزِين [١] فأبى ، فأدخلوا محاجن [٢] لهم فى مَرَاقه [٣] فبَزَّغُوه [٤] بها ليقوم فأبى ، وحرن كحران الدابة ، وتكركر الناس حتى بلغ أبرهة ذلك ، فجاء ـــ وهو فى أصحابه ـــ حتى وقف على رأسه ، فجعل يصيح بسائس الفيل فيضربه ، فإذا لَحّ عليه رَبَض وصاح ، فينخس بالرمح فلا ينثنى حتى كادوا أن يصبحوا ، ثم إنهم أقبلوا على الفيل فقالوا : لك الله ألاّ نوجهك إلى مكة . فجعلوا يقسمون له ويُحَرِّك

---

(١) الطبرزين : آلة عوجاء من حديد . (شرح المواهب ١ : ٨٧)

(٢) المحاجن ـــ جمع محجن : عصا معوجة وقد يجعل فى طرفها حديد . (المرجع السابق)

(٣) المراق : أسفل البطن .

(٤) بزغوه ـــ بفتح الموحدة وزاى مشددة فغين معجمه : شرطوه بحديد المحاجن . (المرجع السابق)

أذنيه فأخذ [١] عليهم حتى إذا أكثروا من القسم انبعث ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فتوجّه يهرول . فعطفوه حين رأوه منطلقا حتى إذا رَدُّوه إلى مكانه الأول رَبَضَ وتمرَّغ . فلما رأوا ذلك أقسموا له ، وجعل يحرك أذنيه فأخذ عليهم [١] حتى إذا أكثروا انبعث ، فوجهوه إلى اليمن فتوجه يهرول ، فلما رأوا ذلك رَدّوه فرجع بهم ، حتى إذا كان فى مكانه الأول ربض ، فضربوه فتمرّغ ، فوجّهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، فوجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، فوجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، فوجهوه إلى مكة فبرك . فأقبلت الحبشة بحرابهم ورماحهم وعِصِيّهم يطعنونه بها فيقوم ، فطفقوا كلما وجهوه إلى مكة أناخ وبرك وعج عجيجا ، وإذا وجهوه من حيث جاء ولّى وله وَجِيفٌ ، وأىّ وجه شاءوا طاوعهم وأسرع السير مالم يحملوه على الحرم . فلم يزالوا كذلك يعالجونه حتى إذا كان مع طلوع الشمس ــ ويقال حتى إذا غشيهم الليل ــ خرجت عليهم طَيْرٌ من البحر لها رءوس مثل رءوس السباع ، وخراطيم كأنها البُلْسُ [٢] ، شبيهة بالوطاويط ــ وقيل اليَحَامِيم [٣] ــ بُلْق حُمْر وسَود ، لم تُرَ قَبْلَ ذلك ولا بعده ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، بها نَضْح حُمْرَة مُخَتَّمَة

(١) كذا فى الأصول . وفى الروض الأنف ١ : ٧٢ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٥ « كأنه يأخذ بذلك عليهم عهدا » ولعل هذا يفسر ماهنا .

(٢) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٣٥ « البلسان » . وفى النهاية فى غريب الحديث ١ : ٢١١ « قال عباد بن موسى : أظنها الزرازير » .

(٣) اليحاميم ــ جمع يحموم : وهو ضرب من الحمام يشبه الدبس إلا أنه أصغر منه أسود البطن والعنق والصدر ، وأصفر المنقار والرجلين . (المعجم الوسيط).

كأنها جِزْع / ظفار(١) ــ وهى مدحرجة كالبنادق مثل الحمص ١٩
وأكبر من العدس ــ يحملها ، حجر فى منقاره وحجران فى رجليه .
فلما رأوها اشفقوا منها وسقط فى أيديهم ، فقال أبرهة : ماتعجبكم
من طير جَنَّها الليل إلى مساكنها ؟ فجاءت حتى صفّت على رءوسهم
٥ وصاحت ، وجعلت تعج عجيجا ، وألقت مافى أرجلها ومناقيرها ،
فما وقع حجر على بطن إلاّ خرقه ولا عظم إلاّ أوْهَاه وفَتَّه ، ولا على
رأس رجل إلا خرج من دُبُرِه ، ولا على شيء من جَسَد أحد إلا
خرج من الجانب الآخر . ويقال : إن الحجارة لاتقع على أحد منهم
إلا نفط (٢) جسده . وقيل : إنه ما أصاب أحدا منهم الحجرُ إلا
١٠ أخذته الحكة ؛ فكان لا يحك إنسان منهم جِلْدَه إلا تساقط لحمُه .
وقيل : إن من أصابه حجر جُدِرَ ؛ وذلك أوّل ما كان الجُدَرِى . لم
يُرَ قبلها . ويقال : إن فيل النجاشى كان إذا قدم يربض فتقتدى به
الفيلة ، (٣ فشَجُعَ منها فيلٌ فَحُصِبَ ٣) فرجعت الفيلة .

وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة ؛ فأهلكوا
١٥ جميعا . وفى ذلك يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى :ــ

---

(١) جزع ظفار : خرز منسوب إلى ظفار ــ وهى مدينة بسواحل اليمن ــ وفى حديث ابن عباس رضى الله عنه أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز خمر مخططة كالجزع الظفارى ــ (شرح المواهب ١ : ٨٨)

(٢) نفط جسده : أى ظهرت فيه بثور ملأى بالماء وقيل هى الجدرى . (المعجم
٢٠ الوسيط)

(٣) بياض فى ت . والمثبت من هـ ، م .

تَنَكّلوا عن بطن مكة إنها كانت قديما لايُرام حريمها
لم تخلق الشِّعرى ليالى حُرِّمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ماراْى ولسوف يُنْبِى (الجاهلين عليمُها)[1]
ستون ألفا لم يئوبوا أرضهم بل لم يعش بعدالإياب سقيمها
كانت بها عادٌ وجُرْهُم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها[2] ٥

فكانت الحجارة لم تعدُ عسكرهم . ولما رأى قوم أبرهة ذلك خرجوا هاربين يَبْتَدِرُون الطريق التى جاءوا منها ؛ يسألون عن نُفَيْل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن .

وقال نُفَيْل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته وولى أبرهة مُدْبِرا :ـــ ١٠

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب[3]

وقال نفيل أيضا حين وَلَّوا وعاينوا مانزل بهم :ـــ

ألا حُيِّيتِ عنا يارُدَيْنا نَعِمناكم مع الإصباح عينا
[أتانا قابس منكم عشاء فلم يُقْدَرلقابسكم لدينا][4]
رُدَيْنَة لو رأيتِ ولن تَرِيه لدَى جَنْبِ المُحَصَّب ما رأينا ١٥
إذاً لعذرتِنِى وحَمدتِ أمرى ولم تأسَىْ على مافات بينا

---

(١) بياض فى ت .

(٢) وانظر الشعر فى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٣٩ .

(٣) سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٧ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٩٠ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٧ وفيها « ... والأشرم المغلوب غير الغالب » ٢٠

(٤) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٥ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٩١ .

حمدتُ الله إذ عاينتُ طيرا   وخفتُ حجارة تُلْقَى علينا / ٢٠
فكُلّ القومِ يَسْأَلُ عن نُفَيْلٍ   كأنّ علىَّ للحُبْشَانِ دينا[١]

فخرجوا يتساقطون بِكُلِّ طريق ، ويهلكون [بكل مهلك] [٢] على كل مَنْهَل . وأصيب أبرهَةُ فى جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامِلُه أنملة أنملة ؛ كلما سقطت أنملة أتبعتها منه مِدَّةٌ [تمد] [٢] قيحا ودما ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطير ؛ فانصدع صدره عن قلبه ، وانشق بطنه فهلك .

ويقال : إن أبرهة انصرف هاربا وَحْدَه ، فجعل كلما قدم أرضا انقطع منه عضو فيها ؛ فأول منزل نزله سقطت يده اليمنى ، ثم نزل منزلا آخر فسقطت رجله اليسرى ، فأتى منزله وقومه — وهو حينئذ لاأعضاء له — فأخبرهم الخبر ، وقصّ عليهم مالَقِيَتْ جيوشه ، ثم فاضت نفسه وهم ينظرون .

وكان فى قوم أبرهة أخوان من كِنْدة . أما أحدهما ففارق القومَ قبل ذلك ، وأما الآخر فلحق بأخيه حين رأى ما رأى ، فبينا هو يحدثه عنها إذ رأى طَيْراً منها فقال : كأن هذا منها ، فدنا منه الطائر فقذفه بحجر فمات ، فقال أخوه الناجى منهما :—

فإنك لو رأيت ولن ترانى[٣]   لدى جنب المُغَمّس مالقينا

(١) وانظر مع المرجعين السابقين أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٣٦ .
(٢) الإضافة عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٧ .
(٣) كذا فى هـ . وفى ت ، م « ترانا » .

حمدت [١] الله لما بَثّ طيرا بِظِلّ سحابة مَرّت علينا
وباتوا كلهم يدعو بحق كأن قد كان للحبشان دينا

ولم يُصَب من خثعم والأشعريين أحدٌ .

ولما أصبحت قريش من الغد أصبح عبد المطلب ومن معه على جبالهم فلم يروا أحدا غَشِيَهم ، فبعث عبد المطلب ابنَه الحارثَ — ويقال عبدَ الله — على فرس له سريع ينظر مالقوا ، فإذا القوم مُشَدَّخُون [٢] جميعا ، فرجع يُرفِعُ فرسه ، كاشفا عن فخذه . فلما رأى ذلك أبوه قال : إن ابنى أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيرا أو نذيرا . فلما دُنا من ناديهم بحيث يُسْمِعُهم الصوت قالوا : ما وراءك ؟ قال : هَلَكُوا جَمِيعا [٣] . فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم ؛ فكانت أموال عبد المطلب من ذلك المال . فقال عبد المطلب :

أنتَ مَنَعْتَ الجيشَ والأفيالا وقد رَعَوا بمكة الأَجْبَالا
وقد خَشِينَا منهمُ القِتالا وكل آمرٍ لهمْ مِعْضَالا
شكرا وحمدا لك [٤] وإجلالا

ويقال إن هذه الأبيات قالها عكرمة بن عامر العبدرى بزيادة فيها / .

---

(١) كذا فى ت . وفى م ، هـ « حسبت » .
(٢) كذا فى ت ، م . وفى هـ « مشدوخون » .
(٣) سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٧ .
(٤) فى الأصول « ذو الجلالا » ولايخفى خطؤه ، ولعل الصواب ماذكر

أنت مَنَعْتَ الجيش والأفيالا وقد رعوا بمكة الأجبالا
وقد خَشِيَنا منهمُ القتالا كلَّ كريم ماجد بطالا
يمشى يجر المجد والأذبالا ولا ينال حبُّه المحتالا
لم يُنْبِهِمْ أحدٌ بشرٍّ حَالا وَقَد لقوا أمْرًا له مِعْضَالا(١)

٥ وقال عكرمة العبدرى أيضا :ـــ

الله ربى ورب الأنـــفس أنت حبست الفيل بالمُغَمَّسِ

وأرسل الله سيلا فذهب بأصحاب الفيل فألقاهم فى البحر ، وأقامَ بمكة فُلَّالٌ من الجيش وعُسَفَاء (٢) . وبعض مَنْ ضَمّه العسكر ، فكانوا بمكة يعتملون ويرعون (٣) لأهل بمكة ، وكان قائد ١٠ الفيل وسائسه مُقْعَدين يستطعمان الناس (٤) حيث يذبح المشركون ذبائحهم على إساف ونائلة .

ويقال : بينا عبد المطلب وأصحابه ينتظرون مايفعل الحبشة ـــ وهم يحملون الفيل على الحرم ويأبى ـــ إذ قال عمرو بن عابد لعبد المطلب : انظر هل ترى شيئا ؟ قال : إنى لأرى طيرا يأتى من قبل ١٥ البحر قطعا قطعا ، وهى أصغر من الحمام . سود الرءوس حمر الأرجل

---

(١) لفظ أحد فى الشطر الأول ساقط فى الأصول ، وألفاظ الشطر خالية من النقط . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) العسفاء : الأجراء والعاملون (المعجم الوسيط) .

(٣) كذا فى ت ، م ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٧ . وفى هـ « يزرعون » .

٢٠ (٤) وروى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان . سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٧ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٤٩ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٧ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٩٢ .

والمناقير . قال عمرو : فأقْبَلَت حتى حلَّقت على القوم مع كل طائر ثلاثة أحجار ، فى منقاره حجر وفى رجليه حجران .

وقال عبد المطلب لمسعود : هل ترى شيئا ؟ قال : نعم أرى سوادا كثيرا من قِبَلِ البحر كَمَى[١] ، قال عبد المطلب : هو طائر . قال مسعود : صدقت . قد والله عَرَفْتُ حيث حلّوا بنا أن لو أرادوا الديّة لقدروا عليها . فلم أَزَلْ أَبعث للأشرم أصرفه حتى والى إلى ما هاهنا ، وعرفتُ أنه لايصل إلى البيت حتى يُعَذّب ، وهذا والله عذابه [٢] .

فلما رأت جميعُ العرب ما أصابَ الحبشةَ من النقمة أعظمت قريشا وأهلَ مكة ، وقالوا : هؤلاء أهل الله ؛ قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عَدُوِّهم . فجعلوا يقولون فى ذلك الأشعار ويذكرون فيها ماصنع الله بالحبشة ، وما دفع عن قريش من كيدهم ، ويذكرون الأشرمَ والفيلَ وما ساقه إلى الحرم ، وما أراد من هدم البيت واستحلال حرمته . فمن ذلك قول أبى الطفيل الغنوى : —

ترعى مذائبَ وَسْمِىٍّ أطاع لها بالجزع يوم عصى أصحابَه الفيلُ[٣]

---

(١) كذا فى ت ، هـ — ويقال كمى إليه : أى تقدم . (المعجم الوسيط) وفى م « كسا » .

(٢) وانظر قصة عبد المطلب مع أبى مسعود الثقفى على غير هذا الوجه فى سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٥٧ وتاريخ الخميس ١ : ١٩٠ .

(٣) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٥٥ . وديوان طفيل الغنوى ٥٦ . مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

وقال — من قصيدة — صيفى بن عامر ، وهو أبو قيس بن الأسلت الخزرجي — وهو جاهلى — يعنى قريشا :—

قوموا فَصَلُّوا ربكم وتعوّذوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعنــدكم منــه بلاء مصدّق غداة أبى يكسوم هادى الكتائب
٥ فلما أجازوا بطن نَعْمَان رَدَّهم جنودالمليك بين ساف وحاصب
فوَلَّـوا سراعـا نادمين ولم يؤب إلى أهله مِلْحِبْشِ غير عصائب[1]

وقال أيضا : —

ومن صُنْعه يوم فِيل الحُبُو ش إذْ كلما بعثوه رَزَم
محاجنهم تحت أقرابــه وقد كَلَمُوا أنْفه بالخَزَم
١٠ وقد جعلوا سَوْطَه مُغْوِلا إذا يَمَّمُوه قَفَاه كُلِم
فأرسل من فوقهم حاصبا يلفهم مثل لف القزم
تحث على الطير أجنادهم[2] وقد ثأجو كثؤاج الغنم[3]

وقال أبو الصلت الثقفى ، وهو جاهلى : —

إنّ آياتِ ربِّنا بيِّنات مايُمَارِى فيهن إلا كَفُور
١٥ حُبِسَ الفيلُ بالمُغَمّس حتى ظل يحبو كأنه معقور
واضعا حلقة الجران كما قطـ ـرصخرمن كبكب محدور[4]

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ٣٩ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٥٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٠ / ٤١ والديوان ٦٩ ، ٧٠ — مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) كذا فى الأصول ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٥٥ ، ١٥٦ . وفى سيرة النبى
٢٠ لابن هشام ١ : ٣٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٣٩ ، ٤٠ ، والديوان ٩٠ ، ٩١ « تحض على الصبر أخبارهم »

(٣) ثأجوا : أى صاحوا صياح الغنم . (لسان العرب)

(٤) كذا الأبيات فى الأصول ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٥٦ وانظرها فى سيرة=

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم : —

أنت حبست الفيل بالمُغَمّس حبسته كأنه مُكَرْدَس
من بعد ماهمّ بأمر مُخَلّس بمحبس تزهق فيه الأنفس
وقت ثياب ربنا لم تدنس ياواهب الحىّ الجميع الأحمس
وماهُمُ من طارق ومنفس وجاره مثل الجوارى الكُنَّس ٥
أنت لَنَا فى كل أمر مضرس وفى هنات أخذت بالأنفس(١)

وقال ابن أذينة الثقفى : —

لعمرك ما للفتى من مَفَرّ مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفتى عصرة لعمرك ما إن له من وزر
أَبَعْد قبائل من حمير أتو ذات صبح بذات العبر ١٠
بألف ألوف وحرّابة كمثل السماء قبيل المطر
يصم صراخُهُمُ المقربات ينفون من قاتلوا بالدفر
٢٣ سعالى مثل عَدِيد التراب تَيَبَّسُ منهارطاب الشجر(٢)/

ولقد صارت قصة الفيل ، وصُنْع الله تعالى بأصحابه ، واستفاضة ذلك من جُمْلة القصص التى لايمكن إنكارها ، ولم يختلف ١٥ أحد فيها لا مُوَحِّد ولا مُشْرِك .

وهذه القصة قد نطق القرآن العظيم بها ، ولو لم ينطق بها القرآن لكان فى الأخبار المتواطئة والأشعار المتظاهرة فى الجاهلية والإسلام

= النبى لابن هشام ١ : ٣٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٠ — مع اختلاف فى بعض الألفاظ وزيادة فى عدد الأبيات . ٢٠

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٥٦ : مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٥٧ .

حُجَّةٌ وبيان لشهرته ، وما كانت العرب تؤرّخ به ، فكانوا يؤرخون فى كتبهم ودواوينهم من سنة الفيل ، فلم تزل قريش والعرب ـــ بمكة ـــ جميعا تؤرخ بعام الفيل ، ثم أرخت بعام الفِجَار [١] ، ثم أرخت بِبُنْيان الكعبة ، فلم يزل يؤرخ به حتى جاء الله بالإسلام فأرخ المسلمون من عام الهجرة .

وفى عام الفيل رُئى بأرض العَرَب الحصبةُ والجدرىّ ومرائر الشجر ؛ الحَرْمَل والحَنْظَل والعُشَر .

وفى عام الفيل وجدوا فى حَجَرٍ فى الكعبة ـــ إنْ كان ما ذُكِرَلِي حَقًّا[٢] ـــ : مَنْ يَزْرَعْ خيراً يَحْصُدْ غِبْطَةً ، ومَنْ يَزْرَع شرًّا يَحْصُد نَدَامةً . تعملون السيئات وترجون الحسنات !! أَجَل كَما يُجْنَى مِنَ الشَّوْكِ العِنَبُ .

* * *

« ذكر ولادة النبى صلى الله عليه وسلم »(*)

---

(١) وانظر حرب الفجار فى موضعها من هذا الجزء ص ١٠٣ ، ١٠٩ .

(٢) وفى الاكتفا ١ : ٢٠٨ « وزعم ليث بن أبى سليم أنهم وجدوا حجرا فى الكعبة قبل مبعث النبى ﷺ بأربعين سنة ـــ إن كان ماذكر حقا ـــ مكتوبا فيه من يزرع ... الخ .

(*) وانظر فى مولده ﷺ : سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٠٣ ، وطبقات ابن سعد ١ : ١٠٠ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ١٢٤ ، ودلائل النبوة ١ : ٨٤ ، والاكتفا ١ : ١٦٧ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٩٠ ، وصفة الصفوة ١ : ٥٢ ، والكامل لابن الأثير ١ : ١٨٥ ، وعيون الأثر ١ : ٢٦ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٨٣ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٥٩ ، والعقد الثمين ١ : ٢١٨ ، والإمتاع ١ : ٣ ، والخصائص الكبرى ١ : ٩٩ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٠١ ، والسيرة الحلبية ١ : ٨٦ ، وتاريخ الخميس ١ : ١٨٥ ، وشرح المواهب ١ : ١٠٦ .

قالت آمنة : لما دَنَت ولادتى أتانى الآتى الذى أتانى فقال : قولى أُعِيذُه بالواحد الصَّمَد [١] من شَرّ كُلّ حَاسِد . فكنتُ أقول ذلك ، فذكرتُ ذلك لِنِسَائى ، فقُلنَ لى : عَلِّقى حديدا فى عَضُدَيْك وفى عُنُقِكِ . ففعلت ، فلم يكن يترك علىّ إلا أياما فأجده قد تَقَطَّع ؛ فكنت لا أتعلقه .

وكانت آمنة تُحَدِّثُ عن نِفَاسِها وتقول : لقد أخذنى مايأخذ النساء ولم يعلم بى أحدٌ من القوم : ذكرٌ ولا أُنثى — وإنى لوحيدةٌ فى المنزل وعبد المطلب فى طَوَافِه فَسَمِعْتُ وَجْبَةً [٢] شديدة وأمْرًا عظيما ؛ فهالنى !! فرأيت كأنّ جَنَاح طَيْرٍ أبْيَضَ قد مَسَحَ عَلَى فؤادى ، فذهبَ عَنّى كُلُّ رُعْب وكُلُّ فَزَع وَوَجَع كنتُ أجده ، ثم ٱلْتَفَتُّ فإذا أنا بشَرْبَة بيضاء ظَنَنْتُها لَبَنًا — وكنت عطشى — فشربتها ، فأضاء منى نُورٌ عالٍ ، ثم رأيتُ نِسْوَةً كالنَّخْلِ الطِوال كأنهن من بَنَاتِ عَبْدِ مَنَاف يُحْدِقْن بى ، فَبَيْنَا أنا أعجبُ وأقول : واغَوْثَاه ، من أين عَلِمَ بى هؤلاء ؟! واشتدّ بى الأمرُ و أنا أسمع الوجبة الشديدة فى كل ساعة أعظم وأهول ، فإذا أنا بَديْبَاج قد مُدّ بين السماء والأرض ، فإذا قائل يقول : خُذُوه عن أعين الناس . ورأيتُ رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أبَارِيقُ فِضَّة ، وأنا أَرْشَحُ عَرَقاً كالجُمَان ، أطيبَ ريحا من المِسْك الأذْفَر ، وأقول : ياليْتَ

---

(١) وفى الخصائص الكبرى ١ : ١٠٥ « أعيذه بالواحد من شر كل حاسد » .

(٢) وجبة : أى هدة ، وهى سقوط شىء وقع مثل الحائط وشبهه . (المعجم الوسيط)

عبد المطلب قد دخل عليَّ ــ وعبد المطلب عنى ناء ــ فرأيتُ قطعةً
من الطَّيْرِ قد أقْبَلَتْ / من حيث لا أشعر حتى غَطَّت حُجرتى ، ٢٤
مَنَاقِيرُها من الزُّمُرُّد ، وأجنحتها من اليَوَاقِيت ؛ فكشف الله لى عن
بَصَرِى فأبصرت ــ ساعتى تلك ــ مشارقَ الأرض ومغارِبَها ، ورأيتُ
٥ ثلاثة أعلام مَضْرُوبات ؛ علما فى المَشْرِق ، وعلما فى المغرب ، وعلما
على ظهر الكعبة . فأخذنى المخاضُ ، واشتد بى الأمرُ جدا ؛ فكنت
كأنى مسندة إلى أركان النساء ، وكثرن علىّ حتى لا أرى معى فى
البيت أحدا ، وأنا لا أرى شيئا ، وجعلتُ أنظر إلى النجوم تَدْنُو حتى
(١ إنى لأقول١) لتَقَعَنّ على ، فوضعتُ محمدا مَخْتُونا مسرورا نظيفا
١٠ طيِّباً مدهونا مقطوع السّرة ، مقبوضة أصابع يديه ، مشيرا بالسبابة
كالمُسَبِّح بها ، ووقع على الأرض معتمدًا على يديه ساجدا رافعا رأسه
إلى السماء ــ ويقال : إنه وقع جَاثِياً على رُكْبَتَيْه ينظر إلى السماء ــ
ثم قبض قبضة من الأرض وأهوى ساجدا ، وخرج معه نورٌ أضاء له
البيت والدار ، وقصور الشام وأسواقها ؛ حتى رأيت أعناقَ الإبل
١٥ ببُصْرَى (٢) ، وأضاء مابين المشرق والمغرب (٣) .

وكان مولده صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين حين طلع
الفجر ، فى أول ربيع الأول . وقيل : لليلتين خلتا منه ، وقيل : فى

---

(١) مكانهما بياض فى ت .

(٢) بصرى : مدينة بالشام من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران لها شهرتها
٢٠ عند العرب قديما وحديثا . (معجم البلدان لياقوت)

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٦ ، ٢٠٧ ، والخصائص الكبرى ١ : ١١٩ ،
وشرح المواهب ١ : ١١١ .

ثالثه . ويقال : لثمان . وقيل : لعشر ليال . ويقال : لاثنتى عشرة ليلة . وقيل : لسبع عشرة . ويقال : لثمان عشرة خلت منه . ويقال : لثمان بقين منه ؛ وقيل : يوم عاشوراء . ويقال : فى صفر . وقيل : فى ربيع الآخر . ويقال : أول اثنين من شهر ربيع الأول غِير مُعَيَّن — يوم أرسل الله الأبابيل عام الفيل . ويقال : يوم الفيل : وقيل : بعده بثلاثين يوما . ويقال : بأربعين يوما . وقيل : بخمسين يوما . ويقال : بخمسة وخمسين يوما . وقيل : بثمانية وخمسين يوما . ويقال : بشهرين وستة أيام . وقيل : بعشر سنين . ويقال : باثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر واثنى عشر يوما . وقيل : بثلاثين سنة . ويقال : بأربعين سنة . وقيل بسبعين . ويقال : لاثنتى عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين من غزوة الفيل . وقيل : ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة . ويقال : بأربعين سنة (١) .

والراجح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد عام الفيل فى الدار التى فى الزُّقاق المعروف بزقاق المَوْلِد ، وكانت بيد عَقِيل بن أبى طالب ؛ وَهَبَها له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم — فيما قبل — فلم تزل فى يده حتى مات ، فابتاعها محمد بن يوسف الثقفى (٢) — أخو الحجاج — مِنْ وَلِدِه ، فبنى دَارَه التى يقال لها دار ابن يوسف ،

---

(١) وانظر هذه الأقوال مسندة إلى قائليها فى السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٩٨ — ٢٠٣ ، وشرح المواهب ١ : ١٣٠ .

(٢) هو محمد بن يوسف الثقفى ، ولى إمارة اليمن ، واشتهر بالجور والعداء لبيت على كرم الله وجهه ، ومات فى اليمن سنة مائة أو ماقبلها . (الوافى بالوفيات ٥ : ٢٤٢)

وأدخل ذلك البيت فى الدار حتى / أخرجته الخَيْزُرَان (١) ــ حين ٢٥
حجت ــ فجعلته مَسْجِداً يُصَلّى فيه . ويقال : ولد بشِعْب بنى
هاشم . وقيل : بالدار التى عند الصفا . ويقال بالرَّدْم . وأغرب
بعضهم فقال : ويقال : بعُسْفَان .

٥ قالت آمنة : فلما وضعتُ محمدا رأيتُ سحابةً بيضاء قد
أقبلت من السماء تنزل حتى غَشِيَتْه ، فَغُيِّبَ عن وجهى ، فسمعتُ
مناديا ينادى يقول : طوفوا بمحمد شَرْقَ الأرض وغربَها ، وأدخلوه
البحَارَ كُلَّها ؛ ليعرفوه باسمه وصفته وصورته . ويعلمون أنه سُمِّىَ فيها
المَاحِى لايبقى شيء من الشِّرْك إلا مُحِىَ به فى زمننا . ثم تجلَّت فى
١٠ أسرع وقتٍ ، فإذا به مُدْرَجٌ فى ثوب صوف أبيض ، أشَدّ بياضا من
اللبن ، وتحته حِبَرَةٌ خَضْرَاء قد قَبَض محمد على ثلاثة مفاتيح من
اللؤلؤ الرَّطْب الأبيض ، وإذا قائل يقول : قد قبض محمد على مفاتيح
النَّصْر ، ومفاتيح الرِّيح ، ومفاتيح النُّبُوّة . ثم أقبلت سحابةٌ أعظم من
الأولى ، ونُورٌ ؛ يسمع منها صَهِيلُ الخَيْل وخفقان الأجنحة من كُلّ
١٥ مكان وكلامُ الرجالِ ، حتى غِشِيَتْهُ ، فَغُيِّب عنى أطول وأكثر من
المدة الأولى ، فسمعتُ مناديا ينادى يقول : طوفوا بمحمد الشرق
والغرب ، وعلى مواليد (٢) النبيين ، وأعرضوه على كل رُوحَانىّ من

---

(١) هى الخيزران بنت عطاء زوجة الخليفة المهدى ، وأم الهادى والرشيد ،
وكانت من ربات السياسة والنفوذ والسلطان ، توفيت سنة ١٧٢ هـ وقيل ١٧٣ هـ ، فى
٢٠ خلافة ابنها هارون الرشيد . شذرات الذهب ١ : ٢٨٠ ، (وأعلام النساء لكحالة ١ :
٣٩٥ ــ ٤٠١)

(٢) كذا فى م ، هـ . وفى ت « موالد » .

الجن والإنس والطير والسباع ، وأعطوه صفاء آدم ، ورِقّة نوح ، وخلة إبراهيم ، ولسان إسماعيل ، وبُشْرَى [١] يعقوب ، وجمال يوسف ، وصوت [٢] داود ، وصبر أيّوب ، وزُهْد يحيى ، وكرم عيسى ، وأغمروه فى أخلاق الأنبياء . ثم تجلّت عنه فى أسرع من طرفة العين ، فإذا به قد قَبَضَ على حريرة خضراء مطويّة طيًّا شديدا ، يَنْبُع من تلك الحريرة ماءٌ مَعِينٌ ، وإذا قائل يقول : بَخٍ بَخٍ ؛ قبض محمدٌ على الدنيا كلها ، لم يبق خلق من أهلها إلا دخل فى قبضته طائعا بإذن الله ؛ ولا قوة إلا بالله . فبينما أنا أتعجّب وإذا بثلاثة نَفَر ، ظَنَنْتُ أن الشمس تطلع من خلال وجوههم ، فى يدِ أحدهم إبريقٌ من فضة ، وفى ذلك الإبريق ريح المسك ، وفى يد الثانى طَسْتٌ من زُمُرُّد أخضر ، عليها أربعة نواحى [٣] ، فى كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء ، وإذا قائل يقول : هذه الدنيا — شرقها وغربها وبرُّها وبحرها — فاقبض ياحَبِيبَ الله على أىّ ناحية شئت . قالت : فدرت لأنظر أين قَبَض من الطست ، فإذا هو قد قبض على وَسَطِها ، فسمعتُ قائلا يقول : قبض على الكعبة وربِّ الكَعْبَة ، أما إنّ الله قد جعلها له قبلةً ومَسْكَنا مُبَارَكا . ورأيتُ فى يد الثالث حريرةً بيضاءَ مطويّة طيًّا شديدا ، فنشرها فأخرج منها خَاتَمًا يَحَارُ أبصارُ الناظرين دونه / ، ثم

(١) فى الأصول « صبر يعقوب » والمثبت عن الخصائص الكبرى ١ : ١٢١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٠٣ ، وشرح المواهب ١ : ١١٣ ، وستردِ صفة الصبر فى نفس الخبر منسوبة إلى أيوب .

(٢) كذا فى م ، والمراجع السابقة وفى ت ، هـ « صفوة » .

(٣) كذا بالأصول ، والخصائص الكبرى ١ : ١٢٢ .

حمل ابنى فناوله [صاحبَ] [1] الطست ـــ وأنا أنظر إليه ـــ فغَسَلَه بذلك الإبريق سَبْعَ مَرّات ، ثم ختَمَ بين كتفيه بالخاتم خَتْماً واحدا ، ولَفَّه فى الحريرة ، واستدار عليه خيطا من المِسْكِ الأَذْفَر ، ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ، وقال فى أذنه كلاما كثيرا لم أفهمه ، وقبَّله بين عينيه وقال : أبشر يامحمد ، فما بقى لِنَبىٍّ عِلْمٌ إلا قد أُعْطِيتَه ؛ فأنت أكثرهم علما ، وأشجعهم قلبا ، معك مفاتيح النصر ، وقد ألبست الخوف والرعب ، ولايسمع أحد بذكرك إلا وجدَ فى فؤاده وخاف قَلْبُه [2] وإن لم يرك ياحبيب الله . ثم رأيت رجلا أقبل نحوه حتى وضع فَاهُ عَلَى فيه فجعل يَزُقُّه كما تَزُقّ الحمامة فَرْخَها ، فكنت أنظر إلى ابنى يشير بإصبعه يقول : زِدْنى زِدْنى . فَزَقَّه ساعةً ثم قال : أبشر ياحبيبى ، فما بقى لنبىٍّ حِلْمٌ إلا قد أُوتيته ، ثم احتمله فغيّبه عنى ، فجزع فؤادى ، وذهل قلبى ، فقلت : ويح قريش والويح لها : ماتت كلها ، أنا فى ليلتى وفى ولادتى أرى ما أرى ، ويصنع بولدى مايصنع ولايقربنى أحد من قومى !! إن هذا لهو أعجب العجب . فبينما أنا كذلك وإذا أنا به قد رُدَّ علىّ كالبَدْر ، وريحُه يسطع كالمِسْك ، وهو يقول : خذيه فقد طافوا به الشرقَ والغرب على مواليد الأنبياء أجمعين ، والساعة كان عند أبيه آدم ، فضمه إليه وقبله بين عَيْنَيْه وقال : أبشر ياحبيبى ؛ فأنت سيّد الأولين والآخرين . وناولنيه ومضى ، وجعل يلتفت ويقول : أبشر بعزِّ الدنيا وشَرَف

(١) سقط فى الأصول ، والإثبات عن الخصائص الكبرى ١ : ١٢٣ .

(٢) فى الأصول « وخاف عليه » . والمثبت عن الخصائص الكبرى ١ : ١٢٣ .

الآخرة ، فقد استمسكتَ بالعُروة الوُثقى ، فمن قال بمقالتك وشهِدَ بشهادتك حُشِرَ غدا يوم القيامة تحت لوائك وفى زمرتك .

ولَمّا أن وضعَتْ آمنة بعثت جاريتها إلى جَدِّهِ عبد المطلب فجاءت إليه — وهو جالس فى الحِجْرِ معه ولده ورجال من قومه — فأخبرته أن آمنة قد ولدت غلاما ، فَسُرَّ بذلك ، وقام هو ومن كان معه ، فدخل عليها فأخبرته خَبَره ، وحدثته بكل مارأت حين حملت به ، وماقيل لها فيه ، وماأمرت أن تسميه . فأخذه عبد المطلب فأدخله على هُبَل فى جوف الكعبة ، وقام عبد المطلب يدعو الله ويشكر له الذى أعطاه إيّاه فقال : —

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيّب الأردان
قد ساد فى المهد على الغِلمان أُعِيذُه بالله[1] ذى الأركان
حتى يكون بُلْغَة الفتيان حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذى شنآن من حاسد مضطرب الجنان
ذى همة ليس له عينان حتى أراه رافع اللسان
أنت الذى سُمِّيت فى الفرقان فى كتب ثابتة المثان[2]
أحمد مكتوب على اللسان

ثم دفعه عبد المطلب إلى نِسْوة يكفئين عليه بُرْمَة[3] لأنه كان

(١) كذا فى الأصول . وفى الروض الأنف ١ : ١٨٤ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٣٧ « بالبيت ذى الأركان » .

(٢) كذا فى م ، والروض الأنف ١ : ١٨٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٠٨ . وفى ت ، هـ ودلائل النبوية ١ : ٩٣ « المبانى » .

(٣) البرمة : وعاء من الفخار . (المعجم الوسيط) .

من عادة قُرَيش إذا وُلِدَ لهم المولود من تحت الليل دفعوه إلى نِسْوة يُكفئن عليه بُرْمَة ، فلا ينظرن إليه حتى يُصبحن ، فكفأن عليه بُرْمَة ضخمة ، فلما أصبحن اشتغلن بأمه ، فلما أتين إليه وجدن البُرْمَة قد انفلقت عنه باثنين ، ووجدنه مفتوحَ العينين ، شاخصا ببصره إلى السماء ، وهو يمُصّ إبهامه تَشْخُب لبنا ، فتعَجّبن من ذلك ، فأرسلن إلى جده ، فأتاهن ، فقلن له : ما رأينا مولودا مثله ؛ وجدناه قدَ انفلقت عنه البُرْمَة ، ووجدناه مفتوحا عينيه شاخصا ببصره إلى السماء ، فنظر عبدُ المطلب إلى ذلك فعجِبَ منه ، وخطى عنده ، وقال ! احفظنه فإنى أرجو أن يُصيبَ خيرا ، ولَيَكُونَنّ لابنى هذا شَأن ـــ فكان له شأن [١] .

ويقال : إنّ دَفْع عبدِ المطلب النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم إلى النسوة يُكْفِئن عليه البُرْمَة كان قبل أن يُدْخِلَه على هُبَل .

ولمّا وُلِد النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم سُمِعَ هاتِفٌ على الحجون يقول : ـــ

فأقسم ماأنثى من الناس أنجبت ولا ولدت أنثى من الناس واحدة
كما ولدت زُهْرِيَّة ذات مفخر مجنّبة لؤم القبائل ماجدة[٢]

وهتف آخر على جبل أبي قُبَيْس :ـــ

ياساكنى البطحاء لاتغلطوا ومَيّزُوا الأمر بعقل مُضِيّ

(١) دلائل النبوة ١ : ٩٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢١٠ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤١٨ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٠٤ . وفى الأصول اضطراب فى ضمائر النسوة .

(٢) سبل الهدى والرشاد ١ : ٤٢٦ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

أم بنى زهرة مَنْ سَرَّكُم ... فى غابر الدهر وغمر النَّدِىّ
واحدة منكم فهاتوا لها ... فيمن مضى للناس ومن بقى
واحدة من خيركم مثلها ... جنينها مثل النبى التَّقِىّ(١)

وبَشَّرَت ثُوَيْبَةُ الأسلميّة مولاها أبالهب بن عبد المطلب بولادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأَعْتَقَها حين بشرّته بميلاده صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فأثابه الله على ذلك بأن يُسْقَى فى كل ليلة اثنين فى مثل نُقْرَةِ الإبهام .

٢٨ وفى ليلة مولد النبىّ / صلى الله تعالى عليه وسلم نُكِّسَت الأصنام كلها ، وأما اللَّات والعزّى فإنهما أخرجا من خزائنهما وهما يقولان : ويح قريش جاءهم الأمين ، جاءهم الصديق ، لاتعلم قريش ماذا أصابها . وأما البيت فأيَّاماً سمعوا من جوفه صوتا وهو يقول : الآن يُرَدّ علىّ نُورِى ، الآن يجيئنى زُوَّارِى ، الآن أُطَهَّرُ من أنجاس الجاهلية ؛ أيتها العُزَّى هلكتِ . ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام . وهذا أول علامة رأت قريش من مولد النبىّ ﷺ .

وكان بمكة يهودىٌّ قد سكنها يتَّجِرُ بها ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، قال حين أصبح فى مجلس من مجالس قريش : يامعشر قريش هل فيكم مِنْ مَوْلُودٍ وُلِدَ هذه الليلة ؟ قال القوم : والله لانعلمه . قال : الله أكبر أما إذا أخطأكم

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٩٦ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٢٧ — مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

فلا بأس ، انظروا واحفظوا يامعشر قريش ماأقول لكم : وُلِدَ هذه الليلة نَبِيٌّ هذه الأمة الأمين [١] به شَامةٌ بين كتفيه أو منكبيه ، سوداء ظفراء فيها شعرات متواترات ، كأنهن عرف فرس ، لا يرضع ليلتين ؛ وذلك أن عفريتا من الجن أدخل إصبعه فى فمه ، فمنعه من الرضاع . ٥

فتفرّق القوم من مجلسهم وهم يتعجبون من قوله وحديثه ، فلما أن صاروا إلى منازلهم أَخْبَرَ كلُّ إنسان منهم أهله فقالوا : قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلامٌ ، وسموه محمدا ، فالتقى القوم فقالوا : قد سمعتم حديث اليهودى ، وقد بلغكم مولد هذا الغلام . فانطلقوا حتى جاءوا اليهودى فى منزله فقالوا : أعلمتَ أنه ولد فينا مولود ؟ ١٠ فقال : أبعد خبرى أو قبله ؟ قالوا : قبله ، واسمه أحمد . قال فاذهبوا بنا إليه حتى ننظره . فخرجوا معه حتى دخلوا على آمنة بنت وهب ، فقالوا : أخرجى إلينا ابنك . فأخرجته ، فكشفوا له عن ظهره . فرأى تلك الشامة ، فوقع مَغْشِيًّا عليه ، فلما أفاق قالوا له : ويلك مابالك ؟! قال : ذهبتَ والله النُّبُوَّةُ من بنى إسرائيل ، وخرج الكتاب ١٥ من بين أيديهم ، وهذا الذى يَقْتُلُهم ، ويَبْتُر أحبارهم ، فَازُوا[٢] العرب بالنبوة ، أَفَرِحْتُم يامَعْشَرَ قريش [٣] ؟ أما والله لَيَسْطُوَنّ بكم سَطْوَةً يَخْرُجُ خبرها من المشرق إلى المغرب .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ١ : ٨٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢١٢ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٠٩ ، وشرح المواهب ١ : ١٢٠ « هذه الأمة الأخيرة ». ٢٠

(٢) كذا فى الأصول .

(٣) كذا فى م ، هـ . وفى ت « العرب » .

وكان فى النَّفِر يومئذ هشام والوليد ابنا المغيرة ، ومسافر بن عمرو ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعُتْبَة بن ربيعة فى نفر من بنى عبد مناف وغيرهم [١] .

ولما كان اليوم السابع من ولادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذبح عبد المطلب كَبْشًا عَقَّ به عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، ٥
٢٩ وسماه محمدا ، وجعل مائدة ودعا قريشا ، فلما أكلوا / قالوا : يا عبد المطلب أرأيت ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ، ماسميته ؟ قال : سميته محمدا . قالوا : فَلِمَ رَغِبْتَ به عن أسماء أهل بيته ؟ قال : أردت أن يحمده الله فى السماء ، وخلقه فى الأرض . ولعله لَمَّا أخبرته آمنةُ بما رأت ، وماقيل لها سَمَّاه بذلك ، أو أن الله عزّ وجلّ ألهمه ذلك . ١٠
وقيل إنما سماه محمدا لرؤيا رآها : رأى كأن سِلْسِلَة خرجت من ظهره لها طَرَفٌ فى السماء وطرف فى الأرض وطرف فى الشرق وطرف فى الغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كلهم يتعلّقون بها ، فقصَّها فَعُبِّرت له بمولود يكون من صُلْبه ، يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهلُ السماء والأرض ؛ ١٥
ولذلك سماه محمدا . ولم يتسَم بهذا الاسم أحدٌ قبله إلى أن ذاع قبل وضعه أنه يبعث فى هذا الأوان نبى اسمه محمد ، فسمّى جماعة من العرب أبناءهم بذلك طمعا أن يكون هو [٢] . وقد حمى الله من سمّى

---

(١) دلائل النبوة ١ : ٨٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢١٢ ، وشرح المواهب ١ : ١٢٠ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٠٩ . ٢٠

(٢) هذا اللفظ من هـ .

بذلك ادّعَاءَ النبوة ، أو أن أحدا يَدَّعِيها له . ومن بديع حكمة الله تعالى منعه أن يتسمّى بأحمد أحدٌ سواه ، ولا يُدْعَى به مولود قبله ؛ لئلا يدخل لبس أو شكٌّ على ضعيف اليقين .

وخُتِنَ صلى الله تعالى عليه وسلم يوم سابعه ؛ خَتَنَه جَدُّه . ٥ ويقال : إن جبريل ختنه حين طَهَّرَ قلبه . وقيل : إنه ولد مختونا كما سبق [1] .

وأرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم أمّه سبعة أيام ، ثم أرضعته ثُوَيْبَة الأسلمية مولاة عَمّه أبى لهب بلبن ابنها مسروح — وكانت أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وبعده أبو سلمة بن عبد ١٠ الأسد — وأرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم حاضنته أم أيمن بَرَكَةُ الحَبَشِيّة . ويقال أرضعته خَوْلَةُ بنت المنذر بن زيد بن أسد بن خداش . ثم الْتُمِسَ له صلى الله تعالى عليه وسلم المراضع ، وكان قدم مكة عشر نسوة من بنى سعد بن بكر بن هوازن يلتَمِسْنَ الرضعاء ، منهن أم كبشة حليمة ابنة أبى ذؤيب ، ومعها زوجها أبو كبشة الحارث بن ١٥ عبد العُزّى بن رفاعة ، وابنها منه عبد الله ترضعه ، وهى على أتان قَمْرَاء تُدْعَى سِدْرَة ، ومعهم شارِفٌ لِقَاح لا سِنَّ لها ، يقال لها السمراء ، لقوح قد مات تبيعها بالأمس ، ليس فى ضرعها قطرةُ لبن ، قد يبس من العجف ، وكانوا قد أصابتهم سَنَةٌ شهباء ، لم تبق لهم شيئا .

---

(١) وانظر الأخبار الواردة فى ذلك والحكم عليها فى السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٠ ٢٠٨ والخصائص الكبرى ١ : ١٣٣ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٢٠ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٠٥ وشرح المواهب ١ : ١٢٣ .

قالت حليمة : وما كنا ننام ليلتنا أجمع مع صَبِيِّنا الذى معنا
٣٠ من بكائه / من الجوع ؛ مافى ثديى مايُغْنِيه ، وما بشارفنا مايُغَذّيه ،
ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج ؛ فخرجت على أتانٍ لى قَمْرَاء فلقد
أذمّت[1] بالركب حتى شَقّ ذلك عليهم ضَعْفاً وعَجفا ، حتى قدِمنا
مكة ، نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عُرِضَ عليها رسول الله ٥
صلى الله تعالى عليه وسلم فتأباه ، إذا قيل لها إنه يتيم تركته ؛ وذلك
أنّا كنا نرجو المعروف فى رضاع من نُرضع من أبى المولود ، وأما أمه
فماذا عسى أن تصنع إلينا ، فكلنا تركه لذلك ، ولم تبق امرأة قدمت
معى إلا أخذت رضيعا غيرى ، فلما أجمعن على الانطلاق إلى بلادهن
قلت لصاحبى : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم أجد ١٠
رضيعا ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه ؛ فإنه امتع من أن
أرجع بغير رضيع . فقال : لا عليك أن تفعلى ؛ عسى الله أن يجعل لنا
فيه بركة . قالت : فذهبت إليه فأتيت أمه فأخذته ـــ وما حملنى على
أخذه إلا أنى لم أجد غيره ـــ فقالت لى أمه : ياظئر ، سلى عنه ،
فإنى رأيت كأنه خرج من فرجى شهاب أضاءت له الأرض كلها ١٥
حتى رأيتُ قصورَ الشام ؛ فسلى عنه فإنه يكون له شأن ، وإنه لم يزل
يُذكر أنه يخرج من ضئضئ [2] عبد المطلب نَبِىّ ، ولقد أُتيتُ فقيل
لى : قد حملتِ بسيّد الأنام ، ولقد قيل لى ثلاث ليال : استرضعى

---

(١) أذمت الركب : أى حبستهم . ويقال أذمت الدابة : كلت فوقفت
وتأخرت . (المعجم الوسيط) . ٢٠

(٢) الضئضئ : الأصل . يقال هو من ضئضئ كريم . (المعجم الوسيط) .

ابنك فى بنى سعد ، ثم فى آل أبى ذؤيب . فقالت حليمة : فإن أبا هذا الغلام الذى فى حجرى أبو ذؤيب وهو زوجى .

وطابت نفسُ حليمة ، وسُرَّت بكل ماسمعت ، ثم قالت : والله إنى لأرجو أن يكون مُبَارَكا . ولما أن دفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلى حليمة شيعها عبد المطلب وهو يقول :ـــ ٥

ياربِّ هذا الركبِ المسافرِ محمدا فاقلب بخير طائرِ(١)
وازْجُرْهُ عن طريق الفواجر وَآجلبه عند كل جلب فاخرِ
أُحْلس ليس قلبُه بطاهر وَحيَّة تصيد بالهواجرِ
إنى أراه مكرمى وناصرى

١٠ قالت حليمة : فخرجتُ برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى رحلى فأجد الأتان قد قطعت رَسَنَها فهى تجول فى الدار ، وأجد الشارف قائمة تَقْصَعُ بِجِرَّتِها ، فقلت لزوجى : إن هذا المولود مبارك . فقال : لقد رأينا بعضَ بركته .

---

(١) لفظ « محمد » ساقط من الأصول والإضافة من الزهر الباسم لوحة ١٣٠ ١٥ والشعر فيه :ـــ

لاهم رب الراكب المسافر محمدا فاقلب بخير طائر
وحزه عن طريق الفواجر وحية ترصد بالهواجر
واحفظه لى من كل شر طائر من كل شيطان وكل ساحر
حتى يكون مكرمى وناصرى وعصبتى أرجوه للمعاشر
٢٠ ثم تؤديه على الأباعر مُسَلما رب إلى المشاعر
كخير حال وارد وصادر

ويلاحظ أن الشطر « واجلبه عند كل جلب فاخر » ليست فى مكانها المناسب من السياق بالأصل .

٣١ قالت حليمة : وكان ابنى والله لا / ينام من الجوع ، فلما وضعتُ رسول الله ﷺ فى حجرى أقْبَلَ علىَّ ثَدْيَاى بما شاء الله من اللَّبَن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما ، وماكُنَّا ننام معه قبل ذلك ، ثم قام زوجى إلى شارفنا تلك ـــ وكانت والله ما إن تُبِضُّ بقطرة ـــ فلما وقعت يده على ضرعها فإذا هى ٥ حافل ، فحلب قَعْباً فسقانى ، ثم حلب قعبا آخر فشرب حتى روى ، ولمس ضرعها فإذا هى بعد حافل ، فحلب قعبا آخر فحقنه فى سقايته ، وبتنا بخير ليلة شباعا رواء ، فقال صاحبى : تَعْلَمِى والله ياحليمة لقد أخذتِ نَسْمَةً مُبَارَكة ، ألم تَرَىْ ما بِتْنَا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه !! فقلت : والله إنى (١ لأرجو أن يكون ١٠ ذلك الخير١) ، وأخبرنى بخبر الشارف ، وأخبرته بخبر ثدبىّ ومارأيت منهما ، ثم أصبحنا فغدونا ، فركبت أتانى وحملت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم معى عليها ، فجَعَلَت تتقدّمُ الركبَ حتى مايَقْدِرُ عليها شىء من حُمُرِهم حتى إن صَوَاحِبِى ليقُلْن لى : يا ابنة أبى ذؤيب ، ويحك ارْبَعِى علينا ، أليست هذه أتانُك التى كنتِ خرجتِ ١٥ عليها معنا ؟! فأقول : بلى والله إنها لهى . فيقُلْن : والله إن لأَتَانِك هذه لشأنا .

ويقال ، قالت حليمة : فركبتُ الأتان وركب الحارث الشارف ، وحملتُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يَدَىّ على الأتان ـــ وكان والله ما إن يلحق الحُمُرَ ضعفا ـــ فلما أن طلعنا على صواحبنا بوادى ٢٠

(١) كذا فى ت . وفى م ، هـ « إنى لأرجو ذلك »

السَّرَر[١] مرتعات وهما يَتَواهَقَان [٢] فى المسير فقُلْن : هى حليمة وزوجها ، ثم قُلْن : هذا حمار أنْجى[٣] من حمارتها ، وهذا بعير أنْجَى من بعيرها ، ومايقدران على أن يضبطا رءوسهما ، حتى نزلت مَعَهُنَّ ، فقُلْنَ : ياحليمة ماذا صنعتِ ؟ قلتُ : أخذتُ — والله — خير مولود رأيته قط وأعظمه بركة . فقالت النسوة : أهو ابن عبد المطلب ؟ قلتُ : نعم ، وأخبرتُهُنّ بما قالت آمنة فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وما أَمَرَتْنِى أن أَسْأَل عنه ، وما رأت حليمةُ من إقبال دَرِّها ودَرِّ لَقُوحها [٤] وما رأوا من نَجَاء الأتان واللِّقحة[٤] .

قالت حليمة : فما رجعنا من منزلنا حتى رأيت الحَسَدَ فى بعض نسائنا ، فَمَرَرْنَا[٥] بشيخ من هُذَيل عَرّاف كبير ، فقالت النسوة : سِلِى هَذَا ، فجئتُ إليه برسُولِ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأخبرته خبره ، وما قالت فيه آمنة ، فصاح الهُذَلِىّ : يا آل هُذَيْل اقتلوه آقتلوه ، وآلهته ليَمْلِكَنّ الأرضَ ، وإنه لينتظر من السماء أمرا .

---

(١) السرر : بتثليث السين مع فتح الراء : واد على أربعة أميال من مكة ، ويقال بالمأزمين من منى ، كانت فيه دوحة سُرّ تحتها سبعون نبيا أى قطعت سررهم . (معجم البلدان لياقوت)

(٢) يتواهقان : أى يتباريان . وفى الأصول « يتراهقان » والمثبت عن طبقات ابن سعد ١ : ١١١ والخصائص ١ : ١٤٤ .

(٣) أنجى : أى أسرع . (المعجم الوسيط)

(٤) بياض فى ت . وفى م ، هـ « وماراه ابرى الان واللحقه » ولا معنى لها . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٥) كذا فى ت ، هـ وفى م « فمررت »

٣٢ فقَدمنا منازلنا / من بلادِ بنى سعد بن بكر ــ وما أعلم أرضا من أرض الله أجْدَب منها ــ ولا نَتَعَّرف من الله إلا البركة ، فقدمنا على عَشْرَة أعْنُزٍ مايَرِمَنَّ [١] البيتَ هُزَالا ، فإنْ كُنّا لنريح الإبل وإنها لحُفَّل فَنَحْلِب ونَشْرب ، ونَحْلِب شَارِفَنا غَبُوقا وصباحا ، وإنى أنظر إلى الشارف قد نَضيت فى سنامها ، وأنظر إلى عجز الأتان فكان فيها الأمهار [٢] ، وإن كان عجزها لدابرا مما ينخسها . وكان راعينا يَنْصَرِف بأغنامنا شِبَاعا لُبَّناً حُفَّلاً ، وتأتى أغنام قومنا جِيَاعاً هَالِكَة ما إن تبضّ بقطرة ؛ فنحلب ونشرب ماشئنا من اللبن ، وما من الحاضر إنسانٌ يحلب قطرة لَبَنٍ ولا يجدها فى ضَرْع ، حتى كان الحاضر من قومنا يقول لرُعْيَانهم : وَيْلَكم اسرَحُوا حيث يسرح راعى ابنة أبى ذؤيب ــ ويقال : آبْلُغوا حيث تَبْلُغ غنم حليمة ــ فيسرحون فى الشِّعب الذى يسرح فيه . فتَرُوح أغنامُهم جياعا ما تَبَضّ بقطرة لبن كما كانت تأتى قبل ذلك ، وتروح غنمى شباعا لُبَّناً حُفَّلا بِطَاناً . قالت حليمة : ولم نَزَل نَتَعَرَّف من الله الزيادة فى الخير .

قال بعض من كان يرعى غنم حليمة : إنهم كانوا يرون غنم حليمة ماترفع برءوسها ، ويُرَى الخضر فى أفواهها وأبعارها ، وماتزيد غنمهم على أن تربض ماتجد عودا تأكله ؛ فتروح الغنم أهْوَن منها حين غَدَت ، وتروح غنم حليمة يُخَاف عليها الحَبَط [٣] .

---

(١) يرمن البيت : أى مايبرحن البيت وما يفارقنه . (المعجم الوسيط)

(٢) الأمهار جمع مهرة : وهى غضاريف الضلوع التى توصل الضلوع مع الفص . (المعجم الوسيط)

(٣) الحبط : انتفاخ البطن من كثرة الأكل ، أو من أكل مالا يوافق الدابة . (المعجم الوسيط)

قالت حليمة : ولقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مَسّ ضَرْعَ شاة لنا يقال لها أطلال فما نطلب منها ساعة من الساعات إلا حَلَبَت عَبُوقًا وصَبَاحًا ، وما على الأرض شيء تأكله دابّة .

٥ « ذكر ما أحدثته قريش بعد الفيل »

لما أهلك اللهُ أَبْرَهَةَ ، وسلّط عليه الطَّيْرَ الأبابيل ازدادت قريش والعربُ فى تعظيمِ الحَرَم ، والمشاعِرَ العظام ، والشهر الحرام ، ووقَّرُوها ، ورأوا أن دينَهم خَيْرُ الأديان وأحبّها إلى الله ، [١] وقالت قريش : نحن أهلُ الله [١] ، وبنو إبراهيم ، وولاة البيت الحرام ،
١٠ وسَاكِنوا [٢] حرمه وقُطّانه ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ، ولا تَعْرِفُ العربُ لأحد مثلَ ما تعرف لنا . فابتدعوا عند ذلك أحداثا فى دينهم ، أَدَارُوها بينهم ، قالوا : لاتعظموا شيئا من الحل كما تعظمون من الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخَفَّت العربُ بحرمكم ، وقالوا : قد عظموا من الحِلّ مثل ماعظموا من الحرم ؛ فقصروا / عن ٣٣
١٥ مناسك الحج ؛ فتركوا الوقوف على عرفة ، والإفاضة منها — وهم يعرفون ويُقرُّون أنَّها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ، ويقرون لسائر العرب أن يقفوا عليها ، وأَنْ يفيضُوا منها — وجعلوا موقفهم فى طَرَف الحرم [٣] من نَمِرَة بمفضى المأزمين ، يقضون به عشية عرفة ، ويظلون

---

(١) سقط فى ت ، هـ ، والمثبت عن م ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٦ .
٢٠ (٢) كذا فى الأصول . وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٦ « وسكان حرمه »
(٣) كذا فى م ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٠ . وفى ت « الجبل » . وفى هـ « الحل » .

به يوم عرفة فى الأراك من نَمِرَة ، ويُفِيضُون منه إلى المُزْدَلِفَة ، فإذا عَمَّت الشمس رءوسَ الجبال دفعوا .

وكانوا يقولون : نحن الحُمْس ــ والأَحْمَس فى لغتهم المشدد فى دينه ــ ويقال : إنما سموا الحُمْس بالكعبةِ لأنَّها حَمْسَاء ، حجرها أبيض يضرب إلى السواد [(١)] .

ويقال : إنما سُمّوا الحُمْس لشجاعتهم ــ والحماسة الشجاعة ــ

ثم جعلوا لِمَنْ وَلَدُوا[(٢)] مِنْ سائر العرب من سكان الحِلّ والحرم مثلَ الذى لهم بولادتهم إيَّاهم ، يحل لهم مايحل لهم . ويحرم عليهم مايحرم عليهم .

وكانت خُزَاعَةُ ، وكِنَانَة ، والأَوْس ، والخَزْرَجُ ، وجُشَم ، وبنو عامر [(٣)] بن صَعْصَعَة ، وأَزْدشَنُوءَة ، وجَرْم [(٤)] ، وزُبَيْد ، وبنو ذَكْوَان من بنى سُلَيم ، وعمرو اللات ، وثقيف [(٥)] ، وغَطَفَان ،

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨١ .

(٢) فى الأصول « لمن ولد » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٢٨ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٧ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى المحبر لابن حبيب ١٧٨ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٩ ، وشفاء الغرام ٢ : ٤٢ « وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٤) كذا فى الأصول ، وشفاء الغرام ٢ : ٤٢ . وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٩ « جذم »

(٥) فى الأصول « وعفيف » والمثبت عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٩ وشفاء الغرام ٢ : ٤٢ .

والغَوْث ، وعَدْوَان وعَلَّاق [١] ، وقضاعة ، ومُدْلِج ، وعَدْوَان [٢] ، والحارث بن عبد مناف ، وعضل وحلفائهم ، وإن كان من ساكنى الحَرَم ، ومن دَانَ دِينَهم قد دخلوا معهم فى ذلك ــ وكان بقية العرب يسمون الحِلّة ــ

ثم ابتدعوا فى ذلك أمورا لم تكن ؛ فقالوا : لا ينبغى للحُمْس إذا كانوا مُحْرِمِين أن يَأْقِطُوا الأَقِط ، ويَسْلَئُوا السَّمْن ، ولا يمخضوا اللبن ، ولايأكلوا الزُّبد ، ولا شيئا من نبات الحرم . ولا يلبسوا الوَبَر ولا الشَّعْر ، ولا يَغْزِلُوه ولا يَنْسِجُوه ، ولا يدخلوا بَيْتا من الشَّعْر ، ولا يستظلّوا إلاّ فى بيت من الأدم ما كانوا حُرُمًا [٣] .

وكانوا يُعَظِّمُون الأشهر الحُرُم ، ولا يَخْفِرُون فيها الذِّمّة ، ولا يَظْلِمُون فيها [٤] .

ثم رفعوا فى ذلك فقالوا ! لا يَنْبَغِى لأهل الحِلّ أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل فى الحرم إذا جاءوا حجاجا أو عُمَّارا ، ولا يأكلوا فى الحرم إلا من طعام [٥] أهل الحرم ــ إمّا قِرًى وإمّا شِرَاءً ــ

(١) كذا فى الأصول . وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٩ « وعلاف » .
(٢) تكررت « عدوان » فى الخبر فى جميع الأصول .
(٣) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٧ ، ١٨٠ .
(٤) المرجع السابق ١ : ١٨٠ .
(٥) سقط فى ت ، هـ . والمثبت عن م ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٣٠ .

وكانوا مما سَنُّوه أنهم إذا أنكحوا عَرَبِيًّا امرأةً منهم اشترطوا عليه أنّ كُلّ مَن وَلَدَت له فهو أُحْمَسِيّ على دينهم [١] .

وأنه إذا أحرم الرجل منهم فى الجاهلية وأوّل الإسلام فإن كان من أهْلِ المَدَر ــ يعنى من أهل البيوت والقُرَى ــ لا يدخل بَيْتًا من البُيُوت ، ولا يستَظِلّ تحتَ سَقْف بَيْت ، يَنْقُب أحدهُم نَقْباً فى ظهرِ بَيْته فَمِنه يَدْخُلُ إلى حُجْرَته ، ومنه يَخْرُج ، ولا يدخل من بابه ، ولا يجوز تحت أسكُفَّة الباب ولا عارضته ؛ فإن أرادوا بعض أطعمتهم ومَتَاعهم تَسَوَّرُوا من ظهر بيوتهم وأدبارها حتى يَظْهَرُوا عَلَى السطوح ، ثم ينزلون فى حُجْرَتِهم ، ويُحَرِّمُون أن يَمُرُّوا من تحت عتبة الباب / ، فكانوا كذلك حتى جاء الإسلام [٢] .

وكان إذا حج الصَّرُورَة [٣] من الحِلَّة ــ رجلا كان أو امرأة ــ لا يطوف بالبيت إلا عُرْيَانا إلّا أن يطوف فى ثَوْبِ أَحْمَسِيّ ــ إمَّا عارية وإما إجارة ــ يقفُ أحدُهم بباب المسجد من خارج فيقول : من يعير مَصُوناً من يعير مُعْوِزاً ؟ فإن أعاره أحْمَسِيٌّ ثوبا ، أو أَكْرَاهُ طافَ فيه ، وإن لم يُعِرْه ألقى ثيابه ببابِ المسجد من خارج ثم دخل الطَّواف وهو عُرْيَان ، يبدأ بِإسَاف فيستلمه ، ثم يَسْتَلِمُ الركنَ الأسود ، ثم يأخذ عن يمينه ويطوف ، ويجعل الكعبة عن يمينه ، فإذا أَتَمّ طوافه سبعا استلَم الركنَ ، ثم استلم نائلة ، فيختم بها

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٩

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) الصرورة : من لم يسبق له الحج . (المعجم الوسيط) .

طوافه . ثم يخرج فيجد ثيابه كما تركها لم تلمس فيأخذها فيلبسها ، ولا يعودُ إلى الطواف بعد ذلك عُرْيَانا (١) . وقيل : وإن طاف وعليه ثيابه ضُرِبَ وأنْتُزِعَت منه (٢) .

ويقال : كانوا لا يطوف الرجل منهم أوّل حجة يحجها إلا فى ثياب جُدُد ، أو ثياب أهل الله سكان الحرم ؛ ويقولون : لانطوف فى الثياب التى قَارَفْنَا فيها الذنوب ، فمن لم يجد طاف عُرْيَانا إلا أن يتكرّم منهم مُتَكَرِّمٌ فيطوف فى ثيابه ، فإن طاف فيها لم تحل له أن يلبسها أبدا ، ولا ينتفع بها هو ولا غيرُه ، فإذا فرغ ألقاها بباب المسجد ، ولا يمسّها أحدٌ من خلق الله حتى تُبْلِيها الشمسُ والأمطارُ والرياحُ ووطءُ الأقدام . وفيه يقول ورقة بن نوفل : —

كفى حَزَنًا كَرِّى عليه كأنه لَقًى بين أيدى الطائفين حريم(٣)

وقيل : إن الرجل أو المرأة من الحلة إذا لم يجد ثيابَ أحْمَسِىّ يطوف فيها ، ومعه فضل ثياب يلبسها غَيْرَ ثيابه التى عليه طَافَ فى ثيابه التى جاء بها من الحِلّ ، فإذا فرغ من طوافه نَزَعَ ثيابه التى طاف فيها ، ثم جعلها لَقًى يطرحها بين إساف ونائلة ، فلا يمسها أحد ولايحركها ، ولاينتفع بها حتى تَبْلَى من وَطْءِ الأقدام ومن الشمس والرّياح والمَطَر(٤) .

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٧ ، ١٧٨ .
(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٦ .
(٣) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٤ ، ١٧٥ . وفى سيرة النبى لابن هشام ١٣١/١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٨٤ لم يذكر قائله .
(٤) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٨ .

وقيل : كانت الحِلَّة تطوفُ بالبيت ؛ الرجال بالنهار ، والنساء بالليل[١] . وأما الحُمْس فكان[٢] الصرورة منهم يطوف فى ثيابه[٢] .

وجاءت امرأة منهم يوما ــ وكان لها جمال وهَيْبَةٌ [٣] ــ فطلبت ثيابا عارية فلم تجد من يُعِيرها ، فلم تجد بدا من أن تطوف عريانة ؛ فنزعت ثيابها بباب المسجد ، ثم دخلت المسجد عريانة فوضعت يدها على فرجها وجعلت تقول : ــ

٣٥ اليومَ يَبْدُو بعضُه أو كُلُّه ومَابَدا منه فلا أُحِلّه /

فجعل فتيان مكة ينظرون إليها [٤] .

ويقال : إن المرأة منهم إذا طافت عُرْيَانة تضع إحدى يديها على قبلها والأخرى على دبرها ، ثم تنشد البيت المتقدم [٥] .

وقيل : إن بعض نسائهم يتَّخِذُ سيورا فتعلقها فى حَقْوِها [٦] وتستتر بها .

وصار هذا كله سُنَّة فيهم ، وذلك من صنع إبليس وتزيينه لهم مايُلَبّس عليهم من تغيير الحنيفيّة دين إبراهيم .

---

(١) وفى الخبر عن ابن عباس : فكانت قبائل من العرب من بنى عامر وغيرهم يطوفون بالبيت عراة ؛ الرجال بالنهار والنساء بالليل . (أخبار مكة للأزرق ١ : ١٨٢) .
(٢) كذا فى م ، هـ . وفى ت « فكانت الصرورة منهم تطوف فى ثيابها » .
(٣) كذا فى الأصول . وفى أخبار مكة للأزرق ١ : ١٧٨ « وهيئة » .
(٤) المرجع السابق ١ : ١٧٨ .
(٥) أخبار مكة للأزرق ١ : ١٨٢ .
(٦) كذا فى الأصول . وفى المرجع السابق « فى حقوتها » .

وجاءت امرأة تطوف عريانة ، وكان لها جمال ، فرآها رجل فأعجبته ، فدخل الطواف فطاف إلى جانبها لأن يمسها[١] ، فأدنى عضده من عضدها فالتزقت عضده بعضدها ، فخرجا من المسجد من ناحية بنى سهم هاربَيْن على وجوههما ، فَزِعَين لما أصابهما من العقوبة ، فلقيهما شيخٌ من قريش ــ خارجا من المسجد ــ فسألهما عن شأنهما ، فأخبراه بقصتهما ، فأفتاهما أن يعودا إلى المكان الذى أصابهما فيه ما أصابهما ، فَيَدْعُوَان ويُخْلِصان ألاَّ يعودا . فرجعا إلى مكانهما فدعوا الله سبحانه وأخلصا لله ألاّ يعودا ؛ فافترقت أعضادهما ، فذهب كل واحد منهما فى ناحية[٢] .

وكانت الحلة يخرجون إلى عرفات ويرونها موقفا ومنسكا ، وكان موقفها بالعَشِيّ دون الأنصاب ، ومن آخر الليل مع الناس بقزح . وكان بعضهم لايرى الصفا والمروة [٣] ، وبعضهم يراها ، وكان الذين يرونها خِنْدَف ، وكان سائر الحِلّة لا يرونها ؛ وذلك أنهم قالوا : ما كان أهل الجاهلية ممن يطوف بهما إلا لإساف ونائلة ؛ لأن إساف على الصفا ونائلة على المروة .

فلما جاء الله بالإسلام أمر الحُمْس أن يقفوا مع الحلة بعرفة ، وأن يُفِيضُوا من حيث أفاض الناس منها مع الحلة ، وأمر الحلة أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، وأعلمها الله أنها مشعر ؛ فقال ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [٤] .

---

(١) فى ت ، هـ « يمسكها » . والمثبت عن م وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٨ .
(٢) المرجع السابق ١ : ١٧٨ ، ١٧٩ ، والروض الأنف ١ : ٢٣٢ .
(٣) أى : لايرى وجوب الطواف والسعى بينهما . هامش شفاء الغرام ٢ : ٤٢ .
(٤) سورة البقرة آية ١٥٨ .

السنة الثانية من مولد النبى ﷺ (١)

....

٣٦ « السنة الثالثة من مولدالنبىّ ﷺ / »

فيها ــ بعد أن بلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنتين ــ قدمت به حليمةُ علَى أمَّه وهى حريصة على مَكْثِه فيهم لما رأَوْا من عظيم بركته . صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلما كانوا بوادى السّرر ، قالت حليمة : لقيتُ نفرا من الحبشة ــ وهم خارجون منها ــ فرافقتهم فسألوها ، فنظروا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نظرا شديدا ، ثم نظروا إلى خاتم النبوّة بين كتفيه ، وإلى حُمْرَةٍ فى عينيه ، فقالوا : أيشتكى إيذاء عينيه للحمرة التى فيها ؟ قالت لا (٢) . ولكن هذه الحمرة لاتُفَارِقُه . فقالوا : هذا والله نَبِىٌّ ؛ فغالبوها عليه فخافتهم أن يغلبوها عليه فمنعه الله . فدخلت به على أمّة فأخبرتها بخبره ، وما رأوا من بركته ، وخبر الحبشة . فلما رأته أمه قالت : ارجعى بابنى فإنى أخاف عليه وباء مكة ، فوالله ليكونَنَّ له شأن .

ويقال : إن حليمة ــ أو زوجها ــ كلمت آمنة وقالت لها : دعينا نرجع بِبُنَيِّنَا هذه السنة الأخرى ، فإنا نخشى عليه وباء مكة . فلم تزل بها حتى رَدَّته معهما (٣) .

---

(١) أشار ناسخ « ت » ــ بعد العنوان ــ بقوله : بياض بأصله . وعنون فى الصفحة التالية « السنة الثالثة من مولد النبى ﷺ » . وفى م ، هـ اتبع الناسخان السنة الثالثة للسنة الثانية دون الإشارة إلى بياض .

(٢) كذا فى م ، والخصائص الكبرى ١ : ١٤١ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٧٣ . وفى ت ، هـ « بلى » .

(٣) وانظر شرح المواهب ١ : ١٤٨ ، ١٤٩ .

وقام سوق ذى المجاز ـــ ويقال عكاظ ـــ فحضرت حليمة بالنبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبالسوق يومئذ عَرَّافٌ من هُذَيل يؤتى إليه بالصِّبْيان لينظر إليهم من هوازن ؛ فلما نظر إلى رسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإلى الحُمْرَة التى فى عينيه ، وإلى خاتم النبوة صاحَ : يامعشر هُذَيل ، يامعشر العَرَب ـــ ويقال جعل يصيح : ياآل هُذَيل ـــ إنّ هذا لينتظر أمراً من السماء ، وجعل يُغْرِى بالنبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم ، فقال : اقتلوا هذا الصبىَّ . فانسلَّت به حليمة ، فجعل الناس يقولون : أى صَبِىّ ؟ فيقول : هذا الصَّبِىّ . فلا يرون شيئا ؛ فقد انطلقت به أمه . فيقال له : ماهو ؟ فيقول : رأيت غلاما ، وآلهته ليَغْلِبَن [1] أهل دينكم ، وليُكَسِّرَن أصنامكم ، ولَيَظْهَرَنّ أمْرُه عليكم . فطُلِبَ بذى المجاز ـــ أو بعكاظ ـــ فلم يُوجد . ورجعت به حليمة إلى منزلها . فكانت بعد هذا لا تعرضه لعَرَّافٍ ولا لأحد من الناس .

ولقد نزل بهم عَرّافٌ فأُخْرِجَ إليه صبيانُ أهل الحاضر ، وأبت حليمة أن تخرجه إليهم ، إلى أن غَفَلَت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فخرج من المِظَلّة ، فرآهُ العرّافُ فدعاه ، فأبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فدخل الخيمة ، فجهد بهم العَرَّافُ أن يُخْرَج [2] إليه فأبت ، فقال : هذا نبى .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى الخصائص الكبرى ١ : ١٤٤ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٧٣ « فليقتلن » .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الخصائص الكبرى ١ : ١٤٤ « أن يخرجوه » .

٣٧ وفى هذه السنة / ولد أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه [١] .

فيها ــ ويقال : فى السنة السابقة ــ وفدت قريش ــ وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمَيّة بن عبد شمس ، وعبد الله بن جُدْعان ، وأسد بن عبد العُزَّى ، ووَهْب بن عبد مناف ، وقُصَىّ بن عبد مناف [٢] ، وقصىّ بن عبد الدار ــ إلى اليمن يهنئون سَيْف بن ذى يَزَن بظفره بالحبشة ، فبشَّر سيفٌ عبدَ المطلب أنه سيظهر رسول من نسله .

* * *

« السنة الرابعة من مولد النبى ﷺ »

فيها ــ ويقال فى التى قبلها ، ويقال فى السنة الخامسة ــ نزل جبريلُ وميكائيلُ من السماء فشقَّا صدر النبى ﷺ المقدس ، وهو فى بنى سعد بن بكر عند حليمة مرضعته ؛ وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغدو مع أخيه وأخته فى البهم قريبا من الحيِّ ، فبينما هم يوما يلعبون فى البهم خلف البيوت ، قالت حليمة : إذ أتَانَا أخوه يشتدّ ويصيح : ياأماه أدركى أخى القرشى فإنه قد قُتِل . ويقال : إنه قال : ذاك أخى القرشى أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه فشقّا بطنه ، فهما يسوطانه . فخرجت أنا وأبوه نحوه نعدوا ، فوجدناه

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ : ٤٧ ، وانظر الإصابة ٢ : ٣٤١ ــ ٣٤٤ .

(٢) لم يرد هذا الاسم فى م . وكذا فى دلائل النبوة ١ : ٢٩٦ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٣٩ .

قائما مُنْتَقِعَ اللون ، فجعلت أضمه إلىّ مَرَّة وأبوه مَرَّة ، ونقول : ماشأنك ؟ فيقول : لا أدرى ، إلا أنه أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجا ، فأخذانى فأضجعانى فشقًّا بطنى ، فاستخرجا قلبى فشقاه ، فاستخرجا منه عَلَقَة سوداء ــ أو قال شيئا ــ
٥ فطرحاها ــ ويقال : فاستخرجا منه مَغْمَزَ الشيطان وعلق الدم ــ ثم غسلا بطنى وقلبى بذلك الثلج حتى أنقياه ، وجعلا الخاتم بين كتفىّ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زِنْهُ بعشرة من أُمَّتِه ، فوزننى بعشرة فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزننى بهم فوزنتهم ، فقال : دَعْهُ فلو وزنته بأمته
١٠ لوزنها [1] .

قالت حليمة : فرجعنا به معنا إلى خيامنا ، وقال أبوه : ياحليمة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أُصيب ، فبادرى به أهله فألْحِقِيه بهم قبل أن يتفاقم به الأمر عندنا ، وقبل أن يظهر ذلك به . فلم تكن لى هِمَّةٌ إلا أن أَتَيْتُ مَكَّة فأتيت به أمّه ، فقلت :
١٥ ياظئر[2] هذا ابنى قد فَصَلْتُه وارتفع عن العاهة . فقالت : ما أقدمك به ياظئر ، ومالك زاهدة فيه ــ وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ــ وقد كنت قبل اليوم تسألين أن أتركه عندك ؟! فقلنا : لا والله ياظئر إلا أن الله قد أدى عَنَّا ، وقَضَيْنَا الذى علينا ، / وقلنا ٣٨ نخشى الأَتْلَافَ والأحداث نَرُدُّه على أهله ، فأَدّيْتُ أمانتى وذِمَّتِي
٢٠ عليك كما تُحبين . قالت : ماهذا شأنكما فاصدقانى خبركما . فلم

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٦٦ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ١٣٠ .
(٢) نداء حليمة للسيدة آمنة بياظئر من باب المجاز لأن الظئر هى المرضع لغير ولدها .

تَدَعْنا حتى أخبرناها ، فلم يَرُعْها ذلك ، قالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ قلت : نعم . قالت : كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل [١] ـــ ويقال قالت آمنة : لا تخافى هذا ؛ فإن ابنى هذا معصوم من الشيطان . أو كلام هذا معناه ـــ وإنه لكائن لابنى هذا شأن من الشأن ، ألا أخبركما خَبَرَه ؟ قلنا : بلى . قالت : حملت به فما حملت قط حملا [٢]أخف منه ، فأُرِيتُ فى المنام حين حملتُ به كأنّه خرج منى نورٌ أضاءَتْ له قُصُورُ الشام ، ثم وقع حين ولدْتُه وقوعا مايقعه المولود ؛ معتمدا على يَدَيْه ، رافعا رأسه إلى السماء ، فَدَعَاهُ عنكما وانْطَلِقا راشدين .

ويقال : إن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يلعب مع الصبيان فأتاه آتٍ فأخذه فصَرَعَه فشق عن صدره فاستخرج القلب ، ثم شق القلب فاستخرج منه عَلَقَة ، فقال : هذا حَظُّ الشيطان منك . فغسله فى طَسْتٍ من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه

---

(١) الخصائص الكبرى ١ : ١٣٦ .

(٢) وفى سبل الهدى والرشاد ١ : ٤٨١ « يفهم [من قول آمنة] أنها حملت بغيره ﷺ ، وقد ورد ماهو أصرح منه ؛ قال ابن سعد ، أخبرنا عمرو بن عاصم ، أخبرنا همام ، عن أسحاق بن عبد الله قال : قالت أم النبى ﷺ : قد حملت الأولاد فما حملت أخف منه . قال ابن سعد رحمه الله ، قال محمد بن عمر الواقدى : وهذا مما لايعرف عندنا ولا عند أهل العلم ، لم تلد آمنة ولا عبد الله غير النبى ﷺ . ونقل عن ابن الجوزى قوله أجمع علماء النقل على أن آمنة لم تحمل بغير رسول الله ﷺ ، ومعنى قولها لم أحمل حملا أخف منه خرج على وجه المبالغة ، أو على أنه وقع اتفاقا .

ويعلق محقق الخصائص الكبرى ١ : ١٣٦ بقوله : معلوم أن آمنة لم تحمل بغير رسول الله ﷺ فإنها لم تتزوج بعد زوجها عبد الله ؛ فلعل الرواية حملا بكسر الحاء .

فأعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يَسْعَوْن إلى أمه ـــ يعنى ظئره ـــ فقالوا : قتل محمد . فجاءوا فاستقبلهم النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم وهو منتقع اللون ، فسألت حليمة ابنها : مارأيتَ ؟ قال ؟ رأيتُ طائرين أبيضين وقَعا ، فقال أحدهما : أهوهو ؟ فقال : نعم . فأخذاه فسلَقَاه [١] على ظهره فشقَّا بطنه ، وأخرجا ماكان فى بطنه ، ثم قال أحدهما : إيتنى بماء ثلج . فجاء به فغسَلَ بطنه ، ثم قال : إيتنى بماء بَرَد . فجاء به فغسَل بطنه ، ثم أعاده كما هو .

فلما رأوا ما أصابه شاورت أمُّه أباه وقالت : ترى أن نرده على أمه ؟ إنا نخاف أن يصيبه عندنا ماهو أشَدّ من هذا ، فنردّه إلى أمه فيعالج ؛ فإنى أخاف أن يكون به لَمَم ، إن هذا أعظم مولود رآه أحد بركة ، والله إنْ أصابه إلا حَسَدٌ من آل فلان ؛ لِمَا يَرَوْن من عِظَمِ بركته منذ كان بين أظهرنا . قال أبوه : ياحليمة أخذناه ولنا عشرة أعنز عجاف ، فغَنَمُنَا اليوم ثلاثمائة . قالت : إنى أخاف عليه .

قالت حليمة : فاحتملناه فقدمنا به على أمه [٢] .

وقيل : إن رجلا سأل النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : كيف كان أوّل شأنك يارسول الله ؟ فقال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقتُ أنا وابن لها فى بهم لنا ولم نأخذ لنا زادا ، فقلت : ياأخى اذهب فأتنا بزاد من عند / أمنا ـــ فانطلق أخى ـــ وكنت [٣] ٣٩

---

(١) سلقاه : يقال سلقه الطبيب أى مده على ظهره . (المعجم الوسيط)

(٢) دلائل النبوة ١ : ٢٩٣ ، السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٣١ ، سبل الهدى والرشاد ١ : ٤٧٤ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ١ : ٢٩٥ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١١ « ومكثت » .

عند البهم ــ فأقبل علىّ طَيْرَان أبيضان كأنهما نَسْرَان ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم . فأقبلا يبتدرانى [(١)] ، فأخذانى فبطحانى إلى القفا فشقّا بطنى ، ثم استخرجا قلبى فشقاه ، فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : ائتنى بماء ثلج . فغسلابه جَوْفى ، ثم قال : ائتنى بماء برد . فغسلابه قلبى ، ثم قال : أئتنى بالسكينة . فذراها فى قلبى ، ثم قال أحدهما لصاحبه : حُصْهُ [(٢)] . فحاصه ، وختم عليه بخاتم النُّبُوَّة ، فقال أحدهما لصاحبه : اجعله فى كفَّةٍ واجعل أَلْفاً من أمته فى كفّة . قال رسول الله ﷺ : فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقى أُشْفِق أن يَخِرّ علىّ بعضُهم . فقال : لو أن أمته وزنت به لمال بهم . ثم انطلقا وتركانى ــ وقد فرقت فرقا شديدا ــ ثم انطلقتُ إلى أمِّى فأخبرتها بالذى لقِيتُ ، فأشفقت أن يكون قد التبس بى ، فقالت : أُعِيذك بالله . ورحَّلَت[(٣)] بعيرا لها ، وحملتنى على الرَّحل ، وركبت خلفى حتى بلغنا إلى أمى ، فقالت : أدَّيْتُ أمانتى وذِمَّتى ، وحدثتها بالذى لقيت ، فلم يَرُعْها ذلك ، وقالت : إنى رأيت خرج منى نورٌ أضاءت له قصورُ الشام .

ويقال : لما قدمت به حليمة إلى أمه قالت أمه : ما أقدمك به

(١) كذا فى هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٢٩٥ . وفى ت ، م ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١١ « يبتدران » .

(٢) كذا فى م ، هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٢٩٥ . وفى ت « خيطه مخاطه » وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١١ « خطه » ــ والمعنى واحد .

(٣) كذا فى م ، هـ ودلائل النبوة ١ : ٢٩٥ . وفى ت « ثم رحلت » .

ياظئر — وقد كنت حريصة عليه وعلى مُكثه عندك ؟! فقالت : نعم قد بلَّغ الله بابنى ، وقضيتُ الذى علىّ ، وتخوَّفْتُ الأحداث عليه ؛ فأدَّيْتُ أمانتى وذِمَّتى عليك كما تُحِبِّين . قالت : ماهذا شأنك !! فاصدقينى خبرك . فلم تَدَعْنِى حتى أخبرتها بالذى لقيت ، فلم ٥ يَرُعْها ذلك وقالت : أتَخَوَّفْتِ عليه الشيطان ؟ قلت : نعم . قالت : كلاَّ والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإنه لكائن لابنى هذا لشَأْنٌ من الشأن ، أفلا أخبرك خبرَه ؟ قلت : بلى . قالت : إنى حملْت به ، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفَّ ولا أيْسَرَ منه علىّ ، ولا أعظم بركة ؛ رأيت نورا كأنه شهاب خرج منى حين وضَعْتُه أضاءت له ١٠ قصورُ بُصْرى — ويروى أعناق الإبل ببصرى — من أرض الشام ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يده بالأرض رافعا رأسه إلى السماء ، دَعِيه عنك وانطلقى راشدة [١] .

وقيل : إن شيخا من بنى عامر جاء إلى النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ياابنِ عبد المطلب ، إنى أُنْبِئْتُ أنّك تزعم أنك ١٥ رسول الله إلى الناس ، فأنْبِئْنِى بحقيقةِ ذلك ، وبدْءِ شأنك . فقال : ٤٠ ياأخا بنى عامر ، إن حقيقة قولى وبدء شأنى / دَعْوَةُ إبراهيم ، وبُشْرَى أخى عيسى بن مريم ، وأن أمى لما ولدتنى كنت مُسْتَرْضَعاً فى بنى ليث بن بكر . فبينا أنا ذات يوم منتبذ من أهلى فى بطن وادٍ مع أتراب لى من الصبيان ، إذ أنا برهط ثلاثة معهم طَسْتٌ من ذهب ملىء ٢٠ ثلجا . فأخذونى من بين أصحابى ، فخرج أصحابى هِرَابًا حتى انتهوا إلى

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١٠ .

شفير الوادى . ثم أقبلوا على الرَّهط فقالوا : ماأَرَبكُم إلى هذا الغلام ؟ فإنه ليس منا ، هذا ابن سيد قريش وهو مُسْتَرْضَع فينا ؛ غلام يتيم ليس له أب ، فماذا يرد عليكم قتله ؟ فإن كنتم لابد قاتليه فاختاروا مِنَّا أَيَّنا شئتم فاقتلوه . فلما رأى الصبيان أن القوم لايحيرون إليهم جوابا انطلقوا هِرَابا مسرعين إلى الحىّ يستصرخونهم . فعمد أحدهم فأضجعنى على الأرض إضجاعا لطيفا . ثم شقّ مابين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى — وأنا أنظر إليه [1] — فصدعه ، ثم أخرج منه مُضْغَة سوداء فرمى بها ، ثم مال بيده يمنه ويسرة كأنه يتناول شيئا . فإذا أنا بخاتم فى يده من نُور ، يَحار الناظرون دونه ، فختم قلبى فامتلأ نورا ، ثم أعاده مكانه ، فوجدت بَرْدَ ذلك الخاتم فى قلبى دهرا . ثم قال الثالث لصاحبه : تَنَحّ ، فنحاه عنى ، فأَمَرَّ يده مابين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى ؛ فالتأم ذلك الشق بإذن الله . ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى إنهاضا لطيفا . ثم قال للأوّل الذى شق بطنى : زِنْهُ بعشرة من أمته . فوزننى بهم فرجحتهم ، ثم قال : زِنه بمائة . فوزنونى بهم فرجحتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته فوزنونى فرجحتهم ، فقال : دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم . ثم ضمونى إلى صدورهم وقبلوا رأسى [وما] [2] بين عَيْنَىّ ، ثم قالوا : ياحبيبَ الله لم تُرَع إنك لو تَدْرِى مايُرَاد بك من الخير لَقَرَّت عيناك .

---

(١) فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٢٨ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١٢ ، والخصائص الكبرى ١ : ١٤١ « وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مساً ، ثم أخرج أحشاء بطنى ، ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ، ثم أعادها مكانها ، ثم قام الثانى وقال لصاحبه : تنح . ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدعه ... الخ » .

(٢) إضافة عن تاريخ الطبرى ٢ : ١٢٩ ، والخصائص الكبرى ١ : ١٤١ . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١٣ « وقبلوا مابين رأسى وبين عينى » .

فبينا نحن كذلك إذا بالحيّ قدحَلُّوا بحذافيرهم ، وإذا أمى — وهى ظئرى — أمام الحىّ تهتف بأعلى صوتها وهى تقول : ياضعيفاه . فأكبوا علىّ فقبلوا رأسى ومابين عَيْنَىّ ، فقالوا : حبذا أنتَ من ضعيف ، ثم قالت ظئرى : يايتيماه مُسْتَضْعَف أنت من بين أصحابك فقُتِلْتَ لضعفك ، ثم ضمتنى إلى صدرها . فو الذى نفسى بيده إنى لفى حجرها وإن يَدِى لَفِى يد بعضهم ، فجعلت أَلتفت إليهم وظننت أن القوم يبصرونهم فإذا هم لا يبصرونهم ، فقال بعض / القوم : إن هذا الغلام قد أصابه لَممٌ أو طائف من الجن ؛ فانْطَلِقُوا به إلى كاهننا (١) لينظر إليه ويداويه . فقلت : مابى شىء مما يذكر . فقال أبى — وهو زَوْجُ ظئرى —: ألا ترون كلامه كَلامَ صَحِيحٍ ؟ إنى لأرجو ألاَّ يكون بابنى بأس . فاتفقوا على أن يذهبوا بى إلى الكاهن ، فذهبوا بى إليه ؛ فقَصُّوا عليه قصتى . فقال : اسكتوا حتى أسمع من الغلام ؛ فإنه أعلم بأمره منكم ، فسألنى . فقصصت عليه أمرى ، فوثب إلىّ وضمنى إلى صدره ثم نادى : يا آل العرب ، اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه . واللات والعُزَّى لئن تركتموه وأدرك لَيُبَدِّلَن دينكم . ثم احتملونى ، فذلك بدء شأنى .

يقال : إن حليمة قالت : لَمَّا فطمتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تكلم كلاماً عجيبا ؛ سمعته يقول : الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بُكْرَةً وأصيلاً . فلما ترعرع كان

---

(١) فى الأصول « كاهنتنا » والمثبت عن المراجع السابقة ، ويرجحه ما سيرد من أنهم اتفقوا على أن يذهبوا به إلى الكاهن .

يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم ، فقال لى يوما من الأيام : ياأمّاه . مالى لا أرى إخوتى بالنهار ؟ قلت : فداء لك نفسى ، يرعون غنما لنا فيروحون من ليل إلى ليل . فأسْبَلَ عينيه وبكى وقال : يا أمّاه ، فما أصنع هاهنا وحدى ؟ ابعثينى معهم . قلت : أَوَتُحِبّ ذلك ؟ قال : نعم . فلما أصبح دهنته وكَحَّلْتُه وقَمَّصْتُه ، وعمدت إلى خرزة جزع يمانية فعلقت[1] فى عنقه من العين ؛ فأخذ عَصًا وخرج مع إخوته ، فكان يخرج مَسْرُورا ويرجع مسرورا . فلما كان يوما من الأيام [2] خرجوا يرعون بهما لنا حول بيوتنا ، فلما انتصف النهار إذ أنا بابنى ضُمْرَة يعدو فزعا وجبينه يرشح ، قد علاه البُهْرُ [3] ، باكيا ينادى : يا أباه ويا أمه ، الحقا أخى محمدا فما تلحقانه إلا مَيِّتًا ، قلت : وما قصته ؟ قال : بينا نحن قياما نترامى ونلعب إذ أتاه رجلٌ فاختطفه من أوساطنا ، وعلا به ذروة الجبل — ونحن ننظر إليه — حتى شق من صدره إلى عانته ، ولا أدرى مافعل به ، وما أظنكما [4] تلحقانه أبدا إلا مَيِّتاً . فأقبلت أنا وأبوه — يعنى زوجها — نسعى سعيا فإذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره إلى السماء يبتسم ويضحك ، فأكْبَبْتُ عليه وقبَّلْت بين عينيه وقلت : فدتك[5]

---

(١) كذا فى الأصول . ولعلها « فعلقتها » .
(٢) كذا فى ت . وفى م ، هـ ، والخصائص الكبرى ١ : ١٣٧ « من ذلك » .
(٣) البهر : تتابع النفس من الإعياء . (المعجم الوسيط)
(٤) كذا فى م ، هـ . وفى ت « ولا أظنكما » .
(٥) كذا فى م ، والخصائص الكبرى ١ : ١٣٧ . وفى ت « فدو لك » وفى هـ « فدوتك » .

نفسى ، مالذى دهاك ؟ قال : خيرا يا أماه ؛ بينا أنا الساعة قائم مع
إخوتى إذ أتانى رهط ثلاثة بيد أحدهم إبريق فضة ، وفى يد الثانى
طست من زمردة خضراء ماؤها ثلج ، فأخذونى فانطلقوا بى إلى ذروة
الجبل فأضجعونى على الجبل إضجاعا لطيفا ، ثم شقّ من صدرى
٥ إلى / عانتى . وأنا أنظر إليه ـــ فلم أجد لذلك حِسًّا ولا أَلَماً ؛ ثم ٤٢
أدخل يده فى جوفى فأخرج أحشاء بطنى فغسلها بذلك الثلج ،
فأنعم غسلها ، ثم أعادها . وقام الثانى وقال للأوّل : تنحّ فقد أنجزتَ
ماوعدك الله به ، فدنا منى فأدخل يده فى جوفى فانتزع قلبى وشَقّه ،
فأخرج منه نكتة سوداء مملوءة بالدم فرمى بها وقال : هذا حَظُّ
١٠ الشيطان منك ياحبيب الله ، ثم حشاه بشىء كان معه . وردّه
مكانه ، ثم ختمه بخاتم من نور . فأنا الساعة أجد بَرْدَ الخاتم فى
عروقى ومفاصلى . وقام الثالث وقال : تنحيًا فقد أنجزتما أمر الله عز
وجل فيه . ثم دنا الثالث منى فأَمَرَّ بيده مابين مفرق صدرى إلى
منتهى عانتى [فالتأم الشق بإذن الله تعالى] [1] ، قال الملك : زنوه
١٥ بعشرة من أمته . فوزنونى فرجحتهم ، ثم قال : دعوه ، ولو وزنتموه
بأمته كلها لرجحهم . ثم أخذ بيدى فأنهضنى إنهاضا لطيفا ، فأكبوا
علىّ وقبلوا رأسى ومابين عينىّ ، وقالوا : ياحبيب الله ، إنك لن تُرَع ،
ولو تدرى مايُرَادُ بك من الخير لقرَّت عيناك . وتركونى قاعدا فى مكانى
هذا . ثم جعلوا يطيرون حتى دخلوا حيال السماء . وأنا أنظر إليهم .
٢٠ ولو شئت لأريتك موضع دخولهم . فاحتملتُه فأتيتُ به منزلاً من منازل

(١) الإضافة عن سبل الهدى والرشاد ١ : ٤٧٤ .

بنى سعد بن بكر ، فقال لى الناس : اذهبى به إلى الكاهن حتى ينظر إليه ويداويه . فقال : مابى شىء مما تذكرون ، وإنى أرى نفسى سليمة وفؤادى صحيحا [١] بحمد الله تبارك وتعالى . فقال الناس : أصابه لَمَمٌ أو طائف من الجن ، فغلبونى على رأيى [٢] ؛ فانطلقْتُ به إلى الكاهن فقصصت عليه القصة ، قال : دعينى أنا أسمع منه ؛ فإن الغلام أبصر بأمره منكم ، تكلم ياغلام . قالت حليمة : فقصّ ابنى محمد قصته مابين أولها إلى آخرها ، فوثب الكاهن قائما على قدميه فضمه إلى صدره ونادى بأعلى صوته : يا للعرب يا للعرب من شَرٍّ قد أقْتَرَب ، اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه ، فإنكم إن تركتموه وأدرك مَدْرَك الرجال ليُسَفِّهن أحلامكم ، وليكذبن أديناكم ، وليدعونكم إلى رب لاتعرفونه ، ودين تنكرونه . فلما سمعتُ مقالته انتزعته من يده وقلتُ : لأَنْتَ أعْتَهُ منى [٣] وأجن ، ولو علمتُ أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به ، أُطلب لنفسك مَنْ يَقْتُلُك ، فإنا لانقتل محمدا . فاحْتَمَلْتُه فأتيت به منزلى ، فما أتيت ـــ يعلم الله ـــ منزلا من منازل بنى سعد بن بكر إلا وقد / شممنا منه ريحَ المِسْك الأَذْفَر ، وكان فى كل يوم ينزل عليه رجلان أبيضان فيغيبان فى ثيابه ولا يظهران ، فقال الناس : رُدِّيه ياحليمة على جَدِّه عبد المطلب وأخرجيه من أمانتك . قالت : فعزمت على ذلك ، فسمِعْتُ مناديا ينادى : هنيئالكِ

(١) فى الأصول ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٧٥ « صحيح » والمثبت عن الخصائص الكبرى ١ : ١٣٩ .

(٢) كذا فى هـ . وفى م ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٧٥ « أمرى » وبياض فى ت .

(٣) كذا فى الأصول . وفى الخصائص الكبرى ١ : ١٣٩ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٧٥ « منه » .

يابطحاء مكة ؛ اليوم يُرَدُّ عليك النورُ والدين والبهاء والكمال ، فقد أَمِنْتِ أن (١ تُخْذَلِي أو تَخْزَى١) أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

ويقال : إن حليمة رجعت بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مَرَّة أخرى إلى بلادها ، وكانت لا تدعه يذهب مكانا بعيدا ، ثم إنها ٥ خرجت يوما تطلبه فوجدته مع أخته [٢] فقالت : فى هذا الحَرِّ ؟! فقالت أخته : ياأمّاه . ما وجد أخى حَرًّا ؛ رأيتُ غمامة تظل عليه فإذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع . فأفزعها ذلك من أمره [٣] .

* * *

١٠ « السنة الخامسة من مولد النبى ﷺ »

فيها رَدَّت حليمة النبى ﷺ إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر ويقال : ابن أربع سنين — وقيل : سنتين وشهرا [٤] — فأضلها فى الناس فالتمسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب فقالت له : إنى قدمت بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلنى ، فوالله ما ١٥ أدرى أين هو . فقام عبد المطلب عند الكعبة فقال :

---

(١) الكلمتان ناقصتا الحروف فى ت ، وإتمامهما عن الخصائص الكبرى ١ : ١٣٩ . وفى م ، هـ « أن يخذلنى أو يخزينى » — تصحيف .

(٢) وفى م « مع إخوته » .

(٣) الاكتفاء ١ : ١٧٥ — والبداية والنهاية ٢ : ٢٧٥ — والخصائص الكبرى ٢٠ ١ : ١٤٦ . وسبل الهدى والرشاد ١ : ٤٧٤ — وشرح المواهب ١ : ١٤٨ .

(٤) وهذا القول على افتراض أن رده ﷺ كان قبل السنة الخامسة .

لاهم أدِّ راكبى محمدا أدِّهْ إلىّ واصطنع عندى يدا
أنت الذى جعلته لى عَضُدَا [لا(١)يُبعِدِ الدهرُ به فيُبْعَدَا
أنتَ الذى سمَّيتَه محمدا(١)]

فوجده ورقة بن نوفل بن أسد ورجلٌ آخر ، فأتيا به عبد المطلب فقالا : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فسألناه من هو فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فأتيناك به . فأخذه منهما وجعله على عاتقه وهو يطوف بالبيت ويقول :

أعيذه بالله بارئ النسم من كل من يسعى بساق وقدم
ومصعة(٢)الحجاج فى الشهرالأصم حتى أراه فى ذرى صعب أشم
ثم يكون أبِيًّا (٣) غير مهتضم

ويقال : إن حليمة قالت : حملتُ رسول الله ﷺ بين يَدَىّ أسيرُ حتى أتيت الباب الأعظم من أبواب مكة ، وعليه جماعةٌ ، فوضعته أقضى حاجة . وأصلح شأنى ، فسمعت(٤) هَدَّة شديدة فالتفت فلم أَرَه ، فقلتُ : معاشر الناس ، أين / الصبىّ ؟ قالوا : أى الصبيان ؟ قلت : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . الذى نضَّر الله به وجهى ، وأغنى عَيْلَتى ، وأشبع جَوْعَتى ، ربَّيتُه حتى إذا أدْرَكْتُ

(١) مابين الحاضرتين إضافة عن طبقات ابن سعد ١ : ١١٢ .
(٢) فى الأصول كلمة لا تقرأ والمثبت أقرب مايكون إليها رسما ، والمصعة التلاحم والتطاحن .
(٣) فى الأصول كلمة لا تقرأ وغير منقوطة ، والمثبت أقرب مايكون إليها رسما وبه يستقيم السياق .
(٤) فى الأصول « سمعت » والمثبت عن الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١٩ .

به سُرُورِى وأَمَلِى أتيتُ به أَرُدّه ، وأَخْرُج من أَمانتى ، فَٱخْتُلِسَ من بين يدّى من غير أن تمسّ قدميه الأرضُ ، واللات والعُزَّى لئن لم أره لأرمِيَن بنفسى من شاهق هذا الجبل ، ولأتقطَّعن إربا إربا . فقال الناس : لنراك غائبة عن الركبان ، معك محمد !! قلت : الساعة كان بين أيديكم . قالوا : ما رأينا شيئا . فلما آيسونى وضعتُ يدى على رأسى وقلتُ : وامحمداه واولداه . فأبكيت الجوار الأبكار لبكائى ، وضجّ الناس معى بالبكاء حُرْقَةً لى ، فإذا أنا بشيخ كالفانى ، متوكئا على عكاز له ، فقال لى : مالى أراك تبكين أيتها السعدية ؛ تبكين وتصيحين ؟ فقلت : فقدتُ ابنى محمدا . قال : لاتبكين ؛ أنا أدُلُّك على من يعلم علمه . وإن شاء أن يردّه عليك فعل . قلت : دُلّنى عليه . قال : الصنم الأعظم . قلت : ثكلتك أمّك ؛ كأنك لم تر مانزل باللات والعُزَّى فى الليلة التى ولد فيها محمد !! قال : إنك لتهذين ولا تدرين ماتقولين ، أنا أدخل عليه وأسأله أن يَرُدَّه عليك . فدخل ـــ وأنا أنظر ـــ فطاف بهبل أسبوعا(١) ، وقبّل رأسه ، ونادى : ياسيداه لم تزل مُنْعِماً على قريش ، وهذه السعدية تزعم أن محمدا قد ضَلّ ، فَٱنْكَبَّ هُبَلُ على وجهه ، وتساقطت الأصنام بعضها على بعض ، ونطقت ـــ أو نُطِقَ فيها ـــ فقالت : إليك عنا أيها الشيخ ؛ إنما هَلاكُنا على يدى محمد . فأقبل الشيخ وَلأَسْنَانه اصطكاك ، ولرُكْبَتَيْه ارْتِعاد ، وقد ألقى عكازه من بين يديه وهو

---

(١) الأسبوع فى الطواف : يعنى سبع مرات (المعجم الوسيط) وفى م «سبرعا» وهو بمعناه .

يبكى ويقول : ياحليمة لا تبكين فإنّ لابنك رَبًّا لايضيعه ، فاطلبيه على مَهَلٍ . وفى ذلك قال لسان الحال عن الشيخ : —

سألت هبالا أن يرد محمدا فخرَّ مع الأصنام للإسم سجدا
وكُبَّت على الأذقان من بعد ثبتها مشبكة بالآنُك الأرض سُرَّدا[1]
ونادى مناد[2] أيهاالشيخ فاستمع فقد أيس الشيطان أن يَتَعَبَّدا ٥
قبائل عُرْبٍ بالجزيرة كلها مدى الليلة الغرا لبدءٍ حُمَّدا[3]
ألم تر نار القوم من[4] ألف حجة يخامدها الحران أن تتوقدا
فما وقدت ألفا ولا تتوقد ومازادها الإطفاء إلا تبرّدا
٤٥ فويل إلى الأوثان[5] من كسرةٍ لها وويلٌ لها من حرّها[6] أن تخمدا/
فلا تأسفن على ذهاب محمد ولا تيأسى : فالله يكلأ أحمدا ١٠

قالت : فخِفْتُ أن يبلغ الخبر عبدَ المطلب قبلى ، فقصدتُ قصْدَه ، فلما نظر إلىّ قال : أسَعْدٌ نزل بك أم نحوس ؟ قلت :بل نحس الأكبر . ففهمها منى وقال : لعلّ ابنك قد ضلّ منك ؟ قلت : نعم ؛ بعضِ قريش اغتاله فقتله . فسَلّ عبدُ المطلب سيفه وغضب —

(١) فى الأصول « مشبكة بالآنك بالأرض شددا » ولعل الصواب ماذكرناه . ١٥
وسُرَّد : تعنى مثقبة مخرزة . والآنك الرصاص أو القزدير .
(٢) فى م ، هـ « وناداه ناد » والمثبت من ت .
(٣) فى الأصول « محمدا » ولعل الصواب ماذكرناه .
(٤) فى الأصول « بعد ألف » والمثبت يستقيم به الوزن .
(٥) فى ت « إلى الأصنام » . ٢٠
(٦) بياض فى ت . وفى م ، هـ « حر نار تخمدا » . ولم يرد هذا الشعر ضمن الخبر فى دلائل النبوة ١ : ١١٦ الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١٩ والزهر الباسم لوحة ١٤٤ — ١٤٦ .

وكان إذا غضب لم يثبت له أحدٌ من شَرِّ غضبه ــ فنادى بأعلى صوته : يابَسيل (١) ــ وكانت دعوتهم فى الجاهلية ــ فأجابته قريش بأجمعها ؛ فقالت : ما قَضِيّتك (٢) يا أبا الحارث ؟ فقال : فقد ابنى محمد . فقالت قريش : اِركب نَرْكَبْ معك ؛ فإن شققت جبلا شققناه معك ، وإن خضت بحراً خضناه معك . فركب ورَكِبَت معه قريشٌ ، فأخذ على أعلى مكة ، وانحدر على أسفلها ، فلما أن لم ير شيئا تَرَكَ الناس ، واتشح بثوب وارتدى بآخر ، وأقبل إلى البيت الحرام فطاف أسبوعا ثم أنشأ يقول :ــ

يارَبِّ إنّ محمدا لم يُوجَد فجمعُ قومى كلِّها مُبَدَّد

فسمعنا مناديا ينادى من جَوِّ الهواء : معاشر القوم لاتضجوا فإن لمحمد رَبًّا لايَخْذُله ولا يُضَيِّعه . فقال عبد المطلب : أيها الهاتف ، مَنْ لنا به ؟ قال : بوادى تهامة ، عند الشجرة اليُمْنَى . فأقبل عبد المطلب راكبا ، فلما صار فى بعض الطريق تَلَقَّاه ورقةُ بن نَوْفَل ، فصارا بسيران ، فبينما هما كذلك إذا النبى ﷺ قائمٌ تحت شجرة يَجْذِبُ أغصانها ، ويعبث بالورق ، فقال عبد المطلب : من أنت ياغلام ؟ فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . قال عبد المطلب : فَدَتْكَ نفسى ، وأنا جَدُّك عبدُ المطلب . ثم احتمله وعانقه ولثمه ، وضمّه إلى صدره وجعل يبكى ، ثم حمله على قَرَبُوس سَرْجه

---

(١) كذا فى م ، ت ، والزهر الباسم لوحة ١٤٥ . وفى هـ « يابسل » وفى دلائل النبوة ١ : ١١٦ « ياسيل » .

(٢) كذا فى ت ، هـ . وفى م ودلائل النبوة ١ : ١١٦ « ماقصتك » .

وردَّه إلى مكة ، فاطمأنت قريش ، فلما اطمأن الناس نَحَرَ عبدُ المطلب عشرين جَزُورا ، وذَبَح الشاءَ والبَقَر وجعله طعاما ، وأطعم أهل مكة (١) .

قالت حليمة : وحدثت عبد المطلب بحديثه كله ، فضَمّه إلى صدره وبكى وقال : ياحليمة ، إن لابنى شأنا ، وَدِدْتُ أنى أدرك ذلك الزمان . (٢ قالت حليمة : ثم جهزنى عبد المطلب بأحسن الجهاز وصرفنى ، فانصرفت إلى منزلى وأنا بكل خير دنيا ، لا أحسن وصف كُنْه خيرى ، وصار محمد عند جده ٢) .

وفيها قدم كاهنٌ مكّة بعد أن قدم النبى ﷺ مع ظئره ، فنظر إليه الكاهن — مع عبد المطلب — فقال : معشر قريش ، اقتلواهذا الصبىّ ؛ فإنه يُفَرِّقكُم ويَقْتُلُكُم . فهرب به عبد المطلب ، فلم تزل قريش تخشى من أمْرِهِ ماكان الكاهن حَذَّرَهم (٣) .

* * *

٤٦ « السنة السادسة من مولد النبى ﷺ / »

فيها — ويقال فى السنة التى بعدها — خرجت آمنة بنت وهب إلى المدينة الشريفة على بعيرين تزور أخوال عبد الله بن عبد

(١) دلائل النبوة ١ : ١١٥ ، ١١٦ .
(٢) مابين الرقمين سقط فى ت ، هـ . والمثبت من م ودلائل النبوة ١ : ١١٦ ، ١١٧ .
(٣) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١٦ ، ١١٧ .

المطلب بنى النجار — ويقال : تزور قبر زوجها عبد الله ، كما كانت تزوره — ومعها النبى ﷺ ودابته وحاضنته أم أيمن بركة الحبشية — كان ورثها النبى ﷺ من أبيه — ويقال : كان معهم عبد المطلب ، وقيل : إن عبد المطلب زار أخواله من بنى النجار وحمل معه آمنة ، ٥ فنزلت فى دار النابغة من بنى عَدِىّ بن النجار ، فأقامت عندهم شهرا ، فكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون [١] إلى النبى ﷺ .

قالت أم أيمن : أتانى رجلان من اليهود يوما نصف النهار بالمدينة ، فقالا : أخرجى لنا أحمد . فأخرجتُه فنظرا إليه وقَلَّبَاه مليا حتى إنهما لينظران إلى سوأته ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هذا نبى ١٠ هذه الأمة ، وهذه دار هجرته ، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسَّبْيِ أمرٌ عظيم . فوعيت ذلك كُلَّه من كلامهما ثم رجعت[٢] .

وقال النبى ﷺ : نظرت إلى رجلٍ من يهود يختلف إلىّ ينظر إلىّ ثم ينصرف عنى ، فلقينى يوما خاليا فقال : ياغلام مااسمك ؟ قلت : محمد ، ونظر إلى [ظهرى][٣] فأسمعه يقول : هذا نبى هذه الأمة ، ثم ١٥ راح إلى أخوالى فخبَّرَهُم الخبرَ ، فأخبرُوا أمى ، فخافت علىّ وخرجت من المدينة .

---

(١) كذا فى م ، هـ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١٧ ، والخصائص الكبرى ١ : ١٩٦ وفى ت « فينظرون » .

(٢) الخصائص الكبرى ١ : ١٩٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٦٤ .

٢٠ (٣) الإضافة عن الخصائص الكبرى ١ : ١٩٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٦٤ .

ثم رجعت آمنة إلى مكة ، فلما كانت بالفُرْع بقرية منه يقال لها الأبواء ماتت ، فدفنت هناك ـــ ويقال : ماتت بمكة ، ودفنت فى شِعْب أبى ذئب الخزاعى ؛ من سُرَاة بنى عمرو بالحَجُون ، وقيل : فى دار رابعة(١) بالمعلاة بثَنِيَّة أذاخر ـــ والأول أصح .

ولما احتضرت كان النبى ﷺ عند رأسها ، فأغمى عليها ثم أفاقت ، فنظرت إلى وجهه ثم قالت :ـــ

بارك الله فيك من غلام ... يابن الذى من حَوْمَةِ الحمام
نجا بعون الملك المِنْعَام ... فُودِى غداةَ الضَّرْبِ بالسهام
بمائة من إبل سوام ... إن صحّ ما أبصرتُ فى المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذى الجلال والإكرام
تبعث فى الحِلِّ والحَرَامِ ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البَرِّ إبراهام ... فالله يَنْهَاك عن الأصنام /
ألاّ تواتيها (٢) مع الأقوام

ثم أقبلت فقالت : كل حَىّ ميّت ، وكل جديد بال ، وكل كثير(٣) يفنى ، وأنامَيِّتة وذِكْرِى باق ، وقد تركت خيرا ، وولدت طُهرا . ثم ماتت ، فكنا نسمع نوح الجن عليها ؛ فحفظنا من ذلك :ـــ

(١) وفى شرح المواهب ١ : ١٦٣ « رائعة » من روع .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الخصائص الكبرى ١ : ١٩٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٦٥ ، وشرح المواهب ١ : ١٦٥ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٣٩ « تواليها » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى المراجع السابقة « كبير » .

نبكى الفتاة البرة الأمية   ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة   أم نبىّ الله ذى السكينة
وصاحب المِنْبَرِ بالمدينة   صارت لدى حُفْرَتِها رَهِينَة
لو فوديت لفوديت ثمينة[1]   وللمنايا شفرة سنينة
لا تبق ظَعَّانا ولا ظعينة   إلا أتت وقَطَّعَت وَتِينَه
أما هلكت أيها الحزينة   عن الذى ذوالعرش يعلى دينه
فكلنا والهة حزينة   نبكيك للعطلة أو للزينة
وللضعيفات وللمسكينة

فحملته حاضنته أم أيمن ، وقدمت به مكة بعد وفاة أمه بخمسة أيام ، وله ﷺ ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام — ويقال : وعمره أربع سنين ، وقيل : ثمانية أعوام — والأول أثبت .

فكفله جَدُّه عبد المطلب ، فكان يرى من نَشْوِه مايسره ، فأدناه منه وقرّبه ، وقدّمه على ولده بحيث إنه كان يدخل عليه فى خلوته وإذا نام ، وكان عبد المطلب إذا نام أو خلا لايدخل عليه أحدٌ إعظاماً له ، وكان لعبد المطلب مجلس لايجلس عليه غيره ، وكان يُفْرَشُ له فى ظل الكعبة فى الحجر فراشٌ لايجلس عليه أحد غيره ، ولا يجلس عليه معه أحد إجلالا له ، ويأتى بنو عبد المطلب فيجلسون حول الفراش إلى أن يخرج ، فإذا خرج قاموا على رأسه مع عبيده إجلالاله ، وكان الندىّ من قريش — حرب بن أمية فمن دونه — يجلسون دون الفراش

(١) كذا فى م ، هـ ، وسبل الهدى ٢ : ١٦٥ ، وشرح المواهب ١ : ١٦٦ . وفى ت « لو نوديت نوديت يمينة »

إجلالا لعبد المطلب ، ويأتى النبىُّ ﷺ حتى يَرْقَى على الفراش فيجلس عليه ، فيقول له أعمامه : مهلا يامحمد عن فراش أبيك . ويؤخرونه ، فيقول عبد المطلب ، إذا رأى ذلك : دعوا ابنى ، ماتريدون منه ؟ دعوه فإن له لشأنا ، وإنه ليحس من نفسه بخير ، وإنه لَيُؤْنِس ٤٨ مُلْكا ــ أو إن ابنى ليحدث نفسه / بذلك ــ ويُقَبِّل رأسه وفمه ، ٥ ويمسح على ظهره ، ويُسَرُّ بكلامه ومايرى منه [١] .

وجاء النبى ﷺ يوما فجلس على الفراش فجبذه رجل فبكى ، فقال عبد المطلب : ما لابنى ؟ قالوا له : أراد أن يجلس على الفراش فمنعوه . فقال : دعوا ابنى يجلس عليه ؛ فإنه يحس من نفسه بشىء ، وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه غيره [٢] . ١٠

وكان عبد المطلب يشفق على النبى ﷺ ، ويعلى قَدْرَه ، ويقول : إن لابنى هذا لشأنا .

وكان عبد المطلب إذا أُتِى بالطعام أجلس رسول الله ﷺ إلى جانبه وتارة على فخذه ، ويؤثره بأطيب طعامه ؛ لِبِرِّه له ورقته عليه . وإذا أُتِىَ بطعام ورسول الله ﷺ غائب لايمسّه حتى يؤتى به [٣] . ١٥

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١١٨ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١١٩ ، ١٢٠ ، والاكتفاء ١ : ١٧٦ ، ١٧٧ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٠١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٧٦ ، وشرح المواهب ١ : ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢) تاريخ الإسلام ٢ : ٢٥ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٠١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٧٥ ، ١٧٦ . ٢٠

(٣) سبل الهدى والرشاد ٢ : ١٧٦ .

وضلت لعبد المطلب إبل ، فأرسل النبيَّ ﷺ فى طلبها ــ وكان لم يُبْعَث فى حاجة قط إلا نجح فيها ــ وأبطأ عليه فطاف بالبيت وهو يقول :

رب رُدُّ إلـيَّ راكبى محمـدا يارب رُدّهْ واصطنع عندى يدا[١]

٥ فلما رجع رسول الله ﷺ ومعه الإبل قال عبد المطلب : يا بُنى لقد جزعتُ عليك جَزَعا لم أجزعه على شيء قط ، والله لا بَعَثْتُكَ فى حاجة أبدا ، ولا تفارقنى بَعْدُ أبدا حتى أموت [٢] .

وقال قوم من بنى مُدلج[٣] لعبد المطلب : احتفظ به ، فإنا لم نر قدما أشبه بالقدم الذى فى المقام منه . فقال عبد المطلب لأبى ١٠ طالب : إسمع مايقول هؤلاء . فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأم أيمن : يابركة لاتغفلى عن ابنى فإنى وجدتُه مع غلمان قريبا من السِّدْرَة ، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابنى نبيٌّ هذه الأمة [٤] .

* * *

« السنة السابعة من مولد النبى ﷺ »

١٥ فيها أصاب النبى ﷺ رمدٌ شديد ، فعولج بمكة فلم يُغْنِ

---

(١) كذا فى تاريخ الإسلام ٢ : ٢٣ . وقد ورد الشطر الثانى فى الأصول بزيادات لا يقرها الوزن

(٢) دلائل النبوة ١ : ١٢٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٧٧ .

(٣) بنو مدلج : بطن من كنانة من بنى عبد مناة ، وكانوا مشهورين بالقيانة .

٢٠ (هامش الخصائص الكبرى ١ : ٢٠١)

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١١٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٤٠ .

عنه ؛ فقيل لعبد المطلب : إن فى ناحية عكُاظ راهباً يعالج الأعين . فركب إليه وناداه ــ ودَيْرُه مغلق ــ فلم يُجِبْه . فتزلزل به دَيْرُه حتى خاف أن يسقط عليه ، فخرج مبادرا ، فقال : ياعبد المطلب ، إن هذا الغلام نبىّ هذه الأمة ، ولو لم أخرج إليك لخرّ علىّ دَيْرِى ، فارجع به واحفظوه لا يغتاله بعضُ أهل الكتاب . ثم عالجه وأعطاه / ما يعالج به [١] .

وألقى الله تعالى للنبى ﷺ المحبةَ فى قلوب قومه . وكل من يراه من الخلق [١] .

وفيها ــ أو فى التى قبلها أو التى بعدها ــ خرج عبد المطلب برسول الله ﷺ يستسقون ، قالت رُقَيقة[٢] بنت أبى صيفى عمرو ابن هاشم بن عبد مناف ــ وكانت لِدَة عبد المطلب : تتابعت على قريش سنون جدبة أنحلت[٣] الضرع والجلد ، وأدَقَّت العظم ؛ فبينا أنا ومعى صنوى[٤] أصغر منى معنا بهمات لنا وربا[٥] وأعبد يَرُدُّون علىّ السِّجْف ، فبينا أنا راقدة ــ اللهم ــ أو مهوّمة إذا أنا بهاتف صيِّت

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٠١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٨٢ .

(٢) كذا فى م ، هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٣٠٠ ، والخصائص الكبرى ١ : ١٩٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٧٨ ، وفى ت « رقية » .

(٣) كذا فى م ، هـ . وفى ت « أذهبت » . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ١٧٨ ، والخصائص الكبرى ١ : ١٩٨ « أقحلت » .

(٤) وفى منال الطالب لابن الأثير ١ : ٢٠١ « صبوتى » بمعنى الأولاد الصغار .

(٥) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ١ : ٣٠٠ ، ولعلها « رباً » بمعنى المجموع من كل طعام ، أو «ربايا» جمع «ربئ وربيئة» للطليعة الذى يرقب العدو من مكان عال لئلا يدهم قومه . (المعجم الوسيط) ولم يرد هذا اللفظ فى رواية منال الطالب ١ : ٢٠١ .

يصرخ بصوت صَحِل اقشعرَّ له جِلْدِى ، يقول : يامعشر قريش ، إن هذا النبى المبعوث منكم قد أظلتكم أيّامه ، وهذا إبَّان نجومه ، فحى هلا بالحيا والخِصْب ، ألا فانظروا فيكم رجلا وسيطا طوالا عُظَاما جُسَاما ، أبيض بضًّا ، أشم العَرْنِين [١] ، أوْطَف الأهداب ، سهل الخدين ، له فخر يكظم عليه ، وسنه [٢] يهدى إليه ، ألاَ فليخلص هو وولده ، وليُدْلِف إليه من كل بطن رجلٌ ، ألا فَلْيَشِنُّوا [٣] من الماء ، وليَمَسّوا من الطيب ، ثم ليستلموا الركن ، وليطوفوا بالبيت العتيق سبعا ، ثم ليرقوا أبا قُبَيْس ، ألا وفيهم الطيّب الطاهر لذاته ، ألا فليستسق الرجلُ وليُؤَمِّن القوم ؛ ألا فغثْتُم ــ إذًا ــ ماشئتم وعشتم . فأصبحت ــ علم الله ــ مَفْئودَة مذعورة ، قد قَفّ جلدى ووله عقلى . فاقتصصت رؤيايَ ، ونمَّت فى شعاب مكة ، فو الحُرْمَةِ والحرم إن بقى بها أبطحى إلاّ قال : هذا شَيْبَةُ الحمد هذا شَيْبَة . وتتامت عنده رجالات قريش ، وانفضّ إليه من كل بطن رجلٌ فشَنُّوا وطيّبوا ومَسّوا واستلموا وطافوا ، ثم ارتقوا أبا قُبَيس ، وطَفِق القوم يَدِفّون حوله . ما إن يدرك سعيهم مهلة حتى قَرّوا بذِرْوَةِ الجبل ، واستكَفّوا جنائبه . فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا فرفعه

---

(١) العرنين : ماصلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم . (المعجم الوسيط) .

(٢) كذا فى الأصول ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٢١ ، وفى دلائل النبوة ١ : ٣٠١ ، ومنال الطالب ١ : ٢٠١ ، والخصائص الكبرى ١ : ١٩٨ « وسنة » . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ١٧٨ « وسنة يهتدى إليها » .

(٣) فليشنوا من الماء : أى يغتسلوا به . (سبل الهدى والرشاد ٢ : ١٨٠)

على عاتقه ــ وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب ــ ثم رفع يديه فقال : اللهم سادَّ الخَلَّة ، وكاشفَ الكُرْبة ، أنت عالم غير معلَّم ، ومسئول غير مبخَّل ، وهذه ــ اللهم ــ عِبِدَّاؤك وإماؤك بعذرات حَرَمِك يشكون إليه سِنِيهِم التى هلكت فيها الظلف والخف ، فآسْمَعَنّ اللَّهم ، وأمطر علينا غَيْثاً مَرِيعاً مغدقا . فورب الرب ماراموا ٥
٥٠ حِتى تفجَّرَت السماءُ ماءً يهوى بالوادى بثَجِيجه ، فلقد سمعتُ / شِيخَانَ قُرَيْش وجِلَّتها : عبدَ الله بن جُدْعَان ، وحربَ بن أمية ، وهشامَ بن المغيرة يقولون لعبدِ المطلب : هنيئاً لك أَبَا البطحاء . أى عاش بك [١] أهل البطحاء[١] وفى ذلك تقول رُقَيْقَة :ــ

بشيبةِ الحمد أسْقَى الله بلدتنا لَمّا فقدنا الحَيَا واجلوَّذَا المطرُ ١٠
فجاد بالماء جوفىٌّ له سبَلٌ سَحًّافعاشت به الأنعام والشجر
مَنًّا من الله بالميمون طائِرُه وخيرِ من بُشِّرَت يوما به مضر
مبارك الوجه يُستَسْقَى الغمام به مافى الأنام له عِدْلٌ ولا خطر[٢]

* * *

« السنة الثامنة من مولد النبى ﷺ » ١٥

فيها ــ وقيل : فى السنة التاسعة ، ويقال : فى العاشرة ، وقيل : فى السادسة ، ويقال : فى الثالثة ؛ وفيه نظر . والأوّل أثبت ــ مات

(١) سقط فى ت ، هـ .
(٢) دلائل النبوة ١ : ٣٠٠ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٢٠ ، وعيون الأثر ١ : ٣٩ ، والخصائص الكبرى ١ : ١٩٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٧٨ . ٢٠

عبد المطلب بن هاشم ، وعُمْرُه مائة وعشرون سنة ــ ويقال : مائة وإحدى وعشرون سنة ، وقيل : خمسة وتسعون سنة ، ويقال : اثنتان وثمانون سنة ، وقيل : إنه بلغ مائة وأربعين سنة [١] ــ ولما حضَرَهُ الموت أوصى ولدَه أبا طالب ــ واسمه عبد مناف ــ شقيق عبد الله
٥ بحفظِ رسول الله ﷺ وحياطَتِهِ وقال :ــ

أُوصِيكَ ياعبد مناف بعدى   بموتم [٢] بعد أبيه فرد
فارَقَهُ وهو ضجيع المهد   فكنتُ كالأم له فى الوجد

وذكر أبياتا أخر وقال فيهن :ــ

بل أحمد رجوته للرشد   قد علمت علام أهل العهد
١٠ أن الفتى سيد أهل نجد   يعلوعلى ذى البدن الأشد[٣]

وقال أيضا :ــ

أوْصَيْتُ من كُنْيَتُه بطالب   عبد مناف وهو ذو تجارب
أن الذى قد غاب غير آيب

وذكر أبياتا أخر وقال فيهن :

١٥ فلست بالآيس غير الرائب   بأن يُحِقّ الله قولَ الراهب
فيه وأن يَفْضُلَ آل غالب   إنى سمعت أعجبَ العجائب
من كل حَبْرٍ عالم وكاتب   هذا الذى يقتاد كالجنائب / ٥١

(١) وانظر فى تقدير سنّ عبد المطلب عند وفاته شرح المواهب ١ : ١٨٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٥٣ .
٢٠ (٢) كذا فى ت ، هـ . وفى م ، ودلائل النبوة ١ : ٣٠٧ « بموحد » .
(٣) دلائل النبوة ١ : ٣٠٧ .

مَنْ حَلّ بالأبطح والأخاشب أيضا ومن ثاب إلى المثاوب
من ساكن للحرم أو مجانب [(١)]

وسبب وصية عبد المطلب إلى أبي طالب أنّ قوما من بني مُدْلِج قالوا لعبد المطلب : احتفظ بابنك هذا ـــ يعنون رسول الله ﷺ ـــ فإنه لم نر قدما أشْبَه بالقدم التى فى المقام منه . فقال لأبى ٥ طالب : اسمع مايقول هؤلاء . وكان أبو طالب يحتفظ بالنبىّ ﷺ ، فلما احتضر عبد المطلب أَوْصَى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته .

ويقال : إن عبد المطلب جمع بنيه وأوصاهم برسول الله ﷺ ، فاقترع الزبير وأبو طالب أيهما يعقله ؛ لأنهما كانا أخوى عبد الله لأم ١٠ واحدة ، فأصابت القرعةُ أبا طالب ، فأخذه إليه . وقيل : بل اختاره رسولُ الله ﷺ عَلَى الزبير ، وكان ألطف عميه به . ويقال : كفله الزُّبَير حتى مات ، ثم كفله أبو طالب بعده ـــ وهذا غَلَطٌ ؛ لأن الزبير بن عبد المطلب شهد حِلف الفضول ولرسول الله ﷺ نيّف وعشرون سنَة ، ولا يختلف أهل العلم والآثار فى شخوص رسول الله ١٥ ﷺ إلى الشام مع عمه أبى طالب بعد موت عبد المطلب بأقل من خمس سنين[(٢)] .

ولما حضرت عبدَ المطلب الوفاةُ جمعَ بناته وقال لهن : ابكين

(١) دلائل النبوة ١ : ٣٠٧ .

(٢) وانظر السيرة الحلبية ١ : ١٨٥ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٥٣ . ٢٠

علىّ حتى أسمع ماتَقُلْنَ من بعد موتى (١) : فقالت صفيّة من قصيدة :

أرقَتُ لصوت نائحةٍ بلَيْل على رجُلٍ بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكمُ دموعى على خَدِّى كمنحدر الفريد
٥ على رجل كريم غير وَغْل له الفضل المُبين على العبيد
على الفَيّاض شَيْبَةَ ذى المعالى أبيك الخير وارث كل جود
عظيم الحلم من نَفَرٍ كريم خضارمة ملاوثة(٢) أسود(٣)

وقالت عاتكة من قصيدة :

أعينىَّ جودا ولا تبخلا بدمعكا بعد نوم النيام
١٠ على الجحفل الغمر فى النائبات كريم المساعى وفىّ الذمام
على شيبة الحمد وَارِى الزِّنَاد وذى مَصْدَق بعدُثَبْتِ المقام(٤)

وقالت أم حكيم :—

ألا ياعين جودى واستهلى وبَكِّى ذا الندى والمكرمات / ٥٢
ألا ياعين ويحك أَسْعِفِينى بدمع من دموعك هاطلات

١٥ (١) وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١١٠ « قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن سعيد بن المسيب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته وكن ست نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى . فقال لهن : ابكين على حتى أسمع ماتقلن قبل أن أموت . قال ابن هشام : ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه .

٢٠ (٢) ملاوثة : جمع ملوات من اللوثة وهى القوة . (الروض الأنف ١ : ١٩٦) .

(٣) اضطرب رسم كثير من ألفاظ هذه الأبيات فى ت ، هـ ، والمثبت من م وهو يوافق مافى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١١٠ .

(٤) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١١١ بأطول مما هنا .

وبَكِّى خير من ركب المطايا أباك الخير تيار الفرات
طويل الباع شيبة ذا المعالى كريم الخِيمِ[1] محمود الهبات

وقالت أميمة :ـــ

ألا هلك الراعى العشيرة ذوالرفد وساقى الحجيج والمحامى عن المجد
ومن يُؤْلف الضيفَ الغريب بُيوتَه إذا ماسماء الناس تبخل[2] بالرعد ٥
كسبتَ وليداخيرمايكسب الفتى فلم تنفكِك تزداد ياشيبة الحمد
فقد كنتَ زَيْنًا للعشيرة كلها وكنت حميداحيث ماكان من حمد[3]

وقالت أروى :ـــ

بكت عينى وحقّ لها البكاء على سَمْح سجيته الحياء
على سهل الخليفة أبطحىّ كريم الخِيم نيّته العلاء ١٠
على الفيّاض شيبة ذى المعالى أبيك الخير ليس له كِفاء
مضى قُدُمابذى[4]رُبَد خَشيب عليه حين تبصره البهاء

فقال عبد المطلب : هكذا فابكين . ويقال : إن أميمة أنشدت غير ذلك وهو :ـــ

أعينى جودا بدمع درر على طيّب الخِيمِ والمعتصر ١٥

---

(١) الخيم : الأصل . (المعجم الوسيط) وانظر الشعر بأطول من هذا فى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١١١ .

(٢) فى الأصول « أبخل » والمثبت عن المرجع السابق ١ : ١١٢ .

(٣) وانظر الشعر بأطول من هذا فى المرجع السابق ١ : ١١٢ .

(٤) ذوربد : أى سيف ذو طرائق ، والربد الطرائق . (الروض الأنف ١ : ١٩٨) ٢٠ وانظر الشعر بأطول من هذا فى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١١٢ .

على ماجد الجدّ وارى الزناد جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات وذ المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات كثير المكارم جم الفخر
له فضل مجد على قومه منير[١] يلوح كضوء القمر
٥ أتته المنايا فلم تُشْوِهِ بصرف الليالى وريب القدر[٢]

ولمامات عبد المطلب جززن نساءُ بنى عبد مناف الشعور ، وقالت رُقَيْقَة بنت أبى صيفى بن هاشم لولدها مَخْرَمه بن نَوْفَل : شُقّ قميصك عَلَى خالك ، لمن تستبقيه بعده ؟!

وكان النبى ﷺ يبكى خلف سريره حتى دفن بالحجون [٣] ، ١٠ ولم يُبْكَ أحدٌ مابُكِيَ عبد المطلب بعد موته ، ولم يقم بمكة سوق بعد موته أياما كثيرة [٤] .

ولما توفى عبد المطلب ضم أبو طالب النبيَّ ﷺ / إليه وحاطه ٥٣ أتَمّ حياطة ، ورقّ عليه ، وأحبه حبا شديدا لايحبه ولده ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه ، وصَبّ به أبو طالب صَبَابَةً لم ١٥ يَصَبّ مثلها بشىء قط . وقد كان يخصه بالطعام ، وكان أبو طالب لا

---

(١) كذا فى م . وفى ت ، هـ « ومنه يلوح » . وفى طبقات ابن سعد ١ : ١١٨ « مبين يلوح »

(٢) نسب ابن هشام هذه القصيدة لبرة بنت عبد المطلب . (سيرة النبى لابن هشام ١ : ١١٠ ، ١١١)

٢٠ (٣) طبقات ابن سعد ١ : ١١٩ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٣١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٨٣ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٨٤ .

(٤) السيرة الحلبية ١ : ١٨٦ .

مال له (١) ، وكان له قطعة من إبل بعُرَنَة فيبتدر إليها فيكون فيها ، ويؤتى بلبنها إذا كان حاضرا بمكة .

وكان أبو طالب يُقَرِّبُ إلى أولاده تَصْبِيحَهم (٢) أوّل البُكْرَة فيجلسون وينْتَهِبُون ، ويَكُفُّ رسول الله ﷺ يَدَه لا يَنْتَهِب معهم ؛ فلما رأى ذلك أبو طالب عَزَلَ له طعامَه على حِدَة . ٥

وكان النبى ﷺ يصبح فى أكثر أيامه فيأتى زَمْزَم فيشرب منها شربة ، فربما عرض عليه الغداء فيقول : لا أريده ؛ أنا شبعان (٣) .

وكان إذا أكل عيالُ أبى طالب جميعا أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا . وكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول : كما أنتم حتى يحضر ابنى . فيأتى رسول الله ﷺ ١٠ فيأكل معهم فيُفْضِلُون من طعامهم ، وإن كان لبنا شرب رسول الله ﷺ أوّلهم ، ثم يتناول العيال القَعْبَ يشربون منه ، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد — وإن كان أحدهم لَيَشْرَبُ قَعْبًا وحده — فيقول أبو طالب : إنك لمبارك (٤) .

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١١٩ . ١٥

(٢) فى الأصول ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٠٥ « بصحفهم » والتصويب عن الإمتاع ١ : ٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٨٤ .

(٣) الإمتاع ١ : ٨ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٠٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٨٤ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٨٩ .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٢٠ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٣١ ، والإمتاع ١ : ٧ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٠٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٨٩ . وتاريخ الخميس ١ : ٢٥٤ . ٢٠

وكان أولاد أبى طالب يصبحون رُمْصاً غُمْصًا عُمْشًا شُعْثًا ، ويصبح رسولُ الله ﷺ صَقِيلاً دَهِينًا كَحِيلاً .

وكان أبو طالب يُلْقَى له وسادةٌ يقعد عليها ، فجاء النبى ﷺ يوما فقعد عليها ، فقال أبو طالب : والذى يُعْبَد إن ابنى ليحس بنعيم [(١)]

٥ * * *

« السنة التاسعة من مولد النبى ﷺ »

فيها خرج أبو طالب إلى بُصْرَى — على أحد الأقوال — ومعه النبىّ ﷺ . ويقال : إن ذلك فى سنة اثنتى عشرة ، أو ثلاث عشرة ، وسيأتى ذلك بتفصيله فى سنة ثلاث عشرة .

١٠ * * *

« السنة العاشرة من مولد النبى ﷺ »

فيها كان الفِجَارُ الأوّل ، وكانت الحروب فيه ثلاثة أيام ، وكان أول أمر الفِجَار أنّ بَدْر بن معشر [(٢)] الغفارى ، وكان منيعا مستطيلا بمنعته على من ورد عُكَاظ ، فاتخذ مجلسا بسوق عَكَاظ وقعد فيه ، ١٥ وجعل يَبْذَخ[(٣)] على الناس ويقول :

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٢٠ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٣١ .

(٢) كذا فى م ومروج الذهب ٢ : ٢٧٧ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٣٤ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠٧ . وفى ت ، هـ « ابن مضر » ، وفى تاريخ الخميس ١ : ٢٥٥ « ابن مغيث » وفى شفاء الغرام ٢ : ٩٧ « أبو معشر »

٢٠ (٣) يبذخ : يفتخر ويتعالى فى فخره ، أو يتكبر . (المعجم الوسيط)

٥٤ نحن بنو مدركة بن خِنْدِف   من يطعن فى عينه لايطرف /

وهو باسط رجله ويقول : أنا أَعزّ العرب ، فمن زعم أنه أَعَزّ العرب فليضربها بالسيف . فوثب رجلٌ من بنى نصر بن معاوية ، يقال له الأحمر بن مازن ، فضربه بالسيف على ركبته فأندرها ، ثم قال : —

* خذها إليك أيها المخندف * ٥

ثم قام رجل من هوازن فقال :—

نحن ضربنا رُكْبَةَ المخندف   إذ مَدَّها فى أشهر المعرف

فتحاور الناس عند ذلك حتى كاد يكون بينهم قتال ، ثم تراجع الناس ورأوا أنه لم يكن كبير .

١٠ ثم كان اليوم الثانى من الفِجَار الأول ، وسببه أن شبابا من قريش من بنى كنانة رأوا امرأةً من بنى عامر وَسِيَمةً وضيئةً ، عليها بُرْقُع ، وهى فى درع فضل — وكذلك كنّ نساء العرب يفعلن — وهى جالسة فى سوق عكاظ ، فأعجبهم مارأوا من حسن هيئتها ، فأطافوا بها وقالوا لها : يا أمة الله أسْفِرِى لنا عن وجهك ننظر إليك .
١٥ فأبت عليهم ، فقام غلام منهم عارم فجلس خلفها . وحلّ طرف درعها ، وشده إلى مافوق عجزها بشوكة — والمرأة لاتدرى — فلما قامت انكشف درعها عن دُبُرِها ، فضحكوا وقالوا : منعتينا النظر إلى وجهك وجُدْتِ لنا بالنظر إلى دُبُرِك !! ويقال : قالوا : منعتينا النظر إلى وجهك فقد نظرنا إلى دُبُرِك ، فنادت المرأة : ياآل عامر فُضِحْتُ .
٢٠ فثاروا بالسلاح ، وحملت كنانةُ واقتتلوا قتالا شديدا ، ووقعت بينهم

دماء ، فتوسَّطَها حربُ بن أميّة ، وأرضى بنى عامر مُثْلَةَ صاحبتهم — ويقال : فتحاور الناس ثم تَرَادُّوا ورأوا أن الأمر دون [١] .

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفِجَار الأوّل . وكان سببه أنه كان لرجل من بنى جُشَم بن بكر دَيْنٌ على رجل من بنى كنانة ٥ فَلَواه ، فجرت بينهما خصومة ، واجتمع الحيّان [٢] فاقتتلوا ، وحمل ابن جُدْعان ذلك من ماله .

وكان أبو طالب يحضر أيّام الفِجَار ومعه رسول الله ﷺ وهو غلام ، فإذا جاء هُزِمَت قَيْس ، وإذا لم يجئ هزمت كِنَانَة ، فقالوا : لا أبالك ، لا تغب عنا . ففعل [٣] .

١٠ * * *

« السنة الحادية عشرة من مولد النبى ﷺ »

فيها نزل المَلَكُ فأضجعَ النبىّ ﷺ وفلَق صدره وأخرج منه الغِلّ والحسد . قال أبو هريرة : سألت رسول الله ﷺ : ما أوّل ما رأيت من أمرِ النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال : لقد ١٥ سألتَ / يا أباهريرة ، إنى لفى صحراء — ويقال ببعض بطحاء — مكة ٥٥

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٣٥ ، وشفاء الغرام ٢ : ٩٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ .

(٢) كذا فى م ، هـ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٣٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ . وفى ت « الناس » .

٢٠ (٣) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٣٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠٨ .

ابن عشر سنين وأشهر (١) وإذا بكلام فوق رأسى ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ قال : نعم . فاستقبلانى بوجوه لم أرها بِخَلْقٍ قط ، وأرواح لم أجدها فى خَلْقٍ قط ، وثياب لم أرها على أحدٍ قط ، وأقبلا إلىّ يمشيان حتى إذا أخذ كل واحد منهما بعضدى لا أجد لأحدهما مَسًّا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعه . فأصجعنى بلا قصر ولا هصر (٢) — ويقال فصلقانى (٣) بحلاوة القفا(٤) — ثم شقا بطنى ، وكان جبريل يختلف بالماء فى طست من ذهب وميكائيل يغسل جوفى ، فقال أحدهما لصاحبه : اِفلق صدره . فخدنى أحدهما إلى صدرى ففلقه — فيما أرى — بلا دم ولا وجع ، ثم قال : اشقق قلبه . فشق قلبى ، فقال له : أخرج الغِلّ والحسد . فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها ، ثم قال له : أدخل الرأفة والرحمة . فإذا مِثْل الذى أخرج شبه الفضة ، ثم أخرج ذَرُوراً كان معه فَذَرّ عليه ، ثم هزّ إبهام رجلى اليمنى ، ثم قال : اغدُوَاْسْلم . فرجعت بها أغدو(٥) رِقّةً على الصغير ورحمة على الكبير .

* * *

(١) زادت ت « وأنا غلام » .

(٢) بلا قصر ولا هصر : أى بلا إرخاء ولا ثنى ظهر . (سبل الهدى والرشاد ٢ : ٨٤)

(٣) كذا فى الأصول . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٨٣ « فقلبانى لحلاوة القفا »

(٤) حلاوة القفا : أى وسطه . المرجع السابق ٢ : ٨٥

(٥) كذا فى هـ . وفى ت ، م « فرجعت بها أغدو بها رقة » — وانظر تاريخ الخميس ١ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

« السنة الثانية عشرة من مولد النبى ﷺ »

فيها ـــ على أحد الأقوال ـــ ان أباطالب خرج إلى بصرى ومعه النبى ﷺ

* * *

« السنة الثالثة عشرة من مولد النبى ﷺ »

فيها ـــ ويقال : فى التى قبلها ، وقيل فى السنة التاسعة ـــ تَهَيَّأَ أبو طالب للخروج إلى الشام تاجرا ، فلما أن أجمع السير صبَّ[١] له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال : ياعم إلى من تكلنى !! لا أب لى ولا أم لى . فَرَقَّ أبو طالب له وقال : والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا ـــ أو كما قال ـــ فخرج معه بالنبى ﷺ لعَشْرٍ خَلَوْن من ربيع الأول ، ويقال : بعد أن أكمل النبى ﷺ اثنتى عشرة سنة وشهرا وعشرة أيام [٢] ، فبلغ به تَيْماءَ ، وقيل : بُصْرَى من أرض الشام .

وعَايَنَ أبو طالب ومن معه من آيات نبوّته مازاده فى الحِرْص عليه والوصاية به ؛ من إظلال الغمامة له ، وسجود الحجر والشجر له ، وميل الشجرة بظلها عليه عند دَيْر بَحِيراً الراهب . ولما رآه

---

(١) كذا فى م ، وسيرة النبى لابن هشام ١ : ١١٦ ، ودلائل النبوة ١ : ١٠٩ ، وعيون الأثر ١ : ٤١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٨٨ . فى هـ « هب له رسول الله ﷺ » وفى ت « قبله رسول الله » ومعنى صب : مال إليه أو تعلق به .

(٢) الإمتاع ١ : ٨ .

بَحِيرَا ــ واسمه جورجيس[(١)] ــ عَرَفَه بصفته ، فجاءه وأخذ بيده وقال : هذا سَيِّد العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين . فقيل له : وما
٥٦ علمك / بذلك ؟ فقال : إنكم حين [(٢)] أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خَرَّ ساجدا ، ولا يسجدان إلاّ لِنَبِيّ ، وإنَّا نجده
٥ فى كتبنا . وسأل عمه أبا طالب أن يرده ، وخوفه عليه اليهود كيلا يَرَوْه فَيَرُومُونه بسوء .

فبينما هم فى ذلك إذ أقبل سبعة من الروم يقصدون قِبَلَ النبى ﷺ ، فاستقبلهم بَحِيراً فقال : ماجاء بكم ؟ قالوا : إن هذا النبيّ خارج فى هذا الشهر ، فلم يبق طريقٌ إلاّ بُعِثَ إليه بأناس . قال :
١٠ أرأيتم أمراً أرادَ اللهُ أن يقضيه ، هل يستطيع أحدٌ من الناس رَدَّه ؟ قالوا : لا . فبايعوه [(٣)] وأقاموا معه ؛ فكانت هذه من بشائر نبوّته ﷺ ، وهو صغير غير مُتَأَهِّب لها ولا دَاعٍ إليها . فردَّه أبو طالب من ثَمَّ ، ويقال : إن أبا بكر بعث معه بلالا . وزوَّده الراهب من الكعك والزيت[(٤)] .

---

١٥ (١) فى المرجع السابق « سرجس » وفى السيرة الحلبية ١ : ١٩٣ « جورجيس وقيل سرجيس »

(٢) كذا فى م ، هـ . وفى ت « لما » .

(٣) وفى السيرة الحلبية ١ : ١٩٦ « أى بايعوا بحيرا على مسالمة النبى ﷺ ، وعدم أخذه وأذيته على حسب ما أرسلوا فيه ، وأقاموا عند ذلك الراهب خوفا على
٢٠ أنفسهم ممن أرسلهم إذا رجعوا بدونه » .

(٤) دلائل النبوة ١ : ٣٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ١٩٤ ، وعيون الأثر ١ : ٤١ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٠٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ١٨٨ ، ١٩١ ، وشرح المواهب ١ : ١٩٣ ــ ١٩٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٩١ ــ ١٩٦ .

وفى هذا الخبر وهمان : الأول بايعوه على أى شيء ؟! والثانى أبوبكر لم يكن حاضرا ، ولا كان فى حال مَنْ يملك ، ولا مَلَك . ولم يكن أسلم يومئذ ، ولا صحب النبىّ ﷺ ، وإنما اشترى بلالاً بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة بعد مبعث النبى ﷺ (١) .

٥ * * *

« السنة الرابعة عشرة من مولد النبى ﷺ »

فيها — ويقال : فى السنة العشرين — هاجت حرب الفِجَار بين قريش ومن معها كنانة ، وبين قيس عَيْلاَن ، وكان الذى هاجها أنّ النعمان ابن المنذرَ بعث بلَطِيمَةٍ (٢) له إلى سوق عكاظ للتجارة ، ١٠ وأجارها له عُرْوَة الرحَّال بن عُتْبَة بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فقال البَرَّاض بن قيس : أحد بنى ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بن كِنَانة : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم . وعلى الخلق . فخرج عُرْوَة الرّحّال ، وخرج البَرَّاض يطلب غَفْلَته ، حتى إذا كان بِتَيْمَن(٣) ذى طِلاَل بالعالية ١٥ غفل عُرْوَة فوثب عليه البَرَّاض فقتله فى الشهر الحرام ، وهرب إلى خَيْبَر واختفى بها . وقال البَرَّاض فى ذلك : —

---

(١) وانظر مناقشة الصالحى لهذا الخبر فى سبل الهدى والرشاد ٢ : ١٩٣ ، ١٩٤ ، وماجاء فى السيرة الحلبية ١ : ١٩٦ .

(٢) اللطيمة : عير تحمل الطيب والبز وغيرهما للتجارة . (السيرة الحلبية ١ : ٢٠٩)

٢٠ (٣) تيمن ذى طلال : واد إلى جنب فدك فى قول بعضهم والصحيح أنه بعالية نجد . (معجم البلدان ياقوت)

وَدَاهيـةٍ تُهِـمّ النـاسَ قبلى ... شَدَدْت لهـا بنى بكر ضُلوعى
هدمت بها بيوتَ بنى كِلابٍ ... وأرضعتُ المَوالىَ بالضروع
رفعت له يدَىَّ بذى طلاَلٍ[1] ... فخرّ يَميدُ كالجِذْع الصَّرِيعِ

٥٧ وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب : /
وأَبْلِغْ إنْ عرضت بنى كِلابٍ ... وعامَر والخُطوبُ لها موالي ٥
وبَلِّغ إن عرضت بنى نُمَير ... وأخوالَ القَتيل بنى هِلال
بأنّ الوافد الرَّحّال أَمْسَى ... مُقِيما عند تَيْمَن ذى طِلَالِ[2]

فى أبيات .

وكان البَرّاض لقى بشر بن أبى حازم الأسدى الشاعر فأخبره الخبر ، وأمره أن يُعْلِم بذلك عبدَ الله بن جُدْعان ، وهشام بن المغيرة ، ١٠ وحَرْب بن أمية ، ونَوْفَل بن معاوية ؛ فوافى عكاظ فأخبرهم ، فخرجوا متوالين منعكسين[3] إلى الحرم ، وهوازن لاتشعر ، ثم بلغهم الخبرُ آخر ذلك اليوم . فقال أبو عامر بن مالك بن جعفر : ماكنا من قريش إلا فى خديعة . فخرجوا فى آثارهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم ١٥ التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون ، على كل قبيلٍ من قريش وكنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

---

(١) وفى شفاء الغرام ٢ : ٩٢ « ... رفعت له يذى طلال كفى »
(٢) المرجع السابق ٢ : ٩٢ .
(٣) كذا فى الأصول . وفى طبقات ابن سعد ١ : ١٢٧ « فخرجوا موائلين ، ٢٠ منكشفين » .

وشهد رسول الله ﷺ بعضَ أيّامهم ؛ أخرجه أعمامه معهم . وقال رسول الله ﷺ : كنت أُنَبِّل على أعمامى : أى أَرُدّ عليهم نَبْلَ عَدُوِّهم إذا رموابها [١] .

ويقال : فخرجت هوازن فى إثر قريش فأدركوهم وقد دخلوا الحرم ، فناداهم رجل من بنى عامر يقال له الأَدْرَم بأعلى صوته : إنّ ميعادًا بيننا وبينكم هذه الليالى من قادم ـــ ولم يقم تلك السنة سوق عكاظ .

فمكثت قريش وغيرها من كنانة وأسد بن خزيمة ، ومن لحق بهم من الأحابيش يتأهبون لهذه الحرب ، ثم حضروا من قابل ـــ ورؤساء قريش عبد الله بن جُدْعان ، وهِشام بن المغيرة ، وحَرْب بن أمية ، وأبو أُحَيْحَة سعيد بن العاص ، وعُتْبَة بن ربيعة ، والعاص بن وائل ، ومَعْمَر بن حبيب الجُمَحِىّ ، وعامر بن عِكْرِمة بن هشام . وكان قائدهم حَرْب بن أمية بن عبد شمس ، ويقال : بل أمْرهم إلى عبد الله بن جُدْعَان .

وكان فى قيس أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفر ، وسُبَيْعة بن ربيعة ، ودُرَيْد بن الصِّمَّة ، ومسعود بن مُعَتِّب ، وعوف بن حارثة ؛ فهؤلاء الرؤساء . ويقال : بل كان أمرهم جميعا إلى أبى بَرَاء ، وكانت الراية بيده ، وهو الذى سَوَّى صفوفهم .

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٢٠ ، وطبقات ابن سعد ١ : ١٢٦ ، وشفاء الغرام ٢ : ٩٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٠٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢٠٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٥٩ .

فالتقوا . وكانت الدائرة أوّل النهار لِقَيْس على قُرَيش و كِنانة ، ثم صارت الدائرة آخر النهار لقُرَيْش وكنانة على قيس ؛ فقتلوهم قتلا ذريعا حتى نادى عُتْبَةُ بن ربيعة يومئذ ــ وإنه لشاب ماكملت له ٥٨ ثلاثون / سنة ــ إلى الصلح ، فاصطلحوا على أن عَدُّوا[١] القتلى ، وَوَدَتْ قريش لقيس ما قتلت ، وانصرفت قريش .

وقد قال رسول الله ﷺ ــ وذكر الفِجَار الأوّل : قد حضرته مع عمومتى ورميت فيه بأسهم ، وقال : أحِبُّ أنى لم أكن فعلت[٢] .

ويقال : لما توافت كنانة وقيس من العام المقبل بعكاظ بعد العام الأول الذى كانوا التقوا فيه ، ورأس الناس حربُ [بن أمية][٣] خرج معه عُتْبة بن ربيعة ــ وهو يومئذ فى حِجْر حرب ــ فمنعه أن يخرج ، وقال : يابنى أنا [أضن][٤] بك . فاقتادَ راحلته وتقدَّم فى أوّل الناس ، فلم يَدْرِ به حَرْب إلاّ وهو فى العسكر .

قال حكيم بن حزام : فنزلنا عكاظ ، ونزلت هوازن بجمع كثير . فلما أصبحنا ركب عُتْبَةُ جملا ثم صاح فى الناس : يامعشر مُضَر ، عَلاَمَ تَفَانَوْنَ بينكم ؟ هلموا إلى الصلح . فقالت هوازن :

(١) كذا فى الأصول ، وطبقات ابن سعد ١ : ١٢٨ . ولعلها « على أن يدوا القتلى » .
(٢) كذا فى الأصول . وفى طبقات ابن سعد ١ : ١٢٨ « وما أحب أنى لم أكن فعلت » .
(٣) إضافة للتوضيح .
(٤) إضافة يقتضيها السياق ، وانظر عيون الأثر ١ : ٤٦ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢١٠ .

وماذا تعرض ؟ قال : أعرض أن أعطى دِيَةَ من أصيب . قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عُتْبَةُ بن ربيعة بن عبد شمس . قالوا : قد قبلنا . واصطلح الناس ، ورضوا بما قال عُتْبَة ، وأعطوهم أربعين رجلا من فتيان قريش — وكنت فيهم — فلما أن رأت بنو عامر أن الرَّهْن قد صار فى أيديهم رغبوا فى العفو فأطلقوهم [١] .

* * *

« السنة الخامسة عشرة من مولد النبى ﷺ »

فيها خرجَ النبى ﷺ إلى سوق عكاظ . وسمع خطبة قُسّ بن ساعدة الإيادى . قال عبد الله بن عباس : قدم وفد إياد على رسول الله ﷺ ، فسألهم عن قُسّ بن ساعدة الإيادى ، فقالوا : هلك يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ : لقد شهدته فى الموسم بعُكَاظ وهو على جمل له أحمر — أو على ناقة حمراء — وهو ينادى فى الناس : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا ، وعوا واتَّعظوا تنتفعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت . أما بعد فإن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعِبَرا ، نجوم تَمُور — ويقال : نجوم تغور — ولا تفور ، وبحار تفور ولا تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ، (٢ وأنهار فنُبُوع٢) ، أقْسَمَ قُسٌّ قَسَمَا بالله — لا كَذِباً ولا آثما . ليتبعن هذا

---

(١) وانظر المرجعين السابقين .

(٢) فى الأصول « وأنهار منبوع » ولعل الصواب ماذكرت ، أو لعله « ونهر وينبوع ، أو ونهر منبوع » .

الأمْرُ شخصا ، وما هذا باللعب ، وإن من وراء هذا لعجب ، أقسم قسٌّ قسما بالله — لا كذبا ولا آثما — إن لله دينا هو أرضى له من دينٍ نحن عليه . مابال / الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُرِكُوا فناموا ؟ ثم أنشد قُسّ بن ساعدة أبياتا من الشعر لم أحفظها عنه . فقال أبو بكر الصديق : أنا حضرت ذلك المقام ، وحفظت تلك المقالة . فقال رسول الله ﷺ : ماهى ؟ فقال أبو بكر : قال قُس بن ساعدة فى آخر كلامه : —

فى الذاهبين الأولـيـ	ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومِىَ نحوهـا	تمضى الأصاغر والأكابر
لايرجـــع الماضى ولا	يبقى من الباقين غابر
أيقـــنت أنى لا محا	لة حيث صار القوم صائر

ويقال : إنه لما قدم وَفْدُ إياد على رسول الله ﷺ قال : ما فعل قُسّ بن ساعدة ؟ قالوا : مات . قال : كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أوْرَق ، وهو يتكلم بكلام له حلاوة ما أجدنى أحفظه . فقال رجل من القوم : أنا أحفظه ، سمعته يقول : أيها الناس احفظوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحار تزخر ، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام ، وبِرّ وآثام ، ومطعم وملبس ، ومشرب ومركب ، مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون !! أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟ وإله قُسٍّ ما على وجه الأرض دينٌ أفضلُ من دين قد أظلكم زمانه ، وأدرككم أوانه ، فطوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن خالفه . ثم أنشأ يقول : —

في الذاهبين الأوليـ ... ن من القرون لنا مصائر
لما رأيت مَوَارِدًا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومِىَ نحوها ... تمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضى إليـ ... ـك ولا من الباقين غابر
٥ سكنوا البيوت فوطنوا ... إن البيوت هى المقابر
أيقـــنت أنى لا محا ... لة حيث صار القوم صائر

فقال النبى ﷺ : يرحم الله قُسًّا إنى لأرجو يوم القيامة / أن ٦٠ يبعثه الله أمة وحده [١] .

ويقال : لما قدم وَفْدُ إياد على النبى ﷺ : قال النبى ﷺ :
١٠ ما فعل قُسّ بن ساعدة الإيادى ؟ قالوا : هلك . قال : أما إنى سمعت منه كلاما ما أرى أنى أحفظه . فقال بعض القوم : نحن نحفظه يا رسول الله . قال : هاتوا . فقال قائلهم : إنه وفد بسوق عكاظ فقال : أيها الناس استمعوا واسمعوا وعوا ، كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ،
١٥ ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأنهار مجراة ، إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا ؛ أرى الناس يمرون ولا يرجعون !! أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟

[٢] يُقْسِمُ قُسٌّ قَسَمًا باللهِ لا إثم فيه . إن لله دينا هو أرضى مما أنتم عليه [٢] .

---

٢٠ (١) عيون الأثر ١ : ٦٨ — والبداية والنهاية ٢ : ٢٣٠ .
(٢) أوردت الأصول مابين الرقمين على صورة الشعر ، وقدمته بقولها : ثم انشأ يقول . ولما كان مضطرب الوزن فقد آثرنا إثبات ماجاء فى البداية والنهاية ٢ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

ثم أنشأ يقول : —

في الذاهـبين الأوليـ ـن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضى الأكابر والأصاغر
أيقـنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائر[١] ٥

ويقال : إن النبي ﷺ قال للجارود[٢] بن عبد الله لما قدم عليه وسأله عن قُسّ بن ساعدة : يا جَارُود ، فلستُ أنساه بسوق عكاظ على جمل له أوْرَق ، وهو يتكلم بكلام مونق ، ما أظن أنى أحفظه ، فهل منكم يا معشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيئا ؟ فوثب أبو بكر رضى الله عنه وقال : يا رسول الله إنى أحفظه ، وكنت حاضرا ذلك اليوم بسوق ١٠ عكاظ ، حين خطب فأطنب ، ورَغَّبَ ورَهَّب ، وحذّر وأنذر ، وقال فى خطبته : أيها الناس اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ؛ إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جميع وأشتات ، وآيات بعد آيات ؛ إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ١٥ ذات رتاج ، وبحار ذات أمواج . مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون !! / ٦١ أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ؟ أقسم قس قسما حقا لا حانثا

---

(١) البداية والنهاية ٢ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) هو الجارود بن المعلى بن حنش بن معلى العبدى ، كان نصرانيا حسن المعرفة بتفسير الكتب وتأويلها ، عالما بسير الفرس وأقاويلها ، بصيرا بالفلسفة والطب ، ظاهر الدهاء ٢٠ والأدب ، كامل الجمال . ذا ثروة ومال ، وفد على النبي ﷺ وأسلم فى رجال من عبد القيس . (البداية والنهاية ٢ : ٢٣٢ ، والاستيعاب ١ : ٢٦٢ ، والإصابة ١ : ٢١٦ ، ٢١٧)

فيه ولا آثما : إن لله دينا هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه ، ونبيا قد حان حينه وأظلكم أوانه ، وأدرككم إبانه ، فطوبى لمن أدركه وآمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه . ثم قال : تبا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، يا معشر إياد أين الآباء والأجداد ؟ وأين المريض والعُوَّاد ؟ وأين الفراعنة الشداد ؟ أين من بنى وشَيَّد ، وزخرف ونَجَّد ، وغَرَّهُ المال والولد ؟ أين من بغى وطغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى ؟! ألم يكونوا أكثر منكم أموالا ، وأبعد منكم أمالا ، وأطول منكم آجالا ؟ طحنهم الثرى بكلكله ، وفرقهم بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خالية [١] ، عمرتها الذئاب العاوية . كلا بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود . ثم أنشأ يقول الأبيات المذكورة .

* * *

« السنة السادسة عشرة من مولد النبى ﷺ »

(٢ ولد فيها أبو طلحة الأنصارى ٢) .

---

(١) فى عيون الأثر ١ : ٧٠ « خاوية » . وانظر منال الطالب فى طوال الغرائب لابن الأثير الجزرى ١ : ١١٦ ومابعدها .

(٢) هذا الخبر بياض فى ت ، هـ والمثبت عن م . وفى تاريخ الخميس ١ : ٢٦٠ أن أبا طلحة ولد فى السنة الخامسة عشرة من مولد النبى ﷺ . ومات سنة ٣٤ هـ كما فى دول الإسلام ١ : ٢٧ — وهو زيد بن مسهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة ابن عمرو بن مالك بن عدى بن النجار ، الأنصارى الخزرجى . اختلف فى وفاته . انظر الإصابة ١ : ٥٦٦ .

« السنة السابعة عشرة من مولد النبى ﷺ »

فيها ولد حَاطب بن أبى بَلْتَعَة (١)

* * *

« السنة الثامنة عشرة من مولد النبى ﷺ »

فيها ولد خَبَّاب بن الأَرَتّ (٢) .

٥

* * *

« السنة التاسعة عشرة من مولد النبى ﷺ »

.... (٣) .

* * *

« السنة العشرون من مولد النبى ﷺ »

١٠

فيها فى شوال – أو فى ذى القعدة – كان حِلْفُ الفضول ، وسببه أن رجلا من زَبِيد (٤) قدم مكة معتمرا ، ومعه تجارة له ،

---

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمى مات فى سنة ٣٠ هـ (الإصابة ١ : ٣٠٠)

(٢) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمى ـــ ويقال الخزاعى ـــ أبو عبد الله . توفى سنة ٣٧ هـ أو ٣٩ هـ . (الإصابة ١ : ٤١٦) . وفى تاريخ الخميس ١ : ٢٦٠ « وولد أيضا محمد بن مسلمة الأنصارى » .

١٥

(٣) لم يورد المؤلف أحداثا فى هذه السنة . وفى تاريخ الخميس ١ : ٢٦٠ « قتل فيها هرمز الظالم بن أنو شروان بعد خلعه ، وتولى الملك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان ، وهو الذى كتب إليه النبى ﷺ ودعاه إلى الإسلام ، فأبا ومزق الكتاب ، فقال النبى ﷺ مزق الله ملكه كما مزق كتابى . فخرج عليه ابنه شيرويه وقتله .

٢٠

(٤) فى الأصول وشفاء الغرام ٢ : ١٠٣ « من بنى زبيد » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٥٩ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٠٨ ، والسيرة الحلبية ١ : ٢١٥ .

فاشتراها منه العاصي بن وائل السَّهْمِيّ . فآواها إلى بيته ثُمّ تغيّب .
فابتغى مَتَاعَه الزبيديُّ فلم يقدر عليه ، فجاء إلى بنى سَهْم يستعديهم
عليه ، فأغلظوا عليه [١] ، فعرف أن لا سبيل إلى ماله ، فَطوَّف فى
قبائل قريش يستعين بهم . فتخاذلت القبائل عنه ، فلما رأى ذلك
٥ أشرف على أبى قُبَيْس — ويقال : على الحجر — حين أخذت قريش
مجالسها ، ثم قال بأعلى صوته : — / ٦٢

يا آل فِهْرٍ لمظلومٍ بضاعتُه ببطن مكّة ، نائى الأهل والوطر
ومُحْرِمٍ شعث لم يقض عُمْرَتَه يا آل فهر وبين الحجر والحجر
هل مُخْفِرٌ من بنى سهم بخَفْرَتِهِ فعادلٌ أم ضلالٌ مالُ مُعْتَمِر
١٠ إن الحرام لمن تَمَّتْ حرامته ولا حرام لثوب العاجز العذر[٢]

فلما نزل من الجبل أعظمت ذلك قريش فتكلموا فيه ، فقال
المطيبون ؛ وهم بنو عبد مناف بن قُصَىّ ، وبنو أسد بن عبد العُزَّى ،
وبنو زُهْرَة بن كِلاب ، وبنو تَيْم بن مُرَّة ، وبنو الحارث بن فِهْر : والله
لئن قمنا فى هذا لتَغْضَبَن الأحلافُ . وقال الأحلافُ ؛ وهم بنو عبد
١٥ الدار بن قُصَىّ ، وبنو مَخْزُوم ، وبنو سَهْل ، وبنو جُمَح ، وبنو عَدِىّ
ابن كَعْب : والله لئن تكلمنا فى هذا لتغضبن المطيبون ، فقال ناس
من قريش : تعالوا فلنكن حلفا فضولا دون المطيبين ودون الأحلاف .

ويقال : إن الزُّبَيْر بن عبد المطلب لما سمع قول الزَّبِيدِىّ قال :

---

(١) هذا اللفظ من م .

٢٠ (٢) شفاء الغرام ٢ : ٩٩ — ١٠٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٠٨ ، والسيرة
الحلبية ١ : ٢١٥ .

إن هذا الأمر ما ينبغي لنا أن نُمْسِك عنه . فطاف فى بنى هاشم ، وبنى المطلب ، وبنى أسد بن عبد العُزَّى ، وبنى تَيْم بن مُرَّة ، وبنى زُهْرَة بن كلاب ؛ فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن تَيْم بن مُرّة ، وصنع لهم يومئذ طعاما كثيرا ، وكان رسول الله ﷺ يومئذ معهم ، فاجتمعت بنو هاشم وأسَد وزُهْرة وتَيْم وتعاقدوا وتحالفوا بينهم بالله القائل : لا يُظْلَم أحدٌ بمكة غَرِيبٌ ولا قريب ، ولا حُرٌّ ولا عبد . إلا كنا جميعا مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له حقه ونرد إليه مظلمته ممن ظلمه – شريفا أو وضيعا ؛ منا أو من غيرنا – ما بَلَّ بَحْرٌ صوفة ، وما رَسَا حِراء وثَبِيرُ فى مكانهما ، وعلى التأسى فى المعاش . ثم عمدوا إلى ماء زَمْزَم فجعلوه فى جفنة ، ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت فيه أركانه ثم أتوا به فشربوه ، ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل فقالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدى إليه حقه . فأعطى الرجلَ حَقَّه ، فقال قوم من قريش : إنه قد دخل هؤلاء فى فَضْلٍ من الأمر ؛ فسمى حِلْف الفضول .

وقال آخرون : تحالفوا على مثل حلف تحالفت عليه قومٌ من جُرْهُم فى هذا الأمر : ألا يُقِروُّا ظلما بِبَطْنِ مَكَّةَ إلا غَيَّروُه ، وهم : الفَضْل بن شراعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن فضالة (١) .

---

(١) وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٠٩ « وهم الفضل بن فضالة ، والفضل بن وداعه ، والفضل بن الحارث . هذا قول العتبى ، وقال الزبير : الفضل بن شراعة ، والفضل ابن قضاعة » . وفى تاريخ الخميس ١ : ٢٦١ « الفضيل بن شراعة ، والفضل بن قضاعة ، والفضل بن بضاعة » . وانظر الروض الأنف ١ : ١٥٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٦٠ ، ٢٦١ ، والاكتفا ١ : ٨٨ ، ٨٩ .

وقال الزبير بن عبد المطلب : —

حلفت لنَعْقِدَن حلفا عليهم وإن كُنَّا جميعا أهلَ دار / ٦٣
نُسَمِّيهِ الفضولَ إذا عقدنا يَعَزّ به الغريبُ لدى الجوار
ويعلم مَنْ حوالِى البيتِ أنّا أُبَاةُ الضيم نمنع كل عار
٥ إذا رام العداد لنا حراما أقمنا بالسيوف والازورار (١)

ثم قال الزبير : —

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا ألا يقيم ببطن مكة ظالمُ
أمْرٌ عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجارُ والمُعْتَرُّ منهم سالم (٢)

قالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
١٠ لقد شهدت فى دار عبد الله بن جُدْعَان حلفَ الفضول ، مالَوْ دُعِيت إليه اليوم لأَجَبْتُ ، وما أُحِبّ أنّ لى به حمر النعم (٣) .

وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : لو أن رجلا وَحْدَه خرج من قومه لخرجتُ من عبد شمس حتى أدخل فى حِلْفِ الفضول (٤) .

١٥ ويقال سبب حلف الفضول غير ذلك ؛ فيقال إن قيس بن شيبة السلمى — ويقال رجل من ثمالة — باع متاعا من أُبَىّ بن

---

(١) الروض الأنف ١ : ١٥٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٥٩ ، وشفاء الغرام ٢ : ١٠٣ . ماعدا هذا البيت الأخير .

(٢) المراجع السابقة .

٢٠ (٣) شفاء الغرام ٢ : ١٠٠ .

(٤) الاكتفا ١ : ٩١ .

خلف ، فلواه وذهب بحقه ، فاستجار برجلٍ من بنى جُمَح ، فلم يَقُم بجواره ، فقال قيس : —

يالقصى كيف هذا فى الحرم وحرمة البيت وأخلاق الكرم

أُظْلَم لا يُمْنَع منى مَن ظَلَم [(١)]

وبلغ الخبر عباس بن مرداس فقال : — ٥

إن كان جارُكَ لم تنفعْك ذِمّتُه وقد شربت بكأس الذل أنفاسا

فأتِ البيوت وكن من أهلها صَدَدًا لا تَلْقَ نادِيَهم فحشا ولا باسا

ولم تكن بفناء البيت معتصما تلقى ابن حرب وتلقى المرء عباسا

ساقى الحجيج وهذا ياسر فلح والمجد يورث أخماسا وأسداسا[(٢)]

فقام العباس وأبو سفيان حتى رَدَّا عليه [متاعه] [(٣)] . ١٠

واجتمعت بطونٌ من قريش فى دار عبد الله بن جُدْعَان فتحالفوا على رَدِّ الظلم بمكة ، وألا يُظْلَم أحدٌ إلا منعوه وأخذوا له بحقه .

ويقال : إن سبب حلف الفضول أن قريشا كانت تتظالم فى الحرم ، فقام عبد الله بن جُدْعَان ، والزُّبَيْر بن عبد المطلب فدعوا إلى التحالف على التناصر ، والأخذ للمظلوم من الظالم ، فأجابوهما وتحالفوا ١٥

فى دار ابن جُدْعَان [(٤)] / . ٦٤

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٣٦ . وشفاء الغرام ٢ : ١٠١

(٢) شفاء الغرام ٢ : ١٠١ ، مع اختلاف واضح فى البيتين الثانى والثالث .

(٣) الإضافة عن المرجع السابق .

(٤) تاريخ الخميس ١ : ٢٦١ . ٢٠

وفيها شكا النبى ﷺ إلى عَمِّه أبى طالب فقال : إنى منذ ليال يأتينى آتٍ معه صاحبان ، فينظرون إلىّ ويقولون : هو هو ولم يأنِ له ، (١ فإذَا كَانَ قَرَارٌ يَكُ لرجلٍ منهم ساكت ١) . فَقَدْ هَالَنِى ذلك . فقال يا ابن أخى : ليس بشىء حلمت . ثم رجع إليه بعد ذلك فقال : يا عم سطا بى الرجلُ الذى ذكرتُ لك فأدخل يده فى جَوْفِى حتى إنى لأجد بَرْدَها . فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب يتطَبَّبُ بمكة ، فحدثه وقال : عالجه . فصَوَّب به وصَعَّد ، وكشف عن قدميه ، ونظر بين كتفيه وقال : يا عبد مناف ابنك هذا طيب طيب ، للخير فيه علامات ، إن ظَفِرَت به يهودُ قتلته . وليس الرِئِى من الشيطان ، ولكنه من النواميس الذين يتجَسَّسُون القلوب للنبوَّة . فرجع به .

* * *

« السنة الحادية والعشرون من مولد النبى ﷺ »

قد تقدم الفِجَارُ الأوّل فى السنة العاشرة والفِجَارُ (٢) الثانى فى السنة الرابعة عشرة ، وذكر المؤرخون حروبا كثيرة للفِجَار ، قال السهيلى : إنها أربعة . وقال مُغْلطَاى : الصواب أنها ستة . وأجمع ما رأيناه فى ذلك كلام الفاكهى (٣) ، فنذكره أو غالبه .

(١) كذا فى الأصول . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٤١ « فإذا كان رأيك كرجل منهم ثابت » وعلق عليه المحقق بقوله : كذا ولم أجده .

(٢) كذا فى م ، هـ . وفى ت « وبعض الفجار الآخر » .

(٣) وقد نقل مافيه التقى الفاسى فى شفاء الغرام ٢ : ٩٣ ــ ٩٦ .

قال : وحدثنى عبد الملك بن محمد ، عن زياد بن عبد الله البكائى ، عن ابن إسحاق قال : ثم كان الفِجَار الآخر بعد الفيل بعشرين سنة ، فلم يكن فى العرب يوم أعظم ولا أذهب ذكرا فى الناس منه ، بين قريش وإِلْفِها [١] من كنانة وبين قَيْسِ عَيْلان ، فالتقوا فيها بعكاظ . وإنما سُمِّىَ يوم الفِجَار لما استحلّ هذان الحيان – كنانة ٥ وقيس – فيه من المحارم .

وقد كان قبله يومٌ بين بنى جبلة وبين تميم ، وكان يوما مذكورا من أيام العرب ، ولم يكن كَيَوْمِ عكاظ ، وذكر حديثا طويلا ، وأشعَارا كثيرة اختصرناها مخافة التطويل ، ولذلك موضع غير هذا .

١٠ وحدثنى حسن بن حسين الأزدى قال ، حدثنا محمد بن حبيب ، عن أبى عبيدة : أن فِجَارَ البَرَّاض بين كنانة ، وقيس أربعة أيام ، فى كل سنة يوم ، وكان أوله يو شَيْظَمَة من عكاظ ، وعلى الفريقين الرؤساء من قريش غير أبى براء ، وكانت هوازن من وراء المَسِيل ، وقريش من دون المَسِيل ، وبنو كنانة فى بطن الوادى . ١٥ وقال لهم حرب بن أمية : إن أُبيحَت قريش فلا تبرحوا مكانكم . وعَبّأت هوازن وأخذوا مصافهم ، وعبّأت قريش فكان على إحدى ٱلْمجَنَّبَتَيْن ابنُ جُدْعان ، وعلى الأخرى كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وحَرْبُ بنُ أميّة فى القلب ، وكانت الدائرة أوّل النهار لِكِنَانة ٦٥ على هَوَازِن ، حتى إذا كان آخر النهار وصَبَرَت فاستحر [٢] القتل /

---

٢٠ (١) كذا فى الأصول . وفى شفاء الغرام ٢ : ٩٣ « ومن حالفها من كنانة » .
(٢) كذا فى الأصول . وفى شفاء الغرام ٢ : ٩٣ « فاشتجر » .

فى قريش ، فلما رأى ذلك الذين فى الوادى من كِنَانة مالوا إلى قريش وتركوا مكانهم ، فلما فعلوا ذلك استحرّ القتلُ بهم ، فَقُتِل تحت رايتهم ثمانون رجلا.

وقال آخرون : لما رأت ذلك بنو بكر بن عبد مناة ، [نجا بهم رئيسهم [1]] بلعاء استبقاء لقومه ؛ فاعتزل بهم إلى جبل يقال له رخم . وقال : دعوهم ؛ وددت أنه لم يُفْلِت منهم أحد . فكان يوم شيظمة لهوازن على كِنَانة ، ولم يقتل من قريش أحد يُذْكَر ، وزالت قريش فى آخر النهار فى بنى بكر .

ذكر يوم العبلاء :

حدثنى الأزدى قال ، حدثنى محمد ، عن أبى عبيدة قال : وجمع هؤلاء وأولئك فالتقوا بالعبلاء وهو الجبل [2] إلى جنب عكاظ ، ورؤساؤهم الذين كانوا عليهم يوم شيظمة بأعيانهم ؛ فكانت الدائرة أيضا فيه لهوازن على كِنَانة .

ذكر يوم شرب :

حدثنى الأزدى قال ، حدثنى محمد ، عن أبى عبيدة قال : ثم جمع الفريقان على قرن الحول [3] فى اليوم الثانى [4] من عكاظ ،

---

(١) فى الأصول « وقال بلعاء » ، والمثبت عن شفاء الغرام ٢ : ٩٣ لأن ما فى الأصول لايستقيم به السياق .

(٢) فى م « وهو أعبلى » ، وفى هـ ، ت « وهو أعبل » . والمثبت عن شفاء الغرام ٢ : ٩٤ . وفى معجم البلدان لياقوت الأعبل والعبلاء : حجارة بيض ، وقيل صخرة عبلاء أى بيضاء ، وقيل العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ .

(٣) أى على رأس الحول . (معجم ما استعجم ٣ : ٩٦١)

(٤) وفى المرجع السابق « وهو اليوم الرابع من يوم نخلة » .

فالتقوا فيه بشرب من عكاظ ، وعليهم رؤساؤهم الذين كانوا قَبْلُ ، ولم يكن يوم أعظم منه ، فحمل يومئذ ابنُ جُدْعَان أَلْفًا على أَلْفِ بَعير ، فالتقوا ، وقد كان لهوازن على كِنَانة يومان متواليان ؛ يوم شَيْظَمَة ويوم العَبْلاء ، فخشوا مثلها وحافظوا يومئذ ، وقَيَّدَت فيه بنو أمية أنفسهم ، وحافظت مخزوم فصَبَرَت ، وبنو عبد مناة بن كِنَانة لتعفى على صنيعها ، وصنيع بلعاء يوم شَيْظَمَة ، وصابرت نصرٌ وثقيف ؛ وذلك أن عكاظا بلدٌ لهم به نخل وأموال فلم يغنوا شيئا ، فقاتلوا حتى أمسوا وانهزموا . وذكر شعرا لابن الزِّبَعْرَى يمدح به نفرا من قريش .

ثم قال ، وحدثنى الزبير بن أبى بكر ، قال حدثنى محمد بن الضحاك ، عن أبيه قال : العَنَابِس : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان بنو أمية [١] ، وإنما سموا بالعَنابس لأنهم عقلوا أنفسهم يوم عكاظ ، وقاتلوا قتالا شديدا ، فشبهوا بالأسد ، والأسد يقال له : العنبس .

ثم قال : وحدثنا الزبير بن أبى بكر قال ، حدثنى مصعب بن عثمان ، ومحمد بن الضحاك الحزامى : أن خُوَيْلد بن أسد كان يوم عكاظ على بنى أسد بن عبد العُزَّى .

ذكر يوم الحُرَيْرَة :

حدثنى الأزدى حسن بن حسين قال ، حدثنى محمد بن حبيب الهاشمى ، عن أبى عبيدة قال : كانت فيه الدائرة لهَوَازِن على

(١) وفى شفاء الغرام ٢ : ٩٤ « العنابس : حرب ، وأبو حرب ، وأبو سفيان بنو أمية » .

كِنانة . وهو آخر أيامهم ، وهى حَرَّة إلى جنب عكاظ [١] مما يلى مَهَبّ جنوبها لمن يقبل يريد مكة من مهب صباها حتى ينقطع دُوَين قَرَن . فكان رؤساؤهم الذين كانوا إلاّ بَلْعَاء فإنه مات ، وكان بعده الرئيس عليهم / جثامة بن قيس ، وقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية . ٦٦
٥ ومن كنانة ثلاثة رهط ، قتلهم عثمان بن أسيد بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة ، وقَتَلَ ورقاءُ بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر أبا مكنف [٢] وابنى إياس وعمرا وابن أيوب ، وقد ذكرهم خِدَاش بن زهير فى شعره .

فهذه أيام الفجار الخمسة التى تزاحفوا فيها فى أربع سنين :
١٠ أولهن يوم نَخْلَة حين تبعتهم هوازن ، فكان كفافا لا على هؤلاء ولا على هؤلئك . ثم يوم شَيْظَمة فكان لهوازن على كنانة . ثم يوم عكاظ الأوّل – وهو يوم العَبْلاَء – فكان لهوازن على كِنَانة . ويوم عكاظ الثانى – وهو يوم شرب – كان لبنى كنانة على هوازن ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه . ثم يوم الحُرَيْرة وهو آخر أيام مُزَاحَفَاتهم .

١٥ قال : ثم كان الرجلُ يلقى الرجلَ أو الرجلين أو أكثر من ذلك أو أقل فيَقْتَتِلُون ، فربما قتل بعضهم بعضا . ولقى ابن مَحْمِيّة أخو بنى الدِّيل بن بكر أبا خِدَاش بن زُهَيْر بالصفاح [٣] ، فقال ابن زُهَير :

---

(١) الحريرة : موضع بين الأبواء ومكة قرب نخلة وبها كانت الوقعة الرابعة من وقعات الفجار . (معجم البلدان لياقوت) .

٢٠ (٢) فى الأصول « كنف » . والمثبت عن شفاء الغرام ٢ : ٩٥ .

(٣) الصفاح : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسار الداخل إلى مكة من مشاش ، ومشاش جبل فى وسط عرفات متصل بجبال تصل إلى مكة . (معجم البلدان لياقوت) وانظر التعليق ٣ ص ٣٤

إنى حرام جئت مُعْتَمِراً . فقال : لا تلقى الزبير إلا قلت معـ ا ؟!
فقتله ثم ندم فقال :

اللهم إنّ العامِرِىّ المعتمر لم آتِ فيهِ عُذْرَ ـر

ثم إن الناس تداعوا إلى السلم على أن يُدى الفضلُ ، القتلى
التى فيهم أى الفريقين أفضل على الآخر ، فتواعدوا عكاظا ليَتَعَادُّوا ٥
القَتْلَى ، وتعاقدوا وتواثقوا أن يتموا على ذلك ، وجعلوا بينهما أمَدًا
يلتقون فيه لذلك ، فأبى ذلك وَهْبُ بن مُعَتِّب . وخالف على قومه ،
وجعل لا يرضى بذلك حتى يدركوا ثَأْرَهم ، فقال فى ذلك أمية بن
جُدْعَان بن الأشكر : -

المرءُ وَهْبٌ وهبُ آلِ مُعَتّب مَلَّ الغواةُ وأنت لَمَّا تَمْلَلِ ١٠
تسعى تعوّذها بِحرٍّ وقُودِها وإذا تَعَابَى صُلْحُ قومِك تَأْتَلِ[(١)]

وهى فى شعره ، واندس وهب حتى مَكَرَت هوازن بكِنَانة وهم
على رأس الصُّلْح ، فبعث خَيْلاً عليها سلمة بن مشعل البكائى ،
وخالد بن هَوْذَة ، فيهم ناس من بنى هلال ، رئيسهم ربيعة بن أبى
ظَبْيَان ، وناس من بنى نصر ، عليهم مالك بن عوف ، فأغاروا على ١٥
بنى لَيْث بصفراء الغميم [(٢)] وهم غارون فقاتلوهم ، وجعل مالك

---

(١) شفاء الغرام ٢ : ٩٥ . مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى المرجع السابق « بصحراء الغميم » وفى معجم البلدان لياقوت « الغميم : هو الكلأ الأخضر تحت اليابس ، والغميم موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة ، وكراع الغميم موضع بين مكة والمدينة » . ولم يرد فيه ذكر لصفراء الغميم . ٢٠

يقاتل ويرتجز – وهو – أمرد يومئذ – يقول : –

* أمرد يهدى حلمه شيب اللحا *

وهو أول يوم ذكر فيه مالك بن عوف .

فقتلت بنو مُدْلِج يومئذ عُبَيدَ بن عوف / البكائى ، وسُبَيْع بن ٦٧
٥ المؤمل من بنى محارب ، ثم انهزمت بنو ليث ، فاستحرّ القتل ببنى الملوح بن يَعْمر ؛ فقتلوا منهم ثلاثين رجلا سوى نساء ، وساقوا نعما ، ثم أقبلوا . فعرضت لهم خزاعة وطمعوا فيهم فقاتلوهم ، فلما رأوا أنه لابد لهم بهم [١] قالوا : عرضونا من غنيمتكم عراضة . فأبوا ، فخلوا سربهم ، فقال مالك بن عوف :

١٠ نحن جَلَبْنَا الخيلَ من بَطن لِيّةٍ[٢]
وجِلْدَان[٣] قُبًّا حَافِيَاتٍ ووُقَّحا[٤]
تواعد ضَبْطَارُو[٥] خزاعة حربنا
وما حرب ضبْطارٍ يُقَلِّب مضجعا[٦]

---

(١) كذا فى م . وفى هـ « لابد لهم به » وفى ت « لايدلهم به » . وفى شفاء الغرام ٢ :
١٥ ٩٦ « لابدلهم منهم » .

(٢) واد لثقيف أعلاه وأسفله لنصر بن معاوية وهو قرب الطائف مر به النبى ﷺ فى عودته من حنين وأمر بهدم حصن مالك بن عوف . (معجم البلدان لياقوت)

(٣) جلدان : موضع قرب الطائف بين لية ومسيل ، يسكنه بنو نصر بن معاوية . (معجم البلدان لياقوت)

٢٠ (٤) وقح : جمع واقح ، يقال وقح الحافر أى صلب ، وحافر وقاح : أى صلب باق على الحجارة . (اللسان)

(٥) وفى الاشتقاق لابن دريد ٤٦٩ ومنهم « خزاعة » بنو ضاطر ، والضاطر اشتقاقه من قوم ضياطر ، وهو الضخم الذى لامنفعة فيه ولا غناء ، والجمع ضياطر وضيطارون .

(٦) هذان البيتان من م ، هـ . وكلماتهما كثيرة التحريف فى ت . وقد ورد
٢٥ البيت الأول ضمن قصيدة لمالك بن عوف فى الأغانى ١٤/١٤٧ ولفظه : =

ثم إن الناس تداعوا إلى الصلح ، ورهنوا بالوفاء بِدِيَاتِ من كان له الفضل فى القتلى ، وتمّ الصلح ، ووضعت الحرب أوزارها — انتهى .

* * *

« السنة الثانية والعشرون من مولد النبى ﷺ »

فيها ولد عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه [١] . ٥

* * *

« السنة الثالثة والعشرون من مولد النبى ﷺ »

فيها — أو فى سنة ست وعشرين — ولد سعد بن أبى وَقّاص رضى الله عنه [٢] . وفيها — أو فى سنة ست وعشرين ، أو فى سنة ثمان وعشرين ، أو فى سنة ثلاثين — ولد علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه [٣] . ١٠

* * *

= نحن جلبنا الخيل من بطن لية وجلدان جردا منعلات ووقحا

والبيت الثانى فى اللسان مادة سطح ولفظه :

تعرض ضيطاروا خزاعة دوننا وماخير ضيطار يقلب مسطحا ١٥

(١) وهو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبو عبد الرحمن ، حليف بنى زهرة . اختلف فى وفاته والأرجح أنه مات سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ فى خلافة عثمان رضى الله عنه : (الإصابة ٢ : ٢٦٨)

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشى ، أبو إسحاق ابن أبى وقاص . اختلف فى وفاته والأرجح أنه مات سنة ٥٦ هـ (الإصابة ٢ : ٣٣) ٢٠

(٣) انظر فى ترجمته رضى الله عنه . الرياض النضرة ٢ : ٢٠١ — ٢٣٣ ، والإصابة ٢ : ٥٠٧ .

« السنة الرابعة والعشرون من مولد النبى ﷺ »

فيها – وقيل فى السنة السادسة والعشرين – ولد الزُّبَيْر بن العَوَّام رضى الله عنه (١) .

* * *

٥ « السنة الخامسة والعشرون من مولد النبى ﷺ »

فيها قال أبو طالب لابن أخيه النبى ﷺ : أنا رجل لا مال لى ، وقد اشتدّ الزمان علينا ، وهذه عيرُ قومك قد حضر خروجُها إلى الشام ، وخديجة بنت خُوَيْلد تبعث رجالا من قومك فى عِيرٍ لها ، فلو جئتَها فعَرَضْتَ نفسك (٢) لأسرعت إليك . فبلَغَ خديجَةَ ما كان ١٠ من محاورة عَمِّه له ، فأرسلت إليه فى ذلك وقالت : أنا أعطيك ضِعْفَ ما أُعطى رجلا من قومك . فقال أبو طالب : هذا رِزْق قد ساقه الله إليك .

ويقال : إن خديجة لما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صِدْقِ حديثه ، وعِظَمِ أمانته ، وكرم أخلاقه بعثت إليه / فعرضت أن ٦٨ ١٥ يَخْرُجَ فى مالها تاجرا إلى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، فقبله منها رسول الله ﷺ ، فاستأجرت النبىّ ﷺ على أربع بَكْرَات ، ويقال استأجرت معه رجلا آخر من قريش .

---

(١) وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، القرشى الأسدى ، أبو عبد الله ، حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته . قتل سنة ٣٦ هـ بعد انصرافه عن وقعة ٢٠ الجمل بوادى السباع . (الإضافة ١ : ٥٤٥ ، ٥٤٦)

(٢) كذا فى هـ ، وطبقات ابن سعد ١ : ١٢٩ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٤٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢١٤ . وفى ت ، م « فعرضت بنفسك » .

وخرج النبى ﷺ مع غلام لخديجة يقال له مَيْسَرَة ، وجعل عمومة النبى ﷺ يُوصُون به أهلَ العِير ، فبلغ سوقَ بُصْرى - وقيل سوق حُبَاشة [1] بتهامة - لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة ، فباع تجارته التى خرج بها ؛ فربح ضعف ما كانوا يربحون ، واشترى ما أراد أن يشترى . ثم أقبل قافلا إلى مكة - ومعه مَيْسَرَة - فلما كان بمرِّ الظهران [2] قال مَيْسَرَة للنبى ﷺ : تقدم يا محمد فأخبر خديجة بما ربحناه . فدخل النبى ﷺ مكة ساعة الظهيرة ، وخديجة فى عِلِّيَّة لها ، فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره وملكان يُظِلاَّن عليه ، فأرته نساءها فتعجبن لذلك ، ودخل عليها رسولُ الله ﷺ فأخبرها بما ربحوا فى وجههم ، فسُرَّت بذلك . فلما دخل عليها مَيْسَرَة أخبرته بما رأت ، فأخبرها أنه إذا كانت الهاجرة واشتد الحرُّ يرى ملكان يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره ، وأخبرها أنهم نزلوا فى ظل شجرة قريبا من صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ من الرُّهبان يقال له نَسْطُور ، فاطلع الراهب إلى مَيْسَرَة وقال : من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له مَيْسَرَة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطّ إلا نبى . ونظر إلى الغمامة وقد أظلته فسأل مَيْسَرَة : أفى عينيه حُمْرَة ؟ قال : نعم ، لا تفارقه قط . فقال له : هو نبىّ ، وهو آخر الأنبياء .

وأخبرها أنه وقع تلاحٍ بينه وبين رَجُلٍ فى بيع . فاستحلفه باللات والعُزّى ، فقال النبىّ ﷺ : ما حلفتُ بهما قط ، وإنى لأَمُرُّ فَأُعْرِضُ عنهما . فقال الرجل : القول قولك . ثم قال لمَيْسَرَة : هذا والله نبىّ تجده أحْبَارُنَا فى كتبهم منعوتا .

---

(١) سوق بتهامة ، وانظر معجم البلدان لياقوت ، وشرح المواهب ١ : ١٩٨ .

(٢) مر الظهران : هو واد قرب مكة . (معجم البلدان لياقوت)

وباعت خديجةُ ما جاء به النبىّ ﷺ فأضعف أو قريبا . فلما أخبرها مَيْسَرَة بذلك أضعفت للنبى ﷺ ضعف ما سمَّت له (١) .

ورغبت إليه أن يتزوّجها لِمَا رَجَتْ فى ذلك من الخير ، وأخبرت خديجةُ ابن عمها وَرَقَة بن نَوْفَل / ما ذكر لها غلامها ميسرة ٦٩ من قول الراهب ، وما كان رأى منه إذ كان الملكان يُظِلاَّنه ، فقال ورقةُ : لئن كان هذا حقًّا يا خديجة أن كان محمد لنبىَّ هذه الأمة ؛ قد عرفتُ أنه كائن لهذه الأمة نبىٌّ يُنْتَظَرُ ، هذا زمانُه - أو كما قال - وجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول : حتى متى ؟! فكان يقول أشعارا يستبطىء فيها خبر خديجة ويَسْتَرِيبُ ما ذَكَرَت ، فقال ورقةُ بن نوفل : -

أتبكُر أم أَنْتَ العشيّةَ رائح
وفى الصدر من إضمارك الحزن قادح
لِفُرْقَةِ قومٍ لا أُحِبُّ فراقهم
كأنك عنهم بَعْدَ يومين نازِح
وأخبار صدق خُبِّرَت عن محمد
يخُبِّرُها عنه إذا غاب ناصح
فذاكِ (٢) الذى وَجّهْتِ يا خَيْرَ حُرَّة
بغَوْرٍ وبالنجدين حيث الصحاصح

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٢٩ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٤٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢١٤ ، وشرح المواهب ١ : ١٩٧ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٦٣ .
(٢) كذا فى الأصول . وفى الروض الأنف ١ : ٢٢٠ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢١٧ « فتاك » .

إلى سوق بُصْرَى فى الرِّكاب التى غدت
وهُنّ من الأحمال قُعْصٌ [١] دوالح
يخبرنا عن كلِّ حَبْر بعلمه
وللحق أبواب لهن مفاتح[٢]
بأن ابن عبد الله أحمدَ مُرْسَل
إلى كل من ضُمَّت عليه[٣] الأباطح
وظَنِّى به أن سوف يُبْعَث صادقا
كما أُرْسِل العبدان هودٌ وصالح
وموسى وإبراهيم حتى [٤] يُرَى له
بهاء ومَنْشُورٌ من الذكر واضح
ويتبعه حَيَّا لؤَىِّ بن غالب
شبابهم والأشيبون الجحاجح[٥]
فإن أبق حتى يدرك الناس دهره
فإنى به مستبشر الودّ فارح[٦]

---

(١) القعص : التى أصيبت بالقعاص ، وهو داء فى الصدر — ودوالح : أى بطيئات مثقلات الخطو . (المعجم الوسيط)

(٢) كذا فى م ، والروض الأنف ١ : ٢٢٠ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢١٧ . وفى ت ، هـ « فواتح » .

(٣) فى الأصول « إليه » والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٤) فى الأصول « حين » والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٥) الجحاجح : جمع جحجح وهو السيد السمح الكريم . (المعجم الوسيط)

(٦) كذا فى م ، والروض الأنف ١ : ٢٢١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢١٧ . وفى ت ، هـ « فالح » .

وإلاّ فإنى يا خديجة فاعلمى
عَنَ ارْضِك فى الأرض العريضة سائح

* * *

« السنة السادسة والعشرون من مولد النبى ﷺ »

٥ فيها بعد رجوع النبى ﷺ من سفره بشهرين وخمسة وعشرين يوما ، بعد أن أكمل النبىّ ﷺ خمسا وعشرين سنة وشهرا وعشرة أيام – وقيل : وخمسة وعشرين يوما – خطب النبى ﷺ إلى خديجةَ بِنْت خُوَيْلد نَفْسَها ، وكانت ابنة أربعين سنة – ويقال : خمس وأربعين ، ويقال : ثمان وأربعين ، ويقال : ست وأربعين ، وقيل ثلاثين ، ١٠ ويقال ثمان وعشرين ، بسفارة نفيسة ابنة مُنْيَة أخت يَعْلَى – ويقال بسفارة مَيْسَرَة ، وقيل غير ذلك – وكان كلُّ قوم خديجة حريصا على نكاحها ، فلم يُقْدَر [١] ذلك ، / وقد طلبوا وبَذَلُوا لها الأموال . ٧٠

فأرسلت خديجة نفيسة بنت منية [٢] دسيسا إلى النبى ﷺ ، فقالت : يا محمد ، ما منعك أن تتزوج ؟ قال : ما بيدى ما ١٥ أتزوج به . قالت : فإن كُفِيتَ ذلك ، ودُعِيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة . ألا تُجِيب ؟ قال : فمن هى ؟ قالت : خديجة . قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : علىَّ . قال : أفعل [٣] . فذهبت

---

(١) كذا فى ت ، هـ . وفى م « فلم يقدر على ذلك » .
(٢) فى الأصول « بنت يعلى » والتصويب عما سبق ، وعن طبقات ابن سعد ٢٠ ١ : ١٣١ والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٤٤ .
(٣) كذا فى ت ، م ، والمرجعين السابقين ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٢٣ . وفى هـ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٦٤ « افعلى » .

فأخبرتها ، فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا وكذا ، وأرسلت إلى عَمِّها عمرو بن أسد ليزوِّجها ، فقال : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة بنت خويلد ، هذا الفحل لا يقذع (١) أنفه . فحضر ودخل رسول الله ﷺ فى عمومته ، ومعه بنو هاشم وسائر رؤساء مُضَر ، فخطَبَ أبو طالب فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذريّة إبراهيم ، وزَرْع إسماعيل ، وضئضئ مَعَدّ ، وعُنْصر مُضَر ، وجعلنا حَضَنَة بيته ، وسُوَّاس حَرَمِه ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحَرَماً آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يُوزَن به رجل من قريش إلا رجح به شَرَفاً ونُبْلا وفضلا وعقلا ، فإن كان فى المال قلا فإن المال ظِلٌّ زائل ، وأمرٌ حائل ، وعارية مسترجعة . ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة ، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى هذا ، وهو مع هذا — والله — له نبأ عظيم ، وخطر جليل . فتزوجها وأصدقها عشرين بَكْرَة ، وقيل اثنتى (٢) عشرة أوقية ذهبا ونشا (٣) ، والأوقية أربعون درهما ، والنش عشرون درهما ؛ فذلك خمسمائة درهم .

---

(١) كذا فى الأصول بذال معجمة . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٢٧ « لايقدع » بمثناة تحتية مضمومة فقاف ساكنة ، فدال مفتوحة ، فعين مهملتين . قال فى الصحاح قدعت فرسى أقدعه قدعا : كبحته وكففته .

(٢) فى الأصول « اثنتين وعشرين » والتصويب عن شرح المواهب ١ : ٢٠٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٢٤ ، لأن مافى الأصول لايتفق مع النتيجة .

(٣) النش : نصف أوقية . سبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٢٧ .

ويروى : أن الذى زوج النبى ﷺ خديجة أبوها خُوَيْلد .
وذلك فيما ورد أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة ، وكان أبوها يرغب عن (١) أن يزوّجه ، فصنعت خديجةُ طعاما وشرابا ودعت أباها ونفرا من قُرَيش ، فطعموا وشربوا حتى ثملوا ، فقالت خديجة : إنّ محمد بن عبد الله يخطبنى فزَوِّجْنى إياه . فزَوَّجها ، فخلَّقَتْه وألبسته حُلَّة — وكذلك كانوا يفعلون بالآباء — فلما سُرِّىَ عنه سُكْرُهُ نظر فإذا هو مُخَلّق وعليه حلّة ، فقال : ما شأنى ، ما هذا ؟ قالت : زَوَّجْتَنى محمد بن عبد الله . قال : أنا أُزَوِّجُ يتيم أبى طالب !! لا لعمرى . قالت خديجة : ألا تَستَحِى ، تريد أن تسفه نفسك عند قريش ، تخبر الناس أنك كنت سكرانا ؟! فلم تزل به حتى رضى .

وقيل : قال عَمّار بن ياسر : كنت تِرْباً للنبى ﷺ / وإلفا وخِدناً ، وإنى خرجت معه ذات يوم حتى إذا كنا بالحَزْوَرَة جُزْنَا على أختِ خديجة — وهى جالسة على أدم تبيعها — فنادتنى ، فانصرفت إليها ، ووقف لى رسول الله ﷺ ، فقالت : أما لصاحبك هذا من حاجة لتزويج خديجة ؟ فرجعت إليه فأخبرته ، فقال : بلى لعمرى . فذكرتُ لها قولَ رسول الله ﷺ ، فقالت : أغدوا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم فوجدناهم قد ذبحوا بَقَرةً ، وألبسوا أبا خديجة حلّة وصُفِّرت لحيته ، وكلَّمَت أخاها ، فكلَّم أباها — وقد سُقِىَ خمرا — فذكر له رسول الله ﷺ ومكانه ، وسأله (٢ أن يزوِّجَه ، فزَوَّجَه خديجة ٢) ، وصنعوا من

(١) كذا فى م . وفى ت ، هـ « من أن » .

(٢) كذا فى هـ ودلائل النبوة ١ : ٣٤١ . وفى ت ، م « أن يزوجه خديجة وصنعوا » .

البقرة طعاما فأكلنا منه ، ونام أبوها ثم استيقظ صاحيا فقال : ما هذه الحُلَّة وهذه النقيعَة (١) وهذا الطعام ؟ فقالت له ابنته التى كانت كلمت عمارا : هذه حُلَّة كساكها محمد بن عبد الله خَتَنُك ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زوَّجْتَه خديجة . فأنكر أن يكون زَوَّجَه ، وخرج يصيح حتى جاء الحِجْرَ ، وخرجت بنو هاشم برسول الله ﷺ حتى جاءوه فكلَّمُوه ، فقال : أين صاحِبُكم الذى تَزْعُمُون أنى زَوَّجْته ؟ فبرز له رسول ﷺ ، فلما نظر إليه قال : إن كنتُ زَوَّجْتُه فسبيل ذلك (٢) ، وإن لم أكن فعلت فقد زَوَّجْتُه .

ويقال : إن النبى ﷺ وصاحبه الذى سافرا جميعا لخديجة . انطلقا يتحدثان عند خديجة ، فجاءاها فبينا هما عندها إذ دخلت عليهم منشئة من مولدات قريش – ويقال مستنشئة ، وهى : الكاهنة – فقالت : أمحمد هذا !! والذى يُحْلَف به أن جاء لجاء خاطبا . فقال النبىّ ﷺ : كَلاَّ . فلمَّا خرجا . قال له صاحبه : أمن خطبة خديجة تستحى !! فوالله ما من قُرَشِيَّة إلا تراك لها كفئا . فرجعا جميعا (٣ مرة أخرى ٣) ، فدخلت عليهم تلك المنشئة فقالت : أمحمد هذا ، والذى يحلف به أن جاء لخاطبا . فقال النبىّ ﷺ – على حياء – : أجل . فلم تَغْضَب خديجة ولا أختُها ، فانطلقت إلى

---

(١) النقيعة : مايذبح للضيافة . والطعام يصنع للقادم من السفر . وطعام الرجل ليلة عرسه . (المعجم الوسيط)

(٢) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ١ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٦٧ « فسبيل ذاك » .

(٣) سقط فى ت .

أبيها خُوَيْلد بن أسد – وهو ثَمِلٌ من الشراب – فقالت له : هذا ابن أخيك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة – وقد رضيت خديجة – فدعاه فسأله عن ذلك ، فخطب إليه فأنكحه ، فخلَّقت خديجة أباها وحلت عليه حُلّة ، فدخل عليها رسول الله ﷺ . / فلما صَحَا الشيخُ من سُكْرِهِ قال : ما هذا الخَلُوق ، ٧٢ وما هذه الحُلَّة ؟ قالت أختُ خديجة : هذه حُلَّةٌ كساكها ابن أخيك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب حين أنكحته خديجة ، وقد بنى بها . فأنكر الشيخ ثم صار إلى أن سَلَّم ذلك واستحيا . فطفقت رجاز من رجاز قريش تقول : –

لا تزهدى خُدَيْجُ فى محمد جلد يضىء كأضاة الفرقد[1]

وقد رُدّ هذا القول بأن أباها خويلداً تُوُفِّىَ قبل الفِجَار .

وقيل إن الذى زوّج النبىّ ﷺ خديجة أخوها عمرو بن خويلد .

والصحيح المجمع عليه أن عَمّها عمرو بن أسد هو الذى زوجها .

وولدت خديجة للنبىّ ﷺ القاسم ثم زينب ثم عبد الله ويقال له الطيّب والطاهر ، ولد بعد النبوة – ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية .

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٢٤ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠١ ، مع اختلاف بين الثلاثة فى ألفاظ الشطر الثانى .

ويقال ولدت زينب ، ثم القاسم ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، ثم عبد الله . ومات القاسم بمكة – وقد مشى – وهو ابن سنتين ، ولما رجع النبيُّ ﷺ من جنازته مَرَّ على العاص بن وائل وابنه عمرو بن العاص ، فقال عمرو حين رأى النبي ﷺ : إني لأشنؤه . فقال العاص : لا جَرَم ، لقد أصبح محمد أبتر من ابنه ، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ ﴾ عوضا يا محمد عن مصيبتك بالقاسم ﴿ فصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر ۞ إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾

ويقال : إن العاص لما مات عبدُ الله بنُ النبى ﷺ قال : محمد أَبْتَرُ لا يعيش له ذكر . فأنزل الله عز وجل فيه ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾ .

وفيها ولد طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه (١) .

* * *

« السنة السابعة والعشرون من مولد النبى ﷺ »

فيها ولد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (٢).

* * *

---

(١) وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن غالب القرشى التيمى ، أبو محمد . أحد العشرة المبشرين بالجنة . رمى بسهم فى وقعة الجمل فأصاب ركبته فمات منه فى يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ . (الإصابة ٢ : ٢٢٩ ، ٢٣٠)

(٢) وانظر العقد الثمين ٤ : ٥٥٩ برقم ١٢٨٤ .

« السنة الثامنة والعشرون من مولد النبى ﷺ » (١)

....

* * *

« السنة التاسعة والعشرون من مولد النبى ﷺ » (١)

....

* * *

« السنة الثلاثون من مولد النبى ﷺ »

فيها وُلِدَت زينبُ ابنة النبى ﷺ (٢) .

* * *

« السنة الحادية والثلاثون من مولد النبى ﷺ »

فيها وُلِدَ أبو هريرة رضى الله عنه (٣) .

* * *

« السنة الثانية والثلاثون من مولد النبى ﷺ »

فيها ولد بلال بن الحارث المُزَنِىّ (٤) .

---

(١) لم يذكر المؤلف شيئا مما وقع فيهما من أحداث .

(٢) وانظر فى زواجها وهجرتها ووفاتها تاريخ الخميس ١ : ٢٧٣ .

(٣) واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، أبو هريرة . ويعرف بكنيته . وحول اسمه خلاف كبير ، وتوفى سنة ٥٧ هـ على الخلاف . (الإصابة ٤ : ٢٠٢ — ٢١١)

(٤) وهو بلال بن الحارث بن عصم بن سعيد بن قرة بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور ، أبو عبد الله المزنى . من أهل المدينة وأقطعه النبى ﷺ العقيق ، وكان صاحب لواء مزينة يوم الفتح . توفى سنة ٦٠ هـ . (الإصابة ١ : ١٦٤)

« السنة الثالثة والثلاثون من مولد النبى ﷺ »

فيها ولد سعيد بن عامر بن حِذْيم [١] ، ورقيّة [٢] ابنة النبى ﷺ .

* * *

« السنة الرابعة والثلاثون من مولد النبى ﷺ »

فيها ولد معاوية بن أبى سُفيان [٣] ، ومُعَاذ بن جَبَل [٤] .

وفيها مات زيد بن عمرو بن نُفَيْل [٥] فقال النبى ﷺ : يأتى يوم القيامة أمةً وحده . وكان زيد يَعِيبُ عَلى قُرَيْش ذبائحهم ، ويقول : الشاةُ خلقها الله . وأنزل لها من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض . ثم يذبحونها على غير اسم الله !! إنكارا لذلك وإعظاما له .

---

(١) هو سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح القرشى الجمحى ، من كبار الصحابة وفضلائهم ، وأسلم قبل خيبر . مات سنة ١٩ أو ٢٠ أو ٢١ هـ . (الاستيعاب ٢ : ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، والإصابة ٢ : ٤٨ ، ٤٩)

(٢) وانظر فى زواجها وهجرتها ووفاتها تاريخ الخميس ١ : ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(٣) وانظر ترجمته فى الإصابة ٣ : ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٤) وهو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن تميم بن كعب بن سلمة ، أبو عبد الرحمن الأنصارى الخزرجى . توفى بالطاعون فى الشام سنة ١٧ هـ . (الإصابة ٣ : ٤٢٦ ، ٤٢٧)

(٥) وانظر أخباره فى سيرة النبى لابن هشام بشرح الروض الأنف ١ : ٢٥٥ — ٢٦٣ — والبداية والنهاية ٢ : ٢٣٧ — ٢٤٣ . وتاريخ الخميس ١ : ٢٧٩ وفيه مات فى سنة ٣٥ هـ من مولده ﷺ وقال : أورده مغلطاى فى سنة ٣٤ هـ .

قال زيد بن حارثة رضى الله عنه : خرج رسول الله ﷺ وهو مُرْدِفِي إلى نُصُبٍ من الأنصاب ، فذبحنا له شاةً فوضعناها فى التَّنُّور حتى إذا أنضجت استخرجناها فجعلناها فى سُفْرَتِنَا ، ثم أقبل رسول الله ﷺ وهو مُرْدِفِي – فى أيام الحَرِّ بمكة – حتى إذا كنا فى أعلى ٥ الوادى لقيه زَيْدُ بن عَمْرو بن نُفَيْل ، فحيا أحدُهما الآخر بتحية الجاهليةِ فقال له رسول الله ﷺ : يا عَمّ مالى أرى قومَك قد شنعوا لك ؟ قال : أما والله إن ذلك منى لغير ثائرة كانت منى إليهم ، ولكنى أراهم على ضلالة ، فخرجت أبتغى هذا الدين حتى قدمت على أحبار يَثْرِب ، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، قلت : ما هذا بالدين الذى ١٠ أبتغى ، فخرجت حتى قدمت على أحبار أَيْلَة [١] . فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، فقلت : ما هذا بالدين الذى أبتغى ، فقال لى حَبْرٌ من أحبار أهل الشام : إنك تسأل عن دين ما نَعْلَمُ أحدا يعبدُ الله به إلا شيخا فى الجزيرة . فخرجت حتى قدمت عليه ، فأخبرته بالذى خرجت له ، فقال : مِمَّنْ أنت ؟ قلت : من أهل بيت الله من أهل ١٥ الشَّوْكِ والقَرَظِ . فقال : إن كل من رأيت / فى ضلالة ، إنك تسأل ٧٤ عن دينٍ هو دينُ الله ودينُ ملائكته ، وقد خرج فى أرضك نبىٌّ – أو هو خارجٌ – يدعو لله ، قد طَلَع نجمُه ، إرجع إليه وصدِّقْه واتَّبِعْه ، وأمر بما جاء به . فرجعتُ فلم اختبر شيئا بعد . فأناخ رسول

(١) أيلة : هى إيلات فى أقصى خليج العقبة من البحر الأحمر من أرض ٢٠ فلسطين . وقيل هى آخر الحجاز وأول الشام ، وكانت عامرة باليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير . (معجم البلدان لياقوت)

الله ﷺ البعير الذى كان تحته ، ثم قدمنا إليه السُّفْرَة التى كان فيها الشواء ، فقال : ما هذا ؟ فقلنا : هذه شاة ذبحناها لِنُصُبِ كذا وكذا . فقال : إنى لا آكل ما ذُبِحَ لغَيْرِ الله . ويقال : إن زيدا قال : إنَّا لا نأكل مما تَذْبَحُون عَلَى أنصابكم ، ولا نأكل إلا ما ذُكِرَ اسمُ الله عليه . ٥

ويقال : إن ملاقاة النبىّ ﷺ لزيد كانت بأسفل بَلْدَحَ [١] .

وقال وَرَقَةُ بن نَوْفَل يبكى زيد بن عمرو بن نُفَيْل :

رشدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرو وإنما ... تجنبتَ تنوراً من النارِ حاميا
بدينكَ ربّاً ليسَ ربٌّ كمِثلِه ... وتركِك حيات [٢] الجبال كما هيا
تقول إذا جاوزت أرضا مخوفة ... باسم الإله بالغداة وساريا ١٠
تقول إذا صَلَّيت فى كل مسجد ... حنانيك لا تظهر علينا الأعاديا

* * *

« السنة الخامسة والثلاثون من مولد النبى ﷺ »

فيها — ويقال : فى السنة الخامسة والعشرين ، وهو غير صحيح — هدمت قريش الكعبةَ ، وجدَّدَت عمارتها ؛ وذلك أن ١٥ الكعبة كانت مبنية برَدْمٍ يابس ليس بمَدَرٍ تَنْزُوه [٣] العَنَاق ، وكان بابها بالأرض ، ولم يكن لها سَقْفٌ وإنما تُدَلَّى الكسوةُ على الجُدُرِ من

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب . (معجم البلدان لياقوت)
(٢) وفى سيرة النبى لابن هشام بشرح الروض الأنف ١ : ٢٦٣ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٣٨ « أوثان الطواغى » . ٢٠
(٣) تنزوه : أى تثب عليه . (المعجم الوسيط)

خارج ، وتربط من أعلى الجُدُرِ فى بطنها . وكان فى بطن الكعبة عن يمين من دخلها جُبٌّ يكون فيه ما يُهْدَى إلى الكعبة من مال وحِلْيَة ؛ كهيئة الخزانة ، وكان يكون على ذلك الجُبِّ حيَّة تَحْرُسُه ، بعثها الله تعالى منذ زمن جُرْهم ؛ وذلك أنه عَدَا عَلَى ذلك الجُبِّ ٥ قومٌ من جُرْهُم فسرقوا مالها وحليتها مَرّة بعد مَرَّة ، فبعث الله تعالى تلك الحَيَّة فحرست الكعبة وما فيها خمسمائة سنة ، فلم تزل كذلك حتى بنت قريش الكعبة ، وكان قَرْنَا الكبش الذى ذبحه إبراهيم خليل الرحمن معلقين فى بطنها بالجدر تلقاء من دخلها ، يُخُلَّقَان ويُطَيَّبان إذا طُيِّبَ البيتُ . وكان فيها معاليق من حِلْيَةٍ كانت تُهْدَى للكعبة ، ١٠ فكانت على ذلك من أمرها .

ثم إن امرأة من قريش ذهبت تُجَمِّرُ الكعبة ، فطارت / من ٧٥ مِجْمَرَتِها شرارة فاحترقت كُسْوَتُها – وكانت الكُسْوَة عليها ركاما بعضها فوق بعض – فلما احترقت الكعبةُ توهَّنَت جُدْرَانها من كل جانب وتصدَّعت ، وكانت الخُرُف (١) والأَرْبِعَةُ عليهم مُظِلَّة ، ١٥ والسيول مُتَواتِرَةٌ ، ولِمَكَّة سيولٌ عَوارِمٌ (٢) ، فجاء سيل على تلك الحالة فدخل الكعبة وصدَّع جدرانها . ويقال كان السَّيْل ينزل من أعلى الكعبة حتى يدخلها ، فَفَزِعَت من ذلك قريش فَزَعا شديدا ، وخافوا أن تَنْهَدِم ، وهَابُوا هَدْمَها ، وخشوا إنْ مَسُّوها أن ينزل عليهم العذاب . وسُرِقَ من الكعبة حليةٌ وغزالٌ من ذهب كان عليه دُرٌّ وجَوْهَرٌ .

---

٢٠ (١) الخرف : جمع خريف ، والأربعة : جمع ربيع .

(٢) كذا فى م وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٠ . وفى ت « السيول العوارم » وفى هـ « سيول العوارم » .

فبينما هم على ذلك ينتظرون ويتشاورون إذا أقبلت سَفِينة من الروم حتى إذا كانت بالشعيبة - وهى يومئذ ساحل مَكّة - انكسرت ، فسمعت بها قريش ، فركب الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش فاشتروا خشبها ، وأَعَدُّوه لسقف الكعبة ، وأذنوا لأهلها أن يدخلوا مكة فيبيعون ما معهم من متاعهم على ألا يُعَشِّرُوهم ، وكانوا يعشرون من دخلها من تُجَّار الرُّوم كما كانت الروم تُعَشِّر من دَخْل منهم بلادها ، فكان فى السفينة رجلٌ روميٌّ نَجَّار يسمى بَاقُوم - ويقال : ورأسهم بَاقُوم ، وكان بانيا - فكلْموه بأن يقدم معهم ويبنى لهم الكعبة بُنْيَانَ الشام .

فلما قدموا بالخشب لمكة قالوا : لَوْ بَنَيْنَا بيتَ ربِّنَا . فأجمعوا لذلك ، وتعاونوا وتَرَافَدُوا فى النفقة ، واختلفوا فى بُنّيان مُقَدَّمِ البيت ، فقال أبو أمية بن المغيرة : يا معشر قريش لا تنافسوا ولا تباغضوا فيطمع فيكم غيرُكم ، ولكن جَزِّئوا البيت أربعة أجزاء ، ثم رَبِّعُوا القبائل فلتكن أرباعا ، ثم اقترعوا عند هُبَل فى بطن الكعبة على جَوَانِبِها . فطار قِدْحُ بنى عبد مناف وبنى زهرة على الوجه الذى فيه الباب وهو الشرقى ، وقِدْحُ بنى عبد الدار ، وبنى أسد بن عبد العُزَّى ، وبنى عَدِىّ على الشق الذى يلى الحِجْرَ وهو الشق الشامى . وطار قِدْح بنى سَهْم ، وبنى جُمَح ، وبنى عامر بن لؤى على ظهر الكعبة وهو الشق الغربى . وطار قِدْحُ بنى تَيْم وبنى مخزوم وقبائل من قريش ضموا معهم على الشق اليمانى الذى يلى الصفا وأجياد . وأمروا بالحجارة أن تُجْمَع بَيْنَ أجياد والضواحى [١] فكانت قريش تنقل

(١) الضواحى : ظواهر مكة ، وقريش الضواحى : أى النازلون بظواهر مكة . (المعجم الوسيط) .

بأنفسها الحجارة تَبَرُّرًا وتَبَرُّكا بالكعبة . وكان النبى ﷺ ينقل معهم الحجارة على رقبته ، فبينما هو ينقلها إذ انكشفت نَمِرَةٌ كانت عليه ، / فَنُودِىَ يا محمد عورتك ، وذلك أول ما نودى والله أعلم ؛ ٧٦
فما رُئِيَتْ لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك . ولُبِجَ (١) برسول الله ﷺ من الفزع حين نُودِى ، فأخذه العباس بن عبد المطلب فضَمَّه إليه وقال : لو جعلت بعض نَمِرَتِك على عاتِقِك تقيك الحجارة . قال : ما أصابنى هذا إلاّ من التَّعَرِّى – أو قال إنى نهيت أن أتَعَرَّى – فشدّ رسول الله ﷺ إزاره وجعل ينقل معهم (٢) .

ويقال إن النبى ﷺ كان ينقل مع قريش الحجارة ، وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة . فقال العباس للنبى ﷺ : يا ابن أخى لو حللت إزارك فجعلته على مَنْكِبك دون الحجارة . فحلّه فجعله على مَنْكِبِه ، فخرّ إلى الأرض مغشيًّا عليه ، وطمحت (٣) عيناه إلى السماء ، ثم قام فقال : إزارى ، إزارى . فشدّ عليه إزاره ؛ فما رئى ﷺ بعد ذلك اليوم عريانا (٤) .

وقيل : إن العباس قال : إن كنا لننقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش البيت ، وأفْرَدَت قريش رجلين رجلين ، الرجال ينقلون

(١) لبج به : صرع وسقط من قيام . (المعجم الوسيط)

(٢) أخبار مكة ١ : ١٥٧ – ١٦١ . وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٢٨ – ٢٣٦ . وشرح المواهب ١ : ٢٠٥ .

(٣) طمحت عيناه : أى رفعهما وحدّق ، ويقال نظر . (المعجم الوسيط)

(٤) الخصائص الكبرى ١ : ٢١٧ ، ٢١٨ . وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٣٠ . وشرح المواهب ١ : ٢٠٥ .

الحجارة والنساء ينقلن الشِّيد [١] ، وكنت أنا وابن أخى فكنا نحمل على رِقَابنا وأُزُرُنا تحت الحجارة ، فإذا غشينا الناس اتَّزَرْنا ، فبينما أنا أمشى ومحمد قدامى ليس عليه شئ فخرّ محمد فَانْبَطحَ على وجهه ، فجئت أسعى وألقيتُ حَجَرِى . وهو ينظر إلى السماء فوقه – فقلت : ما شأنك ؟ فقام فأخذ إِزَارَه ثم قال : نُهِيتُ أن أمشى عريانا . قلت : اكْتُمْه للناس – مخافة أن يقولوا مجنون [٢] .

ويقال : إن العباس قال : إن كنا صِبْيَان نحمل الحجارة إلى المسجد لبناء الكعبة ، فننزع أُزُرَنا فنضعها على أكتافنا ، ونضع الحجر عليه ، فبينما نحن كذلك ورسول الله ﷺ إذ وقع وسقط الحجرُ – وأنا قائم – فقلت : يا ابن أخى (٣ ما شأنك ٣) ، وإنى لا أرى بك بأسا . ولا أرى الحجرَ ضَرّك ؟ فنظر إلى السماء ، ثم نظر إلىّ فقال : أشدد عليك إزارك ؛ فإنى قد نهيت أن أَتَعَرَّى بعد هذا اليوم .

وقيل : بينا النبىّ ﷺ يحمل حجارة من أجياد الضواحى وعليه نَمِرَةٌ فضاقت عليه النمرة فذهب يضع النَّمِرَة على عاتقه فبدت [٤] عورته من صغر النمرة ، فنودى : يا محمد خمِّر عورتك . فلم ير عريانا بعد .

---

(١) الشيد : كل ماطلى به البناء من جص ونحوه . (المعجم الوسيط)
(٢) زاد الخصائص الكبرى ١ : ٢١٨ « فكنت أكتمها » .
(٣) بياض فى ت ، والمثبت من م ، هـ .
(٤) فى الأصول « فترى عورته » والمثبت عن سبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٣٠ وشرح المواهب ١ : ٢٠٥ .

وقيل : إن النبى ﷺ قال : إنى لَمَعَ غِلْمان هم أسنانى قد جعلنا أُزُرَنا على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها ، إذ لكَمَنى لاكِمٌ / ٧٧ لَكْمَةً شديدة ثم قال : اشدد عليك إزارك (١) .

ولما أن أجمعت قريش على هَدْمِ الكعبة أخرجوا ما كان فيها من ٥ حلية ومال وقَرْنَيِ الكبش ، وجعلوه عند أبى طلحة عبد الله بن عبد العُزَّى بن عبد الدار بن قُصَىّ ، وأخرجوا هُبَل . وكان على الجب الذى فيه ، نَصَبَه عمرو بن لُحَىّ هنالك ، ونُصِبَ عند المقام (٢) . ولما اجتمع لهم ما يريدون من الحجارة والخشب . وما يحتاجون إليه غَدَوا على هَدْمِها ، فخرجت الحيةُ التى كانت فى بطنها تحرسها — ١٠ سوداء الظهر بيضاء البطن رأسها مثل رأس الجدى — تمنعهم كلما أرادوا هدمها ، فلما رأوا ذلك اعتزلوا عند مقام إبراهيم — وهو يومئذ فى مكانه الذى فيه اليوم — فقال لهم الوليد بن المغيرة — ويقال : أبو أحيحة سعيد بن العاص : يا قوم ألستم تريدون بهدمها الإصلاح ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله لا يهلك المصلحين ، ولكن لا تُدْخِلوا فى ١٥ عمارة بيت ربكم إلا من طَيِّب أموالكم ، ولا تدخلوا فيه مالا من رِبا ، ولا مالا من مَيْسر ، ولا مَهْرَ بَغِىّ ، وجنبوه الخبيث من أموالكم ، ومالم تُقَاطِعوا رحما ، ولا تظلموا فيه أحدا من الناس ؛ فإن

---

(١) وبمعناه فى شرح المواهب ١ : ٢٠٥ .

(٢) وأضاف الأزرق فى أخبار مكه ١ : ١٦٦ « حتى فرغوا من بناء البيت ، فردوا ٢٠ ذلك المال فى الجب ، وعلقوا فيه الحلية وقرنى الكبش ، ونصبوا هبل على الجب كما كان قبل ذلك » .

الله لا يقبل إلا طَيِّبا . ففعلوا ، ثم وقفوا عند المقام يدعون ربهم ويقولون : اللهم إن كان لك فى هدمها رضا فأتمه ، واشغل عنا هذا الثعبان . فأقبل طائر من جو السماء كهيئة العقاب ، ظهره أسود ، وبطنه أبيض ، ورجلاه صفراوان – والحية على جدار البيت فاغرة فاها – فأخذ برأسها ثم طار بها حتى أدخلها أجياد الصغير . فقالت قريش : إنّا لنرجو أن يكون الله سبحانه وتعالى قد رضى عملكم ، وقبل نفقتكم فاهدموه [١] .

ويقال : لَمّا أرادت قريش أن تبنى الكعبة كانت الحية تخرج كل يوم من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يُهْدَى لها ، فتشرف [٢] على جدار الكعبة ، وكانوا يهابونها ؛ وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احْزَأَلَّت [٣] وكشّت وفتحت فاها . فقالوا : إن أراد الله أن يتممه فسيكفيكموها . فبينا هى تشرف [٤] على جدار الكعبة بعث الله

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦١ ، ١٦٢ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٤ .

(٢) كذا فى الأصول وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٠ . وفى سيرة النبى لابن هشام بشرح الروض ١ : ٣٢٤ ، والاكتفا ١ : ٢٦ « فتتشرق » . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٢٨ « فتشرق » .

(٣) فى الأصول ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٣٤ « أخزألت » بخاء معجمة فزاى فهمزة مفتوحة فلام مشددة فتاء تأنيث : أى رفعت ذنبها . والمخزئل المرتفع . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام بشرح الروض ١ : ٣٢٤ . والاكتفا ١ : ٢٦ . وفى القاموس المحيط احزأل ــ بالحاء المهملة ــ البعير فى السير احزئلالا ارتفع ، والجبل ارتفع فوق السراب ، والشىء اجتمع ــ (وانظر لسان العرب حزل)

(٤) فيها الخلاف الذى فى التعليق قبل السابق .

عليها طائرا أبيض فأخذ بأنيابها فاختطفها فذهب بها .نحو الحجون [١] ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا ، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية [١] .

ثم إنّ قريشا هابوا هدمها وفَرِقُوا منه ، فقال [الوليد بن] [٢]
٥ المُغِيرَة : أتريدون الإصلاح أم تريدون الإساءة ؟ فقالوا : بل نريد الإصلاح . قال : فإن الله لا يُهْلِك المصلح ، فقالوا : فمن ذا الذى يعلوها فيبدأ بهدمها ؟ فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم فى هدمها ؛ أنا شيخٌ كبير ، فإن أصابنى أمرٌ كان قد دَنَا أجَلِى ، وإن كان غير ذلك فلم يَرْزَأْنى . / فعَلاَ البيتَ وفى يده عتلة – وقيل : مِعْوَل ، ٧٨
١٠ ويقال : فأس – يَهْدِمُ بها ، فتَزَعْزَع من تحت رجله حجرٌ فقال : اللهم لا تُرَع [٣] إنما أردنا الإصلاح – أو إنّا لا نريد إلا الإصلاح . ويقال : قال : اللهم لا نَزِغ [٤] ، اللهم لا نريد إلا الخير . وجعل يهدمها حجرا حجرا بالعتلة ، فهدم يومه ذلك من ناحية الرُّكْنَيْن ، فقالت قريش : نخاف أن ينزل به العذاب إذا أمسى .

---

١٥ (١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٠ ، والاكتفا ١ : ٢٦ ، وسيرة النبى لابن هشام بشرح الروض ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ . والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٧٧ .

(٢) الإضافة عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٥٨ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٣٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٤ « لم ترع » وفى شرح المواهب « بفوقية مضمومة فراء
٢٠ مفتوحة أى لم تفزع الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها ، وهذا أولى من إعادة السهيلى الضمير لله قائلا لا روع هنا » .

(٤) فى شرح المواهب ١ : ٢٠٤ بفتح النون وكسر الزاى وغين معجمة قال : وهو جلى لا يشكل أى لم نحل دينك ولا خرجنا عنه .

ويقال : فتربّص الناسُ به تلك الليلة وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نَهْدِم شيئا ورددْنَاه كما كان ، وإن لم يصبه شئ فقد رضى الله ما صنعنا [١] .

فأصبح الوليد غاديا على عمله ، فلما أن رأته قريش ولم يأتهم ما يخافون من العذاب فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الذى رفع عليه إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت ، فأفضوا إلى حجارة خُضْرٍ كأنها الإبل الخلف لا يطيق الحجرَ منها ثلاثون رجلا ، يُحَرَّكُ الحجرُ منها فترتجّ جوانبها ، قد تشبك بعضها ببعض – وقيل : تحرك حجر فانتفضت مكة بأسرها – فأدخل الوليد بن المغيرة عتلته بين الحجرين فانفلقت منه فلقة فأخذها أبو وهب بن عمرو بن عائذ [٢] ابن عمران بن مخزوم – وقيل عامر بن نوفَل بن عبد مناف ، والأوّل أثبت – فنَزَت من يده حتى عادت فى مكانها ، وطارت من تحتها بَرْقَةٌ كادت أن تخطف أبصارهم ، ورجفت مكة بأسرها ، فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا ما تحت ذلك [٣] .

ويقال : إن قريشا لما هدموا الكعبة وأرادوا أن يأخذوا فى بنائها أحضروا عُمَّالهم ، فلم يقدر رجلٌ منهم أن يمضى أمامه موضع قدمه ، وزعموا أنهم رأوا حيّة قد أحاطت بالبيت ورأسها عند ذنبها ، فأشفقوا

---

(١) الاكتفا ١ : ٢٠٧ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٤ .

(٢) فى الأصول « عابد » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٢٤ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ١١٥ .

(٣) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٢ ، ١٦٣ .

منها شفقة شديدة ، وخشوا أن يكونوا قد وقعوا – مما عملوا – فى هلكة ، – وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس ، وشرفا لهم – فسُقِطَ فى أيديهم ، وألبس عليهم أمرهم ؛ فقام المغيرة بن عبد الله بن عمر [١] بن مخزوم فقال : هل لكم فى أمر تَبتغون به مرضاة رب هذا
٥ البيت ، فإذا اجتهدتم رأيكم وجهدتم جهدكم نظرتم ، فإن خَلَّى اللهُ بينكم وبين بنيانها فذلك الذى أردتم ، وإن حال بينكم وبينه كان ذلك وقد اجتهدتم . ثم قالوا : أَشِرْ علينا . قال : إنكم قد جمعتم لنفقة هذا البيت ما قد علمتم ، وإنكم قد أخذتم فى هدمه وبنيانه على تحاسد منكم ، وإنى أرى أن تَقَسَّمُوا أربعة / أقسام على منازلكم فى الآل والأرحام ، ثم تُقَسِّمُوا ٧٩
١٠ البيت على أربعة أقسام ، ولا تجعلوا أحد جوانب البيت كاملا لكل ربع ، ولكن اقتسموه أنصافا من كل جانب من جوانب البيت ، فإذا فعلتم ذلك فليعين كل ربع منكم نصيبه ، ولا تَجْعَلُنّ فى نفقة البيت شيئا أصبتموه غَصْباً ، ولا قطعتم فيه رحما ، ولا انتهكتم فيه ذِمَّةً بينكم وبين أحد من الناس ، فإذا فعلتم ذلك فاقترعوا بفناء البيت ، ولا تنازعوا ولا تنافسوا ،
١٥ وليصب [٢] كل ربع منكم موضع سهمه ، ثم انطلقوا بعمالكم فلعلكم إذا فعلتم ذلك أن تخلصوا إليها . فلما سمعوا قول المغيرة رَضُوا به وانتهوا إليه ، وفعلوا الذى أمرهم به . فلما فعلوا ذلك ذهبت الحية فى السماء وتغيَّبَت عنهم ، ورأوا أن ذلك من الله عز وجل [٣] .

---

(١) كذا فى ت ، هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٣٣١ . وفى م والسيرة النبوية لابن كثير ١ :
٢٠ ٢٧٥ . « عمرو » .

(٢) فى ت « وليحجر » وفى م « وليصير » وفى هـ « وليصر » . والمثبت عن دلائل النبوة ١ : ٣٣٢ .

(٣) المرجع السابق ١ : ٣٣١ ، ٣٣٢ .

ويقال : إن طائرا خطف الحية وألقاها نحو أجْيَاد [١] .

ووجدوا فى أساس ركن من أركانها فى حجر مكتوب : أنا يَغْفُر ابن عبد قرا ، أقرأ على ربى السلام من رأس ثلاثة ألاف سنة [٢] .

ووجدوا فى حَجَرٍ من الأساس كتابا ، فدعوا له رجلا من أهل اليمن وآخر من الرهبان ، فإذا فيه : أنا الله ذو بَكَّةَ حَرَّمتها يوم خلقت السموات والأرض والشمس والقمر ، ويوم صُغْتُ [٣] هذين الجبلين ، وصغتهما يوم صغت الشمس والقمر ، وحففتهما بسبعة أملاك حنفاء ، وجعلت رِزْقَ أهلها من ثلاثة سبل ، لا يحلها أوّل مِنْ أهلها [٤] . فليس يُؤْتَى أهل مكة إلا من ثلاثة طُرُق : أعلى الوادى ، وأسفله ، وكداء ؛ وباركت لأهلها فى اللَّحْمِ والماء [٥] .

ووجدوا [٦] فى بئر الكعبة فى نقضها كتابين من صفر مثل بيض النعامة ، مكتوب فى أحدهما : هذا بيت الله الحرام ، ورِزْقُ أهله العبادةُ ، لا يُحِلّه أوّل مِن أهله . والآخر : براءةٌ لبنى فلان – حيٌّ من العرب – من حجة للهِ حَجُّوها .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٧٦

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٤ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ١ : ٣٣٣ « وضعت » .

(٤) الاكتفا ١ : ٢٠٨ .

(٥) كذا فى الأصول . وفى المرجع السابق ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٣١ « فى الماء واللبن » .

(٦) فى الأصول « ووجد » . والتصويب يقتضيه السياق .

ووجدوا فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من اليهود ، فإذا هو : أنا الله ذو بكة ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصوّرت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها فى الماء ٥ واللبن [١] .

ووجدوا فى حَجَرٍ منها – ويقال إنه فى أسفل المقام – كتابا لم يدروا ما هو حتى جاءهم حَبْرٌ من اليهود من اليمن ، نظر إلى الكتاب فحدثهم أنه قد قرأه ، فاستحلفوه لتحدثنا بما فيه ولتصدقنا عنه . فأخبرهم أن فيه : أنا الله ذو بكة ، حرمتها يوم خلقت السموات ١٠ والأرض والشمس والقمر ، ويوم رفعت هذين الجبلين ، وحففتها بسبعة [٢] أملاك / حنفاء . ٨٠

ويروى أنهم وجدوا كتابا بأسفل المقام ، فدعوا رجلا من حِمْيَر فقال : إن فيه حَرْفاً لو حدثتكموه لقتلتمونى . فظنت قريش أن فيه ذكر محمد فكَتَمَهم إيّاه [٣] .

١٥ ووُجِد فى المقام كتاب : هذا بيت الله الحرام بمكة ، توَكَّل الله برزق أهله من ثلاث سبل ، مبارك لأهله فى اللحم واللبن ، لا يحله أوّل مِنْ أهله ، [٤] ووجدوا فى الحجر كتابة من خلقة الحجر [٤] : أنا

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٢٦ ، والاكتفا ١ : ٢٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٧٩ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٣١ .

٢٠ (٢) كذا فى ت ودلائل النبوة ١ : ٣٣٣ . وفى م ، هـ « بتسعة » .

(٣) وفى دلائل النبوة ١ : ٣٣٤ « فظننا أن فيه ذكر محمد فكتمناه » .

(٤) كذا فى هـ . وفى ت ، م « ووجد فى الحجر كتاب من خلقه الحجر » .

الله ذو بكة الحرام ، صغتها يوم صغت الشمس والقمر ، وحففتها بتسعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها فى اللحم والماء ، يحلها لأهلها [١] ، ولا يحلها أوّل مِن أهلها .

ولما جمعوا ما أخرجوه من النفقة قلّت النفقة على أن تبلغ بهم عمارة البيت كله ، فتشاوروا فى ذلك ، فأجمع رأيهم على أن يقصروا عن القواعد ، ويحجروا [٢] ما يقدرون عليه من بناء البيت ، ويتركوا بقيته فى الحِجْر ، عليه جدار مُدَارٌ ، يطوف الناس من ورائه ، ففعلوا ذلك وبنوا فى بطن الكعبة أساسا يبنون عليه من شق الحجر ، وتركوا من ورائه من قفا [٣] البيت فى الحِجْر ستة أذرع وشبرا ، فبنوا على ذلك . فلما وضعوا أيديهم فى بنائها قال أبو حذيفة بن المغيرة : يا معشر قريش ارفعوا باب الكعبة عن الأرض ، وآكْبِسُوها حتى لا تدخلها السيول ، ولا تُرْقَى إلا بِسُلّم ، ولا يدخلها إلا من أرَدْتم ، ثم إن جاء أحدٌ ممن تكرهون رميتم [٤] به فسقط ؛ فكان نكالا لمن رآه . ففعلوا ذلك ، وبنوها بسَافٍ [٥] من حجارة وسَافٍ من خشب بين الحجارة ، حتى انتهوا إلى موضع الركن فاختلفوا فى وضعة ، وكثر الكلام فيه ، وتنافسوا فى ذلك ، فقالت بنو عبد مناف وزُهْرة : هو فى

---

(١) كذا فى م ، هـ . وفى ت « يحلها أهلها » ـــ وانظر الاكتفا ١ : ٢٠٨ بتقديم وتأخير فى السياق .

(٢) فى الأصول « يحجزوا » . والمثبت عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٣ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى المرجع السابق « من فناء » .

(٤) كذا فى الأصول . وفى المرجع السابق « دفعتموه » .

(٥) الساف : المدماك ، أو السطر والصف . (المعجم الوسيط)

الشق الذى وقع لنا ، وقالت تَيْم ومَخْزُوم : هو فى الشق الذى لنا ، وقالت سائر القبائل : لم يكن الركن مما استَهَمْنَا عليه [١] . وقالت كل قبيلة : نحن أحقّ بوضعه . واختلفوا حتى تواعدوا للقتال ، وقَرَّبَتْ بنو عبد الدار جَفْنَة مملوءة دَماً وأدخلوا أيديهم فى الدم ، وتعاقدوا على الموت ؛ فسموا لَعَقَة الدم [٢] .

فمكثوا أربع ليال – أو خمس ليال – كذلك ، ثم تشاوروا فقال أبو أميّة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر [٣] بن مخزوم – وكان أسن قريش يومئذ – : يا قوم إنما أردنا البِرّ ولم نُرِدْ الشَّرَّ ؛ فلا تحاسدوا ولا تنافسوا ، فإنكم إذا اختلفتم تَشَتَّتَت أموركم ، وطمع فيكم غيرُكم ، ولكن حكموا بينكم أوّل من يطلع عليكم من هذا الفجّ – وقيل : أول من يطلع عليكم / من هذه السكة ، ويقال : أول من يطلع عليكم من باب هذا المسجد : يريد باب بنى شيبة – فقالوا : رَضِينا وسَلَّمنا . فطلع رسول الله ﷺ فكان أوّل من دخل باب بنى شَيْبَة ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضينا بما قضى بيننا . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبَرَ قال : هَلُمّوا إلىّ ثَوْباً . فأُتِىَ بثوب ، يقال : إنه كساء أبيض من متاع الشام للوليد بن المغيرة .

ويروى : وضع رسول الله ﷺ رداءه وبَسَطَه فى الأرض ، ثم

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٣ .

(٢) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٢٧ ، والاكتفا ١ : ٢٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٨٠ .

(٣) فى الأصول « ابن عمرو » والتصويب عن المراجع السابقة .

وضع فيه الركن بيده ، ثم قال : لِيَأْتِ مِنْ كُلِّ رُبْعٍ من أرباع قريش رجلٌ . فكان فى ربع عبد مناف عُتْبَةُ بن ربيعة ، وفى الربع الثانى أبو زَمْعَة بن الأسود بن المطلب - وكان أسَنّ القوم - وفى [١] - الربع الثالث العاصُ بن وائل - وقيل : قيس بن عَدِى السَّهْمِىّ - [١]) وفى الربع الرابع أبو حُذَيفة بن المغيرة ، ثم قال رسول الله ﷺ : ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب ، ثم ارفعوه جميعا - ويروى فقال النبى ﷺ : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم قال : ارفعوه جميعا - ثم ارتقى النبىُّ ﷺ عَلَى الجُدُر ، ورفع القومُ إليه الركنَ حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله ﷺ بيده فى موضعه ذلك . فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبى ﷺ حجرا ليَشُدّ به الركن ، فقال العباس بن عبد المطلب : لا . ونَحَّاه ، وناوَل العباسُ النبىّ ﷺ حجرا فشَدّ به الركن ؛ فغضب النجدىُّ حين نُحِّىَ ، فقال رسول الله ﷺ : إنه ليس يَبْنِى معنا فى البيت إلا منَّا . فقال النجدىّ : واعجباه لقوم أهل شرف وعقول ، وسِنّ وأموال عمدوا إلى أصغرهم سِنًّا وأقلّهم مالا فرأسوه عليهم فى مَكْرُمَتهم وحوزتهم كأنهم خدم له !! أما والله ليفوتنهم سَبْقًا ، وليقسمن عليهم حظوظا وجُدُودا - ويروى أن النجدى إبليس - فبنوا حتى رفعوا أربعة أذرع ، ثم كَبَسُوها . ووضعوا بابها مرتفعا على هذا الذرع ، ورفعوها بمِدْمَاك خشب ومِدْمَاك حجارة ، وكان طولها تسعة أذرع فاستقصروا طولها ، وأرادوا الزيادة فيها فبنوها وزادوا فى طولها تسعة أذرع ، وكرهوا أن تكون

(١) سقط فى ت ، هـ . والمثبت من م .

بغير سقف ، فلما بلغوا السّقف قال لهم با قوم الرومى : أتحبون أن تجعلوا سقفها مكبسا أم مسطحا ؟ فقالوا : بل ابن بيت ربنا مَسَطَّحا .. فبنوه مسطحا ، وجعلوا فيه ست دعائم فى صفين ، فى كل صف ثلاث / دعائم (*) من الشِّق الشامى الذى يلى الحِجْر إلى الشِّق اليمانى ، وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الأرض إلى أعلاها ثمانية عشر ذراعا ، وكانت قبل ذلك تسعة أذرع ، فزادت قريش فى ارتفاعها فى السماء تسعة أذرع أخرى ، وبنوها من أعلاها إلى أسفلها بمِدْمَاك من حجارة ومِدْمَاك من خَشَب ، وكان الخشب خمسة عشر مِدْمَاكا ، والحجارة ستة عشر مدمَاكا . وجعلوا مِيزَابَها يَسْكُب فى الحِجْر . وجعلوا درجة من خشب فى بطنها فى الركن الشامى يُصْعَد فيها إلى ظهرها ، وزَوَّقُوا سقفها وجدرانها — من بطنها — ودعائمها ، وجعلوا فى دعائمها صور الأنبياء . وكانت فيها (١) صورة إبراهيم خليل الرحمن ؛ شيخ يَسْتَقْسِم بالأزلام ، وصورة الملائكة عليهم السلام أجمعين ، وصور الشجر ، وصورة مريم مزوقة (٢) فى حجرها عيسى ابنها قاعدا مزوقًا ، وكان تمثال عيسى وأمه فى العمود الذى يلى الباب ، ويقال فى الوسطى من اللأتى تلى الباب الذى يلى الداخل .

وجعلوا لها بابا واحدا كان يُغْلَق ويُفْتح .

(*) فى م وضع الرسم التالى أمام هذا الكلام :-

(١) فى ت ، هـ « فيه » وسقطت من م .
والتصويب عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٣٣ .

(٢) فى الأصول « مزوقا » .

فلما فرغوا من بناء البيت رَدّوا المال فى الجب ، وعا‍‍ ‍ا فيه الحِلْيَة وقَرْنَى الكبش ، وردُّوا الجب فى مكانه فيما ‍ ق الشامى ، ونصبوا هُبَل على الجُبّ كما كان قبل ذلك ، وكسـ‍ حين فرغوا من بنائها حبرات يمانية – ويقال كسوها الوصائل – وردموا الرَّدْم الأعلى ، وصرفوا السَّيْل عن الكعبة .

وكانوا يفتحون الكعبة يوم الاثنين والخميس ، وكان الحُجَّاب يجلسون عند الباب ، فيرتقى الرجل فإذا كانوا لا يريدون دخوله يُدْفَع ويُطْرح ، فربما عَطَب . وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء – يعظمون ذلك – ويضعون نعالهم تحت الدّرَجة ، وأوّل من خلع الخُفّ والنعل فلم يدخل بهما الوليدُ بن المغيرة ؛ إعظاما لها ، فجرى ذلك سُنَّة [(١)] .

وفى هذه السنة وُلِدَت حفصة بنت عمر بن الخطاب [(٢)] .

وفيها – ويقال : فى سنة إحدى وأربعين – ولدت فاطمة الزهراء [(٣)] .

وفيها مات أبو سعيد زَيْدُ بن عمرو بن نُفَيْل [(٤)] القرشى العدوى ، أحد من رفض الأصنام ، وحرّم على نفسه ذبائحها ، واتبع ملة إبراهيم ﷺ .

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٤٥ ــ ١٤٨ . وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٣ ــ ١٧٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٢٨ ــ ٢٣٣ .

(٢) وانظر فى ترجمتها والخلاف حول تاريخ موتها الإصابة ٤ : ٢٧٣ .

(٣) انظر فى أخبارها رضى الله عنها تاريخ الخميس ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٤) وانظر ماسبق فى صدر أخبار السنة الرابعة والثلاثين من مولد النبى ﷺ .

« السنة السادسة والثلاثون من مولد النبى ﷺ »

لم يتجدَّد فيها ولا فى التى بعدها شئ [١] .

* * *

« السنة السابعة والثلاثون من مولد النبى ﷺ » / ٨٣

... .[٢] .

* * *

« السنة الثامنة والثلاثون من مولد النبى ﷺ »

فيها رأى النبىّ ﷺ الضوءَ والنورَ وسَمِعَ الصوت ، وكان يسمع [٣] ولا يدرى ما هو .

وفيها ولد عبد الله بن عمرو بن العاص [٤] ، وأبو أسيد الساعدى [٥] .

* * *

(١) وفى تاريخ الخميس ١ : ٢٧٩ « فيها ولد عبد الله بن عمرو بن العاص ، وجابر ، وأبو قتادة ، وأبو أسيد الساعدى — كذا فى سيرة مغلطاى » .

(٢) لم يورد المؤلف شيئا من أحداث هذه السنة .

(٣) فى الأصول « وكان لايسمع ولايدرى » . وتاريخ الخميس ١ : ٢٨٠ « وكان يسمع الصوت ولا يدرى ماهو » .

(٤) وقد اختلف فى تاريخ وفاته ومكانها ، فقيل مات سنة ٦٥ هـ بالشام ، وقيل سنة ٦٧ هـ بمكة ، وقيل سنة ٧٣ هـ بأرضه بالسبع بفلسطين ، وقيل سنة ٥٥ هـ بالطائف ، وقيل سنة ٦٥ هـ بمصر . (الاستيعاب ٣ : ٩٥٦ — ٩٥٩ ، والإصابة ٢ : ٣٥١)

(٥) واسمه مالك بن ربيعة بن البدن بن عوف بن حارثة بن عمرو بن كعب بن الخزرج الأنصارى الساعدى ، أبو أسيد . واختلف فى تاريخ وفاته فقيل سنة ٦٠ هـ ، و٧٥ هـ ، و٨٠ هـ . وقيل غير ذلك . (الإصابة ٣ : ٣٤٤) .

« السنة التاسعة والثلاثون من مولد النبى ﷺ »

قال ابن مسعود : أقام النبىّ ﷺ ثلاث سنين يسمع الصوت ولا يدرى ما هو ، ويرى الضوء — انتهى . وأظنه يعنى بالثلاث سنين هذه والتى قبلها والتى بعدها .

٥

* * *

« السنة الأربعون من مولد النبى ﷺ »

فيها ظهرت للنبى ﷺ أماراتُ النُّبُوّة ولم يَعْلَم ما هى [١] .

* * *

« السنة الحادية والأربعون من مولد النبى ﷺ »

« وهى السنة الأولى من مبعثه ﷺ » ١٠

فيها بعد أن بلغ النبى ﷺ أربعين سنة — وقيل : وأربعين يوما ، ويقال : وعشرة أيام ، وقيل : وعشرين — أوحى الله عزّ وجلّ إلى نَبِيّه محمد ﷺ [٢] .

وكان ﷺ أوّل ما بُدِئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح [٣] . ١٥

---

(١) زادت م بعد هذا « رؤيا فى المنام » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٣) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٢ .

ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يأتى حِرَاء فيتحنَّث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّدُ لمثلها ، حتى فَجَأَه الحقُّ وهو فى غار حراء ، فنزل المَلَكُ على النبى ﷺ يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان [١] ، وقيل : لثمان عشرة خلت منه ، وقيل : لأربع وعشرين ليلة خلت منه ، ويقال : لسبع وعشرين من شهر رجب .

ويُرْوَى أن المبعث كان يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأوّل ، ويقال : فى أول ربيع [٢] .

وقيل : كان ذلك فى سنة ثلاث وأربعين ، ويقال فى سنة خمس وأربعين ، لسبع وعشرين من رجب [٣] .

وقيل : أول ما أتى جبريل النبى ﷺ ليلة السبت ، وليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله إليه يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان — وكان النبى ﷺ صائما — فجاءه جبريل فقال : أبشر يا محمد ؛ فأنا جبريل أُرسِلت إليك ، وأنت رسول هذه الأمة . فاطمأنّ له النبى ﷺ ، / ثم أخرج له جبريلُ قطعةَ نَمَطٍ فقال : اقرأ . فكانت أوّل ما نَزَل من القرآن ، فقال : والله ما قرأت شيئا قط . فقال : اقرأ . فقال رسول الله ﷺ : ما أنا بقارئ . فأخذه فغطَّه

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٤ ، وشرح المواهب ١ : ٢٠٧ .

(٢) شرح المواهب ١ : ٢٠٧ .

(٣) وانظر السيرة الحلبية ١ : ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٨٠ .

حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله فقال ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ حتى بلغ ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ (١) ﴾ .

ثم أمره بالنزول إلى قرار الأرض ، وأجلسه على بساط كهيئة الدُّرْنُوك ، فيه الياقوت واللؤلؤ . وعليه ثوبان أخضران ، ثم ضرب برجله الأرض – ويقال : همز ، وقيل : فحص بعقبه الأرض – فنبعت له عينُ ماء مُزْن ، فتوضأ منها ؛ غسل وجهه ويديه إلى المرفقين ، ومسح برأسه ، وغسل رجليه إلى الكعبين ، ثم نضح فرجه (٢) . ثم أمر النبيّ صلّى الله ﷺ فتوضّأ كذلك ، ثم قام فصلّى بالنبى ﷺ ركعتين ، وسجد أربع سجدات ، ثم انصرف جبريل . وعقل النبى ﷺ رسالات ربِّه ، واتبع الذى جاء به جبريل من عند الله ؛ فانصرف منقلبا إلى بيته لا يمر على شجر ولا حجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

فرجع مسرورا إلى أهله موقنا قد رأى أمرا عظيما (٣) . ورجع النبى ﷺ ترجف بَوادِرُه (٤) حتى دخل على خديجة فقال : زَمِّلونى ، زملونى — حتى ذهب عنه الروع — يا خديجة مالى ؟!

---

(١) سورة العلق الآيات ١ — ٥ . وانظر دلائل النبوة ١ : ٣٩٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٣٨٥ .

(٢) عيون الأثر ١ : ٩١ .

(٣) عيون الأثر ١ : ٨٣ وفيه « فرجع إلى بيته وهو موقن قد فاز فوزا عظيما » وكذا فى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٣١٥ .

(٤) البوادر : جمع بادرة وهى اللحمة بين المنكب والعنق . (المعجم الوسيط)

وأخبرها الخبر ، وقال : قد خشيت على عقلى – أو قال : لقد أشفقت على نفسى ، أو قال : لقد خشيت أن أكون كاهنا أو مجنونا – فثبتته وقالت : كلا والله لا يفعل الله ذلك ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتَصِلُ الرحم ، وتصدُق الحديث ، وتحمِلُ الكَلّ ، وتُكْسِب المعدوم ، ٥ وتؤدى الأمانة ، وتَقْرِى الضيف ، وتُعِين على نوائب الحق .

ويروى أن النبى ﷺ لما جاء إلى خديجة أخذ بيدها حتى أتى بها العين ، وأمرها فتوضّأت كما أراه جبريل ، وصلّى بها كما صلى جبريل به ، فكانت خديجة أوّل من آمن بالنبى ﷺ .

وانطلقت خديجة بالنبى ﷺ حتى أتت به وَرَقَة بن نَوْفَل بن ١٠ أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ ، وهو ابن عم خديجة ؛ ابن أخى أبيها . وكان امرأً تَنَصَّرَ فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى ، يكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى . فقالت خديجة : أى ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال / ورقة : يا ابن أخى ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ ما ٨٥ ١٥ رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أُنْزِل على موسى ، ياليتنى فيها جذعا ، [ليتنى] (١) أكون حيا حين يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أو مُخْرِجِىّ هم ؟ قال : نعم ؛ لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى ، فإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا (٢) .

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت من الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٣ .

٢٠ (٢) المرجع السابق ، وصفة الصفوة ١ : ٧٧ — ٨٠ ، ودلائل النبوة ١ : ٣٩٤ — ٣٩٧ ، وعيون الأثر ١ : ٨٤ ، ٨٥ ، وشرح المواهب ١ : ٢١١ ، والإمتاع ١ : ١٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

ويروى أن خديجة أخبرت ورقة بالذى رأى النبى ﷺ ، فقال : هل رأى زوجُك صاحبه فى حضر ؟ فقالت : نعم . فقال : زوجك نبى وسيصيبه [من أمته [١] بلاء] .

ويروى أنه قال لما أخبرته خديجة : لئن كنتِ صدقتِنى إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى الذى لا تُعَلِّمُه بنو إسرائيل أبناءهم ، ولئن نطق وأنا حى لأبلين الله فيه بلاء حسنا [٢] .

ويروى أن خديجة بنت خويلد قالت لرسول الله ﷺ — فيما تُثَبِّته مما أكرمه الله به من نبوته — : يا ابن عم تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ فقال : نعم . فقالت : إذا جاءك فأخبرنى . فبينما رسول الله ﷺ عندها إذ جاء جبريل فرآه رسول الله ﷺ ، فقال : يا خديجة هذا جبريل . فقالت : أتراه الآن ؟ فقال : نعم . فقالت : فاجلس إلى شقى الأيمن . فتحول فجلس . فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم . قالت : فتحوّل فاجْلِس فى حجرى . فتحول رسول الله ﷺ فجلس فى حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم . فحَسَرَت رأسها فألقت خمارها — ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها — فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : لا . قالت : ما هذا شيطان . إن هذا لمَلَك يا ابن عم ، فاثبت وأبشر . ثم آمنت به وشهدت أن الذى جاء به هو

---

(١) بياض فى الأصول بمقدار كلمتين إلى خمس . والمثبت من الخصائص الكبرى ١ : ٢٣٨ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٣٢٤ ، ٣٢٥ من رواية أبى نعيم فى الدلائل .

الحق – ويروى أن خديجة أدخلت النبىّ ﷺ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل [١] .

ويروى ، قال وَرَقَة لما ذكَرَتْ له خديجةُ أنه ذكر لها جبريل : سُبُوحٌ سُبُّوح ، وما لجبريل يُذْكَر فى هذه الأرض التى تعبد فيها
٥ الأوثان !! جبريل أمين الله بينه وبين رسله ، اذهبى به إلى المكان الذى رأى فيه ما رأى ، فإن أتاه فتَحَسَّرِى ، فإن يكن من عند الله لا يراه . ففعلتُ فلما تَحَسَّرْتُ تغيّب جبريل ولم يره ، فرجعتُ وأخبرتُ ورقة ، فقال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذى لا تُعَلِّمُه بنو إسرائيل أبناءهم إلا بالثمن [٢] .

١٠ ويروى : أن أبا بكر الصديق كان / نديما للنبى ﷺ فى ٨٦ الجاهلية ، وكان النبىّ ﷺ إذا بَرَز سَمِع من يناديه : يا محمد . فإذا سمع الصوت انطلق هَارِباً ، فأَسَرَّ ذلك إلى أبى بكر [٣] .

ويروى : أن النبى ﷺ قال لخديجة : إذا خلوت وحدى سمعتُ نِدَاءً ، وقد والله خشيت أن يكون هذا أمْرًا . فقالت : معاذ
١٥ الله ؛ ما كان الله ليفعل بك ، فوالله إنك لتُؤَدِّى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتَصْدُق الحديثَ . فلما دخل أبو بكر على خديجة – وليس رسول الله ﷺ ثمة – فذكرت خديجةُ حديثَه لأبى بكر وقالت :

---

(١) دلائل النبوة ١ : ٤٠٧ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤١٠ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٣١٤ .
٢٠ (٢) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٤ .
(٣) الخصائص الكبرى ١ : ٢٣٨ .

يا عَتِيق ، اذهب مع محمد إلى وَرَقَة . فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال : انطلق بنا إلى وَرَقَة . فقال رسول الله ﷺ : من أخبرك ؟ قال : خديجة . فانطلقا إليه ، فقصَّا عليه ، فقال ﷺ : إذا خلوتُ وَحْدِى سمعتُ نِداءً خلفى : يا محمد ، يا محمد ، فأَنْطَلِقُ هاربا فى الأرض . فقال [وَرَقَةُ] [١] : لا تفعل ، فإذا أتاك فأثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتنى فأخبرنى . فلما خلا ناداه : يا محمد قل ﴿ بِسْمِ اللهِ الرحمن الرحيم ۝ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ حتى إذا بلغ ﴿ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ ثم قال : قل آمين ، ثم قال : قل لا إله إلاّ الله . فأتى النبى ﷺ وَرَقَةَ فَذَكَرَ ذلك له ، فقال وَرَقَةُ : أبشر ثم أبشر ؛ فأنا [٢] أشهد أنك الذى بَشَّرَ به ابنُ مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نَبِىٌّ مرسل ، وأنك سوف تُؤْمَر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركنى ذلك لأجاهِدَنّ معك [٣] .

ويروى أن مجاورة النبى ﷺ لِحِرَاء كانت معه زوجته خديجة ، وأن مجىء المَلَكِ إليه بحراء كان وهو نائم ؛ وذلك فيما ورد أن النبى ﷺ قال : فجاءنى المَلَك وأنا نائم بنَمَطٍ من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ . فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى – ويقال : ثم كشفه عنى – فقال : اقرأ . قلت : ما أقرأ .

(١) إضافة على مافى الأصول .

(٢) كذا فى ت . وفى م ، هـ « فإنى » .

(٣) دلائل النبوة ١ : ٤١٢ ، ٤١٣ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦١ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٣٧ .

فغتنى حتى ظننت أنه الموت . ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أقرأ . فغتنى حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى قال : اقرأ . قلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا لأفتدى منه ألاّ يعود لى بمثل ما صنع بى ، قال ﴿ ٱقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذى خَلَق * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَق * ٱقْرَأْ ورَبُّكَ الأَكْرَمُ * الّذِى عَلَّمَ بِٱلقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [١] ﴾
٥ فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى ، وهَبَبْتُ من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا [٢] ، ولم يكن من خَلْقِ الله أحدٌ أبغض إلى من شاعر أو مجنون ، كنت لا أطيق أنظر إليهما ، فقلت : إن الأبعد – يعنى نفسه – لشاعر أو مجنون ، ثم قلت / لا تتحدثُ بهذا قريشٌ ٨٧
١٠ عنى أبدا ؛ لأعمدن إلى حالق من الجبل ولأطرحَنّ نفسى منه فلأقتلنها فلأستريحَنّ ، فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت فى وسط مِنَ الجبل سمعتُ صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل . فرفعت رأسى إلى السماء أنظر فإذا جبريل ، فوقفت أنظر إليه ، وشغلنى ذلك عما أريد ، فوقفت وما أقدر على أن أتقدّم ولا
١٥ أتأَخر ، وما أصرف وجهى فى ناحية من السماء إلا رأيته فيها ، فما زلت واقفا لا أتقدم أمامى ولا أرجع ورائى حتى بَعَثَت خديجةُ رُسُلَها فى طلبى ، حتى بلغوا [أعلى] [٣] مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار أن يتحول ، ثم

---

(١) سورة العلق الآيات ١ ــ ٥ .
٢٠ (٢) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٣١٢ .
(٣) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٥٦ .

انصرف عنى ، فانصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذها مفضيا (١) إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا [أعلى] (٢) مكة ورجعوا إلىّ . قال ﷺ فقلت لها : إن الأبعد لشاعر أو مجنون . فقالت : أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم ؛ ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعْلَمُ من صِدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ، وما ذاك يا ابن عم ؟ لعلك رأيتَ شيئا أو سمعته . قلت : نعم ، ثم حدثتها الذى رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عم ، واثبت له ؛ فوالذى نفس خديجة بيده – أو فوالذى يحلف به – إنى لأرجو أن تكون نبىّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى وَرَقَة بن نَوْفَل – وهو ابن عمها ، وكان قد تنَصَّر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل – فأخبرته الخبرَ ، وقصّت عليه ما قصّ [عليها] (٣) رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع . فقال وَرَقَةُ : قُدُّوسٌ قدوس قدوس ، والذى نفسى بيده لئن كنتِ صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبى هذه الأمة ، فقولى له فليَثْبُت .

(١) كذا فى الأصول . وفى المرجع السابق « مضينا » . وفى دلائل النبوة ١ : ٤٠٣ « مضيفا » .

(٢) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٥٦ .

(٣) الإضافة عن دلائل النبوة ١ : ٤٠٤ .

فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة ، فسَهَّل عليه ذلك بعضَ ما كان فيه من الهم بما جاءه .

فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف ، صنع فيه كما كان يصنع ، فإنه ﷺ كان إذا انصرف أوّل ما يبدأ به الكعبة قبْلَ أن ٥ يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته . فبدأ / بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل . وهو ٨٨ يطوف بالكعبة . وقال له : يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت ، فقصّ عليه رسول لله ﷺ خبره ، فقال له ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبيٌّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ١٠ ولتكذَّبَن ولتُؤْذَيَن ولتُقَاتَلَن ولتُنْصَرَن ، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرنك نصرا يعلمه الله . ثم أدنى إليه رأسه فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله ، وقد زاده ذلك – من قول ورقة – ثباتا ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم (١) .

ويروى : أن النبى ﷺ شُقَّ صدرُه بِحِرَاء ، وذلك فيما ١٥ ورد (٢) : أن النبىّ ﷺ نَذَر أن يعتكف شهرا هو وخديجة بحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان ، فخرج النبى ﷺ ذات ليلة فسمع : السلام عليك ، قال : فظننتها فجأةَ الجن ، فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة ، فسَجَّتْنِى بثوب وقالت : ما شأنك يا ابن عبد

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ودلائل النبوة ١ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

٢٠ (٢) أى عن عائشة رضى الله عنها كما فى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٤ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٤٠ .

الله ؟ فأخبرتها ، فقالت : أبشر يا ابن عبد الله ؛ فإن السلام خير . ثم قال : خرجتُ مَرَّة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس ، جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب ، فهِبْتُ [(١)] منه فجئت مسرعا ، فإذا هو بينى وبين الباب ، فكلّمنى حتى أنست به ، ثم وعدنى موعدا فجئت له ، فأبطأ علىّ ، فرأيت [(٢)] أن أرجع ، فإذا أنا به وميكائيل بين السماء والأرض قد سدّ الأفق . فهبط جبريلُ وبقى ميكائيل بين السماء والأرض ، فأخذنى جبريلُ فسَلَقَنى لحَلاوَة القَفا ، لم يمل به عن ذلك إلى أحَدِ جانبيه ، ثم شَقّ عن قلبى ، فاستخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ، ثم لأَمَه ، ثم أكفأنى كما يُكْفَأُ الأديم [(٣)] ، ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مَسّ الخاتم فى قلبى ، وأخذ بحَلْقِى حتى أجهشت بالبكاء ، ثم قال : اقرأ — ولم أكُ قرأت كتابا قط — فلم أدر ما أقرأ ، ثم قال : اقرأ . فقلتُ : ما أقرأ ؟ قال ﴿ ٱقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الّذِى خَلَقَ ﴾ حتى انتهى إلى خمس آيات منها ، فما نسيت شيئا بعد . ثم وزننى برجل فوزنته ، ثم وزرننى بآخر فوزنته ، حتى وُزِنْتُ بمائة رجل . فقال ميكائيل : تبعته أمته ورب الكعبة ، فجعلت لا يلقانى حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، حتى دخلت على خديجة فقالت : / السلام عليك يا رسول الله .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٥ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٤٠ « فهلت » وشرحها محقق الخصائص : أى خفت وفزعت .

(٢) كذا فى الأصول ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٥ . وفى الخصائص الكبرى ١ : ٢٤٠ « فأردت أن أرجع » .

(٣) وفى الخصائص الكبرى ١ : ٢٤١ « كما يكفأ الإناء » .

وقال ورقة بن نوفل . لما ذكرت له خديجة من أمر رسول الله ﷺ : —

فإن يَكُ حقًّا يا خديجةُ فاعلمى حديثك إيّانا فأحمدُ مُرْسَلُ
وجبريلُ يأتيه وميكال مَعْهما من الله وحيٌ يَشْرح الصدرَمُنْزَلُ
٥ يفوز به من فاز فيها بتوبة ويَشْقَى به العانى الغَرير المُضَلَّل
فريقان منهم فرقة فى جنانه وأخرى بأحوازِ الجحيم تُغَلَّل
إذا ما دَعَوْا بالويل فيها تتابعتْ مقامع فى هاماتها ثم تُشْعَلُ
فسبحان من تهوى الرياح بأمره ومن هو فى الأيام ما شاء يَفْعلُ
ومَنْ عرشُه فوق السموات كلها وأقضاؤه فى خلقه لا تُبَدَّلُ(١)

١٠ وقال ورقة ابن نوفل أيضا : —

يا للرجالِ وصَرْفِ الدهر والقَدَر وما لشئ قضاه الله من غِيَرِ
حتى خديجة تدعونى لأخبرها ومالها بخفِىٍّ الغيب من خبر
جاءت لتسألنى عنه لأخبرها أمرا أراه سيأتى الناس من أخر
فخبرتنى بأمر قد سمعت به فيما مضى من قديم الدهر والعصر
١٥ بأن أحمد يأتيه فيخبره جبريل أنَّك مبعوثٌ إلى البشر
فقلت عَلَّ الذى تَرْجين يُنجِزُه لك الإله فَرَجِّى الخيرَ وانتظرى
وأرسليه إلينا كى نسائلَه عن أمره ما يَرَى فى النوم والسَّهَر
فقال حين أتانا منطقا عجبا يقفُّ منه أعالى الجلد والشعر

(١) دلائل النبوة ١ : ٤٠٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٠٠ ، وسبل الهدى
٢٠ والرشاد ٢ : ٣١٧ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

إنى رأيت أمينَ الله واجَهَنِى في صورة أُكْمِلَت من أعْظَمِ الصور
ثم استمر فكاد الخوف يُذْعِرنى مما يُسَلِّمُ من حولى من الشجر
فقلت ظَنِّى وما أدرى أيَصْدُقُنِى أنْ سوف يُبْعَث يَتْلُو مُنْزَل السور
وسوف يبليك إن أعلنت دعوتهم من الجهاد بِلاَ مَنٍّ ولا كدر(١)

ويروى : أن جبريل جاء إلى النبى ﷺ قبل ذلك فى النوم ، ٥
وذلك فيما ورَدَ أن النبى ﷺ بينا هو بمكة رأى أنه أُتِىَ إلى سقف
بيته فنُزِعَ شَبْحَةً شَبْحَة (٢) حتى إذا نُزِع أُدْخِل فيه سلم من
فِضّة / – فيما يخيل إليه – ثم نزل إليه رجلان ، قال رسول الله ٩٠
ﷺ : فأردتُ أن أستغيث فحبسانى مكانى ، ومُنِعْتُ الكلام ، فقعد
أحدهما إلىّ والآخر إلى جنبى – وأنا فرق – فأدخل أحدهما يده فى ١٠
جنبى فنزع ضِلعين منه كما ينزع غلق الصندوق (٣) الشديد ، ثم
أدخل يده فى جوفى – وأنا أجد بَرْدَها – فأخذ قلبى ووضعه على
كَفِّه ، وقال لصاحبه : نِعْمَ القلب ، وقال : قَلْبُ رجل صالح . ثم
أدخلا القَلْبَ مكانه ، وردّا الضِلعين كما يرد غلق الصندوق الشديد ،
ثم ارتفعا ورفعا سُلّمهما ؛ فاستيقظت فإذا السقف كما هو ، فقلت : ١٥
تحلم . فذكره النبىّ ﷺ لخديجة ، فعصمها الله من التكذيب ، وشرح
صدرها بالتصديق ، فقالت : أبْشِر فوالله لايفعل الله بك إلا خيرا ، ولم

(١) دلائل النبوة ١ : ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٠١ ،
والخصائص الكبرى ١ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٣١٦ ، ٣١٧ .
(٢) شبحة شبحة : أى عودا عودا . (هامش الخصائص الكبرى ١ : ٢٣٣) ٢٠
(٣) كذا فى م ، هـ . وفى ت « الصندوق الجديد الشديد » .

يصنع بك إلا خيرا . ثم إنه خرج من عندها ، ثم رجع إليها وأخبرها أنه رأى بطنه شُقّ وطُهِّرَ وغُسِّل ثم أعيد كما كان ، فقالت : هذه [١] والله خير فأبشر .

ثم استَعْلَن له جبريلُ وهو بأعلى مكة مِن قِبَلِ حراء ، فوضع يده على رأسه وفؤاده وبين كتفيه ، وقال له : لا تخف أنا جبريل . وأجلسه معه على مجلس كريم كهيئة الدُّرْنُوك فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبَشَّرَه برسالة [٢] الله . حتى اطمأن إلى جبريل ، فقال له جبريل : اقرأ . قال : كيف أقرأ ؟! قال ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ إلى قوله ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فأبدى له جبريل نفسه ؛ له جناحان من ياقوت يخطفان البصر ، ففتح جبريل عَيْناً من الماء فتوضّأ — ومحمد ﷺ ينظر إليه — فوضأ وجهه ويديه إلى المرفقين ، ومسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ، ونضح فرجه . وسجد سجدتين مواجه البيت ، ففعل محمد كما رأى جبريل يفعل . وقَبِلَ الرسولُ رسالةَ ربه وسألها [٣] الله بحقها . واتبع الذى نزل به جبريل من عند رب العرش العظيم .

فلما قبل الذى جاءه من عند ربه وانصرف منقلبا إلى بيته جعل لا يَمُرّ على حجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله ،

---

(١) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ١ : ٣٩٨ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٣٢ « هذا والله خير » .

(٢) كذا فى هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٣٩٨ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٣٢ . وفى ت ، م « برسالات » .

(٣) كذا فى ت ، م . وفى هـ « وسأل الله » .

فرجع مسرورا إلى أهله وهو مُوقِنٌ ؛ قد رأى أمْراً عظيما . فلما دخل على خديجة أخبرها قال : أرأيتُكِ الذى كنتُ أُحَدِّثُكِ أنى رأيت [١] فى المنام ؟ فإنه جبريل قد استعلن إلىّ [٢] ، أرسله إلىّ ربى عَزّ وجلّ . وأخبرها بالذى جاءه من عند الله وما سمع منه . فقالت : أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا . فا قبل الذى أتاك من عند الله ٥ فإنه حق ، وأَبْشِرِ فإنك رسول الله حقا .

٩١ ثم انطلقت حتى / أتت غلاما لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نِينَوىَ يقال له عدّاس ، فقالت له : يا عدّاس أذكرك بالله إلاّ ما أخبرتنى هل عندك عِلْمٌ من جبريل ؟ فلما سمعها عدّاس تَذْكُرُ جبريل قال : قُدُّوس قُدُّوس ، ما شأن جبريل يذكر بهذه ١٠ الأرض التى أهلها أهل الأوثان !! قالت : أحب أن تخبرنى بعلمك عنه . قال : فإنه أمين الله بينه وبين النبيين ، وهو صاحب موسى وعيسى .

فرجعت خديجة من عنده فأتت وَرَقَة بن نَوْفَل — وكان وَرَقَةُ قد كَرِهَ عبادة الأوثان هو وزَيْدُ بن عمرو بن نُفَيْل ، وكان زَيْدُ قد ١٥ حَرَّمَ كل شيء حرَّمه الله من الدَّم والذَّبيحَة عَلَى النُّصُبِ ، وكل شىء من أبواب الظُلْم فى الجاهلية — فلما وصفت خديجة لوَرَقَة حين

---

(١) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ١ : ٣٩٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٠٥ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٣٢ « رأيته » .

(٢) كذا فى الأصول والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٠٥ . وفى دلائل النبوة ١ : ٢٠ ٣٩٩ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٣٢ « استعلن لى » .

جاءته – شأنَ محمد ، وذكَرَت له جبريلَ وما جاء به من عند الله إلى رسوله قال لها : يا ابنة أخى والله ما أدرى ، لعل صاحبك النبى الذى ينتظره [١] أهلُ الكتاب ، والذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله إن كان إيّاه ثم دعا الناس وأنا حى لأُبْلِيَنّ [٢] الله فى طاعة ؛ رسوله وحسن المؤازرة والنصرة له .

ولما أن صَلَّت خديجةُ مع النبى ﷺ جاء علىٌّ بن أبى طالب بعد ذلك بيوم فوجدهما يُصَلِّيَان ، فقال على : ما هذا يا محمد ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : دين الله الذى اصطفى لنفسه ، وبعثَ به رسله ، فأدعوكَ إلى الله وَحْدَه لا شريك له ، وإلى عبادته وكُفْرِ اللات والعُزّى . فقال على : هذا أمرٌ لم أسمع به قبلَ اليوم ، فلست بقاضٍ أمْرًا حتى أُحَدّث به أبا طالب . فكَرِهَ رسولُ الله ﷺ أن يُفْشَى عليه سرُّه قبلَ أن يستعلن أمره ، فقال له : يا علىّ إذا لم تُسْلِم فَأَكْتُم . فمكث علىّ تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع فى قلب على الإسلام ، فأصبح غاديا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال : ماذا عرضت علىَّ يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتَكْفُر باللات والعُزَّى ، وتبرأ من الأبدال [٣] . ففعل على وأسلم .

---

(١) كذا فى هـ . وفى ت ، م ودلائل النبوة ١ : ٤٠١ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٣٣ « ينتظر » .

(٢) كذا فى الأصول . وفى المرجعين السابقين « لأبلين الله » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ١ : ٤١٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٣ « من الأنداد » .

فمكث علىٌّ يأتيه على خوف من أبى طالب ، وكتم علىٌّ إسلامه ولم يظهره ، ثم كان مما أنعم الله على علىّ أنه كان فى حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام ؛ وذلك أنه كان أصاب قريشا أزمةٌ شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة (١) ، فقال رسول الله ﷺ / لعمه العباس — وكان من أيسر بنى هاشم — : يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق حتى نُخَفِّفَ عنه من عياله . فأخذ رسول الله ﷺ عليا فضمّه إليه ، فلم يزل علىٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيا ، فاتَّبَعَه علىٌّ وآمن به وصدق (٢) .

ثم أسلم زيد بن حارثة (٣) فمكث هو وعلىّ يلزمان رسول الله ﷺ .

وكان النبى ﷺ يخرج إلى الكعبة أوّل النهار ويصلى صلاة الضحى ، فكانت تلك صلاة لا تنكرها قريشٌ إنما تنكر غيرها ، وكان إذا صلى فى سائرِ اليوم بعد ذلك قعد علىٌّ وزيد يرصدانه ، وكان إذا جاء وقت العَصْرِ تفرَّقُوا فى الشعاب فيصلون فُرَادى ومَثْنى (٤) .

ويروى : كان إذا حضرت الصلاة خرج النبى ﷺ إلى

(١) كذا فى ت ، هـ . وفى م « كثير العيال » .
(٢) دلائل النبوةِ ١ : ٤١٥ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٧٥ ، ٧٦ . وانظر سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٦٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ .
(٣) انظر ترجمة زيد وإسلامه فى سيرة النبى لابن هشام ١ ١٦٣ ، ١٦٤ .
(٤) الإمتاع ١ : ١٦ ، ١٧

شِعاب مكة – ومعه على – مستخفيا من عمه [١] أبى طالب ، ومن جميع أعمامه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمْسَيَا رجعا ، فمكثا كذلك إلى ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخى ما هذا [الدين] [٢] الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عمّ ، هذا دين الله ، ودين ملائكته ورسله ، ودين أبينا إبراهيم ، بعثنى به الله رسولا إلى العباد ، وأنت – أى عم – أحق مَنْ بذلتُ له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق من أجابنى إليه ، وأعاننى عليه . فقال : أى ابن أخى ، إنى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك شئ تكرهه ما بقيتُ . وقال لعلى : أى بنى ، ما هذا [الدين] [٢] الذى أنت عليه ؟ قال : يا أبت ، آمنت برسول الله ﷺ ، وصدقته بما جاء به . وصلَّيت معه واتبعته . فقال : أما إنه لم يَدْعُك إلاّ إلى خير ، فاتبعه والزمه [٣] .

ويروى : أن أبا طالب لما رأى النبى ﷺ وعلى بن أبى طالب يُصَلِّيَان ببطن نَخْلَة فقال : ماذا تصنعان يا ابن أخى ؟ فدعاهُ رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقال : ما بى بالذى تصنعان بَأْسٌ والذى تقولان ، ولكن والله لا تعلونى استى أبدا [٤] .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٦٣ « مستخفيا من أبيه أبى طالب » .

(٢) الإضافة عن المرجع السابق ١ : ١٦٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٤ .

(٣) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٦٣ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٧٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٤) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٤ .

ثم بعد إسلام زيد بن حارثة لَقِيَ أبو بكر الصديقُ رسولَ الله ﷺ ، فقال : أحَقٌّ ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، وتكفيرك / إيّانا (١) ؟ فقال رسول الله ﷺ : بَلَى أنَا رسول الله ونبيّه ، بعثنى لأُبَلِّغَ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه لَلْحَقّ ، أدعوك يا أبا بكر إلى (٢) الله وَحْدَه لا شريك له ، ولا يُعْبَد (٣) غيره ، والموالاة على طاعته ، وقرأ عليه القرآن ، فلم يُقِرّ (٤) ولم ينكر ، فأسلم وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد ، وآمن بحق الإسلام ، ورجع وهو مؤمن مصدّق ؛ قال رسول الله ﷺ : ما دَعَوْتُ أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كَبْوَة وتردّد ، إلا أبا بكر ما عكَمَ (٥) عنه حين ذكرته ، وما تردّدَ فيه .

---

(١) كذا فى ت ، م ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٥ . وفى هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٤١٧ « آباءنا » .

(٢) فى الأصول « إن الله وحده » ، والمثبت عن دلائل النبوة ١ : ٤١٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٣٣ .

(٣) كذا فى الأصول ودلائل النبوة ١ : ٤١٧ . وفى السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٣٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٥ « لاتعبد غيره » .

(٤) كذا فى م ، هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٤١٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٣٣ . وبياض فى ت . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٥ « فلم يعز ولم ينكر » ويعلق ابن كثير ١ : ٤٣٣ على إيراد ابن إسحاق قوله « لم يقر ولم ينكر » قائلا : وهذا الذى ذكره ابن إسحاق منكر ؛ فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله قبل البعثة ، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه مايمنعه من الكذب على الخلق ، فكيف يكذب على الله ؟! ولهذا بمجرد ماذكر له أن الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ولا عكم .

(٥) عكم : أى تلبث . كما فى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٦٢

وأقام رسول الله ﷺ ثلاث سنين – وقيل أربع سنين – لا يظهر دعوته إلا للمختصين به ممن يَثِقُ إليه ، منهم : خديجة وعليّ وزَيْد وأبو بكر ، ويستَتِرُ بالنبوة عَمَّن لا يثق إليه ، وكان أبو بكر يدعو أيضا مَن يثق من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه .

٥ ولَمَّا أسلم أبو بكر أظهر إسلامَه ، ودعا إلى الله ورسوله ، وكان رجلا مألفا لقومه مُحَبَّبا سهلا ، وكان أنْسَبَ قريش لِقُرَيش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ، ذا خلق ومعروف ، وكان جُلّ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه وتجارته [١] ، وحسن مجالسته . فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به

١٠ من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم على يديه الزُّبَيْر بن العوام ، وعثمان بن عفّان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وَقَّاص ، وعبد الرحمن بن عَوْف . فانطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحقّ الإسلام ، وبما وعدهم اللهُ من الكرامة ؛ فآمنوا وأصبحوا مُقِرِّين بحق

١٥ الإسلام . فكان هؤلاء النَّفَر الثمانية [٢] الذين سبقوا إلى الإسلام ، فصلوا وصدَّقوا رسولَ الله ﷺ ، وآمنوا بما جاء من عند الله .

---

(١) فى الأصول « تجاربه » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٦٥ ، ودلائل النبوة ١ : ٤١٨ ، وعيون الأثر ١ : ٩٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٣٧ .

(٢) كذا فى الأصول والمراجع السابقة . وانظر الخلاف حول السابقين إلى

٢٠ الإسلام فى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٩ – ٤٢٠ .

« سبب إسلام طلحة بن عبيد الله »

قال طلحة : حضرتُ سوقَ بُصْرَى فإذا راهبٌ فى صومعته يقول : سَلُوا أهلَ هذا الموسم ، أفيهم أحد من أهل الحَرَم ؟ فقلت : نعم أنا . فقال : هل ظَهَرَ أحمَدُ بعد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شَهْرُه الذى يَخْرُج فيه ، وهو ٥ آخرُ الأنبياء ، مخرجه من الحَرَم (١) ، ومهاجره إلى نَخْل وحَرَّة وسِبَاخ ، فإيّاك أن تُسْبَقَ إليه . قال طلحة : فوقع فى قلبى ما قال ، فخرجتُ سريعا حتى قَدِمْتُ مكة ، فقلت : هل كان من حَدَثٍ ؟ ٩٤ قالوا : نعم ؛ محمد بن عبد الله / الأمين تَنَبَّأَ ، وقد تَبِعَهُ ابنُ أبى قحافة . فخرجتُ حتى دخلتُ على أبى بكر فقلت : اتَّبعْتَ هذا ١٠ الرجل ؟ قال : نعم ، فَٱنْطَلِق إليه فَٱدْخل عليه فاتَّبِعْه ؛ فإنه يدعو إلى الحق . فأخبره طلحة بما قال له الراهب ، فخرج أبو بكر وطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة ، وأخبرَ رسولَ الله ﷺ بما قاله الراهب ، فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ بذلك .

١٥ ولما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نَوْفَلُ بن خُوَيْلد بن العَدَويَّة فشدهما فى حبل واحد – ولم يمنعهما بنو تَيْم – وكان نوفل بن خويلد من أشد قريش (٢) ؛ فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القَرِينَيْن ، وقال النبى ﷺ : اللهم اكفنا شَرَّ ابن العدوية .

---

(١) فى الأصول « من الحرة » . والمثبت عن دلائل النبوة ١ : ٤١٩ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٣٨ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٤٦ . ٢٠

(٢) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ١ : ٤٢٠ . وفيه فى ١ : ٤١٩ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٧٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٣٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٠٩ « يدعى أسد قريش » .

ويروى أن عثمان بن عبيد الله أخا طلحة قَرَن طلحة مع أبى بكر ليحبسه عن الصلاة ، ويُردَّه عن دينه ، وحَرَّرَ يده من يد أبى بكر فلم يَرُعْهم إلا وهو يصلى مع أبى بكر (١) .

وأتى النبىَّ ﷺ – أوّل ما بعث ، وهو حينئذ مستخفٍ – عمرُو بن عَبَسَة فقال : ما أنت ؟ قال أنا نبىٌّ . فقال : وما النبىّ ؟ قال : رسول الله . قال : آلله أرْسَلَك ؟ قال : نعم . قال : بما أرْسَلَك ؟ قال : بأن نعبدَ الله ، ونكسرَ الأوْثان ، ونُوصِلَ الأرحام . قال : نِعْم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال : حُرٌّ وعَبْدٌ – يعنى أبا بكر وبلالا – وكان عمرو يقول : لقد رأيتنى وأنا رُبْع – أو رابع – أربع (٢) فأسلمت . قال عمرو قلت : أتبعك يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكن الحق بقومك فإذا أُخْبِرتَ أنى قد خرجتُ فاتبعنى (٣) .

وأقام سعد بن أبى وَقَّاص سبعة أيام وهو ثالث الإسلام (٤) .

وأول من أظهر إسلامه سبعة : النبىّ ﷺ وأبو بكر ، وعَمّار ، وأمّه سُمَيّة ، وصُهَيْب ، وبِلال ، والمِقْدَاد (٥) .

---

(١) دلائل النبوة ١ : ٤٢٠ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى تاريخ الإسلام ٢ : ٨٠ « رابع أربعة » ، وفى السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٤٣ « وأنا ربع الإسلام » .

(٣) وانظر المراجع السابقة ، ودلائل النبوة ١ : ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٤) دلائل النبوة ١ : ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٨٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٤٣ .

(٥) دلائل النبوية ١ : ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٨٠ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤١١ .

وقال سعيد بن زيد : والله لقد رأيتنى وإنّ عمر مُوثِقِى وأختَه على الإسلام ، قبل أن يُسْلِمَ عُمَر (١) .

« سبب إسلام خالد بن سعيد بن العاص »

كان بدء إسلامه أنّه رأى فى النوم أنه وُقِفَ به على شَفِير النَّار ، فذكر من سَعِيرها ما الله أعلم به ، ورأى كأنّ أباه يدفعه فيها ، ورسول الله ﷺ آخذ بحجزته لا يقع ، ففزع من نومه وقال : أحلف بالله إن هذه الرؤيا لحق . فلقى أبا بكر بن أبى قُحَافَة ، فذكر ذلك له ، فقال له أبو بكر : أُرِيدَ بك خيرا ، هذا رسول الله / ﷺ فاتبعه ؛ فإنك ستتبعه وتدخل معه فى الإسلام ، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها ، فأبوك واقع فيها . فلقى رسولَ الله ﷺ بأجياد فقال : يا محمد إلاَمَ تدعو ؟ فقال : أدعو إلى الله وحدَه لا شريكَ له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حَجَرٍ لا يسمع ولا يُبْصِر ، ولا يضُرّ ولا ينفع ، ولا يَدْرِى مَنْ عبده ممن لا يعبده . قال خالد : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . فسُرّ رسول الله ﷺ بإسلامه .

وتغيّب خالدٌ ، وعلم أبوه بإسلامه ، فأرسل فى طلبه فأُتِىَ به فأنَّبَه وضربه بمقرعة فى يده حتى كسرها على رأسه ، وقال : والله لأَمْنَعَنَّك القوتَ . فقال خالد : إن منعتنى القوت فإن الله يرزقنى ما أعيش به . وانصرف إلى رسول الله ﷺ ، فكان يلزمه يكون معه (٢) .

---

(١) دلائل النبوة ١ : ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٨٠ .
(٢) دلائل النبوة ١ : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

ثم انطلق أبو عبيدة بن الحارث ، وأبو سلمة بن عبد الأسد - واسمه عبد الله - والأَرْقَمُ بن أبي الأرقم المخزومى ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعثمان بن مظعون الجمحى حتى أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا (١) .

ثم أسلم أناسٌ من قبائل العرب ، منهم : سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل أخو بنى عَدِىّ بن كعب ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر - وهى صغيرة - وقُدَامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون الجمحيان ، وخَبَّاب بن الأرت حليف بنى زُهْرَة ، وعمير بن أبى وَقَّاص الزُّهرى ، وعبد الله بن مسعود حليف بنى زُهْرة ، ومسعود ابن القارىّ ، وسَلِيط بن عمرو أخو بنى عمرو (٢) بن لؤى ، وعيَّاش ابن أبى ربيعة المخزومى ، وامرأته أسماء بنت سلامة التميمى ، وخُنَيْس بن حُذَافة السهمى ، وعامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب (٣) ، وعبد الله بن جَحْش الأسدى ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبى طالب ، وأمرأته أسماء بنت عُمَيس ، وحَاطِب بن الحارث الجُمَحِىّ ، وأمرأته أسماء (٤) بنت المُجَلَّل ، والخطاب بن الحارث ، وامرأته

---

(١) دلائل النبوة ١ : ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ١ : ٤٢٥ « بنى عامر » .

(٣) وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٦٧ « حليف آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى » .

(٤) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ١ : ٤٢٥ . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٦٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٥٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤١٦ « فاطمة بنت المجلل » .

فُكَيْهَة بنت يَسار (١) ، ومَعْمَر بن الحارث بن مَعْمَر الجمحي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطلب بن أزْهَر بن عبد عوف الزُّهْرِي ، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن حُبَيْرَة (٢) ، والنَّحَّام – واسمه نَعِيم بن عبد الله – أخو بني عَدِيّ بن كعب ، وعامر بن فُهَيْرَة
٩٦ مولى أبي بكر رضي الله عنه ، وخالد بن سعيد / بن العاصي ، وأمرأته ٥
أُمَينة بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خُزَاعة ، وحاطب ابن عمرو بن عبد شمس أخو بني عامر بن لؤي ، وأبو حُذَيْفَة بن عُتْبة بن ربيعة ، وواقِد بن عبد الله التميمي حليف بني عَدِيّ بن كعب ، وخالد بن البُكَير ، وإياس بن البُكَير ، وعامر بن البُكَيْر ، وعَاقِل بن البكير ، وعمّار بن ياسر حليف بني مخزوم ، وصُهَيْب بن ١٠
سِنَان (٣) .

ثم دخل الناسُ أرسالاً من النساء والرجال . حتى فَشَا ذِكْرُ الإسلام بمَكَة ، وتُحِدّث به . فلما أسلَمَ هؤلاء وفشا أمرهم أعْظَمَتْ ذلك قريش ، وتَغَضَّبَت (٤) له ، وظهر لرسول الله ﷺ البَغْيُ والحَسَدُ ، وشخص له منهم رجالٌ فبادروه وأصحابه بالعداوة ، منهم : ١٥
أبو جَهْل بن هشام ، وأبو لَهَب .

---

(١) في الأصول « بنت سيار » . والمثبت عن المراجع السابقة .

(٢) في م ، هـ « ابن منيرة » وبياض في ت . وفي سيرة النبي لابن هشام ١ : ١٦٧ « خبيرة » والمثبت عن دلائل النبوة ١ : ٤٢٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤١٦ .

(٣) وانظر هذه الأسماء بأنسابها في سيرة النبي لابن هشام ١ : ١٦٥ — ١٦٩ . ٢٠

(٤) كذا في هـ . وفي دلائل النبوة ١ : ٤٢٦ « وغضبت » . وفي ت ، م « تحصبت » خطأ .

وقدم سُوَيد بن الصامت أحد بنى عمرو بن عوف مَكَّةَ حاجا أو معتمرا ، فتصدّى له رسول الله ﷺ ودعاهُ إلى الله وإلى الإسلام ، فقال سُوَيد : فلعل الذى معك مثل الذى معى . فقال له رسول الله ﷺ : وما الذى معك ؟ فقال : مجلة لقمان – يعنى حكمة لقمان – فقال رسول الله ﷺ : إعرضها عَلَىَّ . فعرضها عليه ، فقال : إن هذا الكلام حَسَنٌ ، والذى معى أفضل منه ؛ قرآنٌ أنزله الله عَلَىَّ ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسولُ الله ﷺ القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يُبْعِد منه وقال : إن هذا القولَ حَسَن ، ثم انصرف إلى المدينة [١] .

وفيها – بعد عشرين يوما من المبعث – رُمِيت الشياطين بالشُّهُب ، فرأت قريش أمْرًا لم تكن تراه ، جعلوا يُسَيِّبُون أنعامهم ، ويعتقون أرقاءهم ؛ يظنون أنه الفناء . فبلغ ذلك من فعلهم أهلَ الطائف . ففعلت ثقيف مثلَ ذلك ، فبلغ عبدَ يَالِيل بن عمرو ما صنعت ثقيف فقال : ولم فعلتم ما أرى ؟ قالوا : رُمِى بالنجوم فرأيناها تَهَافَتُ من السماء . قال : إن إفادة المالِ بَعْدَ ذَهَابِه شَدِيدٌ ، فلا تعجلوا وانظروا ، فإن تكن نجوما تُعْرَف فهو عند فناء الناس ، وإن كانت نجوما لا تُعْرَف فهو عند أمْرٍ حدث . فنظروا فإذا هى لا تُعْرَف فأخبروه فقال : الأمر فيه مُهْلَة بعد هذا عند ظهور نَبِىّ . فما مكثوا إلا يسيرا حتى قدم الطائفَ أبو سفيان بن حَرْب إلى أمواله ، فجاءه عبدُ يَالِيل ، فذاكره أمْرَ النجوم ، فقال أبو سفيان : ظهر

---

(١) الاستيعاب ٢ : ٦٧٧ ، والإمتاع ١ : ٣١ ، ٣٢ .

محمد بن عبد الله يَدَّعِي أنه نبي مرسل . قال عَبْدُ يَالِيل : فعند ذلك رُمِيَ بها [(١)] .

٩٧ ويروى لما رُمِيَت الشهب أوّل من علم ذلك ثقيف / أهلُ الطائف ، فكان ذو الغنم ينطلق إلى غنمه فيذبح كل يوم شاة ، وذو الإبل ينحر كل يوم بعيرا ، وذو البقر ينحر كل يوم بقرة ؛ فأسرع ٥ الناسُ في أموالهم ، فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا ، فإن كانت النجوم التي تهتدون بها وإلا فإنه أمرٌ حدث . فنظروا فإذا النجوم التي يهتدون بها كما هي لم يزل منها شيء فكَفُّوا [(٢)] .

ويروى أن ثقيف أوْل من فزعوا لذلك ، فأتوا عمرو بن أُمَيَّة فقالوا : ألم تر ما حدث ؟ قال : بَلَى ، فانظروا فإن كانت معالم ١٠ النجوم التي يهتدى بها [من البر والبحر ، ويعرف بها] [(٣)] أنواء الصيف والشتاء انتثرت فهي طَيُّ الدنيا ، وذهابُ هذا الخلق الذى فيها ، وإن كانت نجوما غيرها فأمر أراده الله عزّ وجلّ بهذا الخلق ، ونبيٌّ يُبْعَث في العرب فقد تُحدِّثَ بِذلك ، وجعلوا يذبحون لآلهتهم من كان له إبلٌ أو غنم كل يوم ، حتى كادت أموالهم تذهب ، ثم تناهوا . ١٥

وفيها انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٧٤، ١٧٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤١٧ ، ٤١٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٦٧ .

(٢) الخصائص الكبرى ١ : ٢٧٤ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٨٥ .

(٣) الإضافة عن سيرة النبي لابن هشام ١ : ١٣٤ ، والوفا بأحوال المصطفى ٢٠ ١ : ١٧٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٩٠ . والاكتفا ١ : ٢١٥ .

سُوقِ عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين – بالشهب – وبين خَبَرِ السماء ، وأُرْسِلَت عليهم الشهبُ ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خَبَرِ السماء ، وأُرْسِلت علينا الشهب . قالوا : ما حَالَ بينكم وبين خبر السماء إلا من شيء حدث ، فاضربوا مَشَارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حدث ، والأمر الذى حال بينكم وبين خبر السماء . فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذى حدث وحال [١] بينهم وبين خبر السماء . فانصرف أولئك النَّفَرُ الذين توَجَّهُوا نحوَ تِهَامَة إلى رسول الله ﷺ وهو بنَخْلَة عامدا إلى سوق عكاظ ، وهو يُصَلّى بأصحابه صلاة الفَجْرَ ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حالَ بينكم وبين خبر السماء . فهنالك رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : يا قومنا إنّا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرُّشْدِ فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وأنزل الله على نَبِيّه ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [٢] .

ويروى أن عدد الجن الذين هَبطوا على النبى ﷺ سبعة ، أحدهم زوبعة ، وكان النبى ﷺ يقرأ القرآن حينئذ ببطن نَخْلَة ، فلما سمعوه قالوا : أنصتوا ، قالوا : مَهْ [٣] ؟ فأنزل الله ﴿ وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾ الآية إلى ﴿ ضَلاَلٍ مُبِينٍ ﴾ [٤] .

---

(١) كذا فى ت ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٧٣ . وفى م ، هـ « الأمر الذى حال بينهم » .

(٢) سورة الجن آية ١ . وانظر دلائل النبوة ٢ : ١٢ ، وصفة الصفوة ١ : ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) كذا فى هـ . وفى ت ، م ودلائل النبوة ٢ : ١٣ « قالوا صه » .

(٤) سورة الأحقاف الآيات ٢٩ — ٣٢ .

٩٨ ويروى لَمَّا كان / اليوم الذى نُبِّئَ فيه رسول الله ﷺ مُنِعَت الشياطينُ خَبَرَ السماء ورُمُوا بالشُّهُب ، فأنكرت الشياطين ذلك وقالوا : لاَ نَدْرِى ، أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأَرْضِ أَمْ أَرادَ بهم ربُّهُم رشدا ؟ فجاءوا إلى إبليس فذكروا ذلك له ، فقال : أمرٌ حَدَث ؛ هذا نَبِيٌّ (١) قد خرج عليكم بالأرض المقدسة مخرج بنى إسرائيل . فذهبوا ٥ إلى الشام ثم رجعوا إليه فقالوا : ليس بها أحد . فقال إبليس : أنا صاحبه . فخرج فى طلب عِلْمِه فإذا رسول الله ﷺ بحِرَاء مُنْحَدِراً ومعه جبريلُ ، فرجع إلى أصحابه .

ويروى أن الشياطين لَمّا رُمُوا بالشهب شكوا ذلك إلى إبليس فقال : قد حَدَث أمرٌ . فَرَقِى فوق أبى قُبَيْس – وهو أول جَبَل وُضِع على ١٠ وَجْه الأرض – فرأى رسولَ الله ﷺ يُصَلِّى خلف المقام ، فقال : أَذْهَبُ فأَكْسِرُ عُنُقَه . فجاء يخطر – وجبريلُ عنده – فركضه جبريلُ ركضةً فَطَرَحَه فى كُدَىّ وكداء (٢) ، فوَلَّى الشيطانُ هاربا .

ويروى أن الشياطين لما أَخْبَرُوا إبليس قال : هذا حَدَثٌ حَدَثَ فى الأرض ، فأتونى من كل أرض بتربة . فأتوه بتربة تِهَامَة فقال : هَا ١٥ هُنَا الحدث (٣) .

---

(١) فى الأصول « هذا قد خرج » . والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٢ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٧٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٦٧ .

(٢) كذا فى ت ، م . وفى هـ والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٢٠ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٧٨ « كذا وكذا » . ولعل الصواب « فى كدى أو كداء » . ٢٠

(٣) دلائل النبوة ٢ : ٢٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤١٧ ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٧٤ .

وفيها قال عمرو الهُذَلِىّ : حضرتُ مع رجل من قومى صَنَماً – سواع [١] – وقد سُقْنَا إليه الذبائح ، فكنت أوّل من قَرَّب إليه بقرةً سمينة فذبحها عَلَى الصَّنم ، فسمعنا صوتا من جَوْفِها : العَجَبُ كُلّ العَجَب خروج نَبِىٍّ من الأخاشب يُحَرِّمُ الرِّبَا [٢] ، ويحرِّم الذبائح للأصنام ، وحُرِسَت السماء ، وَرُمِينَا بالشُّهُب . فَتَفَرَّقْنا ، فقَدِمْنَا مَكَّةَ فسألنا فلم نجد أحدا يخبرنا بخروج محمد حتى لَقِينَا أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، فقلنا : يا أبا بكر أَخَرَج أحدٌ بمكة يدعو إلى الله يقال له أحمد ؟ قال : وما ذاك ؟ فأخبرته الخبرَ فقال : نعم ، هذا رسول الله ﷺ . ثم دعانا إلى الإسلام ، فقلنا : حتى ننظر ما يصنع قومُنا ، ويا ليت أنّا أسلمنا يومئذ ، فأسلمنا بعده .

وفيها – أو فى التى قبلها – قدم عفيف الكندى [٣] إلى مكة تاجرا ، وقدم للحج . قال عفيف : فأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة وأبيعه – وكان امرأً تاجرا – فوالله إنى لعنده إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس ، فلما رآها قام يصلى ، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذى خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلى ، ثم خرج غلام راهق الحُلُم من ذلك الخباء فقام يصلى . فقلت للعباس : يا عباس ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما

---

(١) فى الأصول « صواع » . والتصويب عن القرآن الكريم سورة نوح آية ٢٣ .

(٢) كذا فى ت ، هـ . وفى م ، والخصائص الكبرى ١ : ٢٦٩ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٢٨٧ « الزنا » .

(٣) انظر ترجمته فى الأستيعاب ٣ : ١٢٤١ ، والإصابة ٢ : ٤٨٧ .

ندرى ما هو . فقال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المـ ، ابن أخى . قلت : من هذه المرأة ؟ قال : هذه امرأته خد ابنة خُوَيلد . فقلت : من هذا الغلام ؟ قال : هذا على بن أبى ب ابن عمه . قلت : فما هذا الذى يصنع ؟ قال : يصلى ، وهو يزعم أن الله أرسله ، وأنه نبىّ ، ولم يتبعه أحد على أمره إلا امرأته وابن ـه هذا الفتى ، وهو يزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر (١) .

وفيها ولد عبد الله بن بُسْر (٢) .

* * *

« السنة الثانية والأربعون من مولد النبى ﷺ »

....

* * *

(١) انظر المرجعين السابقين ، ودلائل النبوة ١ : ٤١٥ ، ٤١٦ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، وفيه « وكان عفيف يقول : لو أن الله رزقنى الإسلام يومئذ فأكون ثانيا مع على بن أبى طالب رضى الله عنه » .

(٢) هو عبد الله بن بسر المازنى ــ أبو بسر الحمصى أو أبو صفوان ــ له صحبة ، روى عن النبى ﷺ ، وعن أبيه وأخيه ، وروى عنه كثير . مات بالشام أو بحمص فى سنة ٨٨ هـ وهو ابن أربع وتسعين سنة ، قيل هو آخر من مات بالشام من الصحابة ، وقيل مات سنة ٩٦ هـ وهو ابن مائة سنة . (الإصابة ٢ : ٢٨١ ، ٢٨٢) .

« السنة الثالثة والأربعون من مولد النبى ﷺ (١)»

....

* * *

« السنة الرابعة والأربعون من مولد النبى ﷺ »

فيها بعدَ أن فتر الوحى عن النبى ﷺ قريبا من سنتين ، فحزن لذلك حزنا غدا منه مرارا لكى يتردى من رءوس شواهق الجبال ؛ شوقا منه إلى ما عاين فى أوَّلِ مَرّة من حلاوةِ مشاهدة وحيِ الله إليه . فكان كلما أوفى بِذِرْوَة جبل لكى يلقى نفسه تبدّى له جبريل على كرسى وثَبّته وبشَّره ، وقال : يا محمد إنك رسول الله حقا . فيسكن ذلك جأشه ، وتقرّ نفسه ويرجع . فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بِذِرْوَة جبل تبدَّى له جبريل فقال مثل ذلك (٢) .

وكان ﷺ مَرَّة يمشى فسمع صوتا من السماء ، فرفع رأسه فإذا الملكُ الذى جاءه بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض

---

(١) لم يورد المؤلف من أحداث هاتين السنتين شيئا . وفى تاريخ الخميس ١ : ٢٨٧ « وفى السنة الثانية أو الثالثة من النبوة توفى ورقة بن نوفل بن عم خديجة ... وقال الذهبى : الأظهر أنه مات بعد النبوة وقبل الرسالة ؛ أى قبل إظهار الدعوة ونزول ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ وفى المنتقى أورد وفاة ورقة فى السنة الرابعة من النبوة » .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٦٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤١٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٣٦١ .

[قال ﷺ :] (١) فجَثَيْتُ منه رُعْبا . حتى هَوَى إلى الأرض ، فرجع إلى خديجة وقال : زملونى زملونى ، فدَثَّروه . فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ (٢) ثم جاء الوحى بعد وتتابع أمر الله عزّ وجل نبيَّه فى هذه السنه بإعلان دينه ، فأنزل عليه ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣) وقوله عز وجل ﴿ وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (٤) [وقوله] (٥) ﴿ وَقُلْ إِنِّى أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (٦) .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧) دعانى رسول الله ﷺ فقال لى : يا علىّ ، إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى / الأقربين ، فَضِقْتُ لذلك ذَرْعا ، وعرفت أنى متى ما أُبَادِيهم بهذا الأمر ، أرى منهم ما أكره ، فصمتُّ عليها حتى جاءنى جبريل فقال : يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرك به ربك تغيّر عليك (٨) ربُّك . فقال رسول الله ﷺ :

(١) إضافة يقتضيها السياق ، لأن الخبر فى المراجع السابقة حديث مروى على لسان النبى ﷺ .

(٢) سورة المدثر الآيات ١ ــ ٥ .

(٣) سورة الحجر آية ٩٤ .

(٤) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

(٥) إضافة على الأصول .

(٦) سورة الحجر آية ٨٩ .

(٧) سورة الشعراء الآيتان ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٨) كذا فى هـ . وفى ت ، م « لك » . والعبارة فى دلائل النبوة ١ : ٤٢٨ « إنك إن لم تفعل ماأمرك به ربك عذبك ربك » . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٤ « إنك إن لا تفعل ماتؤمر به يعذبك ربك » .

يا عليّ ، فاصنع لنا صاعا من طعام ، واجعل عليه رِجْلَ شاة ، واملأ لنا عُسًّا من لَبَن ، ثم اجمع لى بنيَ عبد المطلب حتى أكلِّمَهُم وأبلِّغَهم ما أُمْرِتُ به . ففعلت ما أُمرت به ، ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلا ، يزيدون رجلا أو ينقصون ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب . وفيهم عشرون يأكل كلُّ واحد منهم الجَذْعَةَ ويشرب الفرق ، فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به ، فلما وضعته تناولَ رسولُ الله ﷺ حُذَيّة (١) من اللحم فنتفها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصَّحْفَة ، ثم قال : كلوا باسم الله . فأكل القومُ حتى ما لهم بشئ من حاجة ، وما أرى إلا موضع أيديهم ، وأَيُّمُ الله الذى نفسُ عليٍّ بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم .

ويروى أن النبى ﷺ قال لهم : ادنوا . فدنا القومُ عشرة عشرة ، فأكلوا حتى صدروا ، ثم دعا باللبن فجرع منه جرعا ثم قال : اسقِ القوم . فجئتهم بذلك العُسّ ، فشربوا منه حتى رووا جميعا ، وكأن لم ينقص منه شئ ، وأَيُّمُ الله الذى نفسُ عليٍّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بَدَرَه أبو لهب إلى الكلام فقال : سحركم صاحِبُكم . فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ (٢) .

---

(١) الحذية : تصغير حذوة بضم الحاء وكسرها : وهى القطعة من اللحم . وقيل إذا كسرت الحاء كانت بمعنى أن يقطع اللحم طولا . سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٣٥ .

(٢) وانظر الخصائص الكبرى ١ : ٣٠٩ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٣٤ .

فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ : يا علىُّ إن هذا الرجل قد سبقنى إلى ما سمعتَ من القول ، وتفرّق القوم قبل أن أكلمهم ، فأعِدَّ لنا الطعام والشراب مثل ما صنعت لنا بالأمس . ثم اجمعهم لى . ففعلتُ ثم جمعتهم ، ثم دعا بالطعام فقرّبتُه إليهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما بهم لشىء من حاجة ، ثم قال : اسقهم . فجئت بذلك العُسّ فشربوا حتى رووا منه جميعا . ثم تكلّم رسول الله ﷺ فقال : يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعرف شابا من العرب جاء قومَه بأفضل مما [1] جئتكم به ؛ إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر [عَلَى] [2] أن يكون أخى ؟ فأحجم القومُ ، فقلت — وأنا أحدثهم سنا / — : أنا يا نبى الله . فقام القوم يضحكون .

ويروى : أن النبى ﷺ قال : يا بنى عبد مناف ، إنى بُعِثْتُ إليكم خاصة وإلى الناس عامة ، فأيّكم يبايعنى على أن يكون أخى ؟ قال علىّ فقلت : أنا . فقال : اجلِس . ولما كان آخر ذلك ضرب بيده على يَدِى [3] .

---

(١) فى الأصول « ما » . والمثبت من دلائل النبوة ١ : ٤٢٩ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٥٩ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٠٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٣٣ .

(٢) سقط فى الأصول ، والمثبت عن الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٥٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٦ : ١٩٦ مع اختلاف يسير .

ويروى : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ (١) ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال : يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ، لا أُغْنِى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أُغْنِى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أُغْنِى عنك من الله شيئا ، يا صَفِيّة عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد سلينى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا (٢) .

ويروى : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ دعا النبى ﷺ قريشا فاجتمعوا ، فعمَّمَ وخَصَّصَ فقال : يا بنى كعب بن لؤى ، أنقِذُوا أنفسكم من النار ، يا بنى مُرّة بن كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة ، أنقذى نفسك من النار ؛ فإنى لا أملك لكم من الله شيئا ، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها (٣) .

ويُرْوَى : ولما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ انطلق رسولُ الله ﷺ إلى رضمة من جبل ، فعلا أعلاها حجرا ، ثم نادى : يا بنى عبد مناف ، إنى نذير ، وإنما مثلى ومثلكم كمثل رجل

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

(٢) دلائل النبوة ١ : ٤٢٧ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٣ .

(٣) دلائل النبوة ١ : ٤٢٧ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٨١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٥٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٣٣ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٥٨ ، ٤٥٩ وفيها « أى أصلكم بالدعاء . والبلال : مايبل الحلق من الماء واللبن » .

رأى العدوّ فانطلق يرنو [١] أهله ، فخشى أن يسبقوه فهتف يا صباحاه .

ويروى : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قال النبىّ ﷺ : يا صفيّة عمة رسول الله - ﷺ - يا فاطمة بنت محمد ، يا بنى عبد المطلب ؛ لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم [٢] .

وفى رواية : يا فاطمة ابنة رسول الله - ﷺ - اشترى نفسك من الله ؛ فإنى لا أملك لك من الله شيئا ، يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا صفية عمة رسول الله - ﷺ - اشترى نفسك من النار فإنى لا أملك لك من الله شيئا .

ويروى : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ اشتد الأمر على النبىّ ﷺ وضاق به ذرعا ، ومكث شهرا أو نحوه فى بيته حتى قُلْنَ عمّاته : إنه لشاكٍ . فدخلنَ عليه عائدات فقال لهن : ما اشتكيتُ شيئا . ولكن الله / أمرنى أن أُنْذِرَ عشيرتى الأَقْرَبِين ، فأردتُ جمعَ بنى عبد المطلب فأدعوهم إلى الله . فقلن : فادعهم ولا تجعل عبد العُزَّى فيهم - يعنون أبا لهب - فإنه غير مجيبك إلى ما تدعوه [٣] . وخرجن وهن يَقُلْن : إنما نحن نساء .

(١) كذا فى الأصول ودلائل النبوة ١ : ٤٢٨ . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٣ « ينذر أهله » . وفى تفسير ابن كثير ٦ : ١٧٨ « يربأ أهله » .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٥٧ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٨٨ .

(٣) كذا فى م ، ت ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٣٢ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٥٧ . وفى هـ « تدعوهم » .

فلما أصبح رسولُ الله ﷺ بعث إلى بنى عبد المطلب فحضروا ، ومعهم عدة من بنى المطلب بن عبد مناف ، وجميعهم خمسة وأربعون رجلا ، وسارع إليه أبو لهب ، وهو يظن أنه يريد أن ينزع عما يكرهون إلى ما يحبون ، فلما اجتمعوا قال أبو لهب : هؤلاء عمومتك ، وبنو عمومتك ، فتكلم بما تريد ودَع الصباة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب طاقة ، وإن أحق من أخذك وحبسك أسرتك وبنو أبيك إن أقمتَ على أمرك ، فهو أيْسَر عليهم من أن تثب بك بطون قريش وتَمُدُّها العربُ ، فما رأيتُ يا ابن أخى أحدا قط جاء بنى أَبِيهِ وقومَه بِشَرٍّ مما جئتهم به . فسكتَ رسولُ الله ﷺ ، فلم يتكلم فى ذلك المجلس بشىء ، ومكث أياما ، وكبر [١] عليه كلام أبى لهب ، فنزل عليه جبريلُ عليه السلام ، فأمره بإمضاء ما أمره الله وشجَّعه عليهم . فجمعهم ثانيا فقال : الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثم قال : إن الرائد لا يكذب أهله ، لو كذبتُ الناسَ جميعا ما كذبتكم ، ولو غَرَرْتُ الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسَبُنّ بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها الجنَّة أبدا ، [أو النار أبدا] [٢] وإنكم لأوّل من أنذر . فقال أبو طالب : ما أحب إلينا

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى هـ وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٣٢ « كثر » .

(٢) الإضافة عن سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٣٢ . وفى السيرة الحلبية ١ : ٤٥٩ « وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا » .

معاونتك ومرافدتك وأقبلنا لنصيحتك ، وإنما أنا أحدهم ، غير أنى والله أسرعهم إلى ما تحب ، فامض لما أُمِرْتَ به ، فوالله لا أزال احوطك وأمنعك ، غير أنى لا أجد نفسى تطاوعنى لفراق دين عبد المطلب حتى أموت على ما مات عليه .

وتكلّم القومُ كلاما لَيِّناً غير أبى لهب فإنه قال : يا بنى عبد المطلب هذه والله السوءة ، خذوا على يده قبل أن يأخذ عى يده غيركم ، فإن أسلمتموه حينئذ ذللتم ، وإن منعتموه قُتِلْتُم . فقال أبو طالب : لنَمْنَعَنَّه ما بقينا . وقالت صفية بنت عبد المطلب لأبى لهب : أى أخى ، أيحسن بك خذلان ابن أخيك وإسلامه ؟! فوالله ما زال العلماء يخبرون / أنه يخرج من ضئضئ عبد المطلب نبىٌّ ، فهو هو . فقال أبو لهب : هذا والله الباطل والأمانى ، وكلام النساء فى الحجال [١] ، إذا قامت بطون قريش كلها ، وقامت العرب معها فما قوّتنا بهم !! ما نحن عندهم إلا أكلة رأس [٢] .

ويروى : لما نزلت ﴿ وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ جلس النبى ﷺ على الصّفا فقال : يا آل فِهْر . فجاءه من سمع كلامَه ممن كان بمكة من بنى فِهر ، فقال له أبو لهب : هذه فِهْرٌ عندك . فقال : يا آل غالب . فرجع بنو محارب والحارث أبناء فهر ، فقال : يا آل لؤى بن غالب . فرجع بنو عامر بن لؤى ، فقال : يا آل مُرَّة بن كعب ، فرجع بنو عدى وسهم وجُمَح ، فقال : يا آل كِلاَب .

---

(١) فى الأصول « الحجاب » . والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٢) فى الأصول « رءوس » . والمثبت عن المرجعين السابقين .

فرجعت بنو مخزوم وبنو تَيْم بن مُرّة . فقال : يا آل قُصَىّ . فرجعت بنو زُهْرة . فقال : يا آل عبد مناف . فرجع بنو عبد الدار وبنو أسد ابن عبد العُزّى ، فقال له أبو لهب : هذه عبد مناف !! فقال النبى ﷺ : أدعوكم إلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى عبده ورسوله أَضْمَنُ لكم الجنة . فقال أبو لهب : ألهذا دعوتنا ؟! تَبًّا لك . فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ السورة (١) .

ويروى : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد رسول الله ﷺ على الصفا يهتف ، فأقبلوا واجتمعوا فقالوا : مالك يا محمد ؟ قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بفم هذا الجبل ، أكنتم تصدقونى ؟ قالوا : نعم أنت عندنا غير مُتَّهَم ، وما جرّبْنا عليك كذباً قط . قال : فإنى نَذِيرٌ لكم بين يَدَىْ عذاب شديد ، يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زهرة – حتى عدّ الأفخاذ كلَّها من قريش – إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلاّ أن تقولوا لا إله إلا الله . فقال أبو لهب : تَبًّا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟! فأنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (٢) .

ويروى : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ورَهَطَكَ منهم المخلصين . خرج رسول الله ﷺ حتى صعد على الصفا

(١) منتخب كنز العمال ٢ : ٣٩ مع اختلاف يسير .
(٢) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٤ .

فهتف : يا صباحاه . قالوا : من هذا الذى يهتف ؟ قالوا : محمد . فاجتمعوا إليه قال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سنح [١] هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فإنى نذير لكم بين يَدَى عذاب شديد . قال أبو لهب : تَبًّا لك ، أما جمعتنا إلاّ لهذا ؟! ثم قام . فنزلت هذه السورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة . ٥

١٠٤ ويروى : صعد رسول الله ﷺ / ذات يوم على الصفا فقال : يا صباحاه . فاجتمعت إليه قريش فقالوا : مالك ؟ فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن العَدُوّ مُصَبِّحُكُم أو مُمْسِيكم أما كنتم مُصَدِّقِىّ – أو تصدقونى – قالوا : بلى . قال : فإنى نذير لكم بين يَدَىْ عذاب شديد . فقال أبو لهب : تَبًّا لك . ألهذا جمعتنا ؟! فأنزل الله عز وجل ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ إلى آخر السورة [٢] . ١٠

ويروى : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ نادى رسول الله ﷺ فى قريش بطنا بطنا . فقال : أرأيتم لو قلت لكم إن خيلا تُغِيرُ عليكم . أكنتم مُصَدِّقِىّ ؟ قالوا : نعم ، ما جرَّبنا عليك من كذب قَطّ . قال : فإنى نذيرٌ لكم بين يَدَىْ عذاب شديد . فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا ؟! تَبًّا لك سائر اليوم [٣] . ١٥

---

(١) كذا فى ت ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٦٠ والمعنى : أصل الجبل . وفى م ، هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٤٣١ « سفح » .

(٢) دلائل النبوة ١ : ٤٣١ . وتفسير ابن كثير ٨ : ٥٣٤ . ٢٠

(٣) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٣ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٨٣ .

وقام فلقى هند بنت عُتْبَة بن ربيعة فقال لها : قد بَايَنْتُ محمدا يا بِنْتَ عُتْبة ، وأَبَيْتُ ما جاء به ، ونَصَرْتُ العُزَّى ، وغضِبْتُ لها . فقالت له هند : جُزِيتَ خيرا يا أبا عتبة [١] .

ولما قال أبو لهب للنبى ﷺ : تَبًّا لك سائر اليوم ، أنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ فلما نزلت أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب [٢] ، امرأة أبى لهب ، ولها ولولة وبيدها فِهْرٌ [٣] ، ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله لو تَنَحَّيْتَ عنها ، لاتُسْمِعك شيئا يؤذيك ؛ فإنها امرأة بذيئة .

ويروى : قال : يا رسول الله ، قد أقبلت وأنا أخاف أن تراك . فقال رسول الله ﷺ : إنها لن ترانى ، وسَيُحَالُ بينى وبينها . وقرأ قرآنا ، فاعتصم كما قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً [٤] ﴾ فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر ، ولم تر رسول الله ﷺ ، فقالت يا أبا بكر : إنى حُدِّثْتُ أن صاحبك هَجَانى . فقال : لا وَرَبِّ هذا البيت ما هَجَاك – ويقال فقال : والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله – قالت : إنك

---

(١) أورده ابن هشام فى السيرة ١ : ٢٣٥ فى خبر الصحيفة مع اختلاف يسير .
(٢) وقيل اسمها أروى بنت حرب أخت أبى سفيان بن حرب . (السيرة الحلبية ١ : ٤٦٦)
(٣) الفهر : حجر يملأ الكف فيه طول يدق به فى الهاون . (المرجع السابق)
(٤) سورة الإسراء آية ٤٥ .

لمُصَدَّق . واندفعت راجعة وهي تقول : قد عَلِمَت قريش أنى بنت سيدها . فقال أبو بكر : ما رأتْكَ يا رسول الله . قال : كان بينى وبينها ملك يسترنى حتى ذهبت [١] .

ويروى : لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ دخلت أم جميل على أبى بكر وعنده رسول الله ﷺ فقالت : يا ابن أبى قحافة ما شأن صاحبك ينشد فىَّ الشعر !! قال : والله ما صاحبى بشاعر ، ولا يدرى ما الشعر . فقالت : أليس قد قال فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَد ، فما يُدْرِيه ما فى جيدى ؟ فقال النبى ﷺ : قل لها هل [٢] ترى عندى أحدا ؟ فإنها لن ترانى ، وإنى جُعِلَ بينى وبينها حجاب . فسألها أبو بكر فقالت : أتهزأ ١٠٥ بى / يا ابن أبى قحافة ، والله ما أرى عندك أحدا [٣] .

ويروى : لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ جاءت أم جميل بنت حرب – والنبى ﷺ فى المسجد معه أبو بكر وعمر – وفى يدها فِهْر ، فلما وقفت على النبىّ ﷺ أخذ الله تعالى على بصرها فلم تره ، ورأت أبا بكر وعمر ، فأقبلت على أبى بكر فقالت : أين صاحبك ؟ قال : وما تصنعين به ؟ قالت : بلغنى أنه هجانى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهْر فَمَه . قال عمر : وَيْحَكِ إنه ليس بشاعر . فقالت : إنى لا أكلمك يا ابن الخطاب . ثم أقبلت على أبى بكر فقالت : أى والثواقب إنه لشاعر ، وإنى لشاعرة . وانصرفت [٤] .

---

(١) وانظر تاريخ الإسلام ٢ : ٨٣ ، ٨٤ ، وتفسير ابن كثير ٨ : ٥٣٥ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٢) سقط هذا اللفظ من ت ، م .

(٣) دلائل النبوة ١ : ٤٤٤ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٦٦ .

(٤) السيرة الحلبية ١ : ٤٦٦ .

ويروى : لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ وذكر الله امرأته حَمَّالة الحطب قالت : قد هجانى محمد ، والله لأهجونه . فقالت : —

محمد قَلينا ودينه أبينا

وأخذت فِهْرًا لتضربه به فأعشى الله عينها ، وردّها بغيظها ، فعزَمَت على ابنيها أن يُطَلِّقا ابنتى رسول الله ﷺ ففعلا . وكانت رُقَيَّة عند عُتْبة ، وأم كلثوم عند مُعَتّب . ويقال إن الذى عزم عليهما أن يطلقا ابنتى رسول الله ﷺ أبوهما أبو لهب [١] .

ويقال لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ ﴾ قال أبو لهب لابنيه عُتْبَة وعُتَيْبَة : رأسى من رأسيكما [٢] حرام إن لم تُطَلِّقا ابنتى محمد . وكان النبى ﷺ سأل عُتْبَة فى طلاق رقية ، وسألَتْ رُقَيَّةُ ذلك ، فقالت له أم جميل بنت حَرْب : طَلِّقْها يا بنى فإنها قد صبأت . فطلّقها ، وطلّق عُتَيْبَة أم كلثوم ، وجاء إلى النبى ﷺ حين فارق أم كلثوم فقال : كَفَرْتُ بدِينك ، وفارقتُ ابنتك لا تجئنى ولا أجئك ، ثم تسلّط على رسول الله ﷺ فشق قميصه ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنى أسأل الله أن يُسَلِّط عليك [٣] كلبه . فكان كما أخبر رسول الله ﷺ أكله الأسد [٤] .

---

(١) وانظر الاستيعاب ٤ : ١٨٤٠ ، وفيه — أن أم كلثوم كانت عند عتيبة كما سيرد فى الخبر الآتى .

(٢) وفى م ، هـ « رءوسكما » .

(٣) كذا فى م . وفى ت ، هـ « عليه » .

(٤) تاريخ الخميس ١ : ٢٧٥ .

وأخذ أبو لهب يؤذى رسول الله ﷺ ، ويبدى صفحته فى عداوته ، ويخاصم ويجادل ويَرُدّ من أراد الإسلام عنه ، وأمر ابنه عُتْبَة أن يؤذى رسولَ الله ﷺ ، فكان أبو لهب وابنه عُتْبَة قد تجهزا للشام ، فقال ابنه عُتْبَة : والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه فى ربِّه . فانطلق حتى أتى النبى ﷺ فسمعه - ﷺ - يقرأ ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ فقال : يا محمد هُوَ كَفَرَ بالذى دَنَا فَتَدَلَّى / فكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . ثم تفل فى وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم سَلِّط عليه كَلْبًا من كلابك . وكان أبو طالب حاضرا فوجم ، وقال : ما أغناك عن دعوة ابن أخى . ثم انصرف عنه ورجع إلى أبيه فقال : أى بنى ما قلت له ؟ قال : كفرت بالإلاه (١) الذى يعبد . قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك . قال : أى بنى ما آمن عليك دعوة محمد . فكان الأمر كذلك ؛ قتله الأسد بالشام (٢) .

وتعاضد أبو لهب فى أذى النبى ﷺ هو وأبو جهل بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، والحارث بن قيس بن عدى السهمى ، والوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل السهمى ، والنضر بن الحارث ، ومُنَبِّه ونُبَيْه ابنا الحجاج ، وزُهَيْر ابن أُمَيّة ، والعاص بن سعيد بن العاص ، وأمية وأُبّى ابنا خلف ، وأبو قيس بن الفاكهى بن المغيرة ، وكانوا - هؤلاء كلهم - جيران رسول الله ﷺ .

(١) كذا فى ت . وفى م ، هـ « بإلاهه » .
(٢) تاريخ الخميس ١ : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

وكان أبو لهب يحقد على رسول الله ﷺ لأنه وقع بينه وبين أخيه أبي طالب كلام ، فصرعه أبو لهب ، وقعد على صدره ، وجعل يضرب وجهه . فلم يتمالك رسول الله ﷺ أن أخذ بضَبْعَى أبى لهب فضرب به الأرض ، وقعد أبو طالب على صدره ، وجعل يضرب وجهه ٥ حتى حجز الناس بينهما ، فقال أبو لهب لرسول الله ﷺ : هو عمك وأنا عمك ، فلم فعلت هذا بى ؟! والله لا يحبك قلبى أبدا . وصار يطرح القذر والنَّتَن على بابه ، فرآه حمزة وقد طرح من ذلك شيئا ، فأخذه وطرحه على رأسه ، فجعل أبو لهب ينفض رأسه ويقول : صابئ أحمق . وقصرَ عما كان يفعل ، لكنه كان يدس ١٠ بفعله [١] .

فكان الذى ينتهى إليهم عداوة رسول الله ﷺ أبو جهل ، وأبو لهب ، وعُقْبَة بن أبى مُعَيط ؛ وكان أبو لهب وعقبة يأتيان بالفَرْث فيطرحانه على باب النبى ﷺ ، وكان النبى ﷺ يقول : يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟! ثم يميطه عن بابه [٢] .

١٥ وفى هذه السنة صدع رسول الله ﷺ بأمر الله ، وأعلن الدعاء إلى الله تعالى ، وأدَّى الرسالة ، ونصح الأمة ، ودعا إلى الله سِرًّا وجهرا ، وشَمَّر عن ساق الاجتهاد ، وقام فى طاعة الله أتمَّ قيام ، يدعو ١٠٧ إلى الله الصغيرَ والكبير ، والحرّ والعبد / ، الرجالَ والنساء ، الأسود

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٦٠٩ . وفيه « لكنه كان يدس من يفعله » .

٢٠ (٢) انظر طبقات ابن سعد ١ : ٢٠١ . وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٦٠٩ ، ٦١٠ .

والأحمر [١] ، فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال ، وضعفاء النساء ، حتى كثر من آمن به .

ولم يبعد منه قومه حتى باداهم بالرسالة ، ولم يردوا عليه كلّ الرَّدّ ، وكان إذا مَرّ عليهم فى مجالسهم يشيرون إليه : إن غُلاَمَ بنى عبد المطلب لَيُكَلَّم من السماء [٢] . ٥

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صَلّوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا من قومهم . فبينما سعد بن أبى وقّاص فى نَفَرٍ من أصحاب النبى ﷺ يُصَلّون فى شِعْب من شعاب قومه ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلوهم فاقتتلوا ، فضرب سعد - يومئذ - رجلا بلَحْى بعير فشجّه ، ١٠ فكان أوّل دَمٍ أُهْرِيقَ فى الإسلام [٣] .

وفيها وفى العشر السنين التى بعدها أقام النبى ﷺ يدعو القبائل إلى الإسلام ، ويعرض نفسه عليهم ، ويُوَافى الموسمَ كلّ سنة ، ويوافى الحاج فى منازلهم ، وفى الموسم بعكاظ ومَجَنَّة وذى المجاز ومنى ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلةً قبيلة فيدعوهم ، ويسألهم أن ١٥ يمنعوه ويؤووه ، حتى يُبَلِّغَ رسالات ربه ، ويَعِدهم على ذلك الجنة ، ويقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفْلِحُوا ، وتملكوا بها العرب ، وتَذِلّ لكم العجم ، فإذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة [٤] .

---

(١) الإمتاع ١ : ١٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٨٨ . ٢٠

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٥٤ ، وفيها : إن المشجوج هو عبد الله بن خطل لعنه الله .

(٤) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٩٣ مع اختلاف يسير .

ويقال : إن النبى ﷺ كان يقول : مَنْ رجلٌ يحملنى إلى قومه فيمنعنى حتى أُبَلِّغ رسالات ربى ؛ فإن قريشا قد منعونى أن أُبَلِّغ رسالات ربى ؟

ويقال : كان يقول : من يؤوينى وينصرنى حتى أُبَلِّغ رسالات ربى وله الجنة ؟ ٥

هذا وعمه اللعين أبو لهب وراءه يقول للناس : لا تطيعوه ولا تستمعوا منه فإنه صابئ كَذّاب . ويقال : فيقول : يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ، لا تسمعوا من هذا الكذاب . فَيَرُدُّون على النبى ﷺ أَقْبَحَ الرَّدّ ويؤذونه ، ويقولون أسرتك وعشيرتك أعلَمُ بك [1] حيث لم يَتْبَعُوك ، ويكلمونه ويحادثونه ، ١٠ ويدعوهم إلى الله عز وجل ويقول : اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا .

وكان النبى ﷺ لا يسمع بقادم من العرب له اسم وشرف إلا دعاه ، وعرض عليه ما عنده ، فلا يجد ناصرا ولا مجيبا ، بل يَرُدّون عليه أنجس رَدّ .

١٥ وكان أحياء العرب يتحامونه لما يسمعون من قريش فيه أنه كاذب . أنه ساحر . أنه كاهن / ، أنه شاعر ؛ أَكَاذِيب يصفونه بها ١٠٨ حسدا من عند أنفسهم وبَغْياً ، ليصغى إليهم من لا تَمْيِيزَ له من أحياء العرب . أما الألباء [2] فإنهم إذا سمعوا كلامه وتَفَهَّمُوه شهدوا

---

(١) الإمتاع ١ : ٣١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٩٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٠ ٢٨٨ ، ٣٦١ .

(٢) كذا فى هـ ، والإمتاع ١ : ٣١ . وفى ت ، م « الأولياء » .

بأن ما يقوله حق وصدق ، وأن قومه يفترون عليه الكذب فيُسْلِمُون .

ولم تَسْتَجِب له قبيلة ، وذَخَرَ اللهُ ذلك للأنصار كرامة لهم .

وكان ممن دعاهُ النبى ﷺ وعرض نفسه عليه من القبائل : بنو عامر بن صَعْصَعَة ، ومُحارب بن خصفة ، وفزارة ، وغسّان ، ومُرّة ، وحَنِيفة ، وسُلَيم ، وعَبْس ، وبنو نضر ، وبنو البَكّاء ، و كِندة ، وكَلْب ، والحارث بن كَعْب ، وبنو عُذْرة ، والحضارمة ، وثعلبة بن عُكابة ، وقيس ابن الخطيم ، وأبو الجيش [١] أنس بن أبى رافع [٢] .

ويقال إن النبىّ ﷺ بدأ بكندة فدعاهم إلى الإسلام ، ثم أتى كَلْباً ، ثم بنى حَنِيفَة ، ثم بنى عامر .

وفيها ولدت عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما [٣] .

وفيها مات وَرَقَةُ بن نَوْفل بن عبد العُزّى بن قُصَىّ ، وكان ممن كره عبادة الأوثان ، وطلَب الدين الحنيف ، فقال رسول الله ﷺ : لقد رأيتُ القسَّ فى الجَنّة عليه ثيابُ الحريرِ ؛ لأنه آمن بى وصدَّقنى [٤] .

* * *

---

(١) كذا فى الأصول ، وسترد قصته فى ابتداء السنة السابعة والأربعين من مولد النبى ﷺ والتعليق على رسم الاسم .

(٢) الإمتاع ١ : ٣٠ ، ٣١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٩٧ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠٦ .

(٣) انظر الإصابة ٤ : ٣٠٩ .

(٤) وانظر ترجمته فى الإصابة ٣ : ٦٣٣ ـــ ٦٣٥ .

« السنة الخامسة والأربعون من مولد النبي ﷺ »

فيها اشتدت قريش فى إيذاء المسلمين ؛ وذلك أنّ قريشا كانت لا تُنْكِرُ على رسول الله ﷺ من أمره حتى عاب آلهتهم التى يعبدونها من دون الله ، وذكَرَ هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكُفْر ، واشتدّ أمرُه عليهم ؛ فأجمعوا على خلافه ، وأظهروا عداوته ، وكايَدُوه وآذوه ، وأغروا به سفهاءهم ، وأرادوا قتله أو إخراجه ، فعرضوا على قومه أن يعطوهم دِيَتَه ويقتلوه فأبى قومه ذلك [١] ، فحَدِب عليه عمُّه أبو طالب .

وسألَت قريش النبيَّ ﷺ : إن كُنْتَ تَطْلُب مالا جمعنا لك مالاً تكون به أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد الشرف فينا فنحن نُسَوِّدُك علينا ، وإن كنت تريد مُلْكا مَلَّكْنَاك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا [٢] قد غلب عليك بَذَلْنَا أموالنا فى طلب الطب حتى نُبْرِئَك منه أو نُعْذَر فيك . فقال لهم النبى ﷺ : ما بى ما تقولون ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا / ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حَظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم [٣] .

وجهر عبدُ الله بن مسعود بالقرآن ، فكان أوّل من جهر به من الصحابة ، وصَعُبَ الأمر وتَنابَذ القوم ، ونادى بعضهم بعضا ،

(١) دلائل النبوة ٢ : ٥٨ ، ٥٩ .
(٢) الرئى : التابع من الجن . (سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٥٠)
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٧٩ ، وشرح المواهب ١ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

وتآمرت قريش على من أسلم منهم ، واشتدوا على من تبعه على دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم يعذِّبُونهم ويفتنونهم عن دينهم ، فكانت فتنة شديدة وزلزالا شديدا ، فمنهم من عَصَمَ الله ، ومنهم من آفْتتن ، ومنع الله رسولَه بعمِّه أبى طالب وبنى هاشم – غير أبى لهب – وبنى عبد المطلب .

وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ٥ وألبسوهم أدْرَاع الحديد ، وأوقفوهم فى الشمس ، فما من أحد إلاّ وقد وَافقَهُم على ما أرادوا غير بلال ؛ فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطرحونه فى شعاب مكة ، وجعل يقول : أحد أحد . ثم اشتراه أبو بكر وأعتقه ، وأعتق ستة آخرين : عامر ابن[1] فُهَيْرَة ، وأم عُبَيس[2] ، والنهدية [3] وبنتها ، والمؤمليّة[4] ، ١٠ وزِنِّيرة [5] – وكانت زِنِّيرة ذهَبَ بصرُها بعد أن أسلمت ، وكانت مما

(١) هو عامر بن فهيرة التيمى أحد السابقين إلى الإسلام ، واستشهد بوقعة بئرمعونة فى السنة الرابعة من الهجرة — أو على رأس ٣٦ شهرا من الهجرة — على يد رجل من كلاب يقال له جبار بن سلمى . (مغازى الواقدى ١ : ٣٤٦ — ٣٥٢ ، والإصابة ٢ : ٢٥٦)

(٢) وفى الاستيعاب ٤ : ١٩٤٦ « ويقال أم عبس » وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ١٥ ٤٨٣ « أم عنيس ، بعين مضمومة فنون مفتوحة » وكانت لبنى زهرة وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها على إسلامها . (الإصابة ٤ : ٤٧٥)

(٣) فى الأصول « الهندية » . والمثبت عن سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٨٣ ، وشرح المواهب ١ : ٢٦٦ ، وكانت مولدة لبنى فهد بن زيد ، فصارت لامرأة من بنى عبد الدار ، فكانت تعذبها ، فاشتراها أبو بكر وابنتها وأعتقهما . ٢٠

(٤) فى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٨٣ « وجارية بنى المؤمل » وكذا فى شرح المواهب ١ : ٢٦٦ . وفى الإصابة ٤ : ٣٩٩ وردت فى غالب الروايات غير مسماة ، وسماها البلاذرى لبيبة جارية بنى المؤمل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب .

(٥) وفى الاستيعاب ٤ : ١٨٤٩ « وقيل كانت رومية فأسلمت » وانظر الإصابة ٤ : ٣١١ ، ٣١٢ . وفى شرح المواهب ١ : ٢٦٩ وكانت أمة عمر بن الخطاب وأسلمت قبله فكان ٢٥ يضربها فذهب بصرها .

يُعَذّب فى الله على الإسلام ، فتأبى إلا الإسلام ، فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلاّ اللاّت والعُزّى . فقالت : كلا والله ما هو كذلك . فرَدَّ الله عليها بصرها (١) .

ومرّ النبى ﷺ بعمّار وأهله وهم يعذبون فقال : أبْشروا آل عَمّار – أو آل ياسر – فإن موعدكم الجنة . وقُتِلَت فى الله أمّ عمار ابن ياسر سُمَيّة بنت خُباط مولاة بنى مخزوم ، فكانت أوّل قتيل فى الإسلام (٢) . وقيل أوّل قَتِيل الحارثُ بن أبى هالة رَبِيبُ النبى ﷺ (٣) .

وأتَى خَبَّابُ – لَمَّا أَنْ لَقِىَ هو والمسلمون الشدةَ من المشركين – إلى النبى ﷺ – وكان متوسدا بُرْدَة فى ظِلّ الكعبة – فقال خَبَّابُ : يا رسول الله : ألا تدعو الله لنا ؟ فقعدَ النبيّ ﷺ – وهو محمر وجهه – فقال : إنّ مَن كان قبلكم ليُمَشَّطُ أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه (٤) من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيُشَقّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه ، ولَيُتِمَّنَ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه (٥) .

(١) دلائل النبوة ٢ : ٥٧ .
(٢) شرح المواهب ١ : ٢٦٦ والعقد الثمين ٨ : ٢٤٣ .
(٣) الإصابة ١ : ٢٩٣ .
(٤) كذا فى م ودلائل النبوة ٢ : ٥٧ . وفى ت ، هـ « مادون لحمه من لحم » .
(٥) وانظر المرجع السابق ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٦٢ .

١١٠ فلما كثر المسلمون واشتد أذى / قريش لهم ، وفتنتهم إياهم ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة فى دينهم ، وضاقت عليهم مكة . — وكان رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان فى منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه — أَذِن النبى ﷺ لأصحابه فى الهجرة إلى أرض الحبشة ، وقال لهم : إن بها ملكا لا يُظَلم ٥ الناس عنده — أو لا يُظْلَم أحد عنده — فَٱلْحَقُوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه . فهاجر فى شهر رجب منهم اثنا عشر رجلا وأربع نسوة — وقيل أحد عشر رجلا وامرأتان ، وقيل عشر رجال وأربع نسوة — سِرًّا ، وستر الباقون إسلامهم (١) .

١٠ فالذين هاجروا عثمان بن عفان — وهو أول من خرج — وزوجته رقية ابنة النبى ﷺ ، وعثمان بن مَظْعون ، والزُّبَير بن العَوَّام ، ومُصْعَب بن عُمَير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أم سلمة بنت أبى أُمَيّة ، وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبى خَيْثَمة ، وأبو سَبْرَة بن أبى رُهْم ، وحَاطِب بن عمر بن عبد شمس ، وسُهَيل بن البَيْضَاء ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو حُذَيْفة بن ١٥ عُتْبَة ، وزوجته سَهْلَة بنت سُهَيل بن عمرو . وخرجوا سِرًّا مُتَسَلِّلين — منهم الراكب ومنهم الماشى — حتى انتهوا إلى الشُّعَيْبَة (٢) ، فقَيّض الله لهم حينئذ سفينتين للتجار إلى أرض الحبشة ، حملوهم فيهما بنصف دينار .

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢١٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٨٥ ، ٢٠ وشرح المواهب ١ : ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) فى الأصول « السفينة » والتصويب عن طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ . والشعيبة كانت ثغر مكة قبل أن تصير جدة ثغرا لمكة . (معجم البلدان لياقوت)

وخرجت قريش فى أثرهم حتى بلغوا حيث ركبوا ، فلم يدركوا منهم أحد .

ولما أن أخرج عثمان بن عَفَان وزوجته رُقَيّة أبطأ على رسول الله ﷺ خبرُهُما ، فقدمت امرأة من قريش فقالت : يا محمد رأيتُ خَتَنَكَ وآمرأته . قال : على أى حال رأيتيهما ؟ قالت : رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدَّبَّابة [١] وهو يسوقها . فقال رسول الله ﷺ : صحبهم الله ، إن عثمان لأوّل من هاجر بأهله بعد لُوط . وهى أوّل هجرة كانت فى الإسلام ، فأقاموا عنده بخير دار فى أحسن جِوَار ، أمنوا فيه على دينهم وأنفسهم ، وعبدوا الله لا يؤذون ، ولا يسمعون شيئا يكرهونه . فأقاموا شعبان ورمضان ، وقدموا فى شوال إلى مكة [٢] ودخلوا فى جوار طائفة من قومهم إلا ابن مسعود فإنه عاد مهاجرا إلى الحبشة [٣] .

وسبب رجوعهم ما كان قد بلغهم مِن أمْرِ سُورَة ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ / قَارَبَ قومه ، وكَفُّوا عنه ، ودَنَا منهم ودنوا منه . فقعد يوما فى ناد من أنديتهم حول الكعبة فقرأ عليهم ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ فلما بلغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَٱلْعُزَّى وَمَنَاةَ

(١) كذا فى م ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٥ . وفيها علق المحقق بقوله : الضعيفة التى تدب فى المشى . وفى ت ، هـ « هذه الديار » .

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٨٦ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٨٩ .

(٣) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرىٰ ﴾ ألقى الشيطان على لسانه : وإنهن الغَرَانِيق العُلَى ، وإنّ شَفَاعَتَهُنَ لهى التى تُرْتَجَى . فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد وسجد كل من حضر من مسلم أو مشرك ، غير أن الوليد بن المُغِيرَة ، وقيل : أبا أُحَيْحة سعيد بن العاص ، ويقال : كلاهما جميعا ــ وكانا شيخين كبيرين لا يقدران على السجود – رفعا على كفَّيْهما ترابا إلى جبهتهما فسجدا عليه ، ورضوا بما ألقاه الشيطان على لسانه ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يُحْيى ويُمِيت ، ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فأما إذ جعلت لنا نصيبا فنحن معك . وكبر ذلك على رسولِ الله ﷺ حتى جَلَس فى بيته ، فأوحى الله إليه ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ إلى قوله ﴿ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً (١) ﴾

وفشت تلك السجدة فى الناس حتى بلغت أصحابَ رسول الله ﷺ الذين بالحبشة ، وأنّ قريشا سَجَدُوا معه وأسلموا ، فقالوا : إذا كانوا قد آمنوا فلنرجع إلى عشائرنا أحب إلينا . فخرجوا حتى كان بينهم وبين مَكَّة ساعة من نهار فلقوا رَكْبا من الركبان فسألوهم ، فقالوا : ذكر محمد آلهتهم [(٢) بخير فتابعه الملأ ، ثم ارتد عنها فعاد لشتم إلهتهم (٢)] فعادوا له بالشرّ ، فتركناهم على ذلك . فَأْتَمَرُوا فى الرجوع إلى الحبشة ، ثم قالوا : ندخل فننظر ما فِيهِ قريش ، ونُحْدِثُ عهدا بأهلنا ثم نرجع ، فدخلوا – بعضُهم مستخفيا وبعضهم بجوار – غير

(١) سورة الإسراء الآيات ٧٣ ــ ٧٥ .

(٢) سقط فى الأصول . والمثبت عن عيون الأثر ١ : ١٢٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٨٠

ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ولم يدخل مكة ثم رجع إلى أرض الحبشة .

ويقال : إن النبىّ ﷺ لما قرأ سورة ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ فلما بلغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَٱلْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَى ﴾ ألقى الشيطان
٥ عندها كلمات حين ذكر الله تعالى آخرَ الطواغيت فقال : وإنهن الغرانيق العُلَى ، وإن شفاعتهن لهى التى تُرجى . وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان فى قَلْبِ كل مُشْرِك بمكّة ، ودلت بها ألسنتهم ، وتباشروا بها ، وقالوا : إن محمدا قد رجع إلى دينه الأوّل ؛ دين قومه .

١٠ فلما بلغ رسولُ الله ﷺ آخرَ ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ سجد وسجدَ كلُّ من حضر من مسلم أو مُشْرِك ، غير أن الوليد بن المغيرة — وكان شيخا كبيرا — رفع ملءَ كفَّيْه ترابا فسجد عليه . فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود بسجود رسول الله ﷺ / ، فأما ١١٢ المسلمون فقد عجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ،
١٥ ولم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطانُ على ألسنة المشركين . وأما المشركون فاطمأنت نفوسهم إلى النبى ﷺ وأصحابه لما أُلْقِىَ فى أمنية النبى ﷺ ، وحَدَّثهم الشيطان أن رسول الله ﷺ قد قرأها فى السجدة فسجدوا تعظيما لآلهتهم .

وفَشَت تلك الكلمة فى الناس فأظهرها الشيطان حتى بلغت
٢٠ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عنه ، وحَدّث أنّ أهل مكة قد أسلموا كلهم ، وصلّوا مع رسول الله ﷺ ، وبلغهم سجود الوليد بن

المغيرة على التراب على كَفَّيْه ، وحُدِّثُوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة ؛ فأقبلوا سراعا . وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحكم الله آياته وحفظها من الباطل ، فقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِىٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ [1] ﴾ فلما بين الله [قضاءه] [2] ، وصانه وبرَّأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالتهم ، وعداوتهم على المسلمين ، واشتدوا عليهم [3] .

(١) سورة الحج الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) سقط فى الأصول ، والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ٦١ ، والاكتفا ١ : ٣٥٣ ، وتفسير ابن كثير ٥ : ٤٤٠ .

(٣) وقد جاء فى عيون الأثر ١ : ١٢١ بعد خبر الغرانيق — عن السهيلى — وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ... والحديث على ماخيلت غير مقطوع بصحته . قلت — أى ابن سيد الناس — : بلغنى عن الحافظ عبد العظيم المنذرى رحمه الله أنه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواة بالكلية ، وكان شيخنا الحافظ عبد المؤمن الدمياطى يخالفه فى ذلك . والذى عندى فى هذا الخبر : أنه جار مجرى مايذكر من أخبار هذا الباب من المغازى والسير ، والذى ذهب إليه كثير من أهل العلم الترخص فى الرقائق ومالا حكم فيه من أخبار المغازى ومايجرى مجرى ذلك ؛ وأنه يقبل فيها مالا يقبل فى الحلال والحرام لعدم تعلق الأحكام بها .

وجاء فى تفسير ابن كثير للأيات ٥٢ ، ٥٣ من سورة الحج « ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسله ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ... ثم قال بعد ذكر طرق روايتها : وكلها مرسلات ومنقطعات ، وساقها البغوى فى تفسيره ثم سأل هاهنا سؤالا : كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله لرسوله ﷺ ؟ ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها : أن الشيطان أوقع فى مسامع=

ثم لقى المسلمون من قُريش تعنيفا شديدا بالأذى ، فكانت أعظم مشقة من الأولى ، وكان قد اشتدّ على قريش ما بلغهم من حُسْن جِوَارِ النَّجَاشِى لهم .

وكان ممن دخل بجوارٍ عثمان بن مَظْعُون ؛ أجاره الوليدُ بن ٥ المغيرة ، فلما رأى عثمانُ بن مظعون الذى يلقى رسول الله ﷺ وأصحابُه من البلاء ، وعُذِب طائفة منهم بالنار والسياط ، وعثمان معافىً لا يعرض [(١)] له ، استحبّ البلاء على العافية فقال : أما من كان فى عهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ الذى [(٢)] اختار الله عزّ وجلّ لأوليائه من أهل الإسلام فهو مُبْتَلى ، ومن دخل فيه فهو ١٠ خائف . وأما من كان فى عهد الشيطان وأوليائه من الناس فهو معافىً !! فعمد إلى الوليد بن المغيرة فقال : يا عم قد أجرتنى وأحسنت إلى ، فأنا أحب أن تخرجنى إلى عشيرتك فتبرأ منى بين ظهرانيهم . فقال له الوليد : يا ابن أخى لعل أحدا من قومك آذاك أو شتمك وأنت فى ذمتى فأكفيك ذلك . / قال : لا والله ما اعترض ١١٣ ١٥ لى أحد ولا آذانى . فلما أبى إلا أن يتبرأ منه الوليد أخرجه إلى المسجد — وقريش فيه كأحفل ما كانوا ، ولبيد بن ربيعة الشاعر

= المشركين ذلك ، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ ، وليس كذلك فى نفس الأمر بل إنما كان من صنيع الشيطان ، لا من رسول الرحمن ﷺ .

وانظر تفصيل الخلاف حول هذا الخبر ، ومن رواه ، واجتهاد العلماء حوله : فى ٢٠ شرح المواهب ١ : ٢٨٠ — ٢٨٦ .

(١) كذا فى ت ، م ، ودلائل النبوة ٢ : ٦١ . وفى هـ « يتعرض » .

(٢) كذا فى ت . وفى م ، هـ ، ودلائل النبوة ٢ : ٦١ « التى » .

ينشدهم – فأخذ الوليد بيد عثمان فأتى به قريشا فقال : إن هذا قد غلبنى وحملنى على أن أتبرأ من جواره ، وإنى أُشْهِدكم أنى برىء منه إلّا أن يشاء . فقال عثمان : صدَق وأنا والله أكْرَهْتُه على ذلك ، وهو منى برىء . ثم جلس مع القوم ولبيد ينشدهم ، فقال لبيد : –

* أَلاَ كُلّ شَىْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ * ٥

فقال عثمان صدقت . ثم أتم لبيد فقال :

* وَكُلُّ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ *

فقال عثمان كذبت . فأسكت [1] القوم ولم يدروا ما أراد بكلمته . ثم أعادوها الثانية وأمروه بذلك ، فقال عثمان حين أعادها مثل كلمتيه الأولبين ؛ صدَّقة مرَّة وكذّبه مرَّة . إذا ذكر : « ألا كل شيء ما خلا ١٠ الله باطل » صدقه ، وإذا ذكر : « وكل نعيم لا محالة زائل » كذبه ؛ لأنّ نعيم الجنة لا يزول . فنَزَى عند ذلك رجلٌ من قريش فلطم عينَ عثمان بن مظعون فاخْضرَّت . فقال الوليد بن المغيرة وأصحابه : قد كنت فى ذمة مانعة ممنوعة فخرجت منها ، وكنت عن الذى لقيت غَنيًّا !! فقال عثمان : بل كنت إلى الذى لقيتُ منكم فقيرا ، وعينى ١٥ التى لم تُلْطَم إلى مثل ما لَقِيَتْ صاحِبَتُها فقيرةٌ ، ولى فيمن هو أحبّ إلىّ منكم أُسْوَة . فقال الوليد بن المغيرة : إن شئت أَجَرْتُك الثانية . فقال عثمان بن مظعون : لا أرب لى فى جوارك [2] .

---

(١) كذا فى م ، هـ ، ودلائل النبوة ٢ : ٦٢ . وفى ت « فأنكر » .

(٢) دلائل النبوة ٢ : ٦١ ، ٦٢ ، والاكتفا ١ : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، وسبل الهدى ٢٠ والرشاد ٢ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٨٠ .

فأَذِن النبى ﷺ لأصحابه فى الخروج إلى أرض الحبشة . فقال عثمان بن عفان : نُهَاجِرُ ولستَ معنا ؟ فقال : أنتم مهاجرون إلى الله وإلىّ ، لكم هاتان الهجرتان جميعا . فقال عثمان : فحَسْبُنَا يا رسولَ الله (١) . فهاجروا ثانيا إلى أرض الحبشة ، وَرَدَّ اللهُ كيدَ ٥ قريش فى نحورهم .

وكان جملة من هاجر من الصحابة نيّفا وثمانين سوى الصِّغَار – وقيل : ثلاثة وثمانون رجلا ، إن كان فيهم عمار بن ياسر ، ففيه شك – وثمان عشرة امرأة منهن سبع غرائب ، وإحدى عشرة قرشية (٢) . وهم – على خلاف فى بعضهم – : الأسود بن نَوْفل ، ١٠ وأسْمَاء بنت عُمَيس ، وأبو الرّوم بن عُمَير ، وأبو سَبْرَة بن أبى رُهْم ، وأبو فُكَيْهَة ، وأبو قيس بن الحارث ، وأم كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو ، وبَرَكة بنت يَسَار ، وتميم – ويقال : نمير ، وقيل : بشر – بن الحارث ، وجابر بن سُفْيَان بن مَعْمَر ، / وجعفر بن أبى طالب ، ١١٤ وجُنَادَة بن سفيان ، وجَهْمُ بن قيس ، والحارث بن حاطِب ، والحارِث ١٥ ابن خالد التيمى ، والحارث بن عبد قيس بن عامر ، وحاطِب بن الحارث – ومات بالحبشة – وحاطِب بن عمر ، والحجاج بن الحارث السهمى ، وحَرْمَلَة بنت عبد الأسود ، وحَسَنَة أم شُرَحْبِيل ، وحطّاب بن الحارث – ومات بالحبشة – وقيس بن حُذَافَة ، ورَبِيعة ابن هلال ، ورُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ ، وخالد بن حِزَام بن

٢٠ (١) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥١٧ .
(٢) كذا فى المرجعين السابقين .

خُوَيْلد ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وخُزَيْمَة بن جُهَيْم ، ورملة بنت أبي عوف ، ورَيْطَةُ بنت الحارث ، والزُّبَيْر بن العَوّام ، والسائِب ابن الحارث ، والسائِب بن عثمان بن مَظْعُون ، وسعيد بن حَرْمَلَة ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، وسعيد بن عبد قيس الزُّهْرِي ، وسعيد – وقيل اسمه معمر – بن عمر التميمى ، وسُفْيان بن مَعْمَر ٥ الجُمَحِيّ ، والسّكران بن عمرو ، وسَلَمَة بن هشام بن المغيرة ، وسَلِيط بن عمرو العامرى ، وسُهَيل بن بيضاء [١] ، وسَهْلَة بنت سهل ، وسُوَيْبِط العَبْدرِي ، وسَوْدَة بنت زَمْعَة ، وشُرَحْبِيل بن حَسَنَة ، وشَمّاس بن عثمان ، وطُلَيْب بن أزْهَر ، وطُلَيْبُ بن عُمَير ، وعامر بن ربيعة ، وعامر بن أبي وقَّاص ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله ١٠ ابن الجراح ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وعبد الله بن جَحْش ، وعبد الله بن الحارث بن قَيْس ، وعبد الله بن حُذَافَة السَّهْمى ، وعبد الله ابن سُفْيان ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وعبد الله بن شِهاب ، وأبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد ، وأبو موسى بن عبد الله بن قَيْس ، وعبد الله ابن مَخْرَمَة بن عبد العُزّى ، وعبد الله بن مَسْعُود ، ١٥ وعبد الله بن مَظْعُون ، وعُتْبَة بن غَزْوَان ، وعُتْبَة بن مسعود ، وعثمان ابن عَفّان ، وعثمان بن ربيعة بن وَهْبَان ، وعثمان بن عبد غَنْم الفِهْرِيّ ، وعَدِيّ بن نَضْلَة ، وعُرْوَة بن أبي أُمَامَة ، وعمّار بن ياسِر ، وعِمْرَان ابن رِئَاب ، وعَمْرُو بن أُمَيّة بن الحارث ، وعَمْرُو –

---

(١) وبيضاء أمه ، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر ، ٢٠ وأبوه وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة . (السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٩) .

وقيل اسمه معمر ـــ بن أبي سَرْح ، وعمرو بن جَهْم ، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر ، وعمرو بن سعيد بن العاص ، وعمرو بن عثمان بن كعب التَّيْمِىّ ، وعُمَير بن رِئَاب التَّيْمِىّ ، وعُمَيْرَة بنت السعدى ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، وعِيَاض بن زُهَير ، وفاطمة بنت صَفْوَان بن أُمَيّة ، وفاطمة بنت المُجَلِّل ، وفِرَاس بن النَّضْر بن الحارث ، ٥ وفُكَيْهَة بنت يَسَار ، وقُدَامَة بن / مَظْعُون ، وقيس بن حُذَافَة ١١٥ السهمى ، وقيس بن عبد الله من بنى أسد بن خُزَيْمة ، وليلى بنت أبى حَثمَة ، ومالك بن زَمْعَة ، ومحمد بن حاطِب ، ومَحْمِيَةُ بن جَزْء السهمى ، ومُصْعَب بن عُمَيْر ، والمُطّلب بن أَزْهَر ، ومعبد — ويقال : معمر — بن الحارث السهمى ، ومُعَتِّبُ بن عوف ، ومَعْمَر ١٠ ابن عبد الله بن نَضْلَة ، ومُعَيْقِيب بن أبى فاطمة ، والمِقْدَادُ بن الأسود ، وهاشم بن أبى عُتْبَة بن أبى ربيعة ، ونُبَيْه بن عثمان بن ربيعة ، وهُمَيْنَة — ويقال : أُمَيْنَة — بنت خَلَف ، وهِنْد بنت أبى أُمَيَّة ، ويَزِيدُ بن زَمْعَة بن الأسود . فأقاموا عند النجاشى فى أحسن حال (١) . ١٥

ويقال : إن النبى ﷺ كتب مع عمرو بن أمَيّة الضَّمْرِى إلى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه ؛ فصِفَةُ الكتاب : —

---

(١) وانظر سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢١٣ — ٢١٩ وعيون الأثر ١ : ١١٥ — ١١٨ — والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٦ — ٩ . ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله – ﷺ – إلى النجاشي الأصـ ـلك الحبشة ، سلام عليك فإنى أحْمدُ إليك الله الملك القُدُّو لمؤمن المُهَيْمِن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألْقَـا إلى مريم البَتُول الطيّبة الحَصِينة ، فحملت بعيسى ، فَخَلَقَه من رو ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه . وإنى أدْعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بى وبالذى جاءنى ، فإنى رسول الله . وقد بَعَثْتُ إليكَ ابنَ عمى جعفرا ومعه نَفَرٌ من المسلمين فإذا جاءوك فأقرهم ودَعِ التَّجَبّر ؛ فإنى أدعوك وجنودك إلى الله ، وقد بَلَّغْت ونَصَحْتُ ، فاقبلوا نصيحتى ، والسلام على من اتبع الهُدَى .

فكتب النجاشى إلى رسول الله ﷺ : –

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشى الأَصْحَم بن أَبْجَر ، سلام عليك يا نبىّ الله من الله ، ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلاّ هو الذى هدانى إلى الإسلام ؛ فقد بلغنى كتابُك يا رسول الله ، فما [١] ذكرت من أمر عيسى فورَبّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثتَ به إلينا ، وقد قَرَيْنا [٢] ابن عمك

---

(١) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ٢ : ٧٩ ، والبداية والنهاية ٣ : ٨٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٢٥ « فيما ذكرت » .

(٢) فى الأصول ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٢٥ « مر بنا » . والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ٧٩ والبداية والنهاية ٣ : ٨٤ .

وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدَّقاً ، وقد بايعتك ، وبايَعْتُ ابن عمك . وأسلمت على يديه لله رَبِّ العالمين ، وقد بعثتُ إليك يا نبى الله أريحا بن الأصحم بن أبجر ، فإنى لا أملك إلاّ نفسى ، وإن شئتَ أن آتيكَ فعلتُ يا رسول الله ؛ فإنى أشهد أن ما تقول حَقّ .

ولما خرجَ المسلمون إلى الحبشة ، / ومنع الله نَبِيَّه ﷺ بعمِّه أبى طالب رَأَتْ قريشٌ أن لا سبيلَ لهم عليه ، فرماهُ الوليد بن المُغيرة بالسِّحْرِ والكَهَانَةِ والجُنُون ،وتَبِعه قومُه على ذلك ، فنزل فيه ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ الآيات (١) ، وفى النفر الذين تابعوه ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ (٢) ﴾

ثم بالغوا فى أذى النبى ﷺ ؛ فمما فعلوه وقد اجتمعت أشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما رَأَيْنا مثل ما صَبَرْنا عليه من هذا الرجل قط ؛ قد سَفَّه أحلامَنا ، وشَتَم آباءنا ، وعابَ ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ، لقد صَبَرْنا منه على أمرٍ عظيم – أو كما قالوا – فبينما هم كذلك إذا طَلَع رسولُ الله ﷺ ، فأقبل يمشى حتى استلم الرُّكْنَ ، ثم مَرّ بهم طائفا بالبيت ، فلما مرّ بهم غَمَزُوه ببعض القول ، فعُرِفَ ذلك فى وجهه ﷺ ، ثم مضى ، ثم مرّ بهم الثانية ، فغَمَزُوه بمثلها ، فعُرِف فى وجهه ، ثم مضى ، ثم مَرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : ألا تسمعون يا معشر

---

(١) سورة المدثر الآيات ١١ – ٣٠ .

(٢) سورة الحجر آية ٩١ .

قريش !! أما والذى نفس محمد بيده – ويقال : أما والذى نفسى بيده – لقد جئتكم بالذَّبْح . فأخذت القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدّهم فيه وطأةً (١) قبلَ ذلك لَيَرْفؤه (٢) بأحسن ما يَجِدُ من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم رَاشِداً ، فوالله ما كنتَ جهولا .

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحِجْر فقال بعضُهم لبعض : ذَكَرْتُم ما بَلَغَ منكم وما بَلَغَكُم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسولُ الله ﷺ فوثَبُوا إليه وَثْبَةَ رجُلٍ واحد ، فأحاطوا به يقولون له : أنتَ الذى تقول كذا وكذا ؟! لِمَا يبلغهم من عَيْب آلهتهم ودينهم – فيقول رسول الله ﷺ : نَعم أنا الذى أقول ذلك . فأخذَ رجلٌ منهم بمجمَعِ ردائه ، وقام أبو بكر يَقِيهِ ويَبْكى ، ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربِّىَ الله ؟! ثم انصرفوا عنه .

وطاف النبىُّ ﷺ يوما ضُحَى ، فلقِيَتْهُ قريش حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا : أنت الذى تنهانا عَمَّا كان يعبدُ أباؤنا ؟! فقال : أنا ذاك . فقام أبو بكر فالتزمه مِن ورائه ، ثم قال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ / وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِنْ

---

(١) كذا فى ت ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٩٧ . وفى م ، هـ وسيرة النبى لابن هشام ١ : ١٨٧ ، ودلائل النبوة ٢ : ٥١ « وصاة » وفى الخصائص الكبرى ١ : ٣٦٠ « وصأة » .

(٢) ليرفؤه : أى يسكنه ويرفق به ويدعو له . (هامش تاريخ الإسلام ٢ : ٩٧)

يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إنّ اللّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ [١] ﴾ رافعا صوته بذلك ، وعيناه تسفحان حتى أرسلوه [٢] .

واجتمع مشركو قريش فى الحجر فقالوا : إذا مَرّ محمد علينا ضربه كل واحد منا ضَرْبَة ، فسمِعَتْ ذلك فاطمةُ فذكرت ذلك لأبيها ، فقال لها : يا بُنَيَّتى اسكتى ; ثم خرج فدخل عليهم المسجد ، فَرَفَعُوا إليه رءوسهم ثم نكَّسُوا ، فأخذ قَبْضَةً من تُرَاب فرَمَى بها نحوهم ثم قال : شَاهَتْ الوجُوه [٣] .

ويقال : اجتمعوا مَرّة فى الحِجْر فتعاهدوا باللات والعُزّى ، ومَنَاة الثالثة الأخرى ، ونائلة وإسَاف : لو قد رأينا محمداً قُمْنَا إليه قِيَامَ رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله . فأقبلت ابنتُه فاطمة تبكى حتى دخلت على أبيها رسول الله ﷺ فقالت : هؤلاء الملأ من قريش من قومك فى الحجر قد تعاهدوا عليك أن لو قد رَأَوْكَ قاموا إليك فقَتَلُوك ، فليس منهم رجلٌ إلا وقد عرف نصيبَه من دِيَتِك . فقال : يا بُنَيّة لا تبكى : أرينى وضوءا . فتوضّأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : هُوذَا . وأخفضوا أبْصَارهم ، وسَقَطَتْ رِقابُهم فى صدورهم ، وعُقِرُوا فى مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه أبصارهم ، ولم يقم منهم رجل ، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رءوسهم ، فأخذ

---

(١) سورة غافر آية ٢٨ .

(٢) وانظر المراجع السابقة ، وتفسير ابن كثير ٧ : ١٣٠ .

(٣) دلائل النبوة ٢ : ٥٣ .

قبضةً من تُرَاب فحصيهم بها ، وقال : شاهَتْ الوجوه . فما أصاب رجلا منهم من ذلك الحصى [١] حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا .

وقال العباس بن عبد المطلب : كنتُ يوما فى المسجد ، فأقبل أبو جهل فقال : إنّ للهِ علىّ إن رأيت محمدا ساجدا أن أطأ رَقَبَتَهُ . فخرجتُ عَلَى [٢] رسولِ الله ﷺ حتى دخلتُ عليه وأخبرتُه بقول أبى جهل . فخرج غَضْبَانَ حتى جاء المسجد وعَجل أن يدخل من الباب فَٱقْتَحَم الحائط ، فقلتُ : هذا يومُ شَرٍّ ، فَٱتَّزَرْتُ ثم ٱتَّبَعْتُه . فدخل رسولُ الله ﷺ يقرأ ﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلإنْسَانَ مِنْ عَلَق ﴾ فلما بلغ شأن أبى جهل ﴿ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَى [٣] ﴾ قال إنسانٌ لأبى جهل : هذا محمد . فقال أبو جهل : أَلاَ تَرَوْنَ ما أرى ؟ والله لقد سُدّ أُفُقُ السماءِ عَلَىَّ . فلما بلغ النبىّ ﷺ إلى آخرَ السُّورة سجَد [٤] .

وقال يوما أبو جهل : هَلْ يُعَفِّرُ محمد وَجْهَه بين أظهركم ؟! فقيل : نعم . فقال : واللات والعُزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأُعَفِّرَنّ / وجهه فى التراب . فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى ليطأ عَلَى رَقَبَتِه فما عُلِمَ به إلاّ وهو يَنْكُص على عَقِبَيْه ويرجع إلى

(١) كذا فى هـ . وفى ت ، م « من ذلك الحصباء حصاة » وانظر دلائل النبوة ٢ : ٥٣ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٦ ، ١٨٧ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٦١ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٧٤ .

(٢) فى الأصول « مع » والمثبت عن الخصائص الكبرى ١ : ٣١٦ .

(٣) سورة العلق الآيات ١ ــ ٧ .

(٤) وانظر عيون الاثر ١ : ١٠٢ .

خلفه ويتَّقِى بيده ، فقيل له : مالك ؟ قال : رأيت بينى وبينه خَنْدَقاً
من نَارٍ وهولا ، ورأيت ملائكة ذوى أجنحة . فقالَ رسول الله
ﷺ : أما لو دَنَا منى لاختطفته الملائكةُ عُضواً عُضْوًا . وأنزل الله
تعالى ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَن رَّءَاهُ آسْتَغْنَى ﴾ إلى قوله
٥ ﴿ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ يعنى أبا جهل ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ قومه
﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ الملائكة [١] .

ومَرّ أبو جهل بالنبى ﷺ وهو يصلى فقال : ألم أنهكَ عن أن
تصلى يا محمد ؟! لقد علمت ما بها أحد أكثر نَادِياً منى . فانتهره
النبى ﷺ ، فقال جبريل ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ والله
١٠ لو دعا ناديه لأخذته زَبَانِيَةُ العذاب [٢] .

قال عثمان بن عفان : كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت —
ويده فى يد أبى بكر — وفى الحجر ثلاثة [نفر] [٣] جلوس : عُقْبَةُ
ابن أبى مُعَيْط ، وأبو جهل ، وأُمَيّة بن خلف ، فمرّ رسول الله ﷺ
فلما حَاذَاهُم أسمعوه بعضَ ما يكره ؛ فَعُرِفَ ذلك فى وجه رسول الله
١٥ ﷺ ، فدَنَوْتُ منه حتى وسطته ، فكان بينى وبين أبى بكر ،
وأدخلَ أصابعه فى أصابعى حتى طفنا جميعا . فلما حَاذَاهم قالوا :
والله لاَ نُصَالِحُك مَا بَلَّ بحرٌ صوفة — وأنت تنهانا أن نعبد ما كان

---

(١) تاريخ الإسلام ٢ : ٨٧ ، وتفسير ابن كثير ٨ : ٤٦١ ، والسيرة النبوية لابن
كثير ١ : ٤٦٧ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣١٥ .
٢٠ (٢) تاريخ الإسلام ٢ : ٨٨ ، ٨٩ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٦٥ .
(٣) الإضافة عن الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٨ .

يعبد آباؤنا . فقال لهم رسول الله ﷺ : أَنَا عَلَى ذلك . ثم مضى عنهم ، فصنعوا به فى الشوط الثالث مثل ذلك ، حتى إذا كان فى الشوط الرابع ناهضوه ، ووثبَ أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه ، فدفعته فى صدره فوقع على إِسته ، ودفع أبو بكر أُمَيَّة بن خَلَف ، ودفع رسول الله ﷺ عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط ، ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف ، ثم قال لهم : أما والله لا تنتهون حتى يُحِلَّكُم الله عذابه عاجلا . فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه أَفْكَل [١] ، وهو يرتعد ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : بِئسَ القومُ أنتم لنَبِيِّكم . ثم انصرف إلى بيته وتبعناه ، فقال : أبشروا فإن الله مظهرُ دينه ، ومتم كلمته ، وناصر نبيه ؛ إن هؤلاء الذين ترون ممن يَذْبَحُ اللهُ بأيديكم عاجلا . ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، فوالله لقد رأيتهم ذبحهم الله بأيدينا [٢] .

وَأتمرت قريشٌ يوما وهم جلوس فى ظِلّ الكعبة ، ورسول الله ﷺ يصلى عند المقام / ، فقام إليه عُقْبَةُ بن أبى مُعَيط فجعل رداءه فى عنقه ثم جَذَبه حتى وَجَبَ لِرُكْبَتَيْه ساقطا ، وتصايَحَ الناسُ ، فظنوا أنه مقتول ، فأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبعى رسولِ الله ﷺ من ورائه وهو يقول : أَتَقْتُلُونَ رجلا أن يقول ربى الله . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، فقام فصلّى ؛ فلما قضى صلاته مَرّ بهم وهم

(١) كذا فى الأصول ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٦١ . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٩ « الخوف » — والأفكل : الرعدة من برد أو خوف . (المعجم الوسيط)

(٢) وانظر المراجع السابقة ، وعيون الاثر ١ : ١٠٤ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٧١ ، ٤٧٢ .

جلوس فقال : يا معشر قريش أما والذى نفسى بيده ما أُرْسِلتُ إليكم إلا بالذَّبْح وأشار بيده إلى حلقه . فأخذت القومَ كلهم كلمتُه حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاةً (١) قبل ذلك ليرَفَؤه بأحسن ما يجد من القَوْل ، حتى إنه ٥ ليقول : انصرف أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا .

ويقال : إن رسول الله ﷺ كان يوما بفناء الكعبة إذ أقبل عُقْبةُ بن أبى مُعَيْط فأخذ بمنكب النبى ﷺ ولوى بثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقتفى (٢) أبو بكر فأخذ بمنكبيه ودفعه عن رسول الله ﷺ ، وقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم ١٠ بالبينات من ربكم (٣) .

وقالت ابنة الحكم : قلت لَجَدّى الحكم ما رأيت قوما أعجز منكم ولا أسوأ رأيا يا بنى أميّة فى رسول الله ﷺ . قال : لا تلومينا يا بُنَيّة إنى لا أحدثُكِ إلا ما رأيت بعينىّ هاتين ، قلنا : والله لانزال نسمع قريشا تُعْلِى أصواتها على رسول الله ﷺ فى هذا المسجد : ١٥ تَوَاعَدُوا له حتى تأخذوه . فتواعدنا فجئنا إليه لنأخذه ، فسمعنا صوتا

---

(١) كذا فى م ، هـ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٨٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٧١ . وفى ت ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٦٠ « وضاءة » .

(٢) كذا فى م . وفى هـ « فاغتفى » ، وبياض فى ت . وفى دلائل النبوة ٢ : ٥٠ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٩٠ « فأقبل » .

٢٠ (٣) وانظر المرجعين السابقين ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٧٠ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٩٢ .

ما ظننا أنه بقى جبلٌ بتِهَامة إلا تَفَتَّت ، فغشى علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا له ليلة أخرى ، فلما جاء نهضنا إليه ، فجاءت الصفا والمروة حتى الْتَقَتْ [(١)] إحداهما بالأخرى فحالتا بيننا وبينه ، فوالله ما نفعنا ذلك حتى رزق الله الإسلام وأذن لنا فيه . ٥

وقدم رجلٌ من إراش يقال له كهل الأصغر بن عصام بن كهل الأكبر [(٢)] بإبلٍ له مَكّةَ ، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، وأقبل الإراشيّ حتى وقف على نادى قريش – ورسول الله ﷺ جالس فى ناحية المسجد – فقال : يا معشر قريش مَنْ رجلٌ يعدينى [(٣)] على أبى الحكم بن هشام ؟ فإنى رجل غريب وابن سبيل ، ١٠ وقد غلبنى علىَّ حقّى ؛ فإنه ابتاع منى / ظهرا فمطلنى بثمنه وحبسنى ١٢٠ به حتى شقّ علىّ ، فمَنْ رجلٌ يقوم معى فيأخذ لى حقى منه ؟ فقال أهل المجلس : ترى ذلك الجالس ؟ انطلق إليه يأخذ لك حقك – وهم يستهزئون به لِمَا يعلمون ما بينه وبين أبى جهل من العداوة – فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا عبد الله . إن أبا ١٥

---

(١) كذا فى ت ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٢٢ . وفى م ، هـ « التقتا » وفى السيرة الحلبية ١ : ٤٦٥ « التصقتا » .

(٢) وفى الروض الأنف ٢ : ١٣٨ « قال ابن إسحاق : هو من إراش وهو ابن الغوث ، أو ابن عمرو بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وهو والد أنمار الذى ولد بجيله وخثعم ، وإراشة الذى ذكر ابن هشام بطن من خثعم . » وفى سبل ٢٠ الهدى والرشاد ٥ : ٥٥٢ « اسمه كهلة الأصغر بن عصام بن كهلة الأكبر ، ينسب إلى جد له اسمه إراشة . » وفى معجم البلدان لياقوت : إراش : موضع .

(٣) يعدينى : أى يزيل العدوان والعداء وهو الظلم . (الروض الأنف ٢ : ١٣٩)

الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قِبَلَه ، وأنا غريب ابن سبيل ، وقد سألتُ هؤلاء القوم عن رجل يعيننى عليه يأخذ لى حقى منه ، فأشاروا إليك ؛ فخذ لى حقى منه رحمك الله . قال : أَنْطَلِقْ إليه . وقام رسول الله ﷺ معه ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن كان معهم : اتبعه ، وانظر ماذا يصنع . وخرج رسول الله ﷺ حتى جاء أبا جهل فضربَ عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ قال : محمد بن عبد الله ، فاخرج إلىّ . ففتح الباب وخرج وما فى وجهه [من] [١] رائحة [٢] وقد انتقع لونه ، فقال له : أعطِ هذا الرجل حقه . قال : نعم . فقال : لست أبرح أو تعطيه حقه . قال : نعم لا تبرح حتى أعطيه حقه الذى له . فدخل البيت فخرج إليه بحقه فدفعه إليه . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، وقال للإراشى : الحق بشأنك . فأقبل الإراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيرا ؛ فقد — والله — أخذ لى حقى بأيسر الأمور ، ثم انصرف وجاء الذى بعثوه معه ، فقالوا : ويحك ماذا رأيتَ ؟ قال : رأيت عجبا من العجب ؛ ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه ، فقال : أعط هذا حقه قال : نعم لا تبرح حتى أُخْرِج إليه حقه . فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه . ثم لم يلبثوا أن جاء أبو جهل بن هشام فقالوا له : ويلك مالك ، والله ما رأينا مثل ما صنعت ، فوالله ما بعثنا الرجل إلى محمد إلاّ هَازِئين . فقال : ويحكم دعونى فوالله ما هو إلا أن

(١) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٦١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٥١ .
(٢) أى بقية روح ، فكأن معناه : روح باقية . (الروض الأنف ٢ : ١٣٩)

ضَرَبَ علَيّ بابى وسمعتُ صوته فملئت منه رُعْبا ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته وقَصَرَته (١) وأنيابه قط ، فَاتِحاً فاهُ ، والله لو أبيت لأكلنى ، فأعطيت الرجل حقه . فقال القوم : ما هو إلاّ بعضُ سِحْرِهِ (٢) .

ويقال : إن الإراشى خرج على أَباعِرَ له يحمل طعاما من الشام ٥ إلى مكة ، فباع طعامه من أبى جهل ، فمطله بحقه ، فلما طالَ ذلك عليه أتى جماعةً / من قريش فشكاه إليهم ، فقالوا — وهم يهزؤون ١٢١ به : — عليك بذلك الجالس — يعنون النبىّ ﷺ — فأتاه فشكاه إليه ، وسأله أن يكلمه ، فنهض معه حتى جاءه فدعاه فخرج ، فقال له : أعط هذا حقه . قال : نعم الساعة . فأعطاه حقه ، فلامَتْه ١٠ قريش فقالوا : كلمناك فأبيت وشَفَّعْت محمدا !! فقال : رأيتُ معه (٣ بعيرا فاغراً فاه ٣) ، والله لو لم أعطه لأكلنى .

ويقال إنّ رجلا كان له على أبى جهل دينٌ فلم يُعْطِه ، فقيل له : ألاَ ندلّك عَلَى مَن يستخرج لك حقَّكَ ؟ قال : بلى . قالوا : عليك بمحمد بن عبد الله . فأتاهُ ، فجاء معه إلى أبى جهل فقال : أعطه ١٥ حقه . قال نعم . فدخل البيت فأخرج دراهمه فأعطاه إيّاها . فقالوا لأبى جهل : فَرِقْتَ من محمد كل هذا ؟ قال : والذى نفسى بيده لقد

---

(١) القصرة : أصل العنق . (سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٥٢)

(٢) وانظر المراجع السابقة ، والاكتفا ١ : ٣٧٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير .

(٣) فى الأصول « بقرا عرافا » ولعل الصواب ما أثبتناه . ٢٠

رأيت معه رجالا معهم حراب تلمع – أو قال تتلألأ – لو لم أعطه لخفت أن يُنْفَحَ [(١)] بها بطنى .

وكان النبى ﷺ قائما يصلى عند البيت فى ظِلّه – ورهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، وعُقْبَة بن أبى مُعَيط جلوس فى مجالسهم فى الحِجْر – فقال أبو جهل بن هشام : ألا تنظرون إلى هذا المرائى ، أيّكم يقوم إلى جَزُورِ آل فلان فيعمد إلى فَرْثِها ودَمِها وسَلاَهَا فيجىء به فيلقيه على ظهر محمد إذا سَجَد ؟ وكانت جزورا قد نُحِرَت بالأمس بأسفل مكة ، فانبعث أشقى القوم عُقْبَةُ بن أبى مُعَيط – وكان أسفه قريش – فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبىّ ﷺ وضعَه على ظهره بين كتفيه ، وثَبَتَ النبىُّ ﷺ ساجدا لا يرفع رأسه ، فجعلوا يضحكون حتى مال بعضهم على بعض من الضحك ، فانطلق مُنْطَلِقٌ إلى بنته فاطمة – وهى جويرية – فأقبلت تسعى حتى ألقته عنه ، ثم أقبلت عليهم تسبُّهم ، فلم يُرْجِعُوا إليها شيئا ، فلما قضى النبىّ ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم – وكان إذا دعا دعا ثلاثا ، وإذا سأل سأل ثلاثا – فقال : اللهم عليك بالملأ من قريش – ويقال : اللهم عليك بقريش – ثلاث مرات . فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وشقّ عليهم أنْ دعا عليهم ، وخافوا دعوته ، وكانوا يرون أن الدّعْوَة فى البلد مستجابة . ثم قال : اللهم عليك بأبى جهل بن هشام ، وعُتْبَة بن ربيعة ، وشَيْبَة بن ربيعة ، والوليد بن عُتْبَة ، وأُمَيّة بن خلف ، وعُقْبَة بن أبى مُعَيط / ، وعِمَارة ١٢٢

(١) كذا فى الأصول . وفى الخصائص الكبرى ١ : ٣١٧ « أن يبعج بها بطنى ».

ابن الوليد [١] . ثم قال لأبى جهل : والله لتَنتهِينّ أو لينزلَنّ الله عليك قارِعَة ، وقال لعُتْبة : يا ابن أَبان ما أنت بمقصر عما ترى ؟ فقال : لا ، حتى تَدَعَ ما أنت عليه . فقال : والله لتنتهيَنّ أو ليُحِلَّن بك قارعةً .

وخرج رسول الله ﷺ فلقيه أبو البَخْتَرِىّ العاصُ بن هشام ابن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ — وكان أقل الناس أذى للنبى ﷺ — فأنكرَ وَجْهَه ، فسأله عن خبره فأخبره ، وكان معه سَوْطٌ فأتى أبا جهل فعَلاَه به ، فتشاور بنو مخزوم وبنو أسد بن عبد العزى ، فقال أبو جهل : ويلكم إنما يريدُ محمدٌ أن يُلْقِىَ بينكم العداوة [٢] ، ووالله لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن رقبته . فبلغه أنه يصلى ، فأقبل مسرعا فقال : ألم أَنْهَك يا محمد عن الصلاة ؟! فانتهره رسول الله ﷺ ، فقال : أَتَنْهَرُنى وتهدّدنى وأنا أعزّ أهل البطحاء !! فسمعه العاص بن عبد المطلب فقال : كذبتَ . فنزلت ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ يعنى أبا جهل ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى [٣] ﴾ يعنى رسول الله ﷺ .

وقال أبو جهل : يا محمد ، ابعث لنا رجلين أو ثلاثة من أبنائنا ممن قد مات ؛ فلست بأهون على الله من عيسى — فيما تزعم — فقد

---

(١) دلائل النبوة ٢ : ٥٤ ، ٥٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٦٨ ، وشرح المواهب ١ : ٢٥٢ — ٢٥٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٦٩ ، ٤٧٠ .

(٣) سورة العلق الأيات ٩ — ١١ .

كان عيسى يفعل ذلك . فقال : لم يُقْدِرْنِى الله على ذلك . قال : فسَخِّرْ لنا الريح تحملنا إلى الشام فى يوم وتردّنا فى يوم ؛ فإن طول السفر يجهدنا ، فلست بأهون عَلَى الله من سليمان بن داود ؛ قد كان يأمر الريح فتغدو به مسيرة شهر ، وتروح به مسيرة شهر .
فقال : لا أستطيع ذلك . فقال أبو جهل : فإن كنتَ غير فاعل شيئا مما سألناك فلا تذكر آلهتنا بسوء . فقال عبد الله بن أبى أميّة بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم : فأَرِنا كرامتك على رَبِّك ؛ فليكن لك بيتٌ من زُخْرُف ، وجَنَّة من نخيل وعِنَب ، تجرى فيها الأنهار ، وفَجّر لنا يَنْبُوعا مكان زَمْزَم فقد شَقّ علينا المتح عليها ، وإلا فأسقط السماء علينا كِسَفاً . فقال : ليس هذا بيدى ، هو بيد الذى خلقنى . قال : فَأرْقَ إلى السماء فأتنا بكتاب نقرؤه ونحن ننظر إليك . فنزلت فيه الآيات من سورة الإسراء (١) .

ولما نزلت ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ (٢) ﴾ قال أبو جهل : أنا أدعوكم يا معشر قريش بالزَّقُّوم . فدعا بزُبْدٍ وتَمْر فقال : تزقَّمُوا من هذا ؛ فإنا لا نعلم زَقّوما غيره . فبيّن اللهُ أمْرَها فقال ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا / كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٣) ﴾ فقالت قريش : شجرة تَنْبُت فى النار ؟! فكانت فِتْنَة لهم . وجعل المستهزئون يضحكون .

(١) وهى الآيات ٩٠ — ٩٣ .
(٢) سورة الدخان الآيات ٤٣ — ٤٦ .
(٣) سورة الصافات الآيتان ٦٤ ، ٦٥ .

ويقال : لَمَا نزلت ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (١) ﴾ قال أبو جهل : ائتونا بزُبْد وتَمْر ، وقال : تَزَقَّمُوا فإن هذا هو الزَّقُّوم . فنزلت ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ (٢) ﴾ يعنى أبا جهل . ونزلت ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٣) ﴾ ٥

قيل : لما نزلت آية الزَّقُّوم لم تعرفه قريش . قال أبو جهل : هذا الشَّجَر لا ينبت بأرضنا فمن منكم يعرفه ؟ فقال رجل قدم من إفريقية : الزَّقُّومُ — بلغة إفريقية : الزُّبْدُ وَٱلتَّمْرُ . فقال أبو جهل : يا جارية ، هاتى تَمْراً وزُبْداً نَزْدَقِمْهُ . فَجَعَلُوا يأكلون ويزقمون ويقولون : أَبِهَذَا يُخَوِّفُنَا محمدٌ فى الآخرة ؟! فبيّن الله فى آية أخرى الزَّقّوم بقوله ١٠ ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٣) ﴾

وقدم رجل من هُذَيل — يقال له عمرٌو — بغَنَمٍ له فباعها ، ورآه النبىّ ﷺ فأخبره بالحق ودعاه إليه ، فقام إليه أبو جهل — وكان خفيفا حديد الوجه والنظر به حول — فقال : انظر ما دعاك إليه هذا الرجل ، فإيّاك أن تركنَ إلى قوله فيه ، أو تسمع منه شيئا ؛ فإنه قد ١٥ سَفَّه أحلامنا ، وزعم أن من مات منا كافرا يدخل النار بعدَ الموت ، وما أعجب ما يأتى به . قال : فما تخرجونه من أرضكم ؟ قال : لئن خرج من بين أظهرنا فيسمع كلامه وحلاوة لسانه أحداثٌ ليتبعنّه ، ثم لا نأمن أن يكرّ علينا بهم . قال : فأين أسرته عنه ؟ قال : إنما امتنع بأسرته .

٢٠

(١) سورة الواقعة الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

(٢) سورة الدخان ، الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) سورة الصافات آية ٦٤ .

وكان رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد ومعه أبو بكر وسعد بن أبى وقّاص إذ أقبل رجل من زبيد وهو يقول : يا معشر قريش ، كيف تدخل عليكم المادة والجلب وأنتم تظلمون من دخل إليكم ؟! وجعل يقف على الحَلَق [حَلْقة حلقة] (١) حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ – وهو فى أصحابه – فقال له : من ظلمك ؟ قال : أبو الحكم ؛ طلبَ منى ثلاثة أجمال هى خيارُ إبلى ، فلم أبعه إياها بالوَكس (٢) ، فليس يبتاعها منى أحدٌ اتباعا لمرضاته ؛ فقد أكسد سلعتى وظلمنى . فقال ﷺ : وأين أجمالك ؟ قال : هى بالحَزْوَرَة . فابتاعها منه رسول الله ﷺ ، فباع منها جملين بالثمن الذى التمسه ، ثم باع البعير الثالث وأعطى ثمنه أرامل بنى عبد المطلب – وأبو جهل جالس فى ناحية من السوق لا يتكلّم ، ثم أقبل إليه رسول الله ﷺ فقال : يا عمرو ، إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابى فترى / منى ما تكره . فقال : لا أعود يا محمد . فلما انصرف رسول الله ﷺ أقبل عليه أُمَيّة بن خلف ومن حضره من المشركين ، فقالوا : لقد ذَلَلْت (٣) فى يدى محمد ، كأنك تريد اتباعه . فقال : لا أتبعه والله أبدا ، إنما كان انكسارى عنه لما رأيت من سِحْرِه ؛ لقد رأيت عن يمينه وشماله رجالا معهم رماح يشرعونها إلىّ ، لو خالفته لكان إياها (٤) . فقالوا : هذا سحر منه .

١٢٤

(١) إضافة عن سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٥٢ .

(٢) الوكس : الغبن والخسارة . (المعجم الوسيط) .

(٣) فى الأصول « دخلت » . والمثبت عن عيون الأثر ١ : ١١٢ ، ١١٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٥٣ ، والسيرة الحلبية ١ : ٥٠٦ .

(٤) زادت المراجع السابقة « أى لأتوا على نفسى » .

وجاء أبو جهل فى عدة من المشركين يريدون رسولَ الله ﷺ بِسُوء ، فخرج عليهم وهو يقول ﴿ يس ﴾ وجعل التراب على رءوسهم وهم لا يرونه ، فلما انصرف أقبلوا ينفضون التراب عن رءوسهم ويتعجبون ويقولون : هذا سحرٌ مِن سِحْر محمد [١] .

وكان عُقّبَة بن أبى مُعيط لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا عليه [٢] جيرانَه : أهلَ مكة كلّهم ، فكان يكثِر مجالسة النبىّ ﷺ ويعجبه حديثه ، ويغلب عليه الشقاء ؛ فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ، ثم دعا رسول الله ﷺ إلى طعامه ، فقال : ما أنا بالذى آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . قال : اطْعَمْ يا ابن أخى . قال : ما أنا بالذى أفعل حتى تقول . فشهد بذلك ، فطعم من طعامه . فبلغ ذلك أبىّ بن خلف فأتاه فقال : أصبوت يا عُقْبة ؟ – وكان خليله – فقال : لا والله ما صَبْوت ولكن دخل علىّ رجلٌ فأبى أن يطعم من طعامى إلا أن أشهد له ، فاستحيت أن يخرج من بيتى قبل أن يطعم فشهدتُّ له فطعم . قال : ما أنا بالذى أرضى عنك أبدا حتى تأتِيَنّه فتبزق فى وجهه ، وتطأ على عنقه . ففعل عقبة ذلك ، وأخذ رحم [شاة] [٣] فألقاه بين كتفيه ، فقال رسول الله ﷺ : لا ألقاك خارجا من مكة إلا عَلَوْتُ رأسَك بالسيف [٤] .

---

(١) والمعروف أن هذا كان فى حديث الهجرة وسيأتى فى موضعه .

(٢) كذا فى م ، هـ . وفى ت « إليه » .

(٣) سقط فى الأصول والمثبت يقتضيه السياق .

(٤) انظر السيرة الحلبية ١ : ٥٠٨ ، ٢ : ٤٤١ ، ٤٤٢ .

ويقال : إن عُقْبَة بن أبي مُعَيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه ، فكان رجلا حليما ، وكانت قريش إذا جلسوا معه آذوه ، وكان لابن أبي مُعَيْط خليلٌ غائب بالشام ، فقالت قريش : صبأ ابن أبي مُعَيْط ، وقدم خليله من الشام ليلا فقال لامرأته : ما فعل محمد فيما كان عليه ؟ فقالت : هو أشدّ ما كان أمْرًا . فقال : ما فعل خليلي ابن أبي مُعَيْط ؟ فقالت : صبأ . فبات بليلة سوء ، فلما أصبح أتاه ابن أبي مُعَيْط فحيّاه فلم يردّ عليه التحيّة ، فقال : مالك لا تردّ عليّ تحيّتي ؟ فقال : كيف أردّ عليك تحيّتك وقد صَبَوْت ؟! قال : وقد فعلتها قريش ؟ قال : نعم . قال : فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت ؟ قال : تأتيه في مجلسه / فتبزق في وجهه ، وتشتمه بأخبث ما تعلم . فجاء إلى النبيّ ﷺ ففعل ما أمره به ، فلم يَزِد النبيُّ ﷺ على أن مسح وجهه من البُزَاق ، ثم التفت إليه فقال : لئن وجدتك خارجا من جبال مكة لأضربن عنقك صبرا [١] .

وكان أبي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ فيقول : يا محمد ، إن عندي فرسا أعلفها كل يوم فَرْقا من ذرة أقتلك عليها . فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله . ويقال : إن ذلك لما افتدى أبيّ بن خلف نفسه يوم بدر [٢] .

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٢ : ٦١٦ .

(٢) سيرة النبي لابن هشام ٣ : ٦٠١ ، ٦٠٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٥١٠ .

واجتمع عُتْبَة وشَيْبَة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنَّضْر بن الحارث ، وأبو البَخْتَرِيّ ، والأسودُ بن المطلب ، وزَمْعَة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أميّة ، وأميّة بن خَلَف ، والعاص بن وائل ، ومُنَبِّه ونُبَيْه ابنا الحجاج بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكَلِّمُوه وخاصموه حتى تعذروا فيه . فبعثوا إليه : إنّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم . فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا — وهو يظن أن قد بَدَا لقومه فى أمره بَداء [1] ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعزُّ عليه عَنَتُهم — حتى جلس إليهم ، فقالوا له : يا محمد إنّا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنّا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلتَ على قومك ؛ لقد شتمتَ الآباء ، وعِبْتَ الدين . وشتمت الآلهة ، وسَفَّهْت الأحلام ، وفَرَّقْتَ الجماعة ، فما بقى من أمرٍ قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك — أو كما قالوا — فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نُسَوِّدُك علينا ، وإن كنت تريد به مُلْكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك — وكانوا يسمون التابع من الجن رَئِيًّا — فربما كان ذلك ؛ بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك . فقال لهم رسول الله ﷺ : ما بى ما

(١) كذا فى الأصول وسيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩١ . وفى السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٧٩ « بدو » والبداء تعنى أنه نشأ لهم فيه رأى . سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٤٠ .

تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلَّغْتكم رسالاتِ ربى ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حَظُّكم فى الدنيا والآخرة ،
٥ وإن تردوه على أصبر لأمر الله / حتى يحكم الله بينى وبينكم — أو كما ١٢٦ قال ﷺ [١] .

قالوا : يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضنا عليك فإنك قد علمت ليس من الناس أحدٌ أضْيَق بلداً ، ولا أقَلّ ماء ، ولا أشدّ عَيْشاً منا ؛ فسَلْ لنا رَبَّك الذى بعثك بما بعثك به فَلْيُسَيِّرْ عنا
١٠ هذه الجبال التى قد ضيَّقت علينا ، وليْبسُط علينا بلادنا ، وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا مَنْ مَضَى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَىّ بن كلاب ؛ فإنه كان شَيْخ صِدْقٍ ، نسألهم عما تقول . أحَقٌّ هو أم باطِل ؟ فإن صدَّقُوك ، وصنعت ما سألناك صدَّقناك ، وعرفنا منزلتك من الله ، [٢] وأنه بعثك
١٥ إلينا رسولا كما تقول . فقال لهم ﷺ : ما بهذا بُعِثْتُ إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به [٢] ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردّوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩١ ، ١٩٢ ، وعيون الأثر ١ : ١٠٥ — ١٠٧ .
٢٠ (٢) سقط فى ت ، هـ . والمثبت عن م ، وسيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٨٠ .

فقالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا فخُذْ لِنَفْسِك ، وسَلْ ربَّك أن يبعث معك من يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وآسْأله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ؛ فإنك تقوم بالأسواق [كما نقوم] [١] وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من رَبِّك إن كنت رسولا كما تَزْعُم . ٥
فقال لهم رسول الله ﷺ : ما أنا بفاعل وما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بُعِثْتُ إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا – أو كما قال – فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا : فأسْقِط السماء علينا كِسَفًا كما زعمت أن ربك إن ١٠ يشأ [٢] فعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال رسول الله ﷺ : ذلك إلى الله إن شاء [أن] [٣] يفعله بكم فعل .

قالوا : يا محمد ، ما عَلِم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم إليك فيعلمك ما تُرَاجعنا به ، ويخبرك بما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما ١٥ جئتنا به ؟! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا ، وقد أعذرنا إليك يا محمد ،

---

(١) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٢ .

(٢) كذا فى الأصول ، وفى المرجع السابق ١ : ١٩٣ « إن شاء فعل » .

(٣) سقط فى الأصول . والمثبت عن المرجع السابق . ٢٠

وإنا والله لا نتركك وما بلَغْتَ منا حتى تهلك [١] أو تهلكنا . فقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم وقام معه عبد الله / ١٢٧ ابن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم – وهو ابن ٥ عمته ، هو لعاتِكَة بنت عبد المطلب – فقال له : يا محمد عَرَضَ عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله – كما تقول – ويصدقوك ويتبعوك [٢] فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك بما يعرفون به فضلك عليهم ١٠ ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوك أن تُعَجِّل لهم بعضَ ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل – أو كما قال له – فوالله لا أومن أبدا حتى تتخذ إلى السماء سُلَّما ، ثم ترقى فيه ، وأنا انظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك بصكٍّ وأربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظَنَنْتُ أنى مصدقك . ثم انصرف عن رسول الله ١٥ ﷺ ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسِفًا لِمَا فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه .

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل : يا معشر قريش : إن محمدا قد أبى إلا ما تَرَوْن من عَيْب ديننا ، وشَتْمِ آبائنا ،

---

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٣ ، والسيرة النبوية ٢٠ لابن كثير ١ : ٤٨١ « حتى نهلكك » .

(٢) فى الأصول « يمنعوك » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٣ .

وتَسْفِيه أحلامنا ، وشَتْمِ آلهتنا ؛ وإنى أعاهد الله لأجلسَنّ له غدا بحجر ما أُطِيق حمله – أو كما قال – فإذا سجد فى صلاته فَضَخْتُ به رأسه ، فأسْلِمُونى عند ذلك أو امنعونى ، فلتصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نُسْلمك لشىء أبدا فامض لما تريد (١) . ٥

فلما أصبح أبو جهل أخذ حَجَراً كما وصف ، وجلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو ، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام ؛ فكان إذا صلَى صلى بين الركنين اليمانى والأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام . فقام رسول الله ﷺ يصلى – وقد قعدت (٢) قريش فى أنديتها ينتظرون ما أبو جهل ١٠ فاعل – فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحَجَر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه ، مرعوبا قد يبست يداه على الحَجَر ، فقذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دَنَوْتُ منه عَرَضَ دونه فحلٌ من الإبل ، لا والله ما ١٥ ١٢٨ رأيت مثل هامته ولا قَصَرَته ولا أنيابه لِفَحْلٍ قط ، فهمّ بى / أن يأكلنى – قال النبى ﷺ : ذاك جبريل ، لو دنا منى (٣) لأخذه –

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٤ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٥٤ « وقد غدت » . ٢٠

(٣) فى الأصول « منه » ، والمثبت عن تاريخ الإسلام ٢ : ٨٨ .

فلما قال لهم أبو جهل ذلك قام النضر بن الحارث فقال : يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما ابتليتم بمثله قط .

وكان النبى ﷺ يقرأ فى المسجد فيجهر بالقراءة حتى تأذّى به ناسٌ من قريش حتى قاموا ليأخذوه فإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم ، وإذا هم عُمْىٌ لا يبصرون ؛ فجاءوا إلى النبىّ ﷺ فقالوا : ننشد الله والرحم يا محمد – ولم تكن بَطْنٌ من بطون قريش إلاّ وللنبىِّ ﷺ فيهم قَرَابة – فدعا النبى ﷺ حتى ذهب ذلك عنهم ، فنزلت ﴿ يَسٓ ۞ وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١) ﴾ فلم يؤمن مِنْ أولئك النفر أحد (٢) .

وقام رجل من بَنِى مخزوم إلى النبىّ ﷺ وفى يده فِهْرٌ ليرمى رسول الله ﷺ ، فلما أتاه – وهو ساجد – رفع يده وفيها الفِهْر ، فيبست يَدُه على الحَجَر ؛ فلم يستطع إرسال الفِهْر من يده ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : حنيت (٣) على الرجل !! قال : لم أفعل ، ولكن هذا فى يدى لا أستطيع إرساله . فعجبوا من ذلك ، فوجدوا أصابعه قد يبست على الفِهر ، فعالجوا أصابعه حتى خلَّصُوها ، وقالوا : هذا شىء يُرَاد .

---

(١) سورة يس الآيات ١ ـــ ١٠ .

(٢) الخصائص الكبرى ١ : ٣٢٠ نقلا عن أبى نعيم من حديث عكرمة عن ابن عباس .

(٣) كذا فى الأصول . وفى الخصائص ١ : ٣٢١ « أجبنت عن الرجل » .

واجتمعت قريش يوما فقالوا : لقد انتشر علينا أمر مُحمد ، ثم فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا ، وعابَ ديننا ؛ فلو التمستم رجلا عالما بالسِّحر والكهانة والشعر فليأته فليكلمه ، ولينظر ماذا يردّ عليه . قالوا : ما نعلم أحدا غير عُتْبَة بن ربيعة . فقالوا : ائته يا أبا الوليد . فقال عُتْبَة : لقد سمعتُ بقولِ السَحَرَة والكهانة والشعر ، وعلمت ٥ من ذلك علما ، وما يخفى عليّ إن كان كذلك . فأتاه عُتْبَة فقال : يا محمد أنت خيرٌ أم عبد الله ؟ فسكت ، ثم قال : أنت خيرٌ أم عبد المطلب ؟ فسكت ، ثم قال : أنت خير أم هاشم ؟ فسكت ، فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبْت (١) ، وإن كنتَ تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، فبم تشتم ١٠ آلهتنا ، وتضلل آباءنا ؟ ما رأينا سَخْلَة قط أشأم على قومك منك ؛ فَرّقْتَ جماعتنا ، وشتَّتَ أمرنا ، وعِبْت ديننا ، وفَضَحْتَنَا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا ، وأن في قريش كَاهِناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبْلى : أن يقوم بعضُنا إلى بعض بالسيوف ١٢٩ حتى نتفانى / ، أيها الرجل إن كان ما بك إلاّ الرياسة عَقَدْنا أَلْوِيَتَنَا ١٥ لك فكنت رأسا ما بقيت ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أيّ نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا ، وإن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به أنت وعَقِبُك من بعدك ؛ حتى تكون أغنى قريش رجلا – ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم – فقال رسول الله

---

(١) كذا في الأصول والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٥٠١ . وفي الوفا بأحوال ٢٠ المصطفى ١ : ٢٠١ « التي عبتها » .

ﷺ : فرغتَ ؟ قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حمٓ * تَنْزِيلٌ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايٰتُهُ قُرْءَاناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وقرأ حتى بلغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١) ﴾ فقال عُتْبَة : حَسْبُك حسبك ، ما عندك غير هذا ؟ قال : لا .

فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : ما تَركْتُ شيئا أرى أنكم تكلِّمونه إلا وقد كلَّمْتُه . قالوا : فهل أجابك ؟ قال : نعم ، [ثم] (٢) قال : لا والذى نصبها بَنِيَّة ما فهمتُ شيئا مما قال ، غير أنه قال : أنْذِرُكُم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويلك ؛ يكلمك رجل بالعربية لا تدرى ما قال !! قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة (٣) .

ويقال : إن عُتْبَة لما قرأ عليه النبى ﷺ ، وبلغ ﴿ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ أمْسَكَ عُتبة على فيه وناشده الرحم أن يكُفّ عنه ، ولم يخرج إلى أهله ، واختبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله ما نرى عُتْبَة إلا قد صَبَا إلى محمد ، وأعجبه طعامُه ، وما ذاك إلا مِنْ حاجةٍ أصابته ، انطلقوا بنا إليه .

---

(١) سورة فصلت الآيات ١ ــ ١٣ .
(٢) إضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٥٠٢ .
(٣) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عُتْبَةُ ما خشينا [(١)] إلاّ أنك صَبَوْت إلى محمد ، وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب وأقسم بالله لا يكلّم محمدا أبدا ، وقال : لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالا ، ولكننى أتيته — فقصّ عليهم القصة — فأجابنى بشئ ، والله ما هو سحر ، ولا شعر ، ٥ ولا كهانة ؛ قرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حٰم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ قُرآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيراً وَنَذِيرًا ﴾ حتى بلغ ﴿ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ [(٢)] ﴾ فأمسكتُ بفيه ، وناشدته الرحمَ أن يَكُفّ ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يَكْذِب ، فخفتُ أن يَنْزِل بكم العذاب . ١٠

١٣٠ ويقال : / إن رسول الله ﷺ كان جالسا يوما — وحده — فى المسجد وقريش فى أنديتهم ، فقال عُتْبَةُ بن ربيعة : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى هذا فأكلّمه : فاعرض عليه أمورًا لعلّه يقبل منا بعضَها ويَكُفّ عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليد . فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث فيما قال له عُتْبَة ، وفيما عرض عليه ١٥ من المال والمُلْكِ وغيرِ ذلك ، حتى إذا فرغ قال رسول الله ﷺ : أفَرَغْت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع منى ما أقول . قال : أفعلُ . قال رسول الله ﷺ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حٰم * تَنْزِيلٌ

(١) كذا فى الأصول . وفى تاريخ الإسلام ٢ : ٩١ « ما حسبنا » . وفى السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٥٠٢ « ماجئنا » . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٤٩ « ماجئناك » ٢٠
(٢) سورة فصلت الآيات ١ — ١٣ .

مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُ قُرْءَاناً عَرَبِيًّا ﴾ فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه ، فلما سمعها عُتْبَة أنصت لها ، وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما ، يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ، ثم قال : سمعتَ يا أبا الوليد ؟
٥ قال : سمعتُ . قال : فأنت وذاك .

فقام عُتْبَة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس [إليهم] (١) قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى والله قد سمعتُ قولا ما سمعتُ بمثله قَطّ ، والله ما هو بالشعر ، ولا السحر ، ولا الكهانة ،
١٠ يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى ، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، واعتزلوه ؛ فوالله ليكونن لقوله الذى سمعتُ [منه] (٢) نبأ ، فإن تُصِبْهُ العربُ فقد كُفِيتُمُوه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فَمُلْكُه مُلْكُكُم ، وعزُّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .

قالوا : سحركَ واللهِ يا أبا الوليد بلسانه . فقال : هذا رأيى
١٥ لكم (٣) فاصنعوا ما بدا لكم .

ويقال : إن عتبة لما أتى أصحابه قال لهم : يا قوم أطيعونى فى هذا اليوم ، واعصونى فيما بعده ؛ فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل

---

(١) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٠ ، ودلائل النبوة ١ : ٤٥١ ، وعيون الأثر ١ : ١٦ .

٢٠ (٢) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٠ ، وعيون الأثر ١ : ١٦ .

(٣) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ١ : ٤٥٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٥٠٥ . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩١ ، وعيون الأثر ١ : ١٦ « رأيى فيه » .

كلاما ما سَمِعْت أذناى – قط – كلاما مثله ، وما دريتُ ما أردّ عليه (١) .

واجتمع نفر من قريش – وقد حضر الموسم – فقال الوليد بن المغيرة – وكان ذا سِنٍّ فيهم – : يا معشر قريش إنه حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب تقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأَجْمِعُوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذِّب بعضُكم بعضا ، ويردّ قولكم بعضه بعضا . قالوا : فافعلْ يا أبا عبد شمس فقُم وأَقِم لنا رَأْيًا نَقُلْ به . فقال : بل أنتم قولوا أسْمع . قالوا : نقول إنه كاهن . قال : لا والله ما هو بكَاهِن ؛ لقد رأيتُ الكُهَّان فما هو بزمزمة (٢) / الكُهَّان ولا سَجْعِهم . قالوا : فنقول إنه مجنون . فقال : ما هو بمجنون ؛ ولقد رأينا الجُنُونَ وعرفناه ؛ فما هو بخَنْقِه ولا تَخَالُجِهِ ولا وسوسته . قالوا : فنقول إنه شاعر . قال : ما هو بشاعر ؛ لقد عرفنا الشعر كلّه رجَزَه وهَزَجَه وقريضَه ، ومقبوضَه ومَبْسُوطَه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول ساحر . قال : ما هو بساحر ؛ لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنَفْثِه ولا عقده . قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن

---

(١) دلائل النبوة ١ : ٤٥٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٥٠٥ وفيه « وهذا حديث غريب جدا من هذا الوجه » .

(٢) الزمزمة : صوت ضعيف كنحو ماكانت الفرس تفعله عند شربها الماء ، ويقال أيضا زمزم الرعد : وهو صوت له قبل الهدر . وكذلك الكهان كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها . وأما زمزمة الفرس فكانت من الأنف . (الروض الأنف ٢ : ٢١)

أصله لَعَذْق ، وإن فرعه لجناة [١] ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلاّ عُرِف أنه باطل ، وإن أقرب القَوْلِ فيه أن تقولوا هو ساحر ، جاء بقول يفرّق به بين المرء وبين ابنه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء وبين زوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتَفَرَّقُوا عنه بذلك ؛ فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم ، لا يمرّ بهم أحدٌ إلا حذَّرُوه إيّاه ، وذكروا لهم من أمره ، فأنزل الله عزّ وجلّ فى الوليد بن المغيرة ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ إلى قوله ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ [٢] ﴾ وأنزل الله عز وجل فى النفر الذين كانوا معه ويُصَنِّفُونَ [٣] القول فى رسول الله ﷺ فيما جاء به ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآن عِضِينَ ﴾ أى أصنافا ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٤] ﴾ فجعل أولئك النَّفَر يقولون ذلك فى رسول الله ﷺ فيمَن لقوه من الناس ، وصدَرَت العربُ فى ذلك الموسم بأمرِ رسول الله ﷺ ، فانتشر ذكرُه فى بلاد العرب كلها [٥] .

قال الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسىّ – وكان رجلا شريفا شاعرا لَبِيبًا – : قدمتُ مكةَ – ورسول الله ﷺ بها – فمشى إلىّ رجالٌ من قريش فقالوا لى : يا طُفَيْل إنك قدمتَ بلادنا ، وهذا الرجلُ الذى

---

(١) وإن فرعة لجناة : أى فيه تمريجنى . (سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٧٥)
(٢) سورة المدثر الأيات ١١ — ٢٦ .
(٣) كذا فى م ، وسيرة النبى لابن هشام ١ : ١٧٥ . وفى ت ، هـ ، ودلائل النبوة ١ : ٤٤٨ « يصفون » .
(٤) سورة الحجرات الآيات ٩١ — ٩٣ .
(٥) وانظر شرح المواهب ٥ : ٨٧ ، ٨٨ .

بين ظَهْرَانينا قد عَضَل بنا ، وفَرّق جماعتنا ، وإنما قوله كالسحر ، يفرق بين الرجل وبين ابنه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنّا نخشى عليك وعَلَى قومِكَ ما قد دَخَل علينا ، فلا تُكَلِّمْه ، ولا تسمع منه . فوالله ما زالوا بى حتى أجمعتُ على ألاّ أسمع منه شيئا ، ولا أكلمه ؛ حتى حشوتُ أذنى حين غَدَوْت إلى المسجد كُرْسُفاً (١) – فَرَقاً أن يَبْلُغَ منى قولُه وأنا لا أريد أن أسمعه – فغدوتُ إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة ، فقمتُ قريبا منه ، فأبى الله إلا أن يُسْمِعَنِى بعضَ قوله ؛ فسمعتُ كلاما حسنا ، فقلت فى نفسى : وا ثُكْل أمى ، والله إنى لرجل لَبِيبٌ [شاعر] (٢) / ما يخفى علىّ الحسنُ من القبيح ، فما يمنعنى من أن أسْمَعَ مِن هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذى يأتينى به حسنا قبلتُه ، وإن كان قبيحا تركتُه ، فمكثتُ حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلتُ : يا محمد ، إن قومك قالوا لى كذا وكذا ، فوالله ما برحوا يخوفوننى حتى سَدَدْت أذنى بكُرْسُف لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله إلا أن يُسْمِعَنِيه ، فسمعتُ قولا حسنا ؛ فاعْرِض علىَّ أمْرَك . فعرضَ علىَّ الإسلام ، وتلا القرآن ، فوالله ما سمعتُ قولا قطّ أحسَن ، ولا أمراً أعدل منه .

فأسلمتُ وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يانبى الله إنى امرؤ

---

(١) الكرسف : القطن . (المعجم الوسيط)

(٢) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٥٦ .

مُطَاع فى قومى ، وراجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ؛ فادعُ الله أن يجعل لى آية تكون لى عَوْناً عليهم فيما أدعوهم إليه . فقال : اللهم اجعل له آية . فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بثنيةٍ تُطْلِعُنى على الحاضر وقعَ نورٌ بين عَيْنَىّ مثل المصباح ، فقلت : اللهم فى غير وجهى ؛ فإنى أخشى أن يَظُنُّوا أنها مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فى وجهى لفراق دينهم . فتحوّل فوقع فى رأس سَوْطِى . فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سَوْطِى كالقِنْدِيل المُعَلَّق ، وأنا أنهبط [1] إليهم من الثَّنِيّة ، حتى جئتهم فأصبحت فيهم .

فلما نزلت أتانى أبى – وكان شيخا كبيرا – فقلت إليك عنى يا أبت ، فلستُ منك ولستَ منى . قال : ولِمَهْ أى بُنَى ؟ قلت : أسلمتُ وتابعتُ دينَ محمد . قال أبى : فدِينى دينُك . فاغتسل وطهَّرَ ثيابه ثم جاء ، وعرضتُ عليه الإسلام فأسلم .

ثم أتَتْنِى صاحبتى ، فقلتُ لها : إليك عنى ؛ فلستُ منكِ ولستِ منى . قالت : لِمَ بأبى أنت وأمّى ؟ قلت : فرَّق بينى وبينك الإسلام ، أسلمتُ وتابعتُ دينَ محمد . قالت : فدينى دينُك وأسلَمَتْ .

ثم دعوتُ دَوْسًا إلى الإسلام فأبطئوا علىّ .

ثم جئت رسولَ الله ﷺ فقلتُ : يا نبى الله ، إنه قد غَلَبَنى على دوس الزنا [2] ، فادعُ الله عليهم . فقال : اللهم اهد دَوْسًا ،

---

(١) وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٥٧ « أهبط » .

(٢) كذا فى م وسيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٥٨ . وفى هـ « الرياء » . وبياض فى ت .

فارجع إلى قومك فادْعُهم وارْفُق بهم . فرجعت فلم أزل بأرض دَوْسٍ أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدرا وأحدا والخندقَ ، ثم قَدِمْتُ عليه بمن قد أسلم من قومي وهو بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين رجلا من دوس (١) .

١٣٣ وبعث مشركو قريش النضْرَ بنَ الحارث وعُقْبَة بن أبي مُعَيْط / ٥ إلى أحبار اليهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاَهُم عن محمد ، وصِفَا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ؛ فإنهم أهلُ الكتاب الأوّل ، وعندهم عِلم ما ليس عندنا من عِلْم الأنبياء . فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبارَ اليهود عن رسولِ الله ﷺ ، ووصفا لهم أمْرَه ببعض قوله ، فقالت أحبار اليهود : سَلُوه عن ثلاث نأمُرُكم بهن ، فإن أخبرَكُم ١٠ بهن فهو نبيٌّ مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّل فرَوْا فيه رأيكم ؛ سلوه عن فِتْيَةٍ ذهبوا فى الدَّهر الأوّل ، ما كان من أمرهم ، فإنه كان لهم حديثٌ عَجِيب ؟ وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وما كان بناؤه (٢) ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟

فأقبل النضر بن الحارث وعُقْبَة حتى قدما مكة على قريش ، ١٥ فقالا : يا معشر قريش قد جئنا بِفَصْل (٣) ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أمور — وأخبروهم بها —

---

(١) وانظر الخصائص الكبرى ١ : ٣٣٦ — ٣٣٩ .

(٢) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ٢ : ٤٧ . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٦ « نبؤه » والمراد هنا السد الذى بناه ذو القرنين . ٢٠

(٣) فى م ، هـ « نفصل » . وبياض فى ت . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٦ ، ودلائل النبوة ٢ : ٤٧ .

فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا – فسألوه عما أمروهم به – فقال رسول الله ﷺ : أخبركم بما سألتم عنه غدا – ولم يستثن – فانصرفوا عنه . فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يُحْدِث الله إليه فى ذلك وحيا ، ولم يأته جبريل حتى أرْجَفَ أهلُ مكة ٥ وقالوا : وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، حتى أحزَنَ رسول الله ﷺ مُكْثُ الوحى عنه ، وشقّ عليه ما يَتَكَلَّمُ به أهلَ مكة .

ثم جاءه جبريل من عند الله عز وجل بسورة أصحاب (١) الكهف ، فيها معاتبته إيّاه على حزنه عليهم ، وخبرُ ما سألوه عنه فى ١٠ أمر الفِتْيَة ، والرَّجُلِ الطوَّاف ، والروح .

يقول الله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً (٢) ﴾

ويقال : إن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ ﴾ يعنى محمدا ؛ إنك رسول منى تحقيقا ١٥ لما سألوه من نبوته ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۔ قَيِّماً ﴾ أى معتدلا لا اختلاف فيه ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ (٣) ﴾ أى عاجل عقوبته فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ؛ أى من عند ربك الذى بعثك رسولا .

---

(١) كذا فى الأصول ، وسيرة النبى لابن هشام ١ : ١٩٦ ، ودلائل النبوة ٢ : ٤٧ . وفى السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٨٤ « بسورة الكهف » .

٢٠ (٢) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٣) سورة الكهف الآيتان ١ ، ٢ .

ومشى رجال من أشراف قريش ، منهم : عُتْبَةُ وشَيْبَةُ وأبو جهل إلى أبى طالب فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابن أخيك قد سَبّ آلهتنا ، وعاب دينَنَا ، وسَفَّه أحلامنا ، وضلّل آباءنا ، وآذانا فى نادينا ومسجدنا ؛ فإمّا أن تَكُفّه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه / — فإنك على ما نحن عليه من خلافه — فنَكْفِيكَه . فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردّهم ردًّا جميلا . فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يُظْهِرُ دينَ الله ، ويدعو إليه .

ثم شَرِىَ الأمْرُ بينه وبينهم حتى تباعَدَ الرجالُ وتطاعنوا (١) ، وأكثرت قريش ذكرَ رسول الله ﷺ بينها ، وحضّ بعضهم بعضا [عليه] (٢) حتى تَمَشُّوا إلى أبى طالب مَرَّة أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سِنًّا وشَرَفًا ومنزلة فينا ، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك ، فلم تَنْهه عنا ، وإنا والله لا نَصْبِرُ عَلَى هذا . من شتم آبائنا ، وتَسْفِيه أحلامنا ، وعَيْب آلهتنا حتى تكُفَّه عنا ، أو ننازله وإياك فى هذا حتى يهلك أحدُ الفريقين . ثم انصرفوا عنه .

فعظم على أبى طالب فراقُ قومه وعداوتُهم ، ولم يطب نفسا بإسلام رسولِ الله ﷺ لهم ولا خِذْلانه ، إلاّ أنه قال له : يا ابن أخى ، إنّ قومَك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا ؛ فأبقِ علىَّ وعلى

---

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٧١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٧٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٣٦ « تضاغنوا » .

(٢) الإضافة عن المراجع السابقة .

نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، فاكْفُفْ عن قومك ما يكرهون من قولك .

فظنّ رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه ، وأنه خاذله ومُسْلمه ، وأنه قد ضعف عن القيام معه ، فقال رسول الله ﷺ :

٥ والله يا عَمّاه لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أتْرُكَ هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركتُه . ثم بكى رسول الله ﷺ ، فلما وَلَّى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخى . فأَقْبَلَ ، فقال : اذهب فقُلْ ما أحبَبْتَ ؛ فوالله لا أسْلمك لشئ أبدا . ثم قال أبو طالب : —

١٠ والله لَنْ يصلوا إليك بجمعهم — حتى أُوَسَّدَ فى التراب دفينا
فَانفُذ لأمرك ما عليك غَضَاضة — فكفى به دنيا لديك ودينا
ودعوتنى وزعمتَ أنك ناصح — فلقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
وعَرَضْتَ دينا قد علمت بأنه — من خيرِ أديان البريّة دينا
لولا الملامة أو حذارى سُبَّة — لوجدتنى سمحا بذاك ضنينا [١]

١٥ ويقال : لما أن جاءت قريش إلى أبى طالب وتكلّمُوا معه أرسل ابنه عقيلا إلى النبى ﷺ فقال له : انطِلْق فأتنى بمحمد . فانطلق عقيل فأخرجه من بيت صغير فجاء به فى الظهيرة فى شِدّة الحَرِّ ، فلما أتاهم قال أبو طالب : إن بنى عمك / هؤلاء قد زعموا أنك ١٣٥

---

(١) وانظر السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٦٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ :
٢٠ ٤٣٧ ، وشرح المواهب ١ : ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، والديوان ١٧٦ ، ١٧٧ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

تؤذيهم فى ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم . فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال : أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم . قال : فما أنا بأقدر على أن أَدَع ذلك [منكم] (١) على أن تستشعلوا منه شعلة . فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط فارجعوا .

ويقال : إن قريشا بعثوا رجلا (٢) إلى أبى طالب فقال له : هؤلاء ٥ مَشْيَخَة قومك ، يستأذنون عليك . قال : أَدْخِلهم . فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيّدنا ، فأنْصِفْنا من ابن أخيك ؛ فمُرْه فليكْفُف عن شتم آلهتنا ، ونَدَعه وإلَهَهُ . فبعث إليه أبو طالب ، فلما جاء قال : يا ابن أخى ، هؤلاء مشيخة قومِك وسرَوَاتهم ، وقد سألوا النَّصَفَة : أن تَكُفّ عن شتم آلهتهم ويَدَعُوكَ وإلٰهك . قال : أى عم ، أو ١٠ لا أدعوهم إلى ما هو خيرٌ لهم منها ؟ قال : وإلى ما تدعوهم ؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم . قال أبو جهل : ما هى وأبيك فنُعْطِينَّكها (٣) وعشرا أمثالها . قال : فقولوا لا إله إلا الله . فتفرّقوا ، وقالوا : لو سألتنا غير هذه ؟ فقال : لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم [غيرها] (٤) . فغضبوا ١٥ وقاموا من عنده ، وقالوا : والله لنَشْتُمَنَّك وإلٰهك الذى يأمرك بهذا . ﴿ وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُم (٥) ﴾

---

(١) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٦٣ .

(٢) فى تاريخ الطبرى ٢ : ٢١٩ ، وتفسير ابن كثير ٧ : ٤٦ « اسمه المطلب » .

(٣) كذا فى ت . وفى م ، هـ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٢١٩ « لنعطينكها » . ٢٠

(٤) الإضافة عن تاريخ الطبرى ٢ : ٢١٩ ، وتفسير ابن كثير ٧ : ٤٦ .

(٥) سوره ص آية ٦ .

فلما عرفت قريش أنّ أبا طالب لا يَخْذُل النبيّ ﷺ مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فقالوا : يا أبا طالب : هذا عِمَارَةُ بن الوليد أَنْهَدُ فتىً فى قريش ، فاحمله وخُذْه ، وسلِّم لنا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك ، ٥ وفرّق جماعة قومه ، وسفه أحلامنا فنقتله ؛ فإنَّمَا رجلٌ كرجل [١] . فقال : والله لبِئسَ ما تسومُوننى ، أتعطونى ابنَكم أغْذُوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟! هذا والله ما لا يكون أبدا .

ويقال : لما جاءت قريش بعمارة بن الوليد إلى أبى طالب قالوا : قد عرفتَ حالَ عمارة فى قريش ، ونحنُ ندفعه لك مكان محمد ، ١٠ وادفعه إلينا . قال : ما أنصفتمونى ؛ أعطيكم ابن أخى تقتلونه وتعطونى ابن أخيكم أغْذُوه لكم ؟! فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب لقد أنصفَكَ قومُك وجهدوا على التخلص مما نكرهه ، فما أراك أن تقبل منهم شيئا . فقال أبو طالب لمُطْعِم : والله ما أنصفونى ، ولكنَّك قد أجمعتَ خُذْلانى ، ومُظَاهَرَةَ ١٥ القومِ علىّ ، فاصنع ما بدا لك .

فحميت الحرب حينئذ وتنابذ القوم ، / ووثبت كل قبيلة على ١٣٦ من فيها من المسلمين يعَذّبُونهم ويَفْتِنُونَهم عن دينهم ، ومنع الله رسولَه منهم بعمِّه أبى طالب ، وقام أبو طالب فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْع رسولِ الله ﷺ ، والقيامِ دونه ؛

٢٠ (١) كذا فى الأصول ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٢٢٠ . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٧٢ « رجل برجل » .

فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الدفع عن رسول الله ﷺ – إلا ما كان من أبى لهب – فلما رأى أبو طالب من قومه ما سَرَّه من جِدِّهم معه وحدبهم عليه جعل [يمدحهم ويذكر قديمهم و] [١] يذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم [٢] ومكانه منهم ليسدِّدَ [٣] لهم رأيهم ، وقال أبو طالب : –

عجبت لظلم يا ابن شيبة حادث ... وأحلام أقوام لديك سخاف
يقولون شايع من أراد محمدا ... بسوء وقم فى أمره بخلاف
أضاميم إمّا حاسدٌ ذو خيانة ... وإمّا قريب منك غير مصاف
فلا تركبن الدهر منك ظلامة ... وأنت أمرؤ من خير عبد مناف
فإن له قُرْبَى إليك وسيلة ... وليس بذى حِلف ولا بمُضاف
ولكنه من هاشم فى صميمها ... إلى أَبْحُرٍ فوق البحورِ طواف
فإن غَضِبتَ فيه قريشٌ فقل لهم ... بنى عمِنّا ما قومكم بضعاف
وما قومكم بالقوم تغشون ظلمهم ... وما نحن فيما ساءكم بخفاف [٤]

وقال : –

كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمداً ... ولَمَّا نُطَاعِنْ دونه ونناضل
ونُسْلِمه حتى نُصَرَّع حوله ... ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل

---

(١) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٧٤ .

(٢) فى ت ، هـ « فيه » . وسقط فى م ، والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) كذا فى الأصول . وفى المرجع السابق وتاريخ الطبرى ٢ : ٢٢٠ « ليشد » .

(٤) ديوان أبى طالب ص ٩١ . مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

وَيَنْهَض قومٌ نحوكم غير عُزَّل　　ببيض حديث عهدُها بالصيافل
وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه　　ثِمَالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامل(١)

واجتمع نفر من قريش ، منهم : الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ابن هشام ، والعاص بن وائل ، والعاص بن هشام ، والأسود بن عبد يَغُوث ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العُزّى ، وزَمْعَة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم كثير ، فقالوا للنبى ﷺ : إن كنتَ صادقا فشُقّ لنا القمر فرقتين . فقال لهم النبى ﷺ : إن فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم – وكانت / ليلة بدر – فسأل رسول الله ﷺ الله ١٣٧ عَزَ وجلّ أن يعطيه ما سألوا . فأمسى القمرُ قد انشقّ نصفا على أبى قُبَيس ونصفا على قُعَيْقِعَان – ويقال : انشق شقتين شقة على أبى قُبَيْس ، وشقة على السويداء – وقيل : انشق فلقتين فلقة من دون الجبل ، وفلقة خلف الجبل – ويقال : انشق فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه – وقيل : انشقّ فلقتين فستَرَ الجبلُ فلقةً وصارت فلقةٌ فوق الجبل – وقيل : انشقّ باثنتين حتى رُئِيَ بينهما حِرَاءُ – وقيل : انشقّ فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه – فقال النبى ﷺ : اشهدْ – أو قال : فاشهدوا – وأقام القمرُ نِصْفَين قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليهما ، ثم غاب القمر ؛ فقالت قريش : هذا سِحْرٌ مستمر –

---

(١) ثمال اليتامى : أى قائم بمصالحهم وغياثهم . (سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥١٧) وانظر هذه الأبيات من لامية أبى طالب فى سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٧٦ — ١٨٠ ، والاكتفا ١ : ٢٨٦ — ٢٩٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٨٦ — ٤٩١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٠٦ — ٥٠٨ — والديوان ١٠٠ — ١٣٤ .

ويقال : فقالوا : سُحِرَ القمر – وقيل : فقالوا هذا سحرٌ سحركم به ابن أبي كَبْشَة ، فانظروا السُّفَّار يأتوكم ، فإن أخبروكم أنهم رَأَوْا مثلَ ما رأيتم فقد صَدَق ، وإن كانوا لم يَرَوْا ما رأيتم فهو سِحْرٌ سحركم به ؛ فإن محمدا لا يستطيع أن يَسْحَر الناسَ كُلَّهم . فما قدم عليهم أحدٌ من وجهٍ من الوجوه إلاّ أخبرهم أنهم رَأَوْا مثلَ ما رَأَوْا ، ونزلت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ [١] ﴾

ويقال : انتهى أهلُ مكة إلى النبيّ ﷺ فقالوا : هل من آية نعرف بها أنكَ رسولُ الله ؟ فهبط جبريلُ فقال : يا محمد قل لأهلِ مكة أنْ يحتفلوا هذه الليلة فسَيَرَوْن آية إن أسعفوا بها . فأخبرهم رسولُ الله ﷺ مَقالَةَ جبريل ، فخرجوا ليلة أربع عشرة فانشقّ القمرُ نصفين ، نصفا على الصَّفَا ، ونِصفًا على المروة ، فنظروا ثم قالوا بأبصارهم فمسحوها ، ثم أعادوا النظر فنظروا ، ثم مسحوا أعينهم ، ثم نظروا فقالوا : يا محمد ما هذا إلاّ سِحْرٌ ذاهب . فأنزل الله تعال عز وجل ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾

وقال المشركون للنبى ﷺ : أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد ؟! فأنزل الله عز وجل ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ [٢] ﴾

---

(١) سورة القمر آية ١ . وانظر دلائل النبوة ٢ : ٤٠ ـــ ٤٥ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، وعيون الأثر ١ : ١١٤ ، وتفسير ابن كثير ٧ : ٤٤٦ ـــ ٤٥٠ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣١٢ ـــ ٣١٤ ، وشرح المواهب ٥ : ١٠٦ ـــ ١١٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٩٩ .

(٢) سورة الزمر الآيات ٦٤ ـــ ٦٦ .

وقال أبو جهل بن هشام لقريش : إن محمدا يزعم أنكم إن لم تطيعوه كان بكم منه ذَبْح . فقال رسول الله ﷺ : أنا أقول ذلك ، وأنتَ مِن ذلك الذبح [(١)] .

وكانت أم جميل امرأة أبي لهب تحملُ الشوك فتطرحه على طريق النبى ﷺ ليَعْقِرَه وأصحابه [(٢)] .

وتواصى نفرٌ من بنى مخزوم منهم : أبو جهل / ، والوليد بن المغيرة ليقتلوا النبىّ ﷺ ، فبينما هو قائم يصلى فلما سمعوا قراءته أرسلوا الوليد ليقتله ، فانطلَق حتى أتى المكان الذى كان النبى ﷺ يصلّى فيه ، فجعل يسمع قراءته ولا يراه ، فانصرف إليهم فأعلمهم ذلك ، فأتاهُ مِنْ بعده أبو جهل والوليد ونَفَرٌ منهم ، فلما انتهوا إلى المكان الذى هو يصلى فيه سمعوا قراءته ، فيذهبون إلى الصوت من خلفهم فينتهون إليه فيسمعونه أيضا من خلفهم ، فانصرفوا ولم يجدوا إليه سبيلا ؛ فذلك قوله ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا [(٣)] ﴾ إلى آخر الآية .

وقالت قريش للنبى ﷺ : لا نؤمن لك حتى تحوِّل لنا الصفا ذهبا ، فإنْ تُحوِّل لنا الصفا ذهبا آمنا بك . فأتاه جبريل فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ، ويقول لك إن شئت يُصْبِحُ لهم

(١) وبمعناه فى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣٣ .

(٢) سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٣٧ ، والسيرة الحلبية ١ : ٤٦٧ .

(٣) سورة يس آية ٩ . وانظر الخصائص الكبرى ١ : ٣١٩ .

الصفا ذهبا ، فإن لم يؤمنوا أنزلت عليهم العذاب ؛ فإنه ليس بعد نزول الآية منازعة ، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة . فقال : لا بل افتح لهم باب التوبة والرحمة (١) .

وقيل : إن قريشا قالوا لرسول الله ﷺ : إن أصبح الصفا والمروة لنا ذهبا آمنَّا بك وصدَّقْنَاك . فأوحى الله تعالى إليه : إن أحْبَبْتَ أن يُصبِحَ الصفا والمروة ذهبا فمن كفر بعد ذلك عَذَّبْتُه عذابا لا أعذِّبه أحدا من العالمين ، وإن شئت أفتح له باب التوبة والرحمة . فقال رسول الله ﷺ : لا بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة (٢) .

ويقال : إن قريشا سألوا النبى ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحِّىَ عنهم الجبال فيزرعوا فيها . فقال الله تعالى : إن شئت آتيناهم ما سألوا ، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم ، وإن شئت أن تستأنى بهم لعلنا نستحيى منهم . [قال : لا بل أستأنى بهم] (٣) فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِٱلْآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا (٤) ﴾ الآية .

(١) تفسير ابن كثير ٥ : ٨٧ ، ٨٨ .
(٢) المرجع السابق ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٥٨ .
(٣) الإضافة عن الوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٤١٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٥٨ .
(٤) سورة الإسراء آية ٥٩ . وانظر تفسير ابن كثير ٥ : ٨٧ ، ٨٨ .

ولما كثرت أنواع الأذى من المشركين لرسول الله ﷺ استتر فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى ، وهى التى تُعْرَف الآن بدار الخَيْزُرَان – بالصفا – وهى أم الخليفة الهادى والرشيد .

وقال أبو طالب يحُضّ النجاشىَّ على حُسْنِ جوار من هاجر إليه من المسلمين إلى الحبشة ، والدفع عنهم : –

٥ تعلـم زعيم النـاس أن محمـدا رسولٌ كموسى والمسيح ابن مريم / ١٣٩
أتى بالهُدَى مثل الذى أتَيَا بِهِ فكلٌّ بأمر الله هاد ومعصـم [(١)]
وإنكـمُ تتلونـه فى كِتَابِكـــم بصِدْق حديثٍ لا حديث مَرجَّم
وإنك ما يأتيك منا عِصَابَةٌ بفضلك إلا أُرْفِـدُوا بالتكـرم

ولما رأت قريش استقرارَ المسلمين بالحبشة ، وأنهم قد أصابوا ١٠ دارا وأمنا ائتمروا على أن يبعثوا إلى النجاشىّ رجلين جَلدَين فى أمر المسلمين ليخرجوهم من بلاده ويردُّوهم عليهم ، وأن يُهْدُوا إليه هدايا مما يُسْتَطْرَف من متاع مكة – ومن أعجب ما يأتيهم منها الأَدَم – فجمعوا له أَدَمًا كثيرة ، ومما أعدوا له فرسا وجُبّة ديباج ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية على حدة . ثم بعثوا بذلك عمرَو بن ١٥ العاص ، وعبدَ الله بن أبى ربيعة المخزومى – ويقال عوض عبدِ الله بن أبى ربيعة . عمارة بن الوليد بن المغيرة – وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تُكَلِّما النجاشىّ فيهم ، ثم قَدِّمَا إلى النجاشى هداياه ، ثم سَلاَه أن يسلمهم إليكما ، وإن استطعتما أن يردهم عليكما قبل أن يُكَلِّمَهم فافعلا . وأمروهما أن يُسْرِعا السيرَ

٢٠ (١) وفى البيت اقواء . وانظر الديوان ١٦٣ ، ١٦٤ .

قويا ، فقدما على النجاشي ، وفعلا ما أُمِرَا به ؛ فأبى النجاشيّ ، وردَّ عليهما هداياهما ، وردّهما خائبين – فى خبر طويل – وكان حينئذ مشركا .

ولما رجع عمرو بن العاص إلى مكة جلَسَ فى بيته فلم يخرج إلى قريش ، فقالوا : ما شأنه ، ماله لا يخرج ؟ فقال عمرو : إن بنى أصحمة تزعم أن صاحبكم نبى (١) .

وفى هذه السنة وُلِدَ أُسامة بن زيد (٢) ، وأَنَس بن مالك (٣) ، والمغيرةُ بن شُعْبة (٤) ، وأبو موسى الأشعرى (٥) ، وزيد بن خالد الجهنى (٦) ، وحبيب بن مَسْلَمة الفِهْرى (٧) .

* * *

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٢٢ ــ ٢٢٦ ، ودلائل النبوة ٢ : ٦٣ ــ ٦٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٧ ــ ٢٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥١٧ ــ ٥٢١ ــ وتاريخ الخميس ١ : ٢٩٠ ــ ٢٩٢ .

(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس الكلبى ، الحب ابن الحب ، مات فى سنة ٥٤ هـ . (وانظر الإصابة ١ : ٣١) .

(٣) وهو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن غنم بن عدى بن النجار ، أبو حمزة الأنصارى الخزرجى ، خادم رسول الله ﷺ توفى سنة ٩٠ هـ أو ٩١ هـ أو ٩٣ هـ . (وانظر الإصابة ١ : ٧١ ، ٧٢)

(٤) هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن مغيث الثقفى ، أبو عيسى أو أبو محمد ، كان يقال له مغيرة الرأى ، وكان من دهاة العرب ، توفى سنة ٥٠ هـ على الخلاف . (الإصابة ٣ : ٤٥٢ ، ٤٥٣)

(٥) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب بن عامر بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر ، أبو موسى الأشعرى ، توفى سنة ٤٢ هـ أو ٤٤ هـ أو ٥٠ هـ أو ٥١ هـ أو ٥٣ هـ ، واختلف هل مات بالكوفة أو بمكة . (الإصابة ٢ : ٣٥٩ ، ٣٦٠) .

(٦) واختلف فى كنيته فقيل أبو زرعة ، وأبو عبد الرحمن ، وأبو طلحة . كان حامل لواء جهينه يوم الفتح ومات سنة ٧٨ هـ أو ٦٨ هـ بالمدينة . (الإصابة ١ : ٥٦٥)

(٧) هو حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان ابن فهر ، أبو عبد الرحمن الفهرى الحجازى ، يقال له حبيب الروم ؛ لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم . توفى سنة ٤٢ هـ (الإصابة ١ : ٣٠٩)

« السنة السادسة والأربعون من مولد النبى ﷺ »

فيها – ويقال : فى السنة التى قبلها – أسلم حمزةُ بن عبد المطلب ، وكان أعزّ فتى فى قريش وأشده شكيمة ؛ فَعَزَّ بِهِ رسولُ الله ﷺ ، وكَفَّت عنه قريش من أذاها قليلا .

٥ وسبب إسلام حمزة رضى الله عنه أنّ أبا جهل مرّ واعترض رسولَ الله ﷺ وهو جالس عند الصفا فآذاه وسَبَّه ، ونالَ منه بعض ما يَكْرَه من العَيْب لدينه ، فلم يكلِّمْه رسولُ الله ﷺ – وكانت مولاةٌ لعبد الله بن جُدْعَان فى مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك – ثم انصرف فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم ، ولم يلبث ١٠ حمزة بن عبد المطلب أن أقبل مُتَوَشِّحا قوسه / راجعا من قَنَص له – ١٤٠ وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة – فلما مرّ بالمولاة قالت : يا أبا عمارة ، لو رأيتَ ما لَقِىَ ابنُ أخيك آنفا من أبى الحكم بن هشام !! وَجَدَه ها هنا جالسا فسبَّه وآذاه ، وبلغ منه ، فلم يكلِّمْه محمد . فاحتمل حمزةَ الغضبُ ، فخرج سريعا فدخل ١٥ المسجد ، فرأى أبا جهل جالسا فى القوم ، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضَرَبَه بها ضربةً شَجَّه بها شَجَّةً مُنْكَرَة ، وقال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟! فَرُدَّ ذلك علىّ إن استطعت . وتم حمزة على إسلامه [1] .

ويقال : لَمّا ضربَ حمزةُ أبا جهل قامت رجالٌ من قريش من

٢٠ (١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٨٨ ، ١٨٩ . وشرح المواهب ١ : ٢٥٦ .

بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقالوا : ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت . فقال حمزة : وما يمنعنى وقد استبان لى ، أنا أشهد أنه رسول الله ، وأن الذى يقول حقّ ، فوالله لا أنزع فامنعونى إن كنتم صادقين . فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ؛ فإنى والله لقد سببْتُ ابن أخيه سبًّا قبيحا .

ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطانُ فقال : أنت سيد قريش ، اتبعتَ هذا الصابئ وتركتَ دين آبائك ، للموتُ خيرٌ لك مما صنعتَ . فأقبلَ عَلَى حمزةَ يؤنبه وقال : ما صنعتَ ؟! [فقال حمزة :] (١) اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى وإلا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا . فبات بليلةٍ لم يبت بمثلها من وَسْوَسَةِ الشيطان ، حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال : يا ابنَ أخى ، إنى قد وقعتُ فى أمرٍ لا أعرفُ المخرجَ منه ، وإقامةُ مثلى على ما لا أدرى ما هو أرشد هو أم غىّ شديد ؟ فحدثنى حديثا فقد اشتهيت يا ابن أخى أن تحدثنى .

فأقبل عليه رسول الله ﷺ فذكَّرَه ووعظه ، وخوّفَه وبَشَّرَه ، فألقى الله فى نفسه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ ؛ فقال : أشهد إنك لصادق شهادةَ الصِّدق ، فأَظْهِر يا ابن أخى دينك ، فوالله ما أحب أن لى ما أظلت السماء وأنى على دينى الأوّل .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق . وفى السيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٤٦ « للموت خير لك مما صنعت . فأقبل حمزة على نفسه وقال : ماصنعت اللهم .... الخ » .

ولما أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسول الله ﷺ قد عَزّ وامتنع ، وأن عمه حمزة سيمنعه ، فكَفُّوا عن بعض ما كانوا ينالونه منه ، وكان ممن أعز الله به الدين . وقال حمزة فى ذلك شعرا [(١)] .

ثم أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ٥ لا يُرَامُ ما وراء ظهره ، وكان النبىّ ﷺ قال فى الليلة التى فى صبيحتها أسلم / عمر بن الخطاب : اللهم أَعِزّ الدين — أو ١٤١ الإسلام — بأحبِّ هذين الرجلين إليك ، أبى جهل بن هشام أو عمر ابن الخطاب . فأصبح عمرُ فجاء إلى رسول الله ﷺ ، ثم صلّى ظاهرا ، واستجاب الله عزّ وجلّ دعاءَ النبى ﷺ فيه ، فامتنع به ١٠ وبحمزة المؤمنون وعزُّوا ، وكان ابن مسعود يقول : ما كنا نَقْدِرُ أن نُصَلِّيَ عند الكعبة حتى أسلَم عمر .

وسبب إسلام عمر رضى الله عنه فيه أربعة أقوال : —

الأول : قال عمر بن الخطاب : كنتُ جالِساً مع أبى جهل بن هشام وشَيْبَة بن ربيعة ، فقام أبو جهل فقال : يا معشر قريش ، إن ١٥ محمدا قد شَتَم آلهتكم ، وسفّه أحلامكم ، وزَعَم أن من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار تَهَافُتَ الحمير ؛ ألاَ مَن قتل محمدا فلَه علىّ مائة ناقة حمراء وسوداء ، وألف أوقية من فضة . فقمت فقلت : يا أبا الحكم : آلضمانُ صحيح ؟ قال : نعم ، عاجلٌ غير آجل .

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ١ : ١٨٨ ، ١٨٩ ، ودلائل النبوة ١ : ٤٥٩ ، ٢٠ ٤٦٠ ، والاكتفا ١ : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٤٥ — ٤٤٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٤٣ — ٤٤٥ . وانظر شعر حمزة هناك .

فقلت : واللات والعُزّى ؟ قال أبو جهل : نعم يا عمر . فأخذ أبو جهل بِيَدى فأدخلِنى الكعبةَ فأشْهَدَ علىَّ هُبَل – وكان هبل عظيم أصنامهم ، وكانوا إذا أرادوا سفرا أو حَرْبا أو سِلْما أو نِكَاحا لم يفعلوا حتى يأتوا هبل فيستأمروه – فأشهد عليه هبل وتلك الأصنام ، فخرجت متقلدا السيف مُتَنَكِّبًا كنانتى أريد النبى ﷺ ، ومررت على عجل وهم يريدون ذبحه [١] ، فقمت [أنظر] [٢] إليه فإذا صائح يصيح من جوف العجل : ياآل ذَرِيح ، أمرٌ نَجِيح ، رجلٌ يَصِيح ، بلسان فَصِيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله . فقلت [٣] : إن هذا لشأن ما يُرَاد بهذا إلا الحالى [٣] . ثم مررت بصنم [٤] فإذا هاتف يهتف فى فهم يقول :

يا أيها الناس ذووا الأجسام	ما أنتم وطائش الأحلام
ومسند الحكم إلى الأصنام	فكلكمُ أراه كالأنعام
أما ترون ما أرى أمامى	من ساطع يجلو لدى الظلام
قد لاح للناظر من تهام	حتى يرى البعار والبهامى
أكرمه الرحمن من إمام	قد جاء بعد الكفر بالإسلام
وبالصلاة والزكا والصيام	والبر والصلات بالأرحام

ويذعر الناس عن الآثام[٥]

---

(١) فى الأصول « قتله » . والمثبت عن الخصائص الكبرى ١ : ٣٣١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٩٤ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٦ .

(٢) الإضافة عن المراجع السابقة .

(٣) كذا فى الأصول . وفى المراجع السابقة « فقلت فى نفسى إن هذا الأمر مايراد به إلا أنا » .

(٤) فى الأصول ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٣١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٩٤ « بغنم » . والمثبت عن شرح المواهب ١ : ٢٧٦ .

(٥) وانظر الشعر فى المراجع السابقة مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

فقلت والله ما أراه إلا أن يراد بى ، ثم مررت بهاتف الضمار [١] ١٤٢
وهو يهتف من جوفه فقال : — /

ترك الضمار وكان يعبد وحده قبل[٢] الصلاة مع النبى محمد
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى
٥ سيقول مَنْ عبد الضمار ومثله ليت الضمار ومثله لم يعبد
فاصبر أبا حفص فإنك لا مرؤ يأتيك عزٌّ غير عزّ بنى عدى
لا تعجلَنّ فأنت ناصر دينه حقا يقينا باللسان وباليد
وتظهر دين الله أن كنت مسلما وتسطح بالسيف الصقيل المهند
جَمَاجِمَ قومٍ لا يزال حلومها عكوفا على أصنامها بالمربد[٣]

١٠ قال عمر : فوالله لقد علمت أنه أرادنى ، فجئتُ حتى دخلتُ على أختى وإذا خَبّاب بن الأَرَتّ عندها وزوجها سعيد بن زيد ، فلما رأونى ومعى السيف أنكروا ، فقلت لهم : لا بأس عليكم ، فدخلت ، فقال خَبّاب : يا عمر وَيْحَك أسْلِم . فدعوتُ بالماء فأسبغت الوضوءَ ، وسألتهم عن محمد . فقالوا : فى دار الأرقم بن أبى الأرقم .
١٥ فأتيتهم فضربت عليهم الباب فخرج حمزةُ بن عبد المطلب ، فلما رآنى والسيف صاح بى — وكان الرجل هيوبا — فصمتّ [٤] ، فخرج إلىّ رسول الله ﷺ ، فلما رآنى ورأى مافى وجهى عرف فقال :

(١) فى الأصول « الضماد » . والمثبت عن المراجع السابقة .
(٢) فى الأصول والخصائص الكبرى ١ : ٣٣١ « بعد الصلاة » . والمثبت عن
٢٠ عيون الأثر ١ : ٧٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٩٤ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٦ .
(٣) فى الأصول « بالمهتد » . ولعل الصواب ما اثبتناه .
(٤) كذا فى ت ، هـ . وفى م « فصحت به » .

أُستُجِيبَ لى فيك يا عمر ، أَسْلِم . فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فسُرّ رسول الله ﷺ بذلك والمسلمون ، فكنت رابع أربعين رجلا ممن أسلم ، ونَزَلَت على النبى ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١) ﴾ فقلت يا نبى الله اخْرج فوالله لا يغلبنا المشركون أبدا . فخرجنا وكَبَّرْنا حتى طاف النبىّ ﷺ ، ورجعت معه ، فلم أزل أُقَاتِل واحدا واحدا حتى أظهر الله الدين .

الثانى : قا ابن عباس : سألت عمر بن الخطاب : لأى شئ سُمِّيتَ الفاروق ؟ قال : لما أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام فإذا فلان بن فلان المخزومى فقلت له : أرغبتَ عن دين آبائك واتَّبَعْتَ دين محمد ؟! قال : إن فعلتُ فقد فعلَ من هو أعظم عليك حقا منى . قلت : من هو ؟ قال : أختك وختنك . فانطلقت فوجدتُ الباب مغلقا وسمعتُ همهمة (٢) ، فَفُتِح الباب فدخلتُ ، فقلت : ما هذا الذى أسمع منكم ؟ قالوا : ما سمعتَ شيئا . فما زال الكلامُ بينى وبينهم حتى أخذت برأس خَتَنِى فضربتُه ضربة وأدْميته ، فقامت إلىّ أختى فأخذت برأسى (٣) فقالت : قد كان ذلك عَلَى رغم أنفك . فاستحييت حين رأيتُ الدم فجلست وقلت : أرونى هذا الكتاب .

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٤ .

(٢) الهمهمة ــ يقال همهم الرجل إذا تكلم كلاما خفيا يسمع ولا يفهم محصوله ، ويقال همهم الرعد إذا سمع له دوى . (المعجم الوسيط)

(٣) فى الأصول « برأسها » . والمثبت عن تاريخ الخلفاء ١١٣ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٤ .

فقالت أختى ! إنه لا يَمَسُّه إلا المطهرون ، فإن كنتَ صادقا فقُم واغتسل . فقمتُ فاغتسلت ، فجئت فجلست ؛ فأخرجوا إلى صحيفة فيها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قلت أسماء طيبة طاهرة ﴿ طه ۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ إلى قوله ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى [١] ﴾ فَتعظَّمت فى صدرى ، وقلتُ : أمِنْ هذا فرّت قريش ؟! ثم شرح الله صدرى إلى الإسلام فقلت ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى ﴾ فما فى الأرض نسمةٌ أحبّ إلى من رسول الله ﷺ ، قلت : أين رسولُ الله ﷺ ؟ قالت : عليك عهد الله وميثاقه أن تجبهه [٢] بشىء يكرهه ؟ قال : نعم . قالت : فإنه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم عند الصفا . فأتيتُ الدار — وحمزة فى أصحابه جلوس فى الدار ، ورسول الله ﷺ فى البيت — فضربتُ الباب ، فاستجمع القومُ ، فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب . قال : افتحوا له ؛ فإن أَقْبَل قَبِلْنا منه وإن أدبر قتلناه . فسمع ذلك رسولُ الله ﷺ فقال : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب . فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع [٣] ثيابه ثم نتره [٤] نترة ، فما تمالك أن يقع على ركبتيه فى الأرض ، فقال : ما أنتَ بمُنْتَهٍ يا عمر ؟ قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد

---

(١) سورة طه الآيات ١ — ٨ .

(٢) كذا فى ت ، هـ . وفى م « ألا تجهد بشىء يكرهه » .

(٣) كذا فى م ، هـ . وفى ت ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٥ « بمجمع » .

(٤) يقال نتره : أى جذبه أو قذفه فى شدة . (المعجم الوسيط) .

أن محمدا عبده ورسوله . فكَبَّر أهلُ الدار تكبيرةً واحدة فسمعها أهلُ المسجد .

فقلتُ يا رسول الله : ألسنا على الحقِّ إن متنا وإن حيينا ؟ قال ﷺ : بلى ، والذى نفسى بيده إنكم على الحقّ إن متم وإن حييتم . قلتُ : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لنخرُجَنّ . فأخرجناه فى صفَّين حمزةُ فى أحدهما وأنا فى الآخر ، له كديد [١] ككديد الطحين ، حتى دخلنا المسجد ، فنظرت إلىَّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبْهُم مثلُها ، فسمّانى رسولُ الله ﷺ من هذا الفاروق ؛ أفرق بين الحق والباطل [٢] .

ورُوِيَت هذه القصة بمعنى آخر ؛ قال عمر بن الخطاب لبعض أصحابه : أتحبون أن أعلمكم كيف كان إسلامى ؟ قلنا : نعم . قال : كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ ، فبينا أنا فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة إذ لقينى رجل من قريش فقال : أين تريد يا ابن الخطاب ؟ فقلت : أريد هذا وآلهتى [٣] . قال : عجبا لك يا ابن الخطاب ، أنت تَزْعُم أنك كذا وكذا وقد دخلَ عليك الأمرُ فى بيتِكَ !! قلتُ : وما ذاك ؟ قال : أختُك قد

---

(١) الكديد : التراب الناعم ، فإذا وطىء ثار غباره ، والمراد أن الغبار كان يثور من مشيهم . (لسان العرب)

(٢) حلية الأولياء ١ : ٤٠ .

(٣) كذا فى هـ . وفى م « والتى » . وبياض فى ت . وفى دلائل النبوة ٢ : ٤ « أريد التى والتى والتى » . وفى الخصائص الكبرى ١ : ٣٢٩ « اريد إلهى وإلهى وإلهى » وعلق المحقق بقوله : أى أريد نصرة آلهتى .

أسلمت . فرجعتُ مُغْضَباً حتى قرعت الباب – وقد كان رسول الله ﷺ إذا أسلم الرجل والرجلان / ممن لا شيء لهما يَضُمُّهما إلى الرجل الذى فى يده السعة لينالا [١] من فضل طعامه ، وقد كان ضَمَّ إلى زوجِ أختى رجلين – فلما قرعتُ الباب قيل من هذا ؟ قلت : عمر بن الخطاب . فبادروا فاختفوا منى ، وقد كانوا يقرءون صحيفة بين أيديهم تركوها أو نسوها ، فقامت أختى تفتح الباب ، فقلت : يا عدوة نفسها ، أصبوتِ ؟! وضربتها بشيء فى يدى على رأسها ، فسالَ الدّمُ ، فلما رأت الدمَ بكت وقالت : يا ابن الخطاب ، ما كنتَ فاعلا فافعل ، فقد صبوتُ . ودخلتُ حتى جلست على السرير ، فنظرتُ إلى الصحيفة وسطَ البيت ، فقلتُ : ما هذا ؟ نَاوِلِينِيها . فقالت : لستَ من أهلها ؛ أنت لا تطهر من الجنابة ، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون . فمازلت بها حتى ناولتنيها ، ففتحتها فإذا فيها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ فلما مررت باسم من أسماء الله ذُعِرْتُ منه ، فألقيت الصحيفة ، ثم رجعت إلى نفسى فتناوَلْتُها فإذا فيها ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فلما مررت باسم من أسماء الله ذُعِرْت منه ، ثم رجعت إلى نفسى فقرأتها حتى بلغت ﴿ آمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ [٢] ﴾ إلى آخر الآية . فقلت :

---

(١) فى الأصول « لينال » . والتصويب عن دلائل النبوة ٢ : ٤ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٢٩ .

(٢) سورة الحديد الآيات ١ ـــ ٧ . وعلق محقق الخصائص الكبرى على هذا الخبر بقوله : المكتوب فى الصحيفة من سورة الحديد مع أن المعروف أن سورة الحديد مدنية !! .

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فخرجوا إلىّ مُتَبَادِرِين وكَبَّرُوا وقالوا : أَبْشِر يا ابن الخطاب ؛ فإن رسول الله ﷺ دَعَا يوم الاثنين فقال : اللهم أَعِزّ دينك بأحبّ الرجلين إليك ؛ إما أبو جهل بن هشام وإما عمر بن الخطاب . وإنا نرجو أن تكون دَعْوَةُ رسول الله ﷺ لَكَ ، فأَبْشِر . قلت فأَخْبِرُونى أين رسول الله ﷺ ؟ فلما عرفوا الصِّدْقَ منى قالوا : فى بيت فى أسفل الصفا . فخرجتُ حتى قَرَعْتُ الباب عليهم ، فقالوا : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب – وقد علموا من شِدَّتى على رسول الله ﷺ وما يعلمون بإسلامى – فما اجترأ أحد يفتح الباب حتى قال (١) افتحوا له ؛ إن يُرِدِ الله به خيرا يَهْدِه . ففتحوا لىَ البابَ فأخذ رجلان بعضدى حتى أتيا بى النبىَّ ﷺ فقال : خَلّوا عنه . ثم أخذ بمجامع قميصى ، ثم جذبنى إليه ، ثم قال : أسْلِم يا ابن الخطاب ، اللهم آهْدِه . فقلتُ : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . فكَبَّر المسلمون تكبيرةً سمعت بِفِجَاجِ مكة – وكانوا مستخفين – فلم أشأ أن أرى رجلا يضرب (٢) ويُضرب إلا رأيته ولا يصيبنى من ذلك شىء ، فخرجتُ حتى جئتُ خالى – وكان شريفا – فقَرَعْتُ البابَ عليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : ابن الخطاب . فخرج إلىّ ، فقلتُ : قد علمتَ أنى قد صَبَوْتُ ؟ قال : أو فعلتَ / ؟ قلت : نعم . قال : لا ١٤٥

(١) أى رسول الله ﷺ . (تاريخ الخلفاء ١١٢)

(٢) فى هـ « يضرب فيضرب » وفى م « يضرب إلا رأيته » . والمثبت عن ت وتاريخ الخلفاء ١٠٩ .

تفعل . فقلتُ : قد فعلتُ . فدخل وأجافَ البابَ دونى ، فقلت : ما هذا بشئ . فذهبتُ إلى رجلٍ من عظماء قريش فَنَادَيْتُه فخرج إلىّ ، فقلت مثل مقالتى لخالى ، وقال مثل ما قال ، وأجافى الباب دونى ، فقلتُ فى نفسى : ما هذا بشئ ؟ إن المسلمين يُضْرَبُون وأَنَا لا أُضْرَب . فقال لى رجلٌ : أتحبُّ أن يُعْلَمَ بإسلامك ؟ قلت : نعم . قال : فإذا جلس الناس فى الحِجْر فأتِ فلانا — لرجل لم يكن يكتم السر — فقل له فيما بينك وبينه إنى قد صَبَوْت ؛ فإنه قلّ ما يَكْتُمُ السِّر . فجئت — وقد اجتمع الناس فى الحِجْر — فقلت فيما بينى وبينه : إنى قد صَبَوْت . قال : أو فعلتَ ؟ قلت : نعم . فنادى بأعلى صوته إنّ ابنَ الخطاب قد صَبَأ . فبادَرَ إلىّ أولئك الناس ، فمازلتُ أضربهُم ويضرِبُونَنِى ، واجتمع علىّ الناسُ حتى قال خالى : ما هذه الجماعُة ؟ قيل : عمر قد صبأ . فقام عَلَى الحِجْر فأشار بكُمِّه هكذا ؟ ألا إنى قد أجرتُ ابن أختى . فتَكَشَّفُوا عنى . فكنت لا أشأ أن أرى رجلا من المسلمين يضرب ويضرب ، فقلت : ما هذا بشئ حتى يصيبنى ؛ فأتيت خالى فقلت : جوارُكَ عليك رَدٌّ . فقال : ما سبب ذلك ؟ هل وصلَ إليك أحدٌ بأذيّة ؟ قلت : لا والله ، إلا أنى اخترت جِوَارَ الله وجوار رسوله على جوار غيره . فمازلت أَضْرِبُ وأُضْرَبُ حتى أعزَّ الله الإسلام (١) .

(١) دلائل النبوة ٢ : ٤ — ٦ ، وعيون الأثر ١ : ١٢٢ — ١٢٤ ، وتاريخ الخلفاء ١١٢ ، ١١٣ .

الثالث : قال عمر بن الخطاب : كنتُ للإسلام مُبَاعِدا ، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبّها (١) وأَشْرَبُها ، وكان لنا مجلسٌ يجتمع فيه رجالٌ من قريش بالحَزْوَرَة (٢) عند دور آل عمر بن عائذ (٣) بن عمران بن مخزوم ، فقلتُ ليلةً أريد جلسائى فى مَجْلِسِنا ذلك ، فلم أجد فيه منهم أحدا ، فقلت : لو أنى جئتُ فلانا الخَمَّار – وكان بمكة رجل يبيع الخمر – لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها ، فجئتُه فلم أجده ، قُلْتُ لو جئتُ الكعبة فطُفْت بها سبعا أو سبعين ، فجئتُ المسجدَ أريدُ أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى – وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مُصَلاَّهُ بين الركنين الأسود واليمانى – فقلت حين رأيته : والله لو أنى استمعت إلى محمد الليلة حتى أسمع ما يقول ، فقلت : لئن دَنَوتُ لأسمَع منه لأُرَوِّعَنّه ، فجئت الكعبة من قِبَلِ الحِجْرِ فدخلت عليه (٤) تحت ثيابها ، فجعلت أمشى رويدا – ورسول الله ﷺ قائم يصلى يقرأ القرآن – حتى قمت فى قبلته وما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة ، فلما سمعتُ القرآنَ رَقَّ له قلبى ، فبَكَيْتُ

(١) كذا فى الأصول ، وسيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٣٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٣٧ . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٩٦ « أصبها » .

(٢) الحزورة : سوق كانت بمكة وأدخلت فى المسجد الحرام لما زيد فيه (سبل الهدى ٢ : ٢٠٠)

(٣) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٣٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٤٩٦ « عمر بن عبد » .

(٤) هذا اللفظ فى الأصول ، ولم يرد فى المراجع السابقة .

١٤٦ ودخلنى الإسلامُ / ، فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار بنى (١) أبى حسين ، وكانت طريقه حتى يخرج إلى المسعى ، ثم يشتد بين دار عباس بن عبد المطلب وبين دار ابن أَزْهَر بن عوف الزُّهْرِىّ ، ٥ ثم على دار الأخنس بن شريق حتى يدخل بيته – وكان مسكنه فى الدار الرقطاء – فاتبعته حتى إذا كان بين دار العباس وبين دار ابن أزهر أَدْرَكْتُه ، فلما سمع حِسِّى وعرفنى ظنّ أنى إنما اتبعته لأوذيه فقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قلت : إنى أومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله . فحمدَ اللهَ رسولُ الله ﷺ وأثنى ١٠ عليه وقال : قد هداك الله يا عمر . ثم مَسَحَ صَدْرِى ، ودعا لى بالثَّبَات ، ثم انصرفت ، ودخل بيته .

الرابع : قال عمر بن الخطاب ضرب أختى المخاضُ فأُخْرِجْتُ من البيت ، فدَخَلْتُ فى أستار الكعبة فى ليلة قَارَّة ، فجاء النبىّ ﷺ فدخل الحِجْرَ وأعلن بصلاته ، فصلّى ما شاء الله ثم انصرف ، فسمعت شيئا لم ١٥ أسمع مثله ، فخرجت فاتبعته ، فقال : من هذا ؟ قلت : عمر . قال يا عمر ما تتركنى ليلا ولا نهارا ؟! فخشيت أن يدعو علىّ فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . فقال : يا عمر استُرْه . فقلت : والذى بعثك بالحق لأُعْلِنَنَّه كما أعْلَنْتُ الشرك (٢) .

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٣٢ ، والسيرة النبوية ٢٠ لابن كثير ٢ : ٣٧ « دار ابن أبى حسين » .

(٢) حلية الأولياء ١ : ٤٠ ، وتاريخ الخلفاء ١١٠ .

قال الحافظ أبو نعيم : وهذه القصة وإن اختلف فيها بعض الألفاظ فقد اتفقت أن الذى أمال عمر إلى الإسلام ما قرع سمعه من القرآن وأخذ بقلبه .

قال ابن عمر : إنى لفى سطح فرأيتُ الناسَ مجتمعين على رجلٍ ، وهم يقولون : صبأ عمر . فجاء العاص بن وائل – عليه قباء ديباج – فقال : إن كان عمر قد صبأ فَمَهْ ، أنا له جار . فتفرّق الناس عنه ، فعجبت من عِزِّه [(١)] .

وفيها – ويقال : فى أول السنة التى بعدها – كَبُرَ على قريش ما رأوه من عِزَّة النبى ﷺ بمن معه ، وعِزَّة أصحابه بالحبشة ، وفُشُوِّ الإسلام فى القبائلْ – وكانوا اجتهدوا فى إخفاء ذلك النور ، فأبى الله إلا أن يُتِمّ نورَه – غضبوا على النبى ﷺ وعلى أصحابه . واشتد أذاهم ؛ فاجتمعوا وائتمروا ، وتعاقدوا وتعاهدوا بينهم على قطيعة الهاشميين والمُطَّلِبيّين ؛ ألا ينكحوا إليهم ولا يُنْكِحُوهم ، ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، ولا يخالطوهم . وكتبوا ذلك فى صحيفة ؛ كتبها منصور بن عِكْرِمة بن هشام – ويقال : النَّضْر بن الحارث ، وقيل : بغيض بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ – وعلَّقوها فى جوف / الكعبةِ هلالَ المحرم سنة سبع [(٢)] ؛ توكيدا للأمْرِ عَلَى أنفسهم ، فدعا رسول الله ﷺ عَلَى كاتبِ

(١) دلائل النبوة ٢ : ٨ ، ٩ .

(٢) أى من النبوة . (الوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٩٧ ، وتاريخ الخميس ١ : ٢٩٧) .

الصحيفة ، فشُلَّت يده . ثم غدت قريش على من أسْلَم فأوثقوهم وآذوهم ، واشتد البلاءُ عليهم ، وعَظُمَت الفتنة ، وزلزلوا زلزالا شديدا .

ولما فعلت قريش ذلك انحاز رسول الله ﷺ وسائر بنى هاشم وبنى المُطَّلب – خلا أبا لهب – وبنو المطلب وولده فى الشِّعْب ، وخرج اللعين أبو لهب وولدُه إلى قريش ، فظاهرهم على بنى هاشم وبنى المُطَّلب ، وقطعوا عنهم المِيرَة والمادّة ، فكانوا لا يقدرون على ذلك إلاّ من الموسم إلى الموسم ، ولا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، حتى بلغ بهم الجهد ، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشّعب يَتَضَاغَوْن من الجوع . فمن قريش مَنْ سَرَّه ذلك ، ومنهم من ساءه ، ولم يكن يصل إليهم شىء إلا سِرًّا ؛ حتى إن المُطْعِمَ بن عَدِىّ أدخل عليهم فى بعض الأيام ثلاثة أوقار من الطعام ، وكان النبىّ ﷺ يَشْكُرُ له ذلك ، وكانت العِير تأتى من الشام وعليها الحِنْطَة إلى حكيم بن حِزَام بن خُوَيْلد فيوجهها نحو الشِّعب ، ثم يضرب أدبارها فتدخل عليهم ، فيأخذون ما عليها من الحنطة . وكان هشام بن عمرو [١] بن ربيعة أوْصَلَ قريشٍ لبنى هاشم حين حُصِرُوا فى الشِّعب ؛ أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعام ، فعلمت بذلك قريش ، فمشوا إليه فكلَّمُوه فى ذلك فقال : إنى غير عائد لشىء تحالفتم عليه . ثم عاد الثانية وأدخل حِمْلا أو حِمْلين ، فغالظته [٢] قريش وهمّوا به ، فقال أبو سفيان بن حرب : دَعُوه ؛ رجلٌ وصَلَ رحمه ، أمَا إنى أحلفُ بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أجمل .

---

(١) فى الأصول « عمر » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٥١ ، وسبل الهدى ٢ : ٥٤٣ .

(٢) فى الأصول « فغايظنه » والمثبت عن سبل الهدى ٢ : ٥٤٣ ، وشرح المواهب ١ : ٢٩٠ .

ويقال : إن المشركين لما اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين [١] الجهدُ ، واشتدّ عليهم البلاء ، واجتمعت قريش فى مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ عَلاَنِيَةً . فلما رأى أبو طالب عملَ القومِ جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يُدْخِلُوا رسول الله ﷺ شِعْبَهم ، ويمنعوه ممن أراد قتله ، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حَمِيَّة ومنهم من فعله إيمانا ويقينا . فلما عرفت قريش أن القومَ قد منعوا رسول الله ﷺ واجتمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم ، ألا يجالسوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق ، لا يقبلوا / من بنى هاشم أبدا صُلْحًا ، ولا تأخذهم فيهم رأفة حتى يسلموه للقتل .

فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين ، واشتد عليهم البلاء والجَهْدُ ، وقطعوا عنهم الأسواق ؛ فلا يتركوا طعاما يَقْدُم مكة ولا بيعا إلا بادروهم فاشتروه ؛ يريدون بذلك أن يُدْرِكُوا سفْكَ دم رسول الله ﷺ .

وكان أبو طالب إذا أخذ الناسُ مضاجعهم أمرَ رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه ، حتى يرى ذلك من أراد مَكْراً به واغتياله ، فإذا نَوَّمَ الناس أمرَ أحداً مِنْ بنيه ، إو إخوته ، أو بنى عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمرَ رسول الله ﷺ أن يأتى بعض فرشهم فينام عليه [٢] .

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى هـ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٣ « المسلمون الجهد » .

(٢) دلائل النبوة ٢ : ٨١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٣ ، ٤٤ ، وشرح المواهب ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

وفيها – ويقال : فى السنة التى بعدها – خرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ بَرْك الغِماد [١] لقيه ابن الدُّغِنة [٢] – وهو سيد القَارَة [٣] – فقال : أين

---

(١) برك الغماد : بباء موحدة مفتوحة — وتكسر — فراء فكاف . الغماد : بغين معجمة مكسورة — وقد تضم — فميم فألف فدال : موضع على خمس ليال من مكة مما يلى البحر . (سبل الهدى ٢ : ٥٤١) والبرك حجارة مثل حجارة الحرة خشنة وعرة يصعب المسلك عليها . (معجم البلدان لياقوت) وفى شرح المواهب ١ : ٢٨٨ « قال الحازمى : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن ، وقال البكرى : هى أقاصى هجر . وقال الهمدانى : فى أقصى اليمن . قال الحافظ : والأول أولى — إنتهى . وعورض هذا بما رواه ابن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة : استأذن أبو بكر رسول الله فى الهجرة فأذن له فخرج أبو بكر مهاجرا حتى إذا سار يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة — الحديث – وسنده حسن أو صحيح ، وبين برك الغماد وبين يوم أو يومين تباين كثير . وجمع بأنها لم تعن المكان المخصوص بل مكانا بعيد ؛ فإنها تقال فيما تباعد كسعفات هجر ، وحوض الثعلب ، أو أرادت حتى بلغ أقصى المعمور من مكة ؛ فإن برك الغماد فسرت بذلك » .

(٢) الدغنة : بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون كما نسبه الحافظ للرواة ، وقال ، قال الأصيلى : قرأه لنا المروزى بفتح الغين والصواب الكسر . وبضم الدال والغين وتشديد النون عن أهل اللغة ، وبه رواه أبوذر فى الصحيح ؛ ولذا قال النووى روى بهما فى الصحيح ، وفى الفتح ثبت بالتخفيف والتشديد من طريق . وهى أمه وقيل أم أبيه وقيل دايته . وقيل لاسترخاء كان فى لسانه ، ومعنى الدغنة المسترخية ، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر . واختلف فى اسمه فعند البلاذرى من طريق الواقدى عن معمر عن الزهرى أنه الحارث بن يزيد ، وحكى السهيلى أنه مالك ، وقول الكرمانى سماه ابن إسحاق ربيعة بن ربيع وهم ؛ فالذى ذكره ابن إسحاق شخص غير هذا سلمى ، وهذا من القارة . (شرح المواهب ١ : ٢٨٨) .

(٣) القارة : قبيلة مشهورة من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانوا حلفاء بنى زهرة من قريش ، ويضرب بهم المثل فى قوة الرمى ، قال الشاعر :

* قد أنصف القارة من راماها *

(المرجع السابق)

تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أَخْرَجَنِى قَوْمِى ، فأريدُ أن أسِيحَ فى الأرض ، وأعبدَ ربى . قال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج ؛ إنك لتُكْسِبُ المعدوم ، وتَصِلُ الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتقرى الضيف ، وتُعِين على نوائب الحقّ ؛ أنا لك جارٌ ، ارجع وٱعْبد ربك ببلدِك . فرجع وارتحل معه ابن الدُّغنة ، فطاف ابن الدُّغنة عَشيَّتَه فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخْرُج مثله ولا يُخْرَج ، أتُخْرِجون رجلا يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكلّ ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟! فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وأنفذوه وأمَّنُوا أبا بكر ، وقالوا لابن الدُّغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه فى داره ، فليصلِّ بها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يَسْتَعْلِن بصلاته ، ولا يقرأ فى غير داره .

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره ، وبرز فكان يُصَلى فيه ويقرأ القرآن ؛ فيتقصف [1] عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يتعجَّبون منه وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ؛ فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم ، فقالوا له : إنا كُنَا أَجَرْنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربّه فى داره ، وإنه قد جاوز ذلك فابتني مسجدا بفناء داره ، وأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خَشِينَا أن يَفْتِنَ نساءنا وأبناءنا بهذا فٱنْهَه ، فإن أحبّ أن يقتصر على أن يعبد ربّه فى داره فَعَلَ ، وإن أبى إلا أن يَفْعَلَ / ذلك فاسأله أن يَرُدّ عليك ذِمَّتَك ؛ فإنا كَرِهْنا أن نُخْفِر ذمتك ، ولسنا مُقِرِّين لأبى بكر بالاستعلان .

---

(١) تقصف القوم على الشيء : اجتمعوا وازدحموا عليه . (المعجم الوسيط ، وشرح المواهب ١ : ٢٨٩)

فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمت الذى عاقدتُ عليه لك ، فإمَّا أن تقتصر على ذلك ، وإما أن تُرْجِعَ إلىَّ ذِمَّتى ؛ فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخْفِرْت فى رجل عقدتُ له . فقال أبو بكر : فإنى أَرُدُّ إليك جوارَك ، وأرضىْ بجوار الله ورسوله [١]

٥ وفيها ولد عبد ا لله بن جَعْفَر [٢] بالحبشة ، وأبو أمامة صُدَىّ ابن عجلان [٣] ، وسلمة بن الأكوع [٤] .

* * *

« السنة السابعة والأربعون من مولد النبى ﷺ »

فيها قدم أبو الجيش [٥] أنس بن رافع ، ومعه فتية من بنى عبد

١٠ الأشهل – فيهم إياس بن معاذ – يلتمسون الحِلْف من قريش على

---

(١) وانظر مع المرجع السابق دلائل النبوة ٢ : ٢٠٥ ــ ٢٠٧ . والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٦٥ ، ٦٦ ، والرياض النضرة ١ : ٨١ ، ٨٢ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣١٩ .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو محمد ، وأبو جعفر ، مات سنة ٨٠ هـ على المشهور . (الإصابة ٢ : ٢٨٩ ، ٢٩٠)

١٥ (٣) وهو صدى ــ بالتصغير ــ ابن عجلان بن الحارث ــ ويقال ابن وهب ، ويقال ابن عمرو بن وهب ــ ابن مالك بن عصر الباهلى ، أبو أمامة مات سنة ٨٦ هـ على الخلاف . (الإصابة ٢ : ١٨٢)

(٤) وهو سلمة بن عمرو بن الأكوع ، واسم الأكوع سنان بن عبد الله ، وقيل اسم أبيه وهب ، وقيل غير ذلك ، مات بالمدينة سنة ٧٤ هـ على الصحيح . (الإصابة

٢٠ ٢ : ٦٦ ، ٦٧)

(٥) كذا فى ت ، والإصابة ١ : ١٣٢ . وفى هـ « أبو الخير » . وفى م « أبو الحيسر » وتوافق مافى سيرة النبى لابن هشام بشرح الروض ٢ : ١٧٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥ ، والإصابة ١ : ٩٠ فى ترجمة إياس بن معاذ .

قومهم من الخزرج ، فسمع بهم رسولُ الله ﷺ ، فأتاهم فجلس إليهم فقالَ لهم : هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا : ك ؟ قال : أنا رسول الله ، بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن وه ولا يشركوا به شيئا ، وأنزل علىّ كتابا ، ثم ذَكَرَ لهم الإسلامَ وتلا عليهم القرآن ، فقال إياس بن معاذ – وكان غلاما حدثا – : أى قَوْمُ ، هذا والله خيرٌ مما جئتم له . فأخذ أبو الجيش حِفْنَةً من البطحاء فضَرَبَ بها وَجْهَ إياس وانتهره ، وقال : دَعْنَا منك . فلعمرى لقد جئنا لغير هذا . فسكتَ ، وقامَ رسولُ الله ﷺ عنهم ، وانصرف القوم إلى المدينة ولم يتم لهم حِلْف ، فمات إياس مسلما فيما يقال .

* * *

« السنة الثامنة والأربعون من مولد النبى ﷺ »

فيها – ويقال : فى التى بعدها ، وقيل : فى التى بعد بعدها – نُقِض حكم الصحيفة التى كتبتها قريش فى قطيعة الهاشميّين والمُطَّلِبيِّين ، وسبب ذلك على قولين : –

أحدهما : أن الله تعالى أطلع نَبِيّه على أمرِ صحيفتهم ، وأن الأرضة قد لحست ما فيها من القطيعة والظلم والجور والغدر ، ولم تدع إلا اسم الله فقط ، فذكر الرسولُ ﷺ ذلك لعمه أبى طالب ، فقال : أحقٌّ ما تخبرنى به يا ابن أخى ؟ قال : نعم والله . فذكر أبو طالب ذلك لإخوته وقال : والله ما كذبنى قطّ . فقالوا : ما ترى ؟ قال : أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم ، وتخرجوا إلى قريش فتَذْكُرُوا ذلك لهم مِنْ قَبْلِ أن يبلغهم الخبر . فخرجوا حتى دخلوا المسجد ، ثم أتوا

الحِجْرَ فجلسوا فيه ، فقالت قريش : أخرجهم الجوعُ . فجاءوا إليهم فقال أبو طالب : إنَّا قد جئنا / لأمرٍ ، فأجيبوا فيه . فقالوا : مَرْحَباً بكم وأهلا . قال : إن ابن أخى قد أخبرنى – ولم يكذبنى قط – أن الله قد سَلَّط على صحيفتكم الأرضةَ فلحست [1] كل ما كان فيها من جَوْرٍ أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقى فيها كلُّ ما ذُكِرَ الله به ، فإن كان ابن أخى صادقا نَزَعْتُم عن سوءِ رأيكم ، – ووالله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا – وإن كان كاذبا دفعته إليكم فقتلتموه [2] ، أو استحييتموه إن شئتم . فقالوا : وأبيك لقد أنصفتنا وقد رَضِينَا . فأرسلوا إلى الصحيفة . فلما فتحوها إذا هى كما قال رسول الله ﷺ ، فكَبَّرَ المسلمون ، وانبعث وجوه المشركين ، وسُقِطَ فى أيديهم ، ثم نكسوا على رءوسهم ، وقالوا : والله إن كان هذا إلا سحر من صاحبكم . فقال أبو طالب : قد تبيّن لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة ، وأولى بالكَذِب والسّحر . فلم يراجعه أحدٌ منهم وانصرفوا ، ورجع أبو طالب وقومه إلى الشِّعْب .

ويقال : إنه تلاوم رجالٌ من بنى عبد مناف ، ومن بنى قصى ، ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم ، واستَخَفُّوا بالحق ؛ واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر ، والبراءة منه . وبعث الله تبارك

(١) فى الأصول « فنسخت » . والمثبت عن طبقات ابن سعد ١ : ٢١ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٩٨ .

(٢) فى الأصول « فتقتلوه » . والمثبت عن المرجعين السابقين .

وتعالى على صحيفتهم التى المكر فيها برسول الله ﷺ الأرضةَ فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق – ويقال : كانت معلقة فى سقف البيت – فلم تترك اسما لله إلا لحسته ، وبقى ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم . وأطْلَعَ اللهُ تبارك وتعالى رسولَه ﷺ على الذى صنع بصحيفتهم ، فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لأبى طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبنى ، فانطلق يمشى بعصابته من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد – وهو حافل من قريش – فلما رأوهم [١] عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك عليهم ، وظنوا أنهم خرجوا من شِدَّةِ البلاء ، فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ .

فتكلم أبو طالب فى ذلك فقال : قد حدَثَت أمور بينكم لم نذكرها ، فأتوا بصحيفتكم التى عاهدتم عليها ، فلعلّه أن يكون بيننا وبينكم صلح – وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها – فأتوا بصحيفتهم – معجبين بها ، لا يشكون أن الرسول مدفوع إليهم – فوضعوها بينهم وقالوا : قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومَكم ؛ فإنما قطع بيننا وبينكم رجلٌ واحد ؛ جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم .

١٥١ فقال أبو طالب : إنما جئتكم لأعطيكم / أمرا لكم فيه نَصَف : إن ابن أخى قد أخبرنى – ولم يَكْذِبْنِى قط – أن الله عز وجل بَرِئٌ من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ، ومحا كَلّ اسم هو له فيها ، وترَكَ فيها غَدْرَكُم وقطيعتكم إيّانا ، وتظاهركم علينا بالظلم ؛ فإن

(١) فى الأصول « رآهم » . والتصويب عن السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٥ .

كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فأفيقوا ، فوالله لا نُسْلِمه أبدا حتى نموت مِنْ عند آخرنا ، وإن كان الذى قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم . قالوا : قد رضينا بالذى تقول .

ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أُخْبِرَ خبرها ، فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا : والله إن كان هذا قط إلا سحرا من صاحبكم . فارتَكَسوا وعادوا لشرٍّ [١] ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول الله ﷺ والمسلمين ، وعلى رهطه ، والقيامِ بما تعاهدوا عليه . فقال أولئك النَّفَرُ من بنى عبد المطلب : إنّ أوْلَى بالكذب والسحر غيرُنا ، فكيف ترون ، وإنّا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجِبْتِ والسحر من أمْرِنا ؟! ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم ؛ طَمَسَ الله ما كان له فيها من اسم ، وما كان فيها من بَغْيٍ تركه ، أفنحن السحرة أم أنتم ؟!

فقال — عند ذلك — النفر من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجال من قريش ولدتهم نساء بنى هاشم ، منهم أبو البَخْتَرِىّ ، والمُطْعِمُ بن عَدِىّ ، وزُهَيْر بن أبى أميّة بن ا لمُغيرة ، وزَمْعَة بن الأسود ، وهشام بن عمرو — وكانت الصحيفة عنده ، وهو من بنى عامر بن لؤى — فى رجال من أشرافهم ووجوههم : نحن براءٌ مما فى هذه الصحيفة . فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قد قُضِى بليل [٢] .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٦ « بشر » .

(٢) انظر مع المرجع السابق سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

وأنشأ أبو طالب يقول : —

ألا أبلغا عنى علَى ذاتِ بيْننا
لؤيًّا وخُصًّا من لؤىٍّ بنى كعب
ألم تعلموا أنَّا وَجَدْنَا محمدا
نبيًّا كموسى خُطَّ فى أوّل الكُتْب ٥
وأن عليه فى العباد محبةً
ولا خير ممن خصّه الله بالحب
وأن الذى لَفَّقْتُمُ [١] من كتابكم
لكم كائن نَحْساً [٢] كراغية السّقب
فلا تَتْبَعُوا أمر الوشاه وتقطعوا ١٠
أوَاصِرنا بعد المودة والقُرْب
فلسنا ورب البيت نُسْلِم أحمدا
لعَزَّاء مِن عضٍّ الزمان ولا كَرْب
ولما تبن منا ومنكم سوالفٌ
وأيد أُنِزَّت [٣] بالقُسَاسِيّة الشهب ١٥

---

(١) كذا فى هـ . وفى ت ، م « لصقتم » وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٣٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٩ ، والديوان ص ٢٠ « ألصقتم » .

(٢) فى الأصول « يخشى » . والمثبت عن المراجع السابقة . وفى الروض الأنف ٢ : ١١١ « وقوله راغية السقب يريد ولد ناقة صالح التى عقرها قدار ، فرغا ولدها فصاح برغائه كل شيء له صوت فهلكت ثمود عند ذلك ، فضربت العرب ذلك مثلا فى كل هلكة . ٢٠

(٣) كذا فى الأصول ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٥٠ ، والديوان ص ٢٢ . والمعنى قطعت . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٣٦ « أثرت » . وفى الروض الأنف ٢ : ١١١ « وقوله بالقساسية الشهب يعنى السيوف ، نسبها إلى قساس ، وهو معدن حديد لبنى أسد ، وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن ... وقال أبو عبيد فى القساسية : لا أدرى إلى أى شيء نسب ، والذى ذكرناه قاله المبرد . ٢٥

بمُعْتَركٍ ضنك (١) ترى كِسَر القنا
به والنسورَ الطُّخْم (٢) يَعْكِفْن كالشَّرْب / ١٥٢
أليس أبونا هاشم شدّ أزره
وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

٥ الثانى : أن هشام بن عمرو بن الحارث مشى إلى زُهَيْر بن أبى أمية بن المغيرة فقال : يا زهير ، أرَضِيتَ أن تأكُلَ الطعام وتلْبَسَ الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمتَ لا يَبْتَاعُون ولا يُبَاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟! أما إنى أحلف بالله لو كان أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوت (٣) إلى مثل ما دعاك إليه ١٠ منهم ما أجابك إليه أبدا . قال : ويحك يا هشام ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، ولو كان معى آخر لقُمْتُ فى نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدتَ رجلا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : أبغنا ثالثا . فذهب إلى المُطْعِم بن عَدِىّ فقال : يا مُطْعِم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من عبد مناف وأنت موافق لقريش ؟ قال : ويحك ماذا ١٥ أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد . قال : قد وجدت ثانيا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : أبغنا ثالثا . قال : قد وجدت . قال : من هو ؟

---

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٣٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٥٠ والديوان ص ٢٣ « ضيق » .

(٢) وفى الروض الأنف ٢ : ١١١ « النسور الطخمة : قيل هى السود الرءوس ، ٢٠ قاله صاحب العين ، وقال أيضا : الطخمة سواد فى مقدم الأنف » .

(٣) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٥٢ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ١٩٨ « دعوته » .

قال : زُهَيْر . قال : أبغنا رابعا . فذهب إلى أبى البَخْتَرِىّ بن هشام فقال له نحوًا مما قال للمُطّعِم بن عدى . قال : فهل من أحد يمضى على هذا ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زُهَيْر والمُطْعِم وأنا معك . قال : أبغنا خامسا . فذهب إلى زَمْعَة بن الأسود فكلّمه ، وذكر له قرابتهم ، فقال : وهل عَلَى ذلك مُعِينٌ ؟ قال : نعم ؛ فسَمَّى له القومَ ، فاتَّعَدُوا خطمَ [١] الحجون ليلا بأعلى مكة ، واجتمعوا هنالك ، فتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، فقال زهير : أنا أبدؤكم فى الصحيفة .

فلما أصبحوا غَدَوْا على أنديتهم – وكانت قريش قد جاورت الكعبة ، وكان شق الباب لبنى عبد مناف وزُهْرَة ، وكان ما بين الركن اليمانى والأسود لبنى مَخْزُوم وتَيْم وقبائل من قريش ضمّوا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم ، وكان شِقّ الحِجْر ؛ وهو الحطيم لبنى عبد الدار ولبنى أسَد بن عبد العُزّى وبنى كعب – فَغَدَا زُهَير فطافَ بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ، إنّا نأكل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ؛ وبنو هاشم هَلْكَى لا يُبَاعون ولا يُبْتاع منهم . والله لا أقعد حتى تُشَقّ هذه الصحيفة الظالمة . فقال أبو جهل : كذبت والله لا تُشَقّ . فقال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ؛ ما رضينا كتابتها حين كُتِبَت . فقال أبو البَخْتَرِىّ : صدَق زمعة ؛ لا نرضى ما كُتِبَ فيها ، ولا نُقِرّبه ، فقال المُطْعِم : صَدَقْتُمَا ، وكذَبَ من قال غير ذلك ؛ نَبْرَأُ إلى الله

(١) فى الأصول « حطيم » . والتصويب عن سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٥٢ .

منها ومما كُتِبَ فيها . وقال / هشام بن عمرو نَحْوًا من ذلك . فقال ١٥٣
عدوُّ الله أبو جهل : هذا أمرٌ قُضِىَ بِلَيْل ، وتُشُووِرَ به بغير هذا
المكان . فقام المُطْعِم بن عَدِى إلى الصحيفة فشَقَّها ، فوجدَ الأرضة
قد أكلتها إلاّ ما كان من « باسمك اللهم » .

٥ وأسلم يومئذ جمع كثير من الرجال والنساء ، فلبس الرجال
الذين تلاوموا السِّلاَحَ ، ودخلوا على بنى هاشم الشِّعْب فأمروهم
بالخروج إلى مساكنهم [(١)] ؛ وقالوا : اخرجوا بنى أَبِينَا وأُمِّنا ، فوالله
لا يوصل إليكم أبدا حتى نموت . فعادوا إلى منازلهم .

وفيها فرح كُفّارُ قريش – وشقّ على المسلمين – ما اتفق بين
١٠ فارس والروم ، وغلب فارس للروم ؛ لأنّ فارس لم يكن لهم كتاب ،
وكانوا يجحدون البعث ، ويعبدون الأصنام ، وكان الرّوم أصحاب
كتاب . فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ : إنكم أهل
كتاب والنصارى أهل كتاب ، ونحن [وفارس] [(٢)] أميُّون ، وقد ظهر
إخواننا من فارس على إخوانكم من الروم ؛ فإن قاتلتمونا لنظهَرَنّ
١٥ عليكم .

ويقال ، قال المشركون للمسلمين : الروم أهلُ كتاب وقد غلبهم
الفرسُ وأنتم تزعمون أنكم ستَغْلِبُون بالكتاب الذى أُنْزِل عَلَى نبيّكم ،
فسنغلبكم كما غَلَبَ فارسُ الرومَ . فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ الٓمٓ ۞

(١) كذا فى م ، هـ . وفى ت « منازلهم » .
٢٠ (٢) الإضافة عن تاريخ الخميس ١ : ٢٩٨ .

غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ [(١)] ﴾ فلما نَزَلَت هذه الآية [(٢)] صدّق المسلمون ربَّهم ، وعرفوا أن الروم ستظهر على أهل فارس ، فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين فقالوا : هذا كلامُ صاحبك . فقال : اللّٰه أنزلَ هذا . فقالوا لأبى بكر : نراهنك على أن الروم لا تَغْلِبُ فارس . فقال أبو بكر : البِضْعُ ما بين الثلاث إلى السبع . فقالوا : الوسط من ذلك ستّ . فوضعوا الرهان – وكان عشر قلائص إلى عشر قلائص – فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم ، فلاموه وقالوا : هَلاَّ أَقْرَرْتَها كما أقرّها الله ؟ لو شاء أن يقول شيئا لقال . فخرج أبو بكر وقال : أزيدُكم فى الخَطَر وأمُدّكم فى الأجل إلى تسع سنين . فقهرهم أبو بكر وأخذَ رِهَانَهم ، وظهرت الرومُ على فارس بعد تَسْعِ سنين ووافق التقاؤهم يوم بدر [(٣)] .

وفيها – أوفى التى بعدها – قدم ضِمَادُ الأزدى – من أَزْد شَنُوءة – مَكّةَ معتمرا . قال ضماد : فجلستُ مَجْلِسًا فيه أبو جهل

---

(١) سورة الروم الآيات ١ : ٤ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ٢ : ٩٣ « فلما نزلت هؤلاء الآيات » . وفى الخصائص الكبرى ١ : ٣٥٥ « فلما نزلت هاتان الآيتان » .

(٣) وفى دلائل النبوة ٢ : ٩٣ ، ٩٤ « فأظهر الله الروم على فارس عند رأس السبع من قمارهم الأول ، فكان ذلك مرجعهم من الحديبية » ونقل عنه السيوطى فى الخصائص الكبرى ١ : ٣٥٦ . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٩٢ « وإن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر أو كان يوم الحديبية والله أعلم » . وانظر فى الاختلاف حول تاريخ التقاء الفرس بالروم وانتصار الروم عليهم تفسير ابن كثير ٦ : ٣٠٤ ــ ٣١٢ . وانظر القصة بأطول مما هنا فى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٦٠ ــ ٥٦٢ .

وعُتْبَة بن ربيعة وأُمَيّة بن خلف ، فقال أبو جهل : هذا الرجل الذى فرّق جماعتنا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلّل من مات منا ، وعابَ آلهتنا . فقال أُمَيّة : الرجل مجنون غير شك . قال ضماد : فوَقَعَتْ فى نفسى كلمتُه وقلت : إنى أعالج من الرِّيح . فقمتُ من ذلك المجلس أطلبُ رسولَ الله ﷺ ، فلم أصادفه ذلك اليوم ، حتى كان الغد فجئته ٥
فأجده / جالسا خَلْف المقام يصلى ، فجلستُ حتى فَرَغ من ١٥٤
صلاته ، ثم جلستُ إليه فقلتُ : يا ابن عبد المطلب . فأقبل عَلَىَّ فقال : ما تشاء ؟ فقلت : إنى أعالج من الرِّيح ، فإن أحْبَبْتَ عَالَجْتُك ولا يكثرن ما بك ؛ فقد عالجتُ من كان به أشدّ مما بك فبرأ ، وسمعتُ قَوْمَك يذكرون فيك خِصَالا سَيِّئة ؛ من تسفِيه ١٠
أحلامهم ، وتفريق جماعتهم ، وتضليل من مات منهم ، وعَيْب آلهتهم . فقلت : ما فعل هذا إلا رجلٌ به جِنَّةٌ . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله ، أحمده واستعينه ، وأومن به وأتوكّل عليه ، مَن يهدِ الله فلا مُضِلّ له ، ومن يُضْلِل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد . قال ١٥
ضماد : فسمعت كلاما لم أسمع كلاما قط أحسن منه ، فاستَعَدْتُه الكلامَ ، فأعاده علىَّ ثلاث مَرّات ، فقلت : إلى ما تدعو ؟ قال : إلى أن تؤمن بالله وحدَه لا شريك له وتَخْلَع الأوثان من رَقَبَتِك ، وتشهدَ أنى رسول الله . قال : فماذا لى إن فعلتُ ؟ قال : لك الجنة . قلت : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأخلع ٢٠
الأوثان من رقبتى ، وأبرأ منها ، وأشهد أنك عبد الله ورسوله . فأقمتُ مع رسول الله ﷺ حتى عُلِّمْتُ سورا كثيرة من القرآن ، ثم رجعت إلى قومى .

ويقال إن ضِمّادًا كان يَرْقِى من الريح ، فسمع سُفَهاء من سفهاء أهل مكة يقولون : إن محمدا مجنون . فقال : لو أنى رأيتُ هذا الرجل لعلّ الله أن يشفيه على يدَىّ . فلَقِيَهُ فقال : يا محمد ، إنى أَرْقِى من هذه الرِّيح ، وإن الله يشفى على يدىّ من شاء ، فهل لك ... ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الحمْدَ لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شُرُور أنفسنا وسَيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلّ له ، ومن يضلل فلا هادىَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد . فقال : أعِدْ عَلَىَّ كلماتِك هؤلاء . فأعادهن عليه رسولُ الله ﷺ ثلاث مَرّات ، فقال : والله لقد سمعتُ قولَ الكهنة ، وقول السَّحَرَة ، وقول الشعراء ؛ فما سمعت مثل كلماتِك هؤلاء ، والله لقد بلغن قاموس [(١)] البحر ، فهات يَدَك أُبَايِعْك على الإسلام ، فبايعه رسول الله ﷺ وقال له : وعَلَى قومِكَ ؟ فقال : وعلى قومى [(٢)] .

* * *

---

(١) قاموس البحر : أبعد موضع فيه غورا . (هامش السير النبوية لابن كثير ١ : ٤٥٣)

(٢) دلائل النبوة ٢ : ١٠ ، ١١ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٠٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٤٥٣ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٣٤ .

« السنة التاسعة والأربعون من مولد النبى ﷺ » / ١٥٥

فيها – أوفى التى بعدها – وُلِدَ عبدُ الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما (١) .

* * *

« السنة الخمسون من مولد النبى ﷺ » ٥

فيها فى رمضان – ويقال : فى النصف من شوال ، وقيل أوّل ذى القعدة ، بعد أن تم للنبى ﷺ تسعٌ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد وعشرون يوما ، أو ثمانية أيام – مات عَمُّه أبو طالب وهو ابن بضع وثمانين سنة . ولَمَّا مَرِض أرسل إلى النبى ﷺ وقال : ادع رَبَّك ١٠ أن يشفينى ، فإنّ ربك يُطِيعُك ، وابْعَث إلى بقطاف من قطاف الجنة . فأرسل إليه النبيُّ ﷺ : يا عَمُّ ، وأنتَ إنْ أطعتَ أطاعَك .

وكان أبو طالب مَرِضَ قبل ذلك فعادَهُ النبيُّ ﷺ (٢ فقال : ابن أخى ادْعُ ربّك الذى بَعَثَك أن يعافينى . فقال : اللهم اشفِ عَمِّى . فقام أبو طالب كأنما نَشِطَ من عِقَال ٢) . فقال يا ابن ١٥ أخى : إن ربّك الذى تعبد لَيُطِيعُك . قال : وأنت يا عَمّاه لئن أطعت الله ليطيعَنَّك .

---

(١) وقد توفى رضى الله عنه بالطائف فى سنة ٦٨ هـ على أرجح الأقوال . (الإصابة ٢ : ٣٣٠ ــ ٣٣٤)

(٢) سقط فى ت ، هـ . والمثبت من م والخصائص الكبرى ١ : ٣٣٠ ، وفيه ٢٠ « تفرد به الهيثم وهو ضعيف » .

ولما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءهُ رسول الله ﷺ ، فوجد عنده عبد الله بن أبى أمَيّة ، وأبا جهل بن هشام ، فقال رسول الله ﷺ : يا عم ، قل لا إله إلا الله وحده أشهد لك بها عند الله – أو قل لا إله إلا الله أُحَاجُّ لك بها عند الله – فقال له أبو جهل – لعنه الله – وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب ، أتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبد المطلب ؟! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول : يا عمّ ، قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله . ويقولان : يا أبا طالب أتَرْغَبُ عن ملة عبد المطلب ؟! حتى قال آخر كلمة تكلّم بها « على ملة عبد المطلب » فقال رسول الله ﷺ : لأستغفرَنّ لك ما لم أُنْهَ عنك . فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ [١] ﴾

ويقال : إن أبا طالب قال للنبى ﷺ : يا ابن أخى ، واللهِ لَوْلاَ أرْهَبُ أن تقولَ قريشٌ وهرنى [٢] الجزعُ فيكون سُبَّة عليك وعلى بنى أبيك لَفَعَلتُ الذى تقول ، وأقْرَرْتُ عينَيْكَ بها ؛ لما أرى من شكرك ووَجْدِك بى ، ونصيحتِك لى . ثم إن أبا طالب دعا بنى عبد

(١) سورة التوبة الآيتان ١١٣ ، ١١٤ . وانظر دلائل النبوة ٢ : ٩٨ ، ٩٩ ، والاكتفا ١ : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٢٦ ، ١٢٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٦٥ .

(٢) وهرنى : أى أضعفنى . (هامش الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٠٧) وأوقعنى فيما لا مخرج منه فبقيت متحيرا . (المعجم الوسيط) .

المطلب فقال : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره ، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا . فقال رسول الله ﷺ : لم تأمرهم بها وتدعها لنفسك ؟ فقال أبو طالب : أما إنك لو سألتنى الكلمة وأنا صحيح لتابعتك [١] على الذى تقول ، ولكنى أكره أن أَجْزَع عند الموت فترى ٥ قريش أنى أخذتها جَزَعا ورَدَدْتها فى صحتى . / ١٥٦

ويقال : لما حضرت أبا طالب الوفاة أتاه النبىُّ ﷺ فقال : يا عماه ، قل لا إله إلا الله أُشْهَد لك بها يوم القيامة . فقال : لولا أن تعيرنى قريش ؛ يقولون إنما حمله عليها الجَزَع ، لأَقْرَرْتُ بها عَيْنَك . فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ [٢] ﴾

١٠ ويقال : لما مرض أبو طالب جاءت قريش ، وجاء النبى ﷺ — وعند رأس أبى طالب مَجْلِسُ رَجُلٍ — فقام أبو جهل كى يمنعه ذاك ، وشَكَوْه إلى أبى طالب . فقال : يا ابن أخى ، ما تريد من قومك ؟ قال : يا عمّ إنما أريد منهم كلمة تَذِلّ لهم [٣] بها العرب ، وتؤدى إليهم الجزيةَ العجمُ ؛ كلمة واحدة . قال : ما هى ؟ قال : لا ١٥ إله إلا الله . فقالوا : أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب !! ونزل فيهم ﴿ صٓ وَٱلْقُرْآنِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ ٱخْتِلاَقٌ [٤] ﴾

(١) كذا فى ت ، هـ . وفى م والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٠٨ « لبايعتك » .

(٢) سورة القصص آية ٥٦ . وانظر دلائل النبوة ٢ : ١٠٠ ، والوفا بأحوال ٢٠ المصطفى ١ : ٢٠٧ ، وشرح المواهب ١ : ٢٩١ .

(٣) كذا فى م ، ودلائل النبوة ٢ : ١٠٠ . وفى ت ، هـ « إليهم » .

(٤) سورة ص الآيات ١ — ٧ .

ويقال : إن النبى ﷺ لما أتى أبا طالب فى مرضه قال له : أى عمّ ، قل لا إله إلا الله استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة . فقال : يا ابن أخى ، لولا أن تكون سُبّة عليك وعلى أهل بيتك من بعدك (١) ؛ يرون أنى قُلْتها جَزَعا حين نزل بى الموتُ . لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها . فلما ثقل أبو طالب رُئِىَ يحرّك شفتيه ، فأصغى إليه العباسُ ليستمع قوله ، فرفع العباس عنه فقال : يا رَسُولَ الله . قدْ واللهِ قال الكلمة التى سألته . فقال النبى ﷺ : لم أسمع . ولم يكن العباس يومئذ أسْلَم ، وحين أسْلَم سأَل النبى ﷺ عن حال أبى طالب فقال ، ما فى الحديث الصحيح : يا رسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشىء ؛ فإنه كان يحوطك ويَغْضَبُ لك ؟ قال : نعم ، هو فى ضَحْضَاحٍ من النار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار (٢) .

وذُكِرَ أبو طالب عند النبى ﷺ فقال : لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيُجْعَل فى ضحضاح من النار ، يبلغ كعبيه يغلى منهما دماغه (٣) .

وقال النبى ﷺ : أهونُ أهلِ النار عذابا أبو طالب ، منتعل بنَعْلَين يغلى منهما دماغه (٤) .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٨٤ ، ودلائل النبوة ٢ : ١٠١ « من بعدى » .

(٢) وانظر مع المرجعين السابقين الاكتفا ١ : ٣٩٣ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٢٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

(٣) دلائل النبوة ٢ : ١٠١ ، ١٠٢ ، والاكتفا ١ : ٣٩٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٢٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٦٥ .

(٤) دلائل النبوة ٢ : ١٠٢ ، والاكتفا ١ : ٣٩٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٢٨ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٤ .

ولما مات أبو طالب جاء ابنه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إلى النبى ﷺ فقال : إن عَمَّك الشيخَ الضالّ قد مات . فبكى رسول الله ﷺ . فقال : اذهَبْ فاغسِلْهُ وكَفِّنه وَوَارِهِ – غفر الله له ورحمه . فقال على : إنه مات مشركا . فقال النبى ﷺ : اذهب فوارِ
٥ أباكَ ولا / تُحْدِثَنّ شيئا حتى تأتينى . قال على : فأَتَيْتُه فقلت له ، ١٥٧ فأمرنى فاغتسلت ، ثم دعا لى بدعوات ما يسرنى أن لى بهن حُمُر النعم وسودها – ويقال : قال على : ثم دعا لى بدعوات ما يسرنى أن لى بهن ما عَلَى الأرضِ من شيء [١] .

ويقال : إن النبى ﷺ عَادَ مِن جنازة عمّه أبى طالب وقال :
١٠ وصلت [٢] رحمك وجزاك الله خيرا يا عم .

ويقال : إن النبى ﷺ لم يقم على قبره . وقال رسول الله ﷺ : لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك . فاستغفر له رسولُ الله ﷺ أيَّاما ، ولا يخرج من بيته حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى
١٥ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ [٣] ﴾

(١) دلائل النبوة ٢ : ١٠٣ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٢٩ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ٢ : ١٠٣ ، والوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٢٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٢٩ « وصلتك رحم » .

٢٠ (٣) سورة التوبة آية ١١٣ . وانظر الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٢٦ .

ولما مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيهٌ من سفهاء قريش فألقى عليه ترابا ، فرجعَ النبيُّ ﷺ فأتت امرأة من بناته تمسحُ الترابَ عن وجهه وتبكى ، فجعل يقول : أى بنيتى لا تبكى ؛ فإن الله مانعٌ أباك . ويقول بين ذلك : مانالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب (١) .

ثم بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام – وقيل : بخمسة أيام ، وقيل : بخمسة وثلاثين يوما ، وقيل : بخمسة وخمسين يوما – ماتت خديجة بنت خويلد لعشر خلون من شهر رمضان (٢) .

وقال لها النبى ﷺ – وهى فى مرضها الذى ماتت فيه – : يا لكره ما أرى منك يا خديجة ، وقد يَجْعَل الله لى فى الكُرْهِ خيرا كثيرا ، أما علمتِ أنّ الله قد زوّجنى معك فى الجنة مَرْيَمَ ابنة عمران ، وكلثومَ أخت موسى ، وآسِيَةَ امرأة فرعون ؟ قالت : وقد فعل الله ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم . قالت : بالرفاء والبنين . ودفنت بالحجون ، ونزل النبى ﷺ فى حفرتها ، ولم يكن يومئذ سُنّةُ الجنازةِ الصلاة عليها (٣) .

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٢٢٩ ، دلائل النبوة ٢ : ١٠٤ ، والاكتفا ١ : ٣٩٠ ، ٣٩١ ، وعيون الأثر ١ : ١٣٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٧٢ .

(٢) وانظر فى ذلك السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٣٢ ، والإمتاع ١ : ٢٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٧١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٨ : ١٨ ، والروض الأنف ٢ : ١٧٢ ، وشرح المواهب ١ : ٢٩٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠١ مع اختلاف يسير .

واجتمع على النبى ﷺ بموت أبى طالب وخديجة مصيبتان ، وسمّاه عام الحزن ؛ لأن أبا طالب كان يحميه عند خروجه من بيته ممن يؤذيه ، وخديجة كانت تُصَدِّقه إذا آوى إلى منزله ، وتُسَلِّيه عن كل ما يجرى عليه ، وتقول : أنت رسولُ اللهِ حَقًّا .

٥ فتناولت النبىَّ ﷺ قريشٌ ، واجترأت عليه ، ونالت منه ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، ووصلوا منه إلى ما لم يكونوا يصلون إليه فى حياة / أبى طالب وخديجة ، فلزِمَ بيتَه وأبى الخروجَ . فبلغ ذلك أبا ١٥٨ لهب فجاءه فقال : يا محمد ، امضِ لِمَا أردتَ ، وما كنتَ صانعا إذ كان أبو طالب حَيًّا فَاصْنَعْه ، لا واللات والعُزَّى لا يوصل إليك ١٠ حتى أموت [1] .

وسبّ ابنُ الغَيْطَلَة النبىَّ ﷺ فأقبلَ عليه أبو لهب فنال منه ، فولّى يصيح : يا معشر قريش صبأ أبو عُتْبَة . فأقبلت قريش حتى وقفت على أبى لهب [وقالوا له : أفارقت دينِ عبد المطلب ؟] [2] فقال : ما فارقت دينَ عبد المطلب ؛ ولكن أَمْنَعُ ابن أخى أن يُضَام ١٥ حتى يمضى لما يريد . فقالوا : قد أحسنت وأجملت ووصلتَ الرحِمَ .

فمكث رسول الله ﷺ كذلك أياما يذهب ويأتى لا يعترض له أحدٌ من قريش ، وهابوا أبا لهب ؛ فجاء عُتْبَةُ بن أبى مُعَيْط ، وأبو جهل إلى أبى لهب فقالا له : أخبرَكَ ابنُ أخيك أين مدخلُ أبيك ؟ فقال أبو لهب : يا محمد أين مدخلُ أبى ؟ فقال : مع قومه . فخرج

---

٢٠ (١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢١٠ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٧٢ .

(٢) سقط فى الأصول ، والمثبت عن السيرة الحلبية ٢ : ٥٠ ، وشرح المواهب ١ : ٢٩٨

إليهما أبو لهب فقال : قد سألته فقال : مع قومه . فقالا : يزعم أنه فى النار . فقال : يا محمد أيدخل عبدُ المطلب النارَ ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، ومَن مات على مثل ما مات عليه عبدُ المطلب دَخَلَ النار . فقال أبو لهب : والله لا بَرِحْتُ لكَ عَدُوًّا أبدا ، وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار . واشتد عليه هو وسائِرُ قريش (١) .

فأرسَل الله تعالى إلى نَبِيّه ﷺ جبريل عليه السلام فقال : إن الله قد سَمِعَ قولَ قومِك وما رَدُّوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم . ثم ناداه ملكُ الجبال فسلّم عليه ، ثم قال : يا محمد ، إنّ الله قد سمع قول قومك ، وأنا مَلَكُ الجبال ، قد بعثنى إليك ربى لتأمرنى بما شئت ؛ إن شئتَ نُطْبِقُ عليهم الأَخْشَبَيْن (٢) . فقال النبى ﷺ : بل أرجو لهم أن يخرج من أشرارهم – أو قال من أصلابهم – مَنْ يَعْبُدُ اللهَ ولا يشرك به شيئا (٣) .

وفيها فى رمضان – بعد موت خديجة بأيام – تزوّج النبى ﷺ عائشة بنتَ أبى بكر الصديق ، ثم سَوْدَة بنت زَمْعَة . ويقال إنه تزوج أوّلا سَوْدَة ثم بعدها بشهر عائشة .

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢١٠ ، ٢١١ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٧٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠٢ .

(٢) الأخشبان قيل هما جبلان يضافان تارة إلى مكة وهما أبو قبيس وقعيقعان أو الجبل الأحمر الذى يقابل أباقبيس المشرف على قعيقعان . وتارة يضافان إلى منى وهما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى تحت المسجد . (شرح المواهب ١ : ٢٩٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٥٧) وانظر معالم مكة للبلادى ٢٠

(٣) وفى السيرة الحلبية ٢ : ٥٦ ــ ٥٨ « أن هذا الخبر بعد عرض النبى ﷺ نفسه على ثقيف بالطائف ، وأنهم هم المقصودون فى الخبر بقومه » .

قالت خَوْلَة بنت حكيم بن الأوقص السلمية ، امرأة عثمان بن مَظْعُون : قلتُ : يا رسول الله ، إنى أَرَاك قد دخلتك خَلَّة لفقد خديجة . فقال : أجل ؛ أمّ العيال ، وربّة البيت . قلت : ألا أخطب عليك ؟ قال : بلى ؛ أما إنَّكُن معشرَ النساء أرْفَقُ بذلك . ثم قالت ،
٥ قلت : إن شئتَ بِكرًا وإن شئت ثَيِّبًا . قال : فمَنِ البكرُ ؟ قلت : ابنة أحبّ الخلقِ إليك عائشة ابنة / أبى بكر . قال : ومَنِ الثَّيِّب ؟ ١٥٩ قلت : سَوْدَةُ بنت زَمْعَة [(١)] ؛ قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول . قال : فاذهبى فاذكريهما علىَّ .

فدَخلت بيت أبى بكر فقالت : يا أم رومان ، ماذا أدخلَ الله
١٠ عليكم من الخير والبركة !! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة . قالت : انتظرى أبا بكر حتى يأتى . فجاء أبو بكر فقالت : يا أبا بكر ، ما أدخل الله عليك من الخير والبركة !! قال : وما ذاك ؟ قالت : أرسلنى رسولُ الله ﷺ أخْطُبُ عليه عائشة . قال : وهل تصلح له ؛ إنما هى ابنة أخيه . فرجعتُ إلى
١٥ رسول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له ، فقال : ارجعى إليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام ، وابنتك تصلح لى . فرجعتُ فذكرتُ ذلك له ، قال : انتظرى ، وخرج . قالت أم رومان : إن مُطْعِمَ بن عَدِىّ قد كان ذكرها على ابنه ، فوالله ما وعد وعدا قطّ فأخلفه —

(١) هى سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن
٢٠ حسل بن عامر بن لؤى . توفيت بالمدينة فى شوال سنة ٥٤ فى خلافة معاوية . (وانظر طبقات ابن سعد ٨ : ٥٢ — ٥٧)

يعنى أبا بكر – فدخل أبو بكر على مُطْعِم بن عَدِىّ – وعنده امرأته أمّ الفتى – فقال : ما تقول فى أمر هذه الجارية ؟ فأقبل على امرأته فقال لها : ما تقولين يا هذه ؟ فأقبلت على أبى بكر فقالت : يا ابن أبى قحافة لعلّكَ تصبىء صاحبنا وتدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك . فأقبل عليه أبو بكر فقال : ماذا تقول أنت ؟ فقال : إنما نقول ماتسمع . فخرج من عنده وقد أذهبَ اللّٰه ما كان فى نفسه من عِدَتِهِ التى وَعَدَه ، فرجع فقال لخولة : ادعى لى رسولَ اللّٰه ﷺ – فدَعَوْتُه ، فزوّجها إيّاه على اثنتى عشرة أوقية ونش – وقيل على أربعمائة درهم – وعائشة يومئذ بنت ست سنين [١] .

ثم خرجتُ فدخلتُ على سَوْدَة بنت زَمْعَة فقلت : ما أدخل اللّٰه عليك من الخير والبركة !! قالت : وما ذاك ؟ قلت : أرسلنى رسول اللّٰه ﷺ أخطبك عليه . قالت : وَدِدْت أُدخلِى على أبى فاذكرى ذلك له – وكان شيخا كبيرا قد أدركته السن ، وتخلّف عن الموسم . فدخلتُ عليه فحيَّيْتُه بتحيّة أهلِ الجاهلية فقلت : أنعم صباحا . فقال : من أنتِ ؟ قلت : خَوْلَةُ بنتُ حكيم . فرحّب بها ، وقال : ما شاء اللّٰه أن يقول ، ثم قال : فما شأنُكِ ؟ قالت : أرسلنى محمد بن عبد اللّٰه بن عبد المطلب أخطب عليه سَوْدَة . فقال : كفء كريم ، فماذا تقول صاحِبَتُكِ ؟ قالت : تحب ذلك . قال : ادعيها لى . فدعوتها فقال : أى بُنَيَة ، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد

(١) دلائل النبوة ٢ : ١٥٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٤٢ ، ١٤٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠٥ .

الله بن عبد المطلب أرسل / يخطبك وهو كفء كريم ، أتحبين أن ١٦٠ أُزَوِّجَكِيه ؟ قالت : نعم . قال : ادعيه لى . فجاء رسول الله ﷺ فزوَّجها إيّاه ، وأصدقها أربعمائة درهم . فجاء أخوها عبد الله بن زَمْعَة مِنَ الحجّ فجعل يُحْثِى الترابَ على رأسه . فقال بعد ما أسلم : ٥ لعمرك إنى لسفيه يوم أُحْثِى فى رأسى التراب أَنْ تَزَوَّجَ رسول الله ﷺ سَوْدَة بنتَ زَمْعَة [١] .

وفيها اشتد البلاء على رسول الله ﷺ أشد مما كان ، ففى ثالث شوال – ويقال : لِلَيَالٍ بَقَيْنَ مِن شوال – بعد ثلاثة أشهر من موت أبى طالب وخديجة خرج النبىُّ ﷺ – ومعه زيد بن حارثة – ١٠ إلى الطائف ، فعمد إلى ثقيف رجاء أن يؤووه ، فوجد ثلاثة نفرٍ هُمْ سادةُ ثقيف يومئذ وأشرافهم ، وهم إخوة : عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بنو عمرو بن عمير [٢] بن عوف ، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلّمهم لِمَا جاءهم له من نُصْرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه . فقال له أحدهم : هو يَمْرُط [٣] أستار الكعبة ١٥ إن كان الله بعثك بشئ قط . وقال الآخر : أما وجدَ اللهُ أحدا يرسله غيرك ؟ – أو قال : أعجز الله أن يرسل غيرك – وقال الثالث : والله

---

(١) دلائل النبوة ٢ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٤٢ ، ١٤٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٢ ، ٤٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٢) فى الأصول « ابن عبيد » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٨٥ ، ٢٠ والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢١٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٤٩ ، والاكتفا ١ : ٣٩٥ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٥٢ .

(٣) يمرط : ينتفها ويقطعها ، وقيل يسرقها . (السيرة الحلبية ٢ : ٥٢)

لا أكلمك كلمة بعد مجلسك هذا أبدا ؛ والله لئن كنت رسولا من الله – كما تقول – لأنت أعظم شرفا وحَقًّا وخطرا من أن أَرُدَّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله لأنت أشَرُّ من أن أكلمك . وتَهَزَّءُوا به . فقام رسول الله ﷺ وهو يَئِس من خير ثقيف ، وفشا كلام الأخوة الثلاثة – فى قومهم – الذى راجعوا النبىّ ﷺ به . ٥

وأقامَ النبىّ ﷺ بالطائف شهرا – وقيل عشرة أيام – يدعوهم إلى الإسلام ، لا يدع أحدا من أشرافهم إلا جاءه وكلَّمه ؛ فلم يستجيبوا له ، ولم يجد منهم خيرا ، وخافوا على أحداثهم فقالوا : يا محمد ، أخرج من بلدنا والْحَق بمحالك [(١)] من الأرض ، وأغروا به سفهاءهم ؛ فقاموا له صَفَّيْنِ على طريقه ، فلما مَرّ رسول الله ﷺ ١٠ بين صفيهم جعلوا يَسُبُّونه ويرمونه بالحجارة حتى أدموا كَعْبَيْه – وزيد يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ فى رأسه شجاجا – ويقال : إنهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رِجْلَيْه ، واجتمع عليه الناس فخلص منهم ورجلاه تسيلان بالدماء .

والْجَئُوه إلى حائط [(٢)] لعُتْبَة بن ربيعة ، وشَيْبَة بن ربيعة ، وهما ١٥ ١٦١ فيه / ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حَبَلَة من عنب فجلس إليه ، وهو مكروب مُوجَع تسيل رجلاه دما ،

(١) كذا فى م ، هـ . ولكن هـ أعجمت الجيم . وفى ت « بحالك » وفى طبقات ابن سعد ١ : ٢١٢ « بمجابك » . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢١٢ ، وشرح المواهب ١ : ٢٩٧ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠٢ « بمحابك » وفى السيرة الحلبية ٢ : ٥٢ « بمنجاتك » . ٢٠

(٢) الحائط : هو البستان . (السيرة الحلبية ٢ : ٥٣)

وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويَرِقّان لما لقى من سفهاء ثقيف ، فلما رآهما كَرِهَ مكانهما ؛ لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله .

فلما اطمأن قال : اللهم إليك أشكو ضعفَ قُوّتى ، وقِلَّة حيلتى ، وهَوَانى على الناس . يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تَكِلُنِى ، إلى بعيد يَتَجَّهمنى ، أم إلى عدو ملَّكْتَه أمرى [١] ؟ إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبُك ، أو يحلّ علىّ سخطُك ؛ لك العُتْبَى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رأى عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة ما لَقِىَ تحرّك له رحمهما ، فدعيا لهما غلاما نصرانيا من أهل نينوى يقال له عَدَّاس فقالا له : خد قِطْفاً من هذا العنب ، وضعه فى ذلك الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له : يأكل منه . ففعل ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسولِ الله ﷺ ، فلما وضعَ رسولُ الله ﷺ يَدَه قال : بسم الله ، ثم أكل . فنظر عَدَّاس إلى وجهه ثم قال : واللهِ إن هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلدة . فقال له رسول الله ﷺ : ومن أى البلاد أنتَ ؟ وما دِينُك ؟ قال : أنا نصرانىٌّ ، وأنا رجل من أهل نينوى . فقال له رسول الله ﷺ : من قَرْيةِ الرجلِ الصالح يُونُس بن مَتَّى ؟ قال له عدّاس : وما يدريك ما يُونُس بن متّى ؟ قال : ذاك أخى كان

---

(١) وفى شرح المواهب ١ : ٣٠٤ « والاستفهام للاستعطاف » .

نَبيًّا وأنا نَبِىٌّ – ويقال ، فقال له النبى ﷺ – وكان لا يَحْقِرُ أحدًا أن يبلغه رسالةَ ربّه –: أنا رسول الله ، والله أخبرنى خبر يُونُس بن متّى . فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يُونُس بن متّى أكبَّ عَدَّاس على رسول الله ﷺ فقبَّل رأسه ويديه ورجليه – وهما يسيلان الدماء .

قال ، يقولُ ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفْسَدَه عليك . فلما جاءهما قالا له : وَيْلَك يا عدَّاس ، مالك تقبِّلُ رأسَ هذا الرجل ويدَيْه وقدمَيْه ، ولم نَرَكَ فعلتَه بأحدٍ منا ؟! فقال : يا سيدى ، ما فى الأرض خيرٌ من هذا ؛ لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلا نبى – ويقال : فقال عداس : هذا رجل صالح ؛ أخبرنى بشىء عرفتُهُ من شأن رسولٍ بعثه الله إلينا يُدْعَى / يُونُس بن مَتّى . فضحكا به وقالا له : لا يفتنك عن نصرانيتك ؛ فإنه رجلٌ خَدَّاع .

ثم رجع النبىّ ﷺ إلى مكة وهو حزين ، فلما كان بنَخْلة – وهى على مرحلة من مكّة – قام يُصَلِّى من الليل ، فصرف الله سبعة من جِنّ نصيبين فاستمعوا له وهو يتلو سورة الجن ، ولم يشعر بهم حتى نزل عليه ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ (١) ﴾ فآمنوا به .

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٩ . وانظر سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٨٤ — ٢٨٧ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٢١٠ — ٢١٢ ، ودلائل النبوة ٢ : ١٥٩ — ١٦١ ، والاكتفا ١ : ٣٩٣ — ٣٩٩ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢١١ — ٢١٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٤٩ — ١٥٣ ، وشرح المواهب ١ : ٢٩٦ — ٣٦٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٥٢ — ٦١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠٢ — ٣٠٥ .

وأقام رسول الله ﷺ بنَخْلَة أيَّاما ، فقال له زيد : كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك ؟ – يعنى قريشا – فقال ﷺ : يا زيدُ إنّ الله جاعلٌ لما ترى فَرَجاً ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه [1] .

فلما انتهى النبىّ ﷺ إلى حِرَاء أرسلَ رجُلا من خُزَاعة [2] إلى الأَخْنَسِ بن شُرَيق فقال له : هل أنتَ مُجِيرِى حتى أُبَلِّغ رسالة ربى ؟ فقال الأَخْنَس : إن الحليف لا يُجِيرُ على الصريح . فأتى النبىّ ﷺ فأخبره قال : تَعُود ؟ قال : نعم . قال : فَأْتِ سُهَيْلِ بن عمرو فقل له إن محمدا يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أُبلِّغَ رسالاتِ ربى ؟ فقال له ذلك ، فقال : إن بنى عامر بن لؤى لا يجيرون على بنى كعب بن لؤى . فرجعَ إلى النبى ﷺ فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم . قال : فأت المُطْعِمَ بن عدى فقل له : إن محمدا يقول لك : هل أنت مجيرى حتى أبلغ رسالات ربى ؟ قال : نعم فَلْيَدْخل . فرجع إليه وأخبره .

ودعا المُطْعِمُ بَنِيه وقومَه وقال : البسوا السلاح ، وكونوا عند أركان البيت ؛ فإنى قد أَجَرْتُ محمدا . فدخل ﷺ ومعه زيد بن حارثة لثلاثٍ وعشرين ليلة خلت من ذى القعدة حتى دخل المسجد ، وانتهى إلى الركن فاستلمه ، فقام المُطْعِمُ بن عَدِى على راحلته فقال : يا معشر قريش ، إنى قد أَجَرْتُ محمدا فلا يهيجه [3]

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٢١٢ ، وشرح المواهب ١ : ٣٠٦ .

(٢) واسمه عبد الله بن أريقط كما فى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٨٠ ، وشرح المواهب ١ : ٣٠٦ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى طبقات ابن سعد ١ : ٢١٢ « فلايهجه » .

أحدٌ منكم . فانتهى النبى ﷺ إلى الحَجَرِ فاستلمه ، وصلّى ركعتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم بن عدى وولده يطوفون به .

ويقال : إن المطعم لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رأى أبو جهل المُطْعِمَ قال : أمجيرٌ أم مُتَابِع ؟ قال : بل مجيرٌ . قال : أجَرْنَا من أجَرْت . فدخل النبىُّ ﷺ مَكّة وأقام بها (١) .

وفيها مات بمكة – وقيل بالحبشة – السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبدوُدّ (٢) .

* * *

« السنة الحادية والخمسون من مولد النبى ﷺ »

فيها كان النبى ﷺ يعرض نفسه على القبائل والناسِ بالموقف ، فيقول / : هل من رجل يحملنى إلى قومه ؛ فإن قريشا قد منعونى أن أُبَلِّغ كلامَ ربى ؟ فأتاه رجل من هَمْدَان فقال : أنا . فقال : وهل فى قومك منعة ؟ وسأل من أين هو ، فقال : من

(١) وانظر مع المرجع السابق ، الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٥٣ ، ١٥٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، وشرح المواهب ١ : ٣٦١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦١ — ٦٣ .

(٢) وكان زوج أم المؤمنين سودة ، فلما مات خلفه عليها رسول الله ﷺ بعد موت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها . (الاستيعاب ٢ : ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، والإصابة ٢ : ٥٩)

هَمْدَان . ثم إن الرجل الهمدانى خشى أن يخفره قومه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : أجيئهم فأخبرهم ، ثم ألقاك فى عامٍ قابل ؟ قال : نعم . فانطلق (١) .

وفيها – لما أراد الله إظهار دينه ، وإعزاز نبيِّه ، وإنجاز موعده له – خرج رسولُ الله ﷺ فى الموسم ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم ، فبينما هو عند العَقَبَة (٢) لقِىَ رهطا من الخزرج ستة – ويقال ثمانية – وهم على قول من قال إنهم ثمانية : أسعد بن زُرَارَة ، ومُعَاذ بن عَفْرَاء ، ومن بنى زُرَيق ذَكْوَان ورافع بن مالك بن العَجْلان ، ومن بنى تميم عُبَادَة بن الصامت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة – من حليف بنى عوف – بن عمرو ، ومن بنى عبد الأشهل أبو الهَيْثَم بن التَّيِّهَان – حليف لهم من بَلِىّ ، ومن عمرو بن عوف عُوَيْم بن ساعِدَة .

وعلى قول من قال إنهم ستة : فمن بنى النجار أبو أُمَامَة أسعد ابن زُرَارَة ، وعوف بن الحارث بن عَفْراء ، ومن بنى زُرَيق رافع بن مالك بن العَجْلان ، ومن بنى سلمة قُطْبَة بن عامر بن حَدِيدة ، ومن بنى حَرَام بن كَعْب عُقْبَةُ بن عامر بن نابى ، ومن عُبَيْد بن عدى بن

---

(١) دلائل النبوة ٢ : ١٥٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٧١ ، ١٧٢ ، وشرح المواهب ١ : ٣٠٩ .

(٢) فى شرح المواهب ١ : ٣١٠ « أى عقبة الجمرة كما جزم به غير واحد ، واستظهره البرهان تبعا للمحب الطبرى ؛ إذ ليس ثم عقبة أظهر منها ، ويجوز أن المراد بها المكان المرتفع عن يسار قاصد منى ، ويعرف عند أهل مكة بمسجد البيعة ، وعليه فالمعنى فى مكان قريب من العقبة » .

سلمة جابرُ بن عبد الله بن رِئَاب (١) . وهم يحلقون رءوسهم - ويقال : قد رَمُوا الجمرةَ ثم انصرفوا عنها - فاعترضهم رسول الله ﷺ وقال : مِمَّن أنتم ؟ قالوا : نَفَرٌ من الخَزْرَج . قال : أمِن مَوَالِى يَهُود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أُكَلِّمْكُم ؟ قالوا : بلى . فجَلَسُوا معه ، فأخبرهم خبَرَه الذى اصطفاه الله به من كرامته ونُبُوَّته ، ودعاهُم إلى الله ، وعَرَض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعِلْم ، وكانت الأوس والخزرج أهلَ شِرْك وأصحاب أوثان ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالت اليهود : إن نبيًّا مبعوث(٢) الآن ، قد أظَلّ زمانُه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم (٣) .

فلما كَلّم رسولُ الله ﷺ أولئك النَّفَر ودعاهم إلى الله أيْقَنُوا به ، واطمأنت قلوبهم إلى ما سمعوا منه ، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهلِ الكتاب من صِفَتِه ، فقال بعضهم لبعض : يا قوم ، اعلموا والله أن هذا النبىّ الذى تتوعّدكم به / يهود . فأسْرَعوا الإجابة لله ، وآمنوا

(١) كذا فى الأصول ، وعيون الأثر ١ : ١٥٦ . وفى شرح المواهب ١ : ٣١١ « رياب ـــ بكسر الراء فتحتيه خفيفة » .

(٢) كذا فى الأصول ، وتاريخ الإسلام ٢ : ١٩٣ . وفى عيون الأثر ١ : ١٥٦ « إن نبيا مبعوثا » .

(٣) المراد نستأصلكم بالقتل . (شرح المواهب ١ : ٣١٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٥٩)

بنبيِّه وصدَّقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام واتَّبَعُوه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : تمنعون ظهرى حتى أُبَلِّغ رسالة ربى . فقالوا : يا رسول الله ، أما قد علمت الذى بين الأوس والخزرج من الاختلاف ، وسفك الدماء ، ونحن حُرَّاص على ما أرشدكَ الله به ، مجتهدون لك بالنصيحة وإنا نشير عليك برأينا : فَاْمْكُث على اسم الله حتى نرجع إلى قومنا فنذكر لهم شأنك ، وندعوهم إلى الله ورسوله ؛ فلَعَلَّ الله يصلح ذات بينهم ، ويجمع لهم أمرهم [١] ، فإنَّا اليوم متباغضون متباعدون ، فإنك إن تقدم علينا ولن نصطلح [٢] لا يكون لنا جماعة [٣] عليك ، ولكنّا نُوَاعِدُك الموسمَ من العام القابل . فرضىَ بذلك رسولُ الله ﷺ .

ويقال ، قالوا : يا رسول الله إنّا قد تَركْنَا قومنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ ما بينهم ، وعسى الله أن يجمعهم بك ، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، عسى أن يجمعهم الله عليك ، فلا رجل أعز منك .

وقيل ، قالوا : يا رسول الله إنما كانت بُعَاث [٤] عام الأول ؛

(١) فى الأصول « أمره » . والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ١٧١ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ١٩٧ .

(٢) فى ت ، هـ « نصلح » . والمثبت عن م ، ودلائل النبوة ٢ : ١٧١ .

(٣) فى ت ، هـ « حماية » والمثبت عن م والمرجع السابق .

(٤) بعاث : مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بنى قريظة ، ويقال إنه حصن للأوس ، كان به القتال بين الأوس والخزرج قبل قدومه ﷺ المدينة بخمس سنين . (السيرة الحلبية ٢ : ١٥٩ ، ١٦٠) وانظر شرح المواهب ١ : ٣١٢ فى شأن وقعة بعاث .

يوم من أيامنا اقتتلنا به ، فإن تقدم علينا ونحن كذا لا يكون لنا عليك اجتماع ، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا ، وموعدك الموسم العام القابل . فرجعوا إلى قومهم فدعوهم سِرًّا ، وأخبروهم برسول الله ﷺ ، والذى بعثه الله به ، وتلوا عليهم القرآن حتى قَلَّ دار من دور الأنصار إلا وقد أسلم فيها ناس ، وفشا الإسلام فيهم ، ولم تبق دار من دورهم إلا وفيها ذكر النبى ﷺ [١] .

وفيها قال على بن أبى طالب : لما أمرَ الله رسولَه أن يعرض نفسه على قبائل [٢] العرب خرج إلى مِنى — وأنا معه وأبو بكر — حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدّم أبو بكر ، ووقفت أنا مع رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكر مُقَدَّماً فى كل خير ، وكان رَجُلاً نسَّابة ، فسَلّم وقال : مِمَّن القوم ؟ فقالوا : من ربيعة . قال أبو بكر : فأى ربيعة أنتم ؟ قالوا : ذُهْل الأكبر . قال أبو بكر : من هامتها أو من لهازِمِها ؟ قالوا : من هامتها العُظْمى . فقال أبو بكر : وأى هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : من ذُهْل الأكبر . قال : فمنكم عَوْف الذى يقال له لا حر [٣] بوادى عوف ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم جَسَّاس ابن مُرّة حَامِى الذِّمَار ومانِعُ الجار ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم بسطام

(١) وانظر المراجع السابقة سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٢١٧ — ٢١٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٧٨ — ١٨٠ .

(٢) كذا فى م ، هـ . وفى ت « على القبائل من العرب » .

(٣) فى الأصول « خير » ، والتصويب عن دلائل النبوة ٢ : ١٦٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٦٣ ، ومجمع الأمثال ٢ : ٢٣٦ ، ومستقصى الأمثال ٢ : ٢٦٢ ، والمثل يضرب للعزيز الذى يذل له الأعزاء .

ابن قيس أبو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم الحَوْفَزَانُ قاتل الملوك / وسالِبُها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم ١٦٥ المُزْدَلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أخوال الملوك من كِنْدة ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أصهار الملوك من لَخْم ؟

٥ قالوا : لا . قال : فَلَسْتُم مِنْ ذُهْل الأكبر ، أنتم ذُهْل الأصغر .

فقام : إليه غلامٌ من بنى شَيْبَان ، يقال له دَغْفَل [١] حين بَقَل عارضه [٢] فقال : —

إنّ عَلَى سائِلنا أنْ نَسْأَلَه والعبءُ لا نعرفه أو نحمله[٣]

يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ، فمن

١٠ الرجل ؟ فقال أبو بكر : من قريش . فقال الفتى : بخ بخ ، أهل الشرف والرئاسة ، فمن أى قريش أنت ؟ قال : من ولد تَيْمِ بن مُرّة . فقال الفتى : أَمْكَنْتَ والله الرامىَ من سَوَاء الثُّغْرَة [٤] ، فمنكم قُصَىّ الذى جمع القبائل من فِهْر ، وكان يُدْعَى مُجَمِّعا ؟ قال : لا . قال : فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لَقْومِهِ ، فقيل فيه : —

١٥ عمْرُو العُلاَ هَشَمَ الثَّرِيدَ لقومه ورجالُ مكة مُسْنِتُون عِجَاف

---

(١) هو دغفل بن حنظلة الذهلى النسابة . (الاكتفا ١ : ٤٠٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٦٤)

(٢) بقل عارضه : أى نبت شعر وجهه . (المعجم الوسيط)

(٣) دلائل النبوة ٢ : ١٦٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٦٤ مع اختلاف فى

٢٠ بعض الألفاظ .

(٤) فى الأصول « النقرة » والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ١٦٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٦٤ ، ولسان العرب — ث غ ر — وفيه وهى نقرة النحر فوق الصدر .

قال : لا . قال : فمنكم شَيْبَةُ الحمد عبد المطلب ، مُطْعِمُ طيرِ السماء ، الذى كأن وجهَهُ القمرُ يضئ فى الليلة حية الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمن أهل النَّدْوَة أنت ؟ قال : لا ال : أفمن أهل الحِجَايَة أنت ؟ قال : لا . قال : أفمن ن الرِّفَادَة أنت ؟ قال : لا . قال : فأنت إذًا من زمعات قريش .

واجتذب أبو بكر زِمَام الناقة راجعا إلى رسول الله ﷺ ، فقال الغلام : -

صادف دَرْءُ السَّيْلِ دَرْءًا يدفعه   يَهِيِّضه حينا وحينا يَصْدَعه (١)

أما والله لو ثَبَتَّ لأخبرتك مَن قريش . فتبسّم رسول الله ﷺ . قال على فقلت : يا أبا بكر لقد وَقَعْتَ من الأعرابى على باقعة (٢) . قال : أجل يا أبا الحسن (٣) ، ما من طامّة إلاّ وفوقها طامّة ، والبلاء مُوَكَّل بالمنطق .

ثم دفعنا إلى مجلس عليهم السكينة والوقار ، فتقدّم أبو بكر فسلّم وقال : ممن القوم ؟ فقالوا من شَيْبَان بن ثعلبة . فالتفت

---

(١) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ٢ : ١٦٥

صادف در السيل درا يدفعه   يهضبه حينا وحينا يصدعه

وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٦٥ :

صادف درَّ السيل درٌّ يدفعه   يهيضه حينا وحينا يرفعه

(٢) فى الأصول « نافعة » . والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ١٦٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٦٥ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٥٥ . والباقعة : الرجل الداهية .

(٣) يلاحظ أن عليا رضى الله عنه لم يكن قد تزوج بفاطمة وأنجب حسنا حتى يكنى به ويخاطبه أبو بكر بكنيته .

أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبى أنت وأمى هؤلاء غُرَرُ الناس ، وفيهم (١) مَفْرُوق بن عمرو ، وهانِىء بن قَبِيصَة ، والمُثَنَّى ابن حارثة ، والنّعمان بن شَرِيك . وكان مَفْرُوق قد غلبهم كَالاً (٢) ولِسَانا ، وكانت له غديرتان (٣) تسقطان على تريبتيه ، وكان أدنى القوم

٥ مجلسا [من أبى بكر رضى الله عنه] (٤) ، فقال أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال مَفْرُوق : إنا لنزيد على ألف / ، ولن تُغْلَب الألفُ ١٦٦ من قِلّة . قال أبو بكر : فكيف المَنَعَة فيكم ؟ فقال مَفْرُوق : علينا الجُهْد ولكل قوم جَدّ . فقال أبو بكر : وكيف الحربُ بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشدّ ما يكون غضبا حين نلقاهم (٥)

١٠ وأشد ما يكون لقاء حين نَغْضَب ، وإنا لنُؤْثِر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ؛ والنصرُ من عند الله عزّ وجل ، يُدِيلُنا مَرَّة ويُدِيلُ علينا أخرى ، لعلك أخو قريش . فقال أبو بكر : وقد بلغكم أنه رسول الله ﷺ ؟ فها هو ذا . قال مفروق : قد بلغنا أنه يَذْكُر ذلك ، فإلامَ تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدّم رسول الله ﷺ فجلس ،

١٥ وقام أبو بكر يُظِلُّه ، فقال رسول الله ﷺ : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وإلى أن تؤوونى

---

(١) فى الأصول « وفهم » . والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ١٦٦ ، وعيون الأثر ١ : ١٥٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٩٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٥٦

(٢) كذا فى الأصول . وفى المراجع السابقة « جمالا » .

٢٠ (٣) كذا فى م ، والمراجع السابقة . وفى هـ « ضفيرتان » وبياض فى ت .

(٤) الإضافة عن المراجع السابقة .

(٥) كذا فى الأصول . وفى المراجع السابقة « حين نلقى » .

وتنصرونى ؟ فإن قريشا قد تظاهرت عَلَى أمرِ الله ، وكذَّبَت رسله (١) ، وامتنعت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد . فقال مفروق بن عمرو : وإلامَ تدعو أيضا يا أخا قريش ؛ فوالله ما سمعت كلاما أحسن من هذا ؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢) ﴾ قال مفروق : وإلامَ تدعو أيضا يا أخا قريش ؛ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلام أهل الأرض لفَهِمْنَاه ؟ فتلا رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ (٣) ﴾ الآية . فقال مفروق بن عمرو : دَعَوْتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أُفِكَ قومٌ كذَّبوك ، وظاهروا عليك – وكَأَنَّه (٤) أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قَبِيصَة فقال – : وهذا هانئ بن قَبِيصَة شيخنا وصاحب ديننا . فقال هانئ : قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش ، وإنى أرى تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لِمَجْلِسٍ جلسته إلينا ، ليس له أوّل ولا آخر إنه زَلَلٌ فى الرأى ، وقِلَّةُ نظرٍ فى العاقبة ، وإنما تكون الزَّلّة مع (٥) العَجَلَة ، ومِنْ وراءنا قومٌ نَكْرَهُ أن نعقد عليهم

(١) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ٢ : ٢٦٦ ، وعيون الأثر ١ : ١٥٣ . وفى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٩٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٥٦ « رسوله » .

(٢) سورة الأنعام الآيات ١٥١ ــ ١٥٣ .

(٣) سورة النحل آية ٩٠ .

(٤) فى الأصول « وكأن » . والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ١٦٧ ، وعيون الأثر ١ : ١٥٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٩٧ .

(٥) كذا فى م ، هـ ، ودلائل النبوة ٢ : ١٦٧ ، وعيون الأثر ١ : ١٥٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٩٧ . وفى ت « فى العجلة » .

عقدا ، ولكن ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر – وكأنه أحب أن يشرك المثنى بن حارثة فقال – : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثنى : قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش ، والجواب فيه جوابُ هانىء بن قَبِيصة فى ترك ديننا ومتابعتك على دينك ، وإنما نزلنا
٥ بين صَرَيَى [1] اليمامة والسِّمَامَة . فقال رسول الله ﷺ / : وما ١٦٧ هذان الصريان ؟ فقال : أنهار كسرى ومياه العرب ؛ فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول [وأما ما كان مما يلى مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول .] [2] وإنما نَزَلْنا على عهد أخذه كسرى علينا : ألا نُحْدِث حدثا ولا نؤوى
١٠ محدثا ، فإنى أرى أن هذا الأمرَ الذى تدعونا إليه يا أخا قريش مما يَكْرَهُ الملوكُ ، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا . فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم الرَّدَّ إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا مَنْ أحاطه مِن جوانبه ؛ أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم ،
١٥ أتسبحون اللهَ وتقدسونه ؟ فقال النعمان بن شريك : اللهم فَلَكَ ذلك .

---

(١) فى سبل الهدى والرشاد ٢ : ٦٠٣ « الصريين بصاد مهمله فراء مفتوحتين ، فمثناتين تحتيتين الأولى مفتوحة مشددة والثانية ساكنة ــ سهو : فما فى اللسان تخفيف الأولى وسكون الثانية ــ وفى بعض نسخ العيون صيرين تثنية صير بكسر الصاد ــ قال
٢٠ فى المصباح والتقريب : صرى الماء صرًى من باب تعب : طال مكثه وتغيره ، ويقال طال استنقاعه ، فهو صرًى وصف بالمصدر . وقال فى النهاية : الصير الماء الذى يحضره الناس ، وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء .

(٢) سقط فى الأصول ، والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ١٦٧ ، وعيون الأثر ١ : ١٥٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٢ : ٥٩٧ .

وتلا رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (١) ﴾ ثم نهض رسول الله ﷺ قائما على يدى أبي بكر وهو يقول : يا أبا بكر ، أية أخلاق فى الجاهلية ؟ ما أشرفها !! بها يَدْفَعُ الله تعالى بأسَ بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون (٢) فيما بينهم .

فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ ، وكانوا صدقا صُبُرًا ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ وقد سُرّ بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم .

* * *

« السنة الثانية والخمسون من مولد النبى ﷺ »

فيها — بعد أن أتت على النبى ﷺ إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر — أتاهُ جبريل وميكائيل — وهو قائم فى بيته ظُهْراً يوم الجمعة ، لسبعة عشر يوما خلون من شهر رمضان ، قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا — فقالا له : انطلق إلى ما كنتَ تسأل — وذلك أن النبى ﷺ كان يسأل أن يَرَى الجنةَ والنار — فذهبا به إلى ما بين زَمْزَم والمقام ، فأتى بالمعراج — وهو أحسن شئ منظرا — فعرجا به إلى السموات السبع سماء سماء (٣) .

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ٢ : ١٦٨ . وفى عيون الأثر ١ : ١٥٥ « يتجازون » .

(٣) عيون الأثر ١ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

ويقال : إن النبى ﷺ قال : بَيْنَا أنا جالس إذ جاء جبريل فوَكَزَ بين كَتِفَىّ ، فقمتُ معه إلى شجرة فيها مثل وَكْرَى الطير ، فقعد جبريل فى أحدهما وقعدتُ فى الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدّت الخافقين وأنا أقلب طرفى (١) .

٥ ويقال : إن النبى ﷺ كان فى ملأ من أصحابه ، فجاءه جبريل فنكث فى ظهره ، فذهب به إلى الشجرة (٢) .

ويقال : إن النبى ﷺ قال : فرج سقف بيتى / وأنا بمكة ، ١٦٨ فنزلَ جبريلُ ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا ، ثم أفرغها فى صدرى ثم أطبقه ، ثم ١٠ أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء (٣) .

ويقال : إن النبى ﷺ كان فى بيت أم هانىء راقدا وقد صلّى العشاء الأخيرة (٤) .

وفيها – أو فى التى بعدها – سمعت قريش قائلا يقول فى الليل على أبى قُبَيس : –

١٥ فإن يُسْلِم السعدان يصبح محمد
بمكة لا يخشى خلاف المخالف

(١) تاريخ الإسلام ٢ : ١٦١ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٩١ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ١٠٥ .
(٢) الخصائص الكبرى ١ : ٣٩١ .
٢٠ (٣) عيون الأثر ١ : ١٤٥ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٤) تاريخ الإسلام ٢ : ١٧٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٩٦ ، ٩٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٩٤ .

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السعدان ؟! سعد بن بكر ، وسعد بن تميم ، وسعد بن هذيم [١] .

فلما كانت الليلة الثانية سمعوه يقول : –

أيا سعدُ سعدَ الأوس كن أنت ناصرا
ويا سعد سعد الخزرجين الغَطَارِف

أجيبا إلى داعى الهدى وتمنيًّا
على الله فى الفردوس مُنْيَة عارف

فإن ثوابَ الله لِلطَّالِب الهدى
جِنَانٌ من الفردوس ذات رَفارِف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ ، وسعد ابن عبادة [٢] .

وفيها وافى الموسم – من الأنصار – اثنا عشر رجلا ، وقيل أحد عشر رجلا ، منهم تسعة من الخزرج وهم : أسعد بن زُرَارة ، وابنا عفراء عَوْف ومُعَاذ [٣] ابنا الحارث بن رِفاعة ، ورافع بن مالك بن العَجْلاَن ، وقُطْبَة بن عامر بن حَدِيدة ، وعُقْبَةُ بن عامر ، وذَكْوَان ابن عبد قيس بن خَلَدة بن مَخْلد بن عامر بن زُرَيق ، وعُبَادَة بن الصَّامِت ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثَعْلَبَة بن خَزَمَة بن أَصْرَم ،

(١) فى الأصول « جذيم » . والمثبت عن الروض الأنف ٢ : ١٩٩ ، والخصائص الكبرى ١ : ٤٦٤ .

(٢) تاريخ الإسلام ٢ : ١٩٢ .

(٣) فى تاريخ الإسلام ٢ : ١٩٤ « ومعوذ » .

وثلاثة من الأوس وهم : أبو الهَيْثَم مالك بن التَّيِّهان ، وعُوَيْمُ بن ساعِدَة ، والبراء بن مَعْرُور – وقيل عوض البراء عباس بن عُبَادة بن نَضَلَة – فأسلموا .

وقد كان مع النبى ﷺ حينئذ أبو بكر وعلى . فبايعوه عند العقبة على الإسلام – وهى البيعة الأولى – كبيعة النساء على ألا يشركوا بالله شيئا ، ولا يَسْرِقوا ، ولا يَزْنُوا ، ولا يَقْتُلوا أولادهم ، ولا يَأْتُوا بِبُهْتَان يَفْتَرُونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يَعْصُوه فى معروف ، والسمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره – وأَسَرَّه علينا – وألا ينازعوا الأمر أهْلَه ، وأن يقولوا الحقّ أينما كان ، لا يخافون فى الله لومَة لائم . ثم قال النبى ﷺ : فإن وَفَّيْتم بذلك فلكم الجنة ، ومن غَشِيَ من ذلك شيئا كان أمْرُه إلى الله عزّ وجل ؛ إن شاء عذّبه وإن شاء عفا عنه – ولم يكن فرض القتال يومئذ – ثم انصرفوا إلى المدينة ، وبعث معهم النبى ﷺ / مُصْعَب بن عُمَير ، وعبدَ الله بن أم مَكْتُوم لِيُعَلِّمَا مَن أسلم القرآن ، ويدعوا إلى الله عزّ وجلّ [١] .

ويقال : إنهم لَمَّا انصرفوا إلى بلادهم بعثوا إلى النبى ﷺ مُعَاذ ابن عفراء ، ورافع بن مالك فقالا : إنّ الإسلام فَشَا فينا ، فَابْعث إلينا رجلا من أصحابك يُقْرِئنا القرآن ، ويفقهنا فى الإسلام ، ويقيم فينا سُنَّتَه وشرائعه ، ويؤمنا فى صلاتنا . فبعث إليهم مُصْعَب بن عُمَيْر أخا عبد الدار بن قُصَىّ [٢] .

* * *

(١) السيرة الحلبية ٢ : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) المرجع السابق .

ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . ففتح لنا ، وقالوا : مرحبا به ولنعم المجئ جاء . فأتيت على ابنى الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام ، فسلمت عليهما ، فقالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . (١ ففتح لنا ١) ، وقالوا : مرحبا به ولنعم المجئ جاء ، فأتيت على يوسف صلوات الله عليه . فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : أخوك يوسف . فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحبا به ولنعم المجئ جاء . فأتيت على إدريس صلوات الله عليه . فقلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك إدريس . فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .

---

(١) سقط فى ت ، هـ .

قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحبا به ولنعم المجئ جاء . فأتيت على هارون صلوات الله عليه ، فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أخوك هارون ، فسلمت عليه فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

٥ ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحبا به ولنعم المجئ جاء . فأتيت على موسى فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسى . فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى / الصالح . ١٧١

١٠ فلما جاوزته بكى ، فنودى : ما يبكيك ؟ قال : يا رب ، هذا غلام بعثته بعدى ، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى .

ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة ، فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا : مرحبا به ولنعم المجئ جاء .

١٥ فأتيت على إبراهيم فقلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم رفع لنا البيت المعمور فقلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك حتى إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم .

٢٠ ثم رفعت لنا سدرة المنتهى ، فحدث نبى الله ﷺ : أن ورقها

مثل آذان الفيلة (١) ، وأن نبقها مثل قِلاَل هَجَر ، وأنه رأى أربعة أنهار تخرج من أصلها ؛ نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذه الأنهار يا جبريل ؟ فقال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

وأتيت بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن ، فعرضا علىّ فاخترت اللبن ، فقيل لى : أصبت ، أصاب الله بك أمتك على الفطرة . ٥

وفرضت على خمسون صلاة كل يوم — أو قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم — فجئت حتى أتيت على موسى ﷺ ، فقال لى : بم (٢) أمرت ؟ فقلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم . قال : إنى قد بَلَوْتُ الناسَ قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشدّ المعالجة ، وإن أمتك ١٠ لا يطيقون ذلك ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . فرجعت ، فَحَطَّ عنى خمس صلوات ، فمازلت اختلف بين ربى تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ ، كلما أتيت قال لى مثل مقالته ، حتى رجعت بخمس صلوات كل يوم ، فلما أتيت على موسى ﷺ قال : بم (٢) أُمِرْتَ ؟ قلت : أُمِرْتُ بخمس صلوات كل يوم . قال : إنى قد بلوت الناس ١٥ قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لا تطيق ذلك ؛ فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك . قلت : لقد رجعت إلى ربى

---

(١) فى ت ، م « الفيل » . والمثبت من هـ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢١ .

(٢) فى الأصول « بما » . والمثبت عن المرجع السابق .

حتى استحَيْتُ ، ولكن أرضى وأسلم ، فنوديت - أو نادانى مناد - : أن قد أمْضَيْتُ فريضتى ، وخفَّفْتُ عن عبادى ، وجعلت بكل حسنة عشر أمثالها [١] .

ثم عادا فى ليلتهما ، فلما أصبح النبىّ ﷺ بمكة فَظِعَ بأَمْرِهِ ، ٥ وعرف أن الناس تُكَذّبه ، فقعد معتزلا حزينا ، فمَرّ به أبو جهل فجاء حتى جلس إليه ، فقال له - كالمستهزئ - : هل كان من شئ ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم . قال : وما هو ؟ قال : إنى أسرى بى الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت / المقدس . قال : ثم أصبحت ١٧٢ بين ظهرانينا ؟! قال : نعم . فلم ير [٢] أنْ يكذِّبّه مخافة أن يجحده ١٠ الحديث إن دعا قومه إليه ، قال : أرأيت إن دعوتُ إليك قومَك أتحدثهم بما حَدَّثْتَنى به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . قال أبو جهل : يا معشر كعب بن لؤى هلموا . فانفضت إليه المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إليهما ، فقال أبو جهل : حَدِّث قومَك بما حدَّثْتَنِيه . فقال رسول الله ﷺ : إنى أُسرى بى الليلة . قالوا : إلى ١٥ أين ؟ قال : إلى بيت المقدس . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟!

---

(١) دلائل النبوة ٢ : ١٢٣ - ١٢٦ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٠ - ٢٢٢ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ١٧٢ ، ١٧٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٠٨ - ١١١ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٣ « فلم يره أنه ٢٠ مكذبه » .

فقال رسول الله ﷺ : نعم . قال : فمن بين مُصَفِّق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب - يزعم - وارتدّ نفر ممن كان أسلم ؛ قالوا : أو تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ - وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد - قال رسول الله ﷺ : فما زلت أنعت حتى التبس علىّ بعض النعت ، فكربتُ كربا شديد ما كربت مثله قط ، فرفعه الله أنظر إليه ، ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به - ويقال فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عَقِيل - أو عقال - فنَعَتُّه وأنا أنظر إليه . فقال قوم : أما النعت فوالله لقد أصاب [1] .

وأخبرهم النبى ﷺ بالعِير ، وأنها تقدم نهار الأربعاء . فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب ، فدعا الله فحبسها حتى قَدِمَت العير كما وصف النبى ﷺ ، ولم تحتبس لأحد قبله سوى يوشع بن نون وداود عليهما السلام [2] .

وقيل : لما كذَّبَت قريش النبىّ ﷺ حين أُسرى به إلى بيت المقدس قامَ صلّى الله ﷺ فى الحِجْر ، فجلّى الله له بيت المقدس ، فطفق يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه [3] .

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ١٦٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ١٣٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٩٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ١٣٣ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٠٨ ، وسبل الهدى ٣ : ١٣٣ .

وقيل : لَمَّا أُسْرِى بالنبى ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يُحَدِّث الناس بذلك ، فارتدّ ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبى بكر فقالوا : هل لك فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء بيتَ المقدس ثم رفع [١] إلى مكة فى ليلة واحدة . فقال أبو بكر :
٥ أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : فأشهد – إن كان قال ذلك – لقد صدق . قالوا : وتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟! قال : نعم ، إنى لأُصَدِّقُه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء فى غُدْوَةٍ أو رَوْحَةٍ . فلذلك سمى أبو بكر الصديق [٢] .

١٠ ويقال : إن النبى ﷺ لما أصبح / بمكة أخبرهم بالعجائب : ١٧٣ إنى أتيتُ البارحة بيتَ المقدس ، وعرج بى إلى السماء ، ورأيت كذا . فقال أبو جهل : ألاَ تعجبون مما يقول محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة بيتَ المقدس وأصبح فينا ، وأحَدُنا يَطْرُدُ مطيَّتَه مُدْبِرَة شهرا ومقبلة شهرا ، فهذا سير شهرين فى ليلة واحدة . فأخبرهم بعيرٍ
١٥ لِقُرَيش : لما كان فى مصعدى رأيتها فى (٣ مكان كذا وكذا ، وأنها نفرت ، فلما رجعت رأيتها ٣) عند العقبة . وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا ، ومتاعه كذا وكذا ، فقال أبو جهل : تخبرنا بأشياء !! فقال

---

(١) كذا فى الأصول . ولعلها رجع .

(٢) تاريخ الإسلام ٢ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، وتاريخ الخلفا ٢٩ . وسبل الهدى والرشاد
٢٠ ٣ : ١٣٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣١٥ . مع اختلاف يسير .

(٣) سقط فى ت ، هـ . والمثبت عن م ودلائل النبوة ٢ : ١٤١ .

رجلٌ من المشركين : أنا أعلم الناس ببيت المقدس ؛ فأُخْبِرْ كيفَ بناؤه وكيف هيئته ، وكيف قربه من الجبل ؟ فإن يك محمد صادقا فسأخبركم ، وإن يك كاذبا فسأخبركم . فجاءه ذلك المشرك فقال : يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس ، فأخبرنى كيف بناؤه ، وكيف هيئته ، وكيف قربه من الجبل ؟ فرفع لرسول الله بيتُ المقدس فنظر إليه كنظرِ أَحَدِنا إلى بيته [فقال :] [١] بناؤه كذا وكذا ، وهيئته كذا وكذا ، وقُرْبُه من الجبل كذا وكذا . فقال الآخر : صدقتَ . فرجع إلى أصحابه فقال : صدَقَ محمد فيما قال ، أو نحو هذا من الكلام [٢] .

ولما أخبر ﷺ قومه بالرفقة والعلامة فى العير قالوا : فمتى تجىء ؟ قال : يوم الأربعاء . فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولَّى النهارُ ولم تجىء ، فدعا النبىُّ ﷺ فزيد له فى النهار ساعة ، وحبست عليه الشمس ، ولم تُرَدّ الشمس على أحد إلا على النبى ﷺ يومئذ ، وعلى يوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمسُ خافَ أن تغيب قبل أن يَفْرغ منهم ويدخل السبتُ فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى فردّ عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم [٣] .

وقد قال مغلطاى فى السيرة النبوية المسماة بالإشارة : اختلف

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .
(٢) وانظر مع المرجع السابق تاريخ الإسلام ٢ : ١٨١ .
(٣) دلائل النبوة ٢ : ١٤٩ .

العلماء فى تاريخ المعراج والإسراء ، وهل كانا فى ليلة واحدة أم لا ، وهل كان المعراج قبل الإسراء ، وهل كانا أو أحدهما يقظة أو مناما ، وهل كانا المعراج مَرَّة أو مَرَّات - والله أعلم .

والصحيح أن الإسراء كان فى اليقظة بجسده ، وأنه مرات ٥ متعددة ، وأنه رأى ربه عزّ وجل بعينى رأسه ﷺ [١] . انتهى .

وفيها رجع من المدينة إلى مكة مُصْعَبُ بن عُمَيْر قبل بيعة العقبة الثانية [٢] .

وفيها لما حضر الحجّ مشى أصحابُ رسول الله ﷺ الذين أسلموا بالمدينة بعضُهم إلى بعض ، وتواعدوا المسيرَ إلى الحجّ ، ولقاءَ / ١٧٤ ١٠ رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم لبعض : حتّى متى نَتْرُك النبى ﷺ يُطْرَدُ فى جبال مكة ويُخَاف ، والإسلام فاش يومئذ بالمدينة ؟! فخرجوا وهم سبعون رجلا - يزيدون رجلا أو رجلين - وامرأتان - وقيل : ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ، وقيل : خمسة وسبعون نفسا - وهم أهل العقبة الآخرة فى خَمَرِ [٣] قومهم ، وكانوا خمسمائة ، حتى

١٥ (١) تاريخ الخميس ١ : ٣٠٧ نقلا عن مغلطاى . وانظر الخلاف حول زمان الإسراء والمعراج ومكانهما وكيفيتهما ، وهل تكررا أو أحدهما ، واختلاف العلماء حول رؤية النبى ﷺ لربه تبارك وتعالى : فى سبل الهدى والرشاد ٣ : ٨٢ ـ ١١٠ ، وشرح المواهب ١ : ٣٠٦ ـ ٣٠٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧١ ـ ١٥٢ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٠٧ ـ ٣٠٩ ، وتفسير ابن كثير : سورتى الإسراء والنجم .

٢٠ (٢) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٩٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٢ .

(٣) الخمر والخمار من الناس : جماعتهم وكثرتهم ، ويقال دخل فى خمار الناس أى فيما يواريه ويستره . (المعجم الوسيط)

إذا كانوابظاهر البيداء قال البراءُ بن مَعْرُور – وهو كبير القوم وسيّدهم –:
يا هؤلاء تعلمون أنى قد رأيتُ رأيًا والله ما أدرى توافقوننى عليه أم لا ؟
فقالوا : وما هو يا أبا بشر ؟ قال : إنى قد أردت أن أُصَلِّىَ إلى هذه البَنِيَّة ولا
أجعلها منى بظهر . فقال له أصحابه : لا والله لا تفعل ، والله ما بلغنا أن
نبيَّنا يصلى[1] إلى الشام . قال : فإنى والله لمصلٍ إليها . فكان إذا حضرت ٥
الصلاة توجه إلى الكعبة ، وتوجه أصحابه إلى الشام حتى قدموا مكة .
فقال البراء لكعب بن مالك : يا ابن أخى ، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ
حتى أسأله عما صنعتُ فى سفرى هذا ؛ فلقد وجدتُ فى نفسى منه شيئا
لخلافكم إيّاى . فخرجوا يسألون عن رسول الله ﷺ فلقيهم رجلٌ
بالأبطح ، فقالا : هل تدلنا على محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ؟ ١٠
فقال : وهل تعرفانه إن رأيتماه ؟ فقالا : لا والله ما نعرفه – ولم يكونا رأيا
رسول الله ﷺ – فقال : فهل تعرفان العباسَ بن عبد المطلب ؟ فقالا :
نعم – وقد كانا يعرفانه ، كان يختلف إليهم بالتجارة – فقال : إذا دخلتما
المسجد فانظرا العباس ، فالرجل الذى معه هو . فدخلا المسجد فإذا
رسول الله ﷺ والعباس بناحية المسجد جالسين ، فسلَّما ثم جلسا . ١٥
فقال رسول الله ﷺ للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟
قال : نعم ، هذا البراءُ بن مَعْرُور سيِّد قومه ، وهذا كعب بن مالك .
قال كعب : فوالله ما أنسى قولَ رسول الله ﷺ : الشاعرُ ؟ قال : نعم .
فقال له البراء : يا رسول الله ، إنى قد كنتُ رأيتُ فى سفرى هذا رأيا ،
وقد أحببت أن أسألك عنه ؛ لتخبرنى عما صنعتُ فيه . قال : وما ذاك ؟ ٢٠

---

(١) كذا فى الأصول . وفى تاريخ الإسلام ٢ : ٢٠٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٢
« والله ما بلغنا أن نبينا ﷺ يصلى إلا إلى الشام . »

قال رأيت ألاّ أجعل هذه البَنِيَّة منى بظهر فصلَّيْتُ إليها . فقال رسول الله ﷺ : قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . فرجع إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلّى إلى الشام [(١)] .

وواعدهم / رسول الله ﷺ منىً ليلة النفر الأوسط أوْسَط ١٧٥ أيْام التشريق ، عند هُدُوِّ الرِّجل ، وألا يُنَبِّهوا نائما ، ولا ينتظروا غائبا ، وأن يوافوه فى أصلِ العقبة فى الشِّعْب الأيمن إذا انحدروا من منى أسفل العقبة – حيث المسجد اليوم – وكان مع الأنصار عبد الله ابن عمرو بن حرام أبو جابر ، وإنه لعلى شركه – وكان المسلم من الأنصار يكتم إسلامه عمّن معه من المشركين من قومه – فأخذه المسلمون فقالوا له : يا أبا جابر ، والله إنك سيِّدٌ من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا لنرغب بك أن تموت عَلَى ما أنت عليه ، فتكون لهذه النار غَدًا حَطَبا ، وإن الله قد بعث رسولا يأْمُرُ بتوحيده وعبادته ، وقد أسلم رجالٌ من قومك ، وقد واعدنا رسول الله ﷺ للبَيْعَة . فأسْلَمَ وطَهَّرَ ثيابه وحضر معهم ، وكان نقيبهم [(٢)] .

فلما كانت الليلة التى وعد الأنصار فيها رسول الله ﷺ ، ناموا أوّل الليل مع قومهم فى رحالهم ، حتى إذا مضى ثلث الليل

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٠ ، ودلائل النبوة ٢ : ١٨٣ – ١٨٥ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٩٢ – ١٩٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٢ ، ١٧٣ – وزادت هذه المراجع « وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات . وليس ذلك كما قالوا ؛ نحن أعلم به منهم . »

(٢) وانظر مع المراجع السابقة الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٤ .

واستثقل الناسُ من النوم ، خرجوا من رحالهم لميعاد رسول الله ﷺ ، يتسلَّلُون تَسَلُّلَ القطا : الرجل والرجلان والثلاثة ، حتى إذا اجتمعوا فى الشعب عند العقبة ، وهم سبعون رجلا ومعهم امرأتان من نسائهم : نُسَيْبَة بنت كَعْب أمّ عمارة [١] ، وأسماء بنت عمرو بن عَدِىّ أمُّ مَنِيع [٢] ، فاجتمعوا بالشِّعْب ينتظرون رسولَ الله ﷺ ٥ حتى جاء ومعه عمه العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه - وليس معه غيره ، إلاّ أنه أَحَبّ أن يحضر مع ابن أخيه ويَتَوَثَّق له .

ويقال : إن النبى ﷺ سبق الأنصار إلى ذلك الموقع ، ومعه عمه العباس ليس معه غيره ؛ أحب أن يحضر أمر ابن أخيه .

وقيل : كان معهما أبو بكر وعلى ، فأوقف العباسُ عَليًّا عَلَى ١٠ فَمِ الشِّعْب عينًا له ، وأوقف أبا بكر على فَمِ الطريق الآخر . فكان أوّل طالع على النبى ﷺ رافع بن مالك الزُّرَقى ، ثم توافوا ومعهم المرأتان ، فقال العباس : يا ابن أخى ، ما أدرى هؤلاء القوم الذين جاءوك ، إنى ذو معرفة بأهل يثرب !! فلما أن اجتمعوا نظر العباسُ فى وجوههم ، قال : هؤلاء قوم لا أعرفهم ، هؤلاء أحداث . فلما جلس ١٥ النبىُّ ﷺ كان أوّل من تكلم العباس بن عبد المطلب ؟ أخذ للنبى ﷺ العهدَ / عليهم فقال : يا معشر الخزرج - وإنما كانت العرب ١٧٦ تسمى هذا الحى من الأنصار أوسها وخزرجها الخزرج - إن محمدا

---

(١) وكانت تشهد الحرب مع رسول الله ﷺ هى وزوجها وابناها حبيب ، وعبد الله رضى الله عنه (السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢١٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٤) . ٢٠

(٢) وهى أنصارية ، أم معاذ بن جبل وتكنى أم منيع (الإصابة ٤ : ٢٣٠)

منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومه ممن هو على مثل رأينا ، وهو فى عِزٍّ من قومه ومنعةٍ فى بلده ، وإنه قد أبى إلاّ الانقطاع إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وَافُونَ له لِمَا دَعَوْتُمُوه إليه ومانِعُوه ممن خالفه (١) فأنتم وما تحمَّلْتُم من ذلك ، وإن كنتم تَرَوْن أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عِزٍّ ومنعة من قومه وبلده — قيل : إن كنتم تجسون من أنفسكم خذلانا فاتركوه فى قومه ؛ فإنه فى منعة من عشيرته وقومه —

ويقال : إن العباس قال : يا معشر الخزرج ، إنكم قد دعوتم محمدا إلى ما دعوتموه إليه ، ومحمد من أَعَزِّ الناس فى عشيرته ، يمنعه والله منا مَنْ كان على قوله ومَن لم يكن مِنَّا عَلَى قوله ؛ منعةً للحَسَبِ والشرف ، وقد أبى محمداً (٢) الناسُ كلهم غيركم ، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبُصَراء بالحرب واستقلال (٣) بعداوة العرب قاطبة . ترميكم عن قَوْسٍ واحدة فارتئوا رأيكم ، وائتمروا بينكم ، ولا تَفَرَّقُوا إلاّ على ملأ منكم واجتماع ؛ فإن أحسن الحديث أصدقه .

فأجابَ البراءُ بن مَعْرُور فقال : قد سمعنا ما قلتَ ، وإنّا والله لو كان فى أنفسنا غير ما نَنْطِق به لقلناه ، ولكنا نريد الوفاءَ والصدق ،

(١) فى الأصول « جالده » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٢ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٩١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٤ .

(٢) كذا فى ت ، م . وفى هـ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٢٢٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٥ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣١٨ « وقد أبا محمد الناس » .

(٣) فى الأصول « واستقلالا » . والمثبت عن المراجع السابقة .

ونبذل مُهَج أنفسنا دون رسولِ الله ﷺ ، فَتَكَلَّمْ يا رسول الله وخُذْ لنفسك ولربك ما أحببت .

فقرأ عليهم رسولُ الله ﷺ القرآن ، ودعا إلى الله ، ورَغَّبَهم فى الإسلام ، وقال : أبايعكم على أن تمنعونى مما (١) تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نَعَمْ والذى بعثك بالحق ٥ نَبِيًّا لنَمْنَعَنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا (٢) فبايِعْنَا يا رسول الله ، فنحن – والله – أهل الحروب ، وأهل الحلقة ، ورِثْنَاها كابرا عن كابر .

ويقال : إن أبا الهيثم بن التَّيهان كان أوّلَ من تكلّم ، وأجاب إلى ما دعا إليه النبىُّ ﷺ ، وصدَّقه وقال : نقبله على مُصِيبَة (٣) الأموال وقتل الأشراف . ١٠

ويقال : إن أبا الهيثم اعترض القولَ والبراءُ يَكَلِّمُ رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إنَّ بيْنَنَا وبين أقوام – يعنى اليهود – حِبَالاً (٤) ، وإنَّا قاطعوها ، فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهَرَكَ الله ١٧٧ أن تَرْجِعَ إلى قومِك وتدعنا ؟ فتبسّم / رسول الله ﷺ ثم قال : بل

(١) فى الأصول « ما » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٢ ، ودلائل ١٥ النبوة ٢ : ١٨٥ ، والاكتفا ١ : ٤٢١ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٩٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٩٥ .

(٢) كذا فى م ، هـ ، والمراجع السابقة . وفى ت « نساءنا » . والمعنى واحد فإن العرب تكنى عن المرأة بالأزر .

(٣) فى الأصول « مضيقة » . والمثبت عن طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٢ ، والسيرة ٢٠ الحلبية ٢ : ١٧٥ .

(٤) أى عهودا . (السيرة الحلبية ٢ : ١٧٦)

الدَّم الدم والهَدْم الهدم ، أنتم منى وأنا منكم ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم . فقال العباس – وهو آخذ بيد رسول الله ﷺ – : اخفوا جرسكم – يعنى الصوت الخفى – فإن علينا عيونا ، وقدِّمُوا ذوى أسنانكم فيكونون هم الذين يَلُون كلاَمَنا منكم ، فإنا نخاف ٥ قومَكم عليكم ، ثم إذا بايعتم فتفرقوا إلى رحالكم [1] .

فقال البراء : أُبسط يدك يا رسول الله نبايعك . فقال رسول الله ﷺ : أخرجوا لى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم ؛ فإنّ موسى أخذَ من بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا ، فلا يجِدَن أحدٌ منكم فى نفسه أن يُؤْخَذَ غيْرُه ؛ فإنما يختارُ جبريل – فأخرجوا ١٠ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فنَقَّبَهم عليهم ، فكان نقيب بنى النجار أسعد بن زرارة ، ونقيب بنى سَلِمَة البراء بن معرور ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام ، ونقيب بنى ساعدة سعد بن عُبَادة والمنذر بن عمرو ، ونقيب بنى زُرَيق رافع بن مالك بن العَجْلان ، ونقيب بنى الحارث بن الخزرج عبد الله بن رَوَاحة وسعد بن الربيع ، ١٥ ونقيب القوافل بنى عوف بن الخزرج عُبَادة بن الصامت – وفى الأوس من بنى عبد الأشهل أُسَيْد بن حُضَيْر وأبو الهَيْثَم بن التَّيهان ، وقيل عِوَضَ أبى الهيثم : رِفَاعة بن عبد المنذر – وكان نقيب بنى عمرو بن عوف سعد بن خَيْثَمَة .

وقال النبى ﷺ للنقباء : أنتم كُفَلاءُ على قومكم بما فيهم ٢٠ كفلا [2] ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ؛ وأنا كَفِيلٌ على قومى .

---

(١) وفى طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٢ « محالكم » .

(٢) لم يرد هذا اللفظ فى طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٣ .

فقال أسعد بن زُرَارة : نعم . فأخذ البراءُ بن معرور يدَ رسول الله ﷺ فضرب عليها ، فكان أوّل من بايع – وقيل : أول من بايع أبو أُمَامة أسعد بن زُرَارة ، ويقال : أبو الهيثم بن التَّيهان ؛ فبنو النجار يزعمون أن أسعد بن زُرَارة أوّل من ضرب على يده ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل الهيثم بن التَّيهان [١] . ٥

ثم تتابع الناس وضرب جميعهم على يده ، وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم ، وعلى حَرْب الأسود والأحمر ، وأن يرحلِ هو وأصحابُه إليهم . فكانت أوّل آية أنزلت فى الإذن بالقتال ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا [٢] ﴾ الآية ، ويقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ [٣] ﴾ ١٠

١٧٨ ويروى : لما اجتمع الأنصار لبيعة النبىّ ﷺ / قال العباسُ بن عُبَادة [٤] بن نَضْلَة أخو بنى سالم [٤] : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون رسول الله ﷺ ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الآن [٥] ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزىُ ١٥

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٦ ، والاكتفا ١ : ٤٢٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٢) سورة الحج آية ٣٩ .

(٣) سورة التوبة آية ١١١ .

(٤) سقط فى ت . ٢٠

(٥) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٧ « من الناس » .

الدنيا والآخرة ، وإن كنتم تَرَوْن (١ أنكم مُسْتَضْلِعُون وافون له بما عاهدتموه عليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة ١) . قالوا : فإنا نأخذه على مُصيبَة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن وَفَّيْنَا ؟ قال : الجنة . قالوا : ابْسُط يدك . فبَسَط يده فبايعوه .

فقال عاصم بن عمرو بن قتادة : والله ما قال العباس هذه المقالة إلا (٢ ليشد لرسول الله ﷺ العقد فى أعناقهم . وقال عبد الله ابن أبى بكر : والله ما قال العباس ذلك إلا ٢) ليؤخر بها أمرَ القوم تلك الليلة ، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أُبَىّ بن سلول فيكون أقوى لهم . والله أعلم أى ذلك كان .

ويروى : أن الأنصار قالوا : يا رسول الله علام نبايعك ؟ قال : تبايعونى على السَّمْع والطاعة فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن تقولوا فى (٣) الله لا تأخذكم لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى وتمنعونى إذا قدمت عليكم يثرب ؛ تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ،

---

(١) سقط فى ت ، والمثبت عن م ، هـ وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٥ ، ودلائل النبوة ٢ : ١٨٨ ، والاكتفا ١ : ٤٢٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠١ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٨٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٢) سقط فى ت ، هـ . والمثبت عن م ، والمراجع السابقة .

(٣) فى الأصول « فى سبيل الله » . والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ١٩٠ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٥ .

ولكم الجنة . فأخذ بيد النبى ﷺ أسعدُ بنُ زَرَارة – وهو من أصغرهم – فقال : رويدا يا أهل يثرب ؛ فإنا لَنْ نَضْرِبَ إليه أكبادَ الإبل – أو قال : المطى – إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وأن إخراجه اليوم منازعة العرب كافة ، وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف . فإما أنتم تصبرون على عَضِّ السيوف إذا مستكم ، وعلى قتل خياركم ، وعلى مُفَارَقة العرب كافة ؛ فخذوه وأجركم على الله . وإما أنتم تخافون من أنفسكم جُبْنًا فَبَيِّنُوه [1] فهو أعذر لكم عند الله . فقالوا : أمِطْ يدك عنا يا أسعد بن زُرَارة ؛ فوالله لا نَدَعُ [2] هذه البيعة أبدا ولا نَسْتَقِيلُها . فقاموا رجلا رجلا يأخذ عليهم شَرْطَه ويعطيهم على ذلك الجنة [3]

ويروى : أن النبى ﷺ لما أتاه الأنصارُ قال : ليتكلَّمْ مُتَكَلِّمٌ ولا يطيل الخطبة ؛ فإن عليكم من المشركين عَيْنًا ، وإن يعلموا بكم يفضحوكم . فقال قائلهم – وهو أبو أمامة [4] – : سَلْ يا محمد لربِّك ما شئتَ ، ثم سَلْ لنفسك بعد ذلك ما شئتَ ، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله وعليكم إذا فعلنا ذلك . قال : أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم لنفسى ولأصحابى أن تؤوونا وتنصرونا

(١) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ٣ : ١٨٢ « فذروه » .

(٢) فى المرجع السابق « لانذر » .

(٣) دلائل النبوة ٢ : ١٨٢ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ١٩٥ ، ١٩٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٤) فى الأصول « أبو لبابة » – وقد جاء فى الإصابة ٤ : ١٦٨ « يقال إنه كان أحد النقباء ليلة العقبة » . والمثبت عن دلائل النبوة ٢ : ١٨٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠٢ .

وتمنعونا بما منعتم منه أنفسكم . قالوا : فما لنا إذا فعلنا / ذلك ؟ قال : ١٧٩
لكم الجنة . قالوا : فَلَكَ ذلك .

ويروى : أن النبيّ ﷺ لما أتاه الأنصار قال : أوجزوا فى الخطبة ، فإنى أخاف عليكم كُفَّارَ قريش . فقالت الأنصار :
٥ يا رسول الله ، سَلْنَا لنفسك ، وسلْنَا لربك ، وسلنا لأصحابك ، وأخبرنا الثواب على الله وعليك . قال : أسألكم لربى أن تؤمنوا بالله ولا تشركوا به شيئا ، وأسألكم أن تطيعونى أهدكم سبيل الرشاد ، وأسألكم لى ولأصحابى أن تواسونا فى ذات أيديكم ، وأن تمنعونا مما منعتم منه أنفسكم ؛ فإذا فعلتم ذلك فلكم على الله الجنة وعَلَىّ . فَمَدُّوا أيديَهم
١٠ فبايعوه ، فعند ذلك صرخ الشيطان من رأس العقبة بأعلى صوتٍ سُمِعَ : يا أهل الجَبَاجِب (١) ، هل لكم فى مُذَمّم والصبأة معه ؛ قد اجتمعوا على حربكم ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما يقول عدوُّ الله ؟ هذا أَزَبُّ (٢) العقبة هذا ابن أَزيب (٣) ، اسْمَع أى عدو الله أما والله لأفرغن لك . ارفضُّوا (٤) إلى رحالكم .

---

١٥ (١) الجباجب : منازل منى . (السيرة الحلبية ٢ : ١٩٨) أو جبال بمكة ، أو أسواقها ، أو منحر منى . (سبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٩١) .

(٢) أزب – بفتح الهمزة والزاى وتشديد الباء ، ويقال بكسر الهمزة وإسكان الزاى ثم بالباء الموحدة الخفيفة : أى شيطان سمى بهذا الاسم . والإزب فى الأصل : القصير ، ومن ثم رأى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على بزذعة رحله فقال له :
٢٠ ما أنت ؟ قال : إزب قال : وما إزب ؟ قال : رجل من الجن . فضربه على رأسه بعود سوطه فهرب . (السيرة الحلبية ٢ : ١٧٨)

(٣) أزيب : إما على وزن فعيل من الأزب وهو البخيل ، أو اسم ريح من الرياح الأربع . أو على وزن أفعل : وهو الرجل المتقارب المشى . وانظر الروض الأنف ٣ : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٨٤ هامش .

٢٥ (٤) ارفضوا : أى تفرقوا إلى رحالكم .

ويروى : لما بايعوا رسول الله ﷺ صَرَخَ صارِخٌ فى الجبل ، وهو إبليس : يا معشر قريش إن [كان] (١) لكم فى محمد حاجة فأتوه بمكان كذا وكذا من الجبل ، قد خَالَفَهُ الذين يسكنون يثرب . فقال العباس بن عُبَادة بن نَضْلة أخو بنى سالم (٢) : يا رسول الله والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا — وما أحد عليه تلك الليلة سيف غيره — فقال رسول الله ﷺ : إنى لم أُومَر بذلك ، ارْجِعُوا إلى رحالكم . فرجعوا إلى رحالهم ، فاضطجعوا على فراشهم (٣) .

ونزل جبريل فلم يبصره أحدٌ من القوم غير حارثة بن النعمان ، قال بعدما فرغوا : يا رسول الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض — أنكرته — قائما على يمينك !! قال ﷺ : قد رأيته ؟ قال : نعم . قالْ : رأيت خيرا ؛ ذاك جبريل (٤) .

ولما صدروا من عند النبى ﷺ طابت نفسه ﷺ ؛ لما جعل الله له منعة ، وقوما أهل حرب وعُدّة ونجدة .

---

(١) الإضافة عن سبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٨٥ .

(٢) فى الأصول « بنى سلمة » . والتصويب عما سبق فى ص ٣٤٤ ، والإصابة ٢ : ٢٧١ .

(٣) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٧ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٢٢٣ ، ودلائل النبوة ٢ : ١٨٦ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٢٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣١٩ — مع اختلاف فى السياق .

(٤) السيرة الحلبية ٢ : ١٧٨ .

فلما أصبحوا غدت جِلَّةٌ من قريش من أشرافهم ، فيهم الحارث ابن هشام – فتى شاب وعليه نعلان له جديدان – حتى دخلوا شِعْب الأنصار – ويقَال : حتى جاءوا الأنصار فى رَحْلِهم – فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه ٥ من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حَرْبِنا / وإنه والله ما من حَى أبغض ١٨٠ إلينا من أن تنشب الحرب فيما بيننا وبينهم منكم . فانبعث من كان هناك من مُشْرِكى الأنصار يَحلِفُون لهم بالله ما كان من هذا من شئ ، وما فعلناه وما عَلِمْناه – وكان حاضرا أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، وكعب بن مالك وهما صامتان لم يتكلما – فلما تَثَوَّر ١٠ القومُ لينطلقوا قال كعب بن مالك كلمةً – كأنه أشركهم فى الكلام – : يا أبا جابر أنت سيِّدٌ من ساداتنا وكهل من كهولنا ، لا تستطيع أن تتخذ مثل نَعْلَى هذا الفتى من قريش ؟ فسمعه الفتى فخلع نعلَيْه فرمى بهما إلى كعب بن مالك وقال : والله لتلبسنهما . فقال أبو جابر : مَهْ ، أحْفَظْتَ – لعمر الله – الرجلَ : يقول ١٥ أخجلته – أُرْدُد عليه نَعْلَيْه . فقلت : والله لا أردهما [فَأْلٌ – والله – صالح ، لئن صدق الفَأْلُ] (١) إنى لأرجو أن أستلبه . ثم انصرفوا عنه .

وأتوا عبد الله بن أُبَى فسألوه وكلَّمُوه فقال : إن هذا لأمر

---

(١) سقط فى الأصول . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٧ ، ٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٨٥.

جسيم ، وما كان قومى ليتَقَوَّلوا [١] علىَّ مثل هذا ، وما علمته ، لو كنت بيثرب ما فعل هذا قومى حتى يُؤَامِرُونى . فانصرفوا عنه وتفرّق الناسُ من منى .

ورحل البراء بن معرور ، وتقدم إلى بطن يَأْجَج [٢] ، وتلاحق به أصحابه من المسلمين [٣] . ٥

وفتشت قريش عن الخبر والبيعة فوجدوه حقا ، فانطلقوا فى طلب القوم ؛ فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر [٤] ، والمنذر بن عمرو – وكانا من النقباء – فأما المنذر فأعجز القوم . وأما سعد فأخذوه وشدوا يديه إلى عنقه بنِسْع [٥] رحله ، وجعلوا يضربونه ويجذبونه بجمته –

---

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٧ ، ودلائل النبوة ٢ : ١٨٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٨٥ « ليتفوتوا » . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠٥ « ليتفرقوا » . وفى طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٣ : والسيرة الحلبية ٢ : ١٧٩ « ليفتاتوا » . ١٠

(٢) يأجج : مكان كان على ثمانية أميال من مكة ، ومكان آخر بنى عنده مسجد الشجرة بينه وبين مسجد التنعيم ميلان . (ياقوت . مغجم البلدان) وفى معالم مكة للبلادى ٣٢٥ واد من أودية مكة يمر شمال عمرة التنعيم فيصب فى مر الظهران عند دف خزاعة بينه وبين المقوع ، وتسميه عامة أهل مكة وادى بئر مقيت ؛ لبئر هناك . وبه بساتين ضعيفة . وكان من منازل ابن الزبير رضى الله عنه ، وبطرفه من الشمال قتل خبيب بن عدى رضى الله عنه أحد أسرى يوم الرجيع . ١٥

(٣) طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٣ . ٢٠

(٤) فى الأصول « بالحاجر » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٨٦ . وأذاخر : هو الجبل الذى يشرف على الأبطح من الشمال يتصل بالحجون من الشرق ولازالت هناك ثنية تعرف منذ القدم بثنية أذاخر . ومن ثنية أذاخر دخل النبى ﷺ يوم فتح مكة (معالم مكة للبلادى ٢٢ ، ٢٣) ٢٥

(٥) النسع : السير المضفور من الأديم على هيئة أعنة البغال . (سبل الهدى والرشاد ٣ : ٢٩١)

وكان ذا شعر كثير – ويصكونه ويلكزونه حتى أدخلوه مكة . فقال سعد : والله إنى لفى أيديهم إذ طلع على نفر من قريش ، فيهم رجل أبيض وضئ شعشاع [١] حلو ، قلت [فى نفسى] [٢] : إن يكن عِنْدَ أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا ، فلما دنا منى رَفَع يدَه فلكَمَنِى لَكْمَةً شديدة ، قلتُ فى نفسى : والله ما عندهم بعد هذا [٣] خير . ٥

فوالله إنى لفى أيديهم يسحبوننى إذ أوى لى رجل منهم [٤] فقال : ويحك !! أما [٥] بينك وبين أحد من قريش جِوَار ولا عهد ؟ قلت : بلى والله ، لقد [كنت] [٦] أجير لجُبَيْر بن مُطْعِم تجارته ، وأمنعه ممن يريد ظلمه ببلادى ، وللحارث بن أُمَيّة بن عبد شمس . قال : ويحك فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . ١٠ ففعلت ، وخرج ذلك الرجلُ إليهما فوجدهما عند الكعبة ، فقال لهما : إنّ رجلا من الخزرج الآنَ يُضْرَب بالأبطح ، وإنه ليهتف بكما يذكر [٧] أن بينه وبينكما جواراً . قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن

---

(١) شعشاع : أى طويل زائد الحسن . (السيرة الحلبية ٢ : ١٧٩)

١٥ (٢) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠٦ .

(٣) يشير إلى الذى لطمه وهو سهيل بن عمرو – رضى الله عنه – فإنه أسلم بعد ذلك (السيرة الحلبية ٢ : ١٨٠)

(٤) وهو البخترى بن هشام . (السيرة الحلبية ٢ : ١٧٩)

٢٠ (٥) كذا فى م ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٠٦ . وفى ت ، هـ « هل بينك » .

(٦) الإضافة عن المرجعين السابقين.

(٧) فى الأصول « فذكر » . والمثبت عن المرجعين السابقين .

عُبَادة . قالا : صدَق ، والله إن كان ليجير تجارتنا ، ويمنع أن يظلمونا ببلده . فجاءا فخلَّصَاه من أيديهم ، وخلَّيا سبيله ، وانطلق

وفقدته الأنصار فأتمروا أن يَكرُّوا ، فطلع عليهم فرجعوا جميعا
١٨١ إلى المدينة [١] . /

٥

* * *

« السنة الرابعة والخمسون من مولد النبى ﷺ
وهى السنة الأولى من الهجرة »

فيها – أو فى آخر التى قبلها – لما شخص السبعون الذين بايعوا النبى ﷺ عند العقبة أشتدّ ذلك على قريش ؛ لما يَعْلَمُون مِنَ [٢] الخزرج ، ورأوا أنه قد صارَ للنبىّ ﷺ مَنَعَة ودارُ هجرة ، ١٠ فضيَّقوا على المسلمين وآذوهم ، وتعبَّثُوا بهم ، ونالوا منهم من الشتم والأذى والتناول ما لم يكونوا ينالونه أبدا ، فشكا المسلمون ذلك إلى النبى ﷺ ، وسألوه الهجرة ، فقالوا : إنه لم يؤذن لى فى ذلك بعد .

ثم إن الله أوحى إليه : أىّ هذه الثلاث نزلتَ فهى دارُ هجرتك : المدينة أو البحرين أو قِنَّسْرِين . ثم إنه خرج عليهم بعد ١٥ ذلك بأيام مسرورا فقال : رأيت فى المنام أننى أهاجر مِنْ مَكّة إلى

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٣ .
(٢) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ١ : ٣١٨ « لما يعلنون من الخروج » . وفى طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣١٣ « لما يعلمون من الخروج » . ٢٠

أرض بها نَخْل ، فذهب وَهلِى [١] أنها اليمامة أو هَجَر فإذا هى يثرب [٢] .

ويروى أن النبى ﷺ قال : أُرِيتُ دارَ هجرتكم سَبْخَة بين ظَهْرَانَى حَرّة [٣] ، فإما أن تكون هَجَر ، وإما أن تكون يثرب .

٥ وأمر النبى ﷺ من معه من المسلمين بمكة بالخروج إلى المدينة ، والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال : إنّ الله قد جعل لكم إخوانا ، ودارا تأمنون بها ؛ فمن أراد الخروج فليخرج فإن البلاد قريبة ، وأنتم عارفون بها ، وهى طريق عِيركم إلى الشام . فجعلوا يتجهّزون ويترافقون ويتواسون بالمال والظهر ، ويُخْفُون ذلك ، وخرجوا أرسالا ١٠ يتراسلون ؛ فخرج أبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أمّ سَلمة بنت أبى أميّة ، وعامر بن ربيعة وامرأته أم عبد الله بنت أبى حَثْمَة [٤] — ويروى أن أوّل ظعينة قدمت المدينة أم سَلَمة ، ويقال : أم عبد الله — ومُصْعَب بن عُمَير ، ثم عمرو بن أم مَكْتُوم الأعمى ، ثم عَمّار بن ياسِر ، وسعد بن أبى وقّاص ، وعبد الله بن مسعود ، وبِلاَل ، وعثمان بن مظعون ، وأبو ١٥ حُذَيْفة بن عُتْبَة بن ربيعة ، وعبد الله بن جَحْش ، وعثمان بن الشَّرِيد .

---

(١) وهلى : أى وهمى . (السيرة الحلبية ٢ : ١٨٠)

(٢) دلائل النبوة ٢ : ١٩٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٣٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٨٠ ، ١٨١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٠ ، وشرح المواهب ١ : ٣١٨ .

٢٠ (٣) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٢٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٣٢ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٠ « ظهرانى حرتين » .

(٤) وهى ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة القرشية العدوية ، وهى أم ولده عبد الله وبه تكنى (أسد الغابة ٥ : ٥٤١)

فنزل أبو سلمة وعبد الله بن جحش فى بنى عمرو بن عوف . وعَدَا أبو سفيان بن حرب عَلَى دارِ بنى جحش – وهى دار أَبَان بن عثمان – عند الرَّدْم فتملَّكَها ؛ إذ بقيت يَبَاباً لا أحد بها ، لأنهم هاجروا بنسائهم .

٥ ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعَيّاش بن أبى ربيعة ، وأبو عبيدة ابن الجرّاح ، وسالم مولى أبى حُذَيْفة فى عشرين راكبا ، فنزلوا فى بنى عمرو بن عوف [١] .

قال عمر بن الخطاب : لما اجتمعنا للهجرة اتَّعَدت أنا وعَيَّاش ١٨٢ ابن أبى ربيعة ، / وهشام بن العاص بن وائل ، وقلنا : الميعاد بيننا ١٠ التَّنَاضِب [٢] من أَضَاة بنى غِفَار ، فمن أصبح منكم لم يأتها فقد حُبِس ، فليَمْضِ صاحباه . وأصبحتُ عندها أنا وعيّاش بن أبى ربيعة ، وحُبِس عنا هشام ، وفُتِن فَافْتَتَن . وقدمنا المدينةَ . فكنا نقول : ما الله بقابِلٍ من هؤلاء تَوْبَة ؛ قوم عرفوا الله وآمنوا به ، وصدَّقوا رسوله ، ثم رجعوا عن ذلك لِبَلاءٍ أصابهم من الدنيا وكانوا ١٥ يقولونه لأنفسهم . فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم ﴿ قُلْ يَا عِبَادِىَ الّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ [٣] ﴾ الآية ، فكتبتها

---

(١) دلائل النبوة ٢ : ١٩٧ .

(٢) التناضب : بضم الضاد اسم لموضع ـــ قريب من مكة ـــ وبكسر الضاد جمع تنضب لنوع من الشجر . (سبل الهدى ٣ : ٣٢٣ ، وهامش الاكتفا ١ : ٤٣٤) وأضاة بنى ٢٠ غفار موضع على عشرة أميال من مكة ، وهو غدير أو مسيل ماء إلى الغدير (المرجعان السابقان ومعجم البلدان لياقوت) ويقال إذا خرجت من سرف شمالا خرجت فيها ، بينها وبين قبر ام المؤمنين ميمونة بنت الحارث مقبرة صغيرة (معالم مكة للبلادى ٥٠)

(٣) سورة الزمر آية ٥٣ .

بيدى كتاباً ، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص . قال هشام : فلما قَدِمَت علىّ خرجتُ بها إلى ذى طَوًى [١] فجعلت أُصَعّد بها وأُصوّب لأفهمها ، فقلت : اللهم فَهِّمْنِيها ، فعرفت أنما أنزلت فينا بما كنا نقول فى أنفسنا – ويقال : فينا – فرجعت فجلست على بعيرى فلحقت برسول الله ﷺ [٢] .

فطلب أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، والعاص [٣] بن هشام عياشَ بن أبى ربيعة – وهو أخوهم لأمهم – فقدموا المدينة ، وذكروا له حزن أمه وقالوا له : إنها حلفت أنها لا يُظِلُّها سقفُ بيتٍ ، ولا يمس رأسها دهنٌ حتى تَرَاكَ ، ولولا ذلك لم نَطْلُبْك ؛ فنُذَكِّرُكَ الله فى أمِّك – وكان بها رحيما ، وكان يعلم من حبها إياه ورأفتها به – فصدّق قولهم ، ورقّ لها . ولما ذكروا له منها [٤] أبى أن يَتْبَعهم حتى عقد له الحارثُ بن هشام عقدا . فلما خرجا [٥] أوثقاه ، فلم يزل هنالك حتى خرج مع من خرج قَبْلَ فتح مكة .

---

(١) ذى طوى : بتثليث الطاء ، والفتح أشهر من الضم وهو أشهر من الكسر ، وهو مقصور : واد بمكة على فرسخ منها يعرف الآن بالزاهر فى طريق التنعيم ، ويجوز صرفه ومنعه . (سبل الهدى والرشاد ٤ : ٣٧٦) ويقال هو الوادى الذى يمر بين الحجون وربع الكحل مارا بجرول . وطوى بئر معروفة اليوم بجرول بين القبة وربع أبى لهب (معالم مكة للبلادى ١٦٨)

(٢) دلائل النبوة ٢ : ١٩٨ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٢١٤ ، ٢١٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣١٣ — ٣١٧ .

(٣) كذا فى الأصول ودلائل النبوة ٢ : ١٩٧ . وفى عيون الأثر ١ : ١٧٤ « ثم إن أبا جهل والحارث ابنا هشام ومن الناس من يذكر معهما أخاهما العاص بن هشام . » وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، والاكتفا ١ : ٤٣٥ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٢١٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣١٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٨٤ – : أن أبا جهل بن هشام وشقيقه الحارث بن هشام هما اللذان خرجا إلى المدينة فى طلب عياش .

(٤) فى الأصول « فأبى » والمثبت من دلائل النبوة ٢ : ١٩٧ .

(٥) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ٢ : ١٩٧ . ولعله ترجح عند المصنفين رواية =

وكان رسول الله ﷺ يدعو له بالخلاص .

وخرج عبدُ الرحمن بن عوف فنزلَ على سعد بن الربيع فى بنى الحارث بن الخزرج ، وخرج عثمانُ بن عَفّان ، وطلحةُ بن عبيد الله ، والزبيرُ بن العَوّام وطائفة أخرى . فأما طلحة فخرج إلى الشام .

ثم تتابع أصحابُ النبى ﷺ كذلك إلى المدينة أرسالا ، ٥ ومكث ناس من الصحابة بمكة حتى قدموا بعد مقدم النبى ﷺ المدينة ، منهم سعدُ بن أبى وقَّاص – وقيل : بل قدم قَبْل قدوم النبى ﷺ [(١)] .

ولَمَّا نزل المسلمون على الأنصار فى دورهم آووهم وواسوهم ونصروهم . وكلبت قريش عليهم حين خرجوا ، وحزنوا واغتاظوا . وفشا ١٠ الإسلام بالمدينة .

وأقام النبى ﷺ بمكة ينتظر أن يُؤْذَنَ له فى الهجرة ، وقال : ١٨٣ لست بخارج حتى يَأْذَن / لى ربى ، ولم يتخلّف معه بمكة إلا أبو بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب ، أو مُعَوَّقٌ محبوسٌ ، أو ضَعِيفٌ عن الخروج ، أو مريض [(٢)] . ١٥

وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن النبيّ ﷺ فى الهجرة ، فيقول له رسول الله ﷺ : لا تَعْجَل لعلّ الله أن يجعل لك صاحبا . فيطمع

= أن اللذين خرجا لطلب عياش هما أبو جهل والحارث ابنا هشام فقط .

(١) دلائل النبوة ٢ : ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٢) الاكتفا ١ : ٤٣٧ ، وعيون الأثر ١ : ١٧٦ ، ١٧٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣١٨ . ٢٠

أبو بكر بأن رسول الله ﷺ يعنى نفسه ؛ فابتاع راحلتين بثمانمائة درهم من نعم بنى قشير ، فحبسهما فى داره يعلفهما إعدادا لذلك [١] .

ويروى : أن أبا بكر استأذن النبى ﷺ أن يخرج مَعَ مَن خرج فَحبَسَه وقال : أنظرنى لعلّه أن يُؤْذَن لى . فقال أبو بكر : تطمع أن يؤذن لك يا رسول الله ؟ قال : نعم [٢] .

ويقال : إن أبا بكر تجهز مهاجرا قِبَلَ المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ : على رسلك ؛ فإنى أرجو أن يؤذن لى . فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ : هل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال : نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعَلَفَ راحلتين كانتا عنده ورقَ الشجر أربعة أشهر [٣] .

فلما رأت قريش أن النبى ﷺ قد تربع ، وصارت له شيعة وأصحابٌ من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم – بذراريهم وأطفالهم – عرفوا أنهم [٤] قد نزلوا فى أُبَاةٍ فأصابوا منهم مَنَعَة [٤] ، وأنهم أهل حلقة وبأس ؛ فخافوا خروج

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣٠ ، ٣٣١ ، وعيون الأثر ١ : ١٧٦ ، ١٧٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣١٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٨٨ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٨ .

(٢) السيرة الحلبية ٢ : ١٨٨ .

(٣) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣٤ ، ودلائل النبوة ٢ : ٢٠٧ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٨٨ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٤٠ .

(٤) كذا فى م ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٢٤ . وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٢٧ « قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة » وفى ت ، هـ « نزلوا منهم إباء فهابوا منهم منعة » .

رسول الله ﷺ إليهم – وعرفوا أنه قد جمع لحربهم – فاجتمعوا فى دار النَّدْوَة – وهى دار قُصَىّ بن كِلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها – يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله ﷺ ، ولم يتخلَّف منهم من أهل الحِجَى والرأى أحدٌ . فممن اجتمع : من بنى عبد شمس : شَيْبَة وعُتْبة ابنا رَبيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بنى نوفل [بن] [1] عبد مناف : [طعيمة بن عدى ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نَوْفل] [1] . ومن بنى عبد الدار [بن] [1] قُصَى : النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة . ومن بنى أَسَد بن عبد العُزّى : أبو البَخترِىّ بن هشام ، وزَمْعَة بن الأسود ، وحكيم بن حِزَام . ومن بنى مخزوم : أبو جهل . ومن بنى سَهْم : نُبَيْه ومُنَبّه ابنا الحجاج . ومن بنى جُمَح : أُمَيّة بن خَلَف .

ويروى أن عدة الذين اجتمعوا بدار الندوة خمسة عشر رجلا ، وقيل مائة رجل .

فلما دخلوا الدَّارَ اعترضهم الشيطان فى صورة رجل شيخ جليل جميل ، مشتمل / الصماء ، عليه بتٌّ [2] له ، فوقف على باب الدَّارِ قال : أَدْخُلُ ؟ قالوا : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل نَجْد ، سمع بالذى اجتمعتم له ، وأرادَ أن يَحْضُرَه معكم ليسمعَ ما تقولون ، وعسى ألا يعدمكم منه رأيا ونُصْحًا . قالوا : أجل فادخل . فدخل معهم ، فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أَمْرِهِ ما

---

(١) الإضافات عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣١ .

(٢) البت : الكساء الغليظ من الصوف أو الوبر . (المعجم الوسيط) .

كان ، وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتَّبَعَه من غيرنا ؛ فأجمعوا رأيا واحدا فيه . فقال بعضهم [١] : احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ، ثم تَرَبَّصُوا به ما أصاب أشباهه [٢] من الشعراء الذين كانوا قبله – زهيرا والنابغة ومن مضى منهم – من هذا الموت حتى يُصِيبَه ما أصابهم . فقال النجدىُّ : لا والله ما هذا لكم برأى ؛ والله لئن حبستموه – كما تقولون – لَيَخْرُجَنّ أمرُه من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأَوْشَكُوا أن يَثِبُوا عليكم فينزعوه من أيديكم ، ثم يُكَاثِرُوكم به حتى يَغْلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره .

فتشاوروا ثم قال قائل [٣] منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله لا نُبَالى إلى أين ذَهَب ، ولا حيث وقع إذا غاب عنا ، وفَرَغْنا منه ، فأصلحنا أمْرَنا وأُلْفَتَنا كما كانت .

قال النجدىّ : لا والله ما هذا لكم برأى ؛ ألم تَرَوْا إلى حُسْنِ حديثه ، وحلاوةِ مَنْطِقِه وغَلَبَتِه على قلوب الرجال بما يأتى به ؟! والله لو فعلتم ذلك ما أَمِنْتُ أن يَحِلَّ على حىّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى

---

(١) هو أبو البخترى بن هشام كما فى الروض الأنف ٢ : ٢٢٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٢٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٩٠ .

(٢) فى ت ، هـ « أصحابه » . والمثبت من م ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٩٠ .

(٣) هو الأسود بن ربيعة بن عمير . (الروض الأنف ٢ : ٢٢٦ ، سبل الهدى ٣ : ٣٢٥ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٩٠)

يَطَأَكُم بهم ، فيأخذ أمرَكم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ؛ دَبِّرُوا فيه رأيا غير هذا .

قال أبو جهل بن هشام : والله إنّ لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش فتى شابا نهدا جَلْدا ، نسيبا وَسِيطًا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سَيْفًا صارما – ويقال : ثم تعطوهم شِفَاراً صارمة – ثم يعمدون إليه فيضربونه ضَرْبَةَ رجلٍ واحد فيقتلونه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دَمُه فى القبائل جميعا فلم يَقْدِر [١] بنو عبد مناف بعد ذلك ما تصنع ، ولم يقووا على حرب قومهم جميعا ، فإنما قُصَارَاهم عند ذلك أن يأخذوا العَقْل ، فَتَدُونه . فقال النجدى : لله دَرُّ هذا الفتى ، القولُ ما قاله ، هذا هو الرأىُ وإلا فلا شئ ، ولا أرى لكم رأيا غيره .

فأجمع رأيهم على ذلك وتفرقوا .

١٨٥ فأتى جبريل النبى ﷺ / وأخبره بخبر القوم ، وأنزل عليه ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ

---

(١) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ٢ : ٢٠٣ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٢١٧ « فلم يدر عبد مناف » . وفى طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٧ « فلا يدرى بنو عبد مناف » . وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٢٣٢ والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٣٠ ، وعيون الأثر ١ : ١٧٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٢٩ والاكتفا ١ : ٤٣٩ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٢٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٩٠ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٣ ، وشرح المواهب ١ : ٣٢١ « فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا » .

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ (١) ﴾ وأنزل عليه أيضا ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ (٢) ﴾

وأذن الله عزّ وجلّ له بالهجرة ، وأَمَرَه جبريلُ ألاَّ يبيتَ على فراشه الذى كان يَبِيتُ عليه ، وأَمَرَه بالهجرة ، وأن يستصحب معه أبا بكر الصديق .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان لا يخطىء رسول الله ﷺ أن يأتى بيتَ أبى بكر أحد طَرَفَى النهار ، إمّا بُكْرَة وإما عَشِيًّا ، حتى كان اليوم الذى أَذِنَ الله فيه لرسوله فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسولُ الله ﷺ بالهاجرة فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال قائل (٣) لأبى بكر : هذا رسول الله ﷺ مُتَقَنِّعا ، فقال أبو بكر : فِدًى له أبى وأمى ، والله ما جاء رسول الله ﷺ فى هذه الساعة إلا لأَمْرٍ حَدَث . فجاء رسول الله ﷺ فٱستأذن فأذن له ، فلما دخل تأخَّرَ له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ — وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء — فقال رسول الله ﷺ : أَخْرِج عنى مَن عندك . فقال : يا رسول الله إنما هما ابنتاى — أو إنما هم أهلك — بأبى وأمى أنت ، يا رسول الله ، وما ذاك فِدَاكَ أبى

(١) سورة الأنفال آية ٣٠ .

(٢) سورة الطور الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٣) قيل هى أسماء بنت أبى بكر ، وقيل هو عامر بن فهيرة مولى أبى بكر . (السيرة الحلبية ٢ : ١٩٨ ، وشرح المواهب ١ : ٣٢٦) .

وأمى ؟ قال : أُشْعِرْتُ أن الله قد أَذِنَ لى فى الخروج والهجرة . فقال أبو بكر : الصحبة بأبى أنت يا رسول الله . قال : الصحبة . فبكى أبو بكر – فوالله ما شعرت قط قبلَ ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفَرَح حتى رأيتُ أبا بكر يبكى يومئذ – ثم قال : يا نبى الله إن هاتين راحلتاى . كنتُ أعْدَدْتهما لهذا ، فخذ إحداهما . قال رسول الله ﷺ : بالثمن . قال أبو بكر : بالثمن . فأخذ النبى ﷺ إحداهما وهى القصواء – ويقال الجدعاء –

وخَلّف النبى ﷺ عَلِيًّا بمكة يَخْرُج إليه بأهله ، وأمره أن يُؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس – وكان رسول الله ﷺ ليس أحدٌ بمكة عنده شئ يخشى عليه إلا وضعه عنده ؛ لما يعلم من صدقه وأمانته – وأمر عَلِيًّا أن يَقْضِىَ عنه / ديونا ويلحق به (١) .

واستأجر النبيُّ ﷺ وأبو بكر عبد الله بن الأريقط – رجلا من بنى الدِّيل بن بكر ، وكان مشركا – يدلهما على الطريق ، فأمِناه ودَفَعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثَوْر بعد ثلاث ليال ، فكانت الراحلتان عنده يرعاهما لميعادهما (٢) .

فلما كان العتمة اجتمع عَلَى باب النبىّ ﷺ أبو جهل ، والحَكَم بن أبى العاصى ، وعُقْبَة بن أبى مُعَيط ، والنَّضْر بن الحارث ،

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، وطبقات ابن سعد ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ودلائل النبوة ٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٢١٩ ، ٢٢٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٩٧ – ١٩٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٢ ، ٣٢٣.

(٢) تاريخ الإسلام ٢ : ٢٢٠ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٤ .

وأُمَيّة بن خَلَف ، وابن الغَيْطَلَة ، وزَمْعَة بن الأسود ، وطُعْمَة بن عَدِيّ ، وأبو لَهَب ، وعُتْبَةُ (١) بن خَلَف ، ونُبَيْه ومُنَبّه ابنا الحجاج ؛ فترصدوا النبى ﷺ حتى ينام ، فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم دَعَا عليَّ بن أبى طالب وأمره أن يبيت على فراشه ، ويتسَجّى ببُرْدٍ له أخضر – وكان رسول الله ﷺ يَنَامُ فى بُرْدِه ذلك إذا نام – وقال النبى ﷺ لَعَلِيّ : إن قريشا لم يفقدونى ما رأوك ، ولا يخلص إليك شيء تكرهه منهم . وفيه نزلت ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاةِ ٱللَّهِ (٢) ﴾ فكان أوّل من شَرَى نفسه ، وفى ذلك يقول : –

وقيتُ بنفسى خيرَ مَنْ وَطِئ الحَصَى
وَمَن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إلـهٍ خاف أن يمكــروا به
فنَجّاه ذو الطَّوْلِ الإلَهُ من المكر(٣)

---

(١) كذا فى الأصول . وفى طبقات ابن سعد ١ : ٢٢٨ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٣١ « أبى بن خلف » .

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٧ — ويلاحظ أن سورة البقرة مدنية ، وجاء فى السيرة الحلبية ٢ : ١٩٢ ، « وقد قيل أنها نزلت فى صهيب رضى الله عنه ... ولا مانع من تكرر نزول الآية فى حق على وفى حق صهيب . ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية ؛ لأن الحكم يكون للغالب . » وفى تاريخ الخميس ١ : ٣٢٦ « وفى عمدة المعانى الآية نزلت فى الزبير ، والمقداد ، وقيل صهيب وخباب وعمار بن ياسر ، وقيل فى على حين نام على فراش رسول ﷺ ليلة الغار .

(٣) فى الأصول « النكر » والمثبت عن سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٢٨ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٥ ، وشرح المواهب ١ : ٣٢٢ .

ولما أن اجتمعت قريش على باب رسول الله ﷺ قال أبو جهل : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمْرِهِ كُنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردُن ، وإن لم تفعلوا ذلك كان له منكم ذَبْح ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها [(١)] . ٥

فخرج رسول الله ﷺ — وهم جلوس على الباب — فأخذ حفنة من بَطْحَاء — أو تراب — فى يده ثم قال : نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، وأنت أحدهم . وأخذَ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من « يس » ﴿ يسٓ * وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾إلى قوله ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ [(٢)] ﴾ حتى فرغ من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ومضى النبى ﷺ إلى حيث أراد أن يذهب [(٣)] . ١٠

فأتى قريشا آتٍ ممَّن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون ها هنا ؟ ١٥ قالوا : محمدا . فقال : خِبْتُمْ وخسرتم ؛ قد والله خرج عليكم ما ترك ١٨٧ أحدا منكم إلا وقد وضع / على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٢٣ ، والاكتفا ١ : ٤٤٠ ، وعيون الأثر ١ : ١٧٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٣٠ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٢٧ .

(٢) سورة يس الآيات ١ — ٩ . ٢٠

(٣) الاكتفا ١ : ٤٤٠ ، ٤٤١ ، وعيون الأثر ١ : ١٧٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ٢٣٠ .

ترون ما بكم ؟! فوضع كل رجل منهم يَدَه على رأسه فإذا عليه تراب فنفض التراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًّا على الفراش متسجيا [(١)] ببرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائم وعليه بُرْدُه ، فلم يبرحوا كذلك إلى أن أصبحوا ، فقام على عن الفراش ، فثاروا عليه فلما رأوه عَلِيًّا رَدَّ الله مَكْرَهم فقالوا : أين صاحبك ؟ فقال : لا أدرى — أو قال : لا علم لى به — فعلموا عند ذلك أنه خرج فارا منهم .

ويروى : قال لهم على : أمرتموه بالخروج فخرج . فقالوا : والله لقد صدقنا الذى كان حَدَّثنا ، ولو خرج محمد لخرج علىٌّ معه . ويروى أنهم ضربوا عَلِيًّا وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ، ثم إنهم تركوه [(٢)] .

ويروى : أن قريشا كانوا يرمون رسول الله ﷺ بالحجارة ، فجعلوا يرمون عَليًّا بالحجارة كما كانوا يرمون النبى ﷺ ؛ فجعل على يَتَضَوَّرُ [(٣)] ، فيلف رأسه فى الثوب ، لا يخرجه حتى أصبح ، ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك لئيم ؛ كان صاحبك نرميه فلا يَتَضَوَّر وأنت تَتَضَوّر وقد استنكرنا ذلك [(٤)] .

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى هـ « متشحا » .

(٢) الاكتفا ١ : ٤٤١ ، وعيون الأثر ١ : ١٧٩ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٢١٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٣٠ ، والإمتاع ١ : ٣٨ ، ٣٩ ، وقد مزج المصنف بين مافى هذه المراجع بالاختيار والتقديم والتأخير . وانظر أيضا سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٢٧ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٩٤ .

(٣) يتضور : يتلوى ويتقلب . (النهاية فى غريب الحديث)

(٤) سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٢٧ .

ويروى : أن السبب المانع لقريش من الولوج على النبىّ ﷺ الدارَ مع قِصَر الجدار – وإنما جاءوا للفَتْك به – أنهم هَمُّوا بالولوج عليه فصاحت المرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض : إنها للسبة فى العَرَبِ أن [١] يتحدث عنا أنّا نتسور الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا . فهذا الذى أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه [٢] .

ولما خرج رسول الله ﷺ من بيته صار إلى بيت أبى بكر الصديق ، فخرجا جميعا من خَوْخَة [٣] فى ظهر دار أبى بكر ، فى ليلة الاثنين مستهل ربيع الأول ، ولم يعلم بخروجهما سوى علىّ وآل أبى بكر ، [٤ ولم يرافق النبىّ ﷺ أحدٌ من أصحابه غير أبى بكر . ثم عمد النبى ﷺ وأبو بكر ٤] نحو غار ثور بأسفل مكة فى ليلة الخميس غُرَّة ربيع الأول – ويقال قد بقى من صفر ثلاثة أيام [٥] .

ويروى : أن أبا بكر جاء وعلىٌّ نائم ، وأبو بكر يحسب أنه نبىّ الله ﷺ فقال : يا نبى الله . فقال له على : إن نبىَّ الله قد انطلق

(١) وهنا انتهى الجزء الأول من نسخة هـ دون إشارة إلى أن ذلك هو آخر الجزء .
(٢) سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ١٩٤ ، وشرح المواهب ١ : ٣٢٣ .
(٣) الخوخة : كوة فى ظهر البيت يدخل منها النور ـــ أو باب صغير وسط باب كبير . (المعجم الوسيط)
(٤) سقط فى ت ، والمثبت عن م .
(٥) كذا فى م . وفى ت « ثلاث ليال » وانظر الخلاف حول يوم خروجه من مكة أو من الغار فى شرح المواهب ١ : ٣٢٥ .

إلى / نحو بئر ميمون (١) فأدْرِكْه : فانطلق أبو بكر فدخل معه ١٨٨ الغار (٢) .

وكان أبو بكر أَمَرَ ابنه عبد الله أن يتسمَّع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر ٥ من فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار .

ولما توجه النبى ﷺ قِبَلَ الغار جعل أبو بكر يمشى مَرّة أمام النبى ﷺ ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره ، ففطن له رسول الله ﷺ فقال : ما هذا يا أبا بكر . ما أعرف هذا من فعلك ؟ قال : يا رسول الله ، أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ١٠ ومَرَّة عن يمينك ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك . فقال : يا أبا بكر لو كان شيء أحبَبْتَ أن يكون بك دونى ؟ قال : نعم ، والذى بعثك بالحق ما كانت لتكن من مُلِمَّة إلا أحببتُ أن تكون بى دونك (٣) .

وانتهيا إلى الغار ليلا . ولم يصعد النبى ﷺ الغار حتى تَقَطَّرَت قدماه دَمًا ؛ لأنه لم يتعود الحفية ولا الرعية ولا الشقوة ، وعادت قدما أبى ١٥ بكر كأنهما صفوان (٤) .

---

(١) بئر ميمون : تنسب إلى ميمون بن خالد بن عامر الحضرمى أخى العلاء بن الحضرمى ، حفرها بأعلى مكة فى الجاهلية . (معجم البلدان لياقوت) وهى الآن من آبار عين زبيدة . هامش أخبار مكة للأزرقى ٢ : ٢٢٢ .

(٢) السيرة الحلبية ٢ : ٢٠٥ .

٢٠ (٣) دلائل النبوة ٢ : ٢٠٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٠٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٦ .

(٤) الإمتاع ١ : ٤٠ . والصفوان : الحجر الأملس . (المعجم الوسيط) .

ويروى : أن رسول الله ﷺ مشى ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه ، فلما رآهما أبو بكر أنهما قد حفيتا حمله على كاهله ، وجعل يشتد به حتى أتى به فَمَ الغار فأنزله ، ثم قال : والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ؛ فإن كان به شئ نزلَ بى قَبْلَك . فدخل فلم ير شيئا ، فحمله فأدخله ، وكان فى الغار خَرْق فيه حَيّات وأفاع ، فخشى أبو بكر أن يخرج منهن شئ يُؤْذِى رسول الله ﷺ ، فألقَمَه قدَمَه ، فجعلن يضربنه ويَلْسَعْنه : الحيات والأفاعى ، وجعلت دموعه تتحادر ، ورسول الله ﷺ يقول : يا أبا بكر لا تَحْزَن إنّ الله معنا . فأنزل الله سكينته طمأنينةً بأبى بكر (١).

ويروى : لما انتهى النبىّ ﷺ للغار قال أبو بكر : يا رسول الله – والله – لا تدخله حتى أدخله قبلك ، فإن كان فيه ثُعْبَان أو حَيّة أو شئ أصابنى دُونَك . قال : ادخل . فدخله فمسحه ، وجعل يلتمس بيده ، فكلما رأى جحرا شقّ ثوبَه ثم ألْقَمَه الجُحْر ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع ، فبقى جُحْرٌ فوضع عقبه عليه . ويقال : بقى منها اثنان فألقمهما رجليه – ثم قال لرسول الله ﷺ / ١٨٩ : ادخل . فدخل رسول الله ﷺ ، ووضع رأسه فى حِجْرِه ونام ، فَلُدِغَ أبو بكر فى رجله من الجُحر ، ولم يتحرك مخافة أن يَنْتَبِه رسولُ الله ﷺ ، فسقطت دموعُه على وجهِ رسول الله ﷺ فانتبه ،

---

(١) كذا فى م . وفى ت « فأنزل الله طمأنينتة بأبى بكر » . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٣٨ « فأنزل الله سكينته أى طمأنينته بأبى بكر » ـــ وانظر دلائل النبوة ٢ : ٢١٠ والرياض النضرة ١ : ٩١ .

فقال : ما لك يا أبا بكر ؟ قال : لُدِغْتُ فِدَاك أبى وأمى ، فتَفَلَ عليه رسول الله ﷺ فذهب ما يجده ، ثم انتقض عليه فكان سبب موته (١) .

فلما أصبح قال له النبى ﷺ : أين ثوبك يا أبا بكر ؟ فأخبره بالذى صنع ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة ، فأوحى الله إليه أن قد استجاب (٢) .

ويروى : لَمَّا انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار (٣) . فدخل واستبرأه ، حتى إذا كان فى أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة ، فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة ، فدخل فاستبرأ ، ثم قال : انزل يا رسول الله . فنزل .

ويروى : لما انتهيا إلى الغار دخل أبو بكر ثم قال : كما أنت يا رسول الله . فضرب برجله فأطار اليمام – يعنى الحمام الطورى – فطاف فلم ير شيئا . فقال : ادخل يا رسول الله . فدخل فإذا فى الغار جحر ، فألقمه أبو بكر عقبه مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شئ (٤) .

---

(١) الرياض النضرة ١ : ٨٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٧ ، وشرح المواهب ١ : ٣٣٥ .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٣٧ ، والرياض النضرة ١ : ٩٠ ، وسبل الهدى ٣ : ٣٣٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٧ .

(٣) فى ت ، والرياض النضرة ١ : ٩٢ « الحجرة » . والمثبت من م ودلائل النبوة ٢ : ٢٠٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٣٨ .

(٤) الرياض النضرة ١ : ٩٣ .

ويروى : أن النبى ﷺ قال لأبى بكر وهما فى الغار : أنائم أنت ؟ قال : لا ، وقد رأيتُ صنيعَك وقلقَك (١) يا رسول الله فما بالك بأبى أنت وأمى يا رسول الله ؟ قال : جحر رأيته قد انهار ، فخشيت أن يخرج منه هامة تؤذيك أو تؤذينى . فقال أبو بكر فأين هو ؟ فأخبره ، فسدّ الجحر ، وألقمه عقبه . فقال رسول الله ﷺ : رحمك الله من صديق ؛ صدَّقْتَنى حين كذَّبنى الناس ، ونصرتنى حين خذلنى الناس ، وآمنت بى حين كفر بنى الناس ، وآنَسْتَنى فى وحشتى ؛ فأى مِنَّةٍ لأحد على كَمِنتك (٢) ؟!

ولما دخل النبى ﷺ الغار واطمأنا فيه . أمر الله الرَّاء (٣) فنبتت على بابه ، والعنكبوت فنسجت على بابه عُشًّا ، وحمامتين وحشيتين فعَشَّشتا على بابه وفرختا فيه . فالحمام الموجود اليوم من نسلهما (٤) .

ويروى : أن النبى ﷺ لما دخل الغار دعا بشجرة كانت أمام الغار فأقبلت حتى وقفت على باب الغار (٤) .

وطلبت قريش النبى ﷺ أشدّ الطلب فى كل / مكان ؛ طلبوه

(١) كذا فى الأصول . وفى الرياض النضرة ١ : ٩٢ « وتقلبك » .

(٢) فى المرجع السابق « كمثلك » . وانظر تاريخ الخميس ١ : ٣٢٧ .

(٣) الراء – واحدته الراءة : وهى شجرة معروفة ، وقيل هى أم غيلان وهى ضرب من العضاة ، وقيل من أعلاث الشجر وتكون مثل قامة الإنسان لها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لأنه كالقطن ، وقيل هى العشار . (شرح المواهب ١ : ٣٣١)

(٤) السيرة الحلبية ٢ : ٢٠٦ — ٢٠٨، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٧ .

بأعلى مكة وأسفلها ، وشقّ عليهم خروجُه ، وخرجوا لذلك ، فجعلوا يطلبونه بأنفسهم فيما قرب منهم ، وأرسلوا من يطلبه فيما بَعُدَ عنهم ، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به ويجعلون لهم الجُعْل العظيم ، ونادوا بأعلى مكة وأسفلها : من قتل محمدا وأبا بكر . أو رَدَّهما أو أحدهما فله مائة من الإبل – ويقال : جعلوا لمن جاء بأحدهما أو قتله ديته – وبعثوا القَافَةَ يتبعون أَثَرَه فى كل وجه ، فوجد الذى ذهبَ قِبَلَ ثَوْرٍ – وهو كرز بن علقمة بن هلال الخزاعى – أَثَرَه هناك ، فلم يزل يتبعه حتى انتهى إلى الغار ، فرأى العَنْكَبُوتَ ناسجةً على باب الغار ، والحمام مفرخةً فيه ، فأيقن أن لا أحد فيه ، فقال : انقطع الأثرُ ؛ فإما صُعِدَ بصاحبكم إلى السماء أو غِيضَ به فى الأرض . فانصرفوا ، وقال بعضهم : ادخلوا الغارَ . فقال أُمَيَّة بن خلف : وما أربكم إلى الغار وعليه من نسج العنكبوت ما عليه ؟ والله إنى لأرى هذا النسيجَ أقْدَمَ من ميلاد محمد . فنهى النبى ﷺ يومئذ عن قتل العَنْكَبُوت وقال : إنها جند من جنود الله . وأشفق أبو بكر واشتد خوفه عند ذلك (١) .

ولما أن صعدت قريش فوقَ الجبل ، وسمع رسول الله ﷺ وأبو بكر أصواتهم فأشفق أبو بكر ، وأقبل عليه الهَمُّ والحُزْن والخوف ، فقال له رسول الله ﷺ : لا تَحْزَن إنّ الله معنا . ودعا رسولُ الله ﷺ فنزلت عليه – أى على أبى بكر – سكينة من الله ؛ لأن النبى ﷺ لم تزل السكينة معه (٢) .

---

(١) الاكتفا ١ : ٤٤٤ .

(٢) دلائل النبوية ٢ : ٢١٤ ، وشرح المواهب ١ : ٣٣٦ .

ويروى : أن فِتْيَانا من قريش – من كل بطن رجل – أقبلوا بعِصيِّهم وهَرَاوِيهم وسيوفهم حتى إذا كانوا من الغار مقدار أربعين ذراعا تعجَّل رجلٌ منهم لينظرَ فى الغار ، فرأى الحمامتين بفَمِ الغار ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا له : ما لك لم تنظر فى الغار ؟ فقال : رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعلمتُ أنه ليس فيه أحد . فسمع النبى ﷺ ما قال ، فعلم أن الله قد درأ عنه بهما . فدعا لهما النبى ﷺ وشمت عليهما وفرض جزاءهما ، وانحدرن فى الحرم ففرَخْنَ ، فأصل كل حمامة فى الحرم من فراخهما [(١)] .

وبال أميّةُ بن خلف عند باب الغار ، حتى جرى بَوْلُه بين يدى النبى ﷺ / وأبى بكر ، فأشفق أبو بكر أن يكونوا قد رأوه . فقال له النبى ﷺ : لا تَحْزَن ؛ فإنهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول ، ولا تشاغلوا بشىء عن أخذنا . فقال الصديق للنبى ﷺ : لو ولجوا علينا من فم الغار ما كنا نصنع ؟ فقال النبى ﷺ : لو ولجوا علينا منه كنا نخرج من ها هنا . وأشار بيده المباركة إلى الجانب الآخر – ولم يكن فيه شق – وانفتح للحين فيه باب واسع بقدرة الله تعالى ، وهو فى صخرة جلمد صماء ، مما لا يؤثر فيها المعاول : فأماها الله إلى اليوم ظاهرة لا يَشُكّ من رآها أنها لو رُدَّت لسدَّت المكان ، ولا يختلف أحد أن ذلك الباب لو كان هنالك حينئذ لرأته قريش جهارا ، وبكى أبو بكر وقال : يا رسول الله لو أنّ

---

(١) دلائل النبوة ٢ : ٢١٤ ، والاكتفا ١ : ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٩ .

أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه . فقال النبى ﷺ : يا أبا بكر مَا ظَنُّكَ باثنين الله ثالثهما [(١)] .

وأقام رسول الله ﷺ وصاحبُه الصديقُ فى الغار ثلاث ليال – وقيل : بضعة عشر يوما – يبيت عندهما عبدُ الله بن أبى بكر ، وهو غلام شاب ثَقِفٌ لَقِن ، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، ويكون معهم فيسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر [(٢)] .

وكان عامر بن فُهَيْرَة مولى أبى بكر يرعى مِنْحَةً من غنم أبى بكر فى رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أَرَاحَ عليهما حين يذهب ساعة من العشاء فيحتلبان حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بَغَلَس ؛ يفعل ذلك فى كل ليلة من الليالى الثلاث . وكان عامر بن فهيرة إذا غَدَا عبدُ الله بن أبى بكر من عند النبى ﷺ وأبى بكر إلى مكة أَتْبَعَ أَثَرَه بالغنم حتى يعفى عليه ، فيصبح فى رعيان الناس فلا يفطن له أحد [(٣)] .

وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما [(٣)] .

---

(١) الاكتفا ١ : ٤٤٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٤١ .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٣٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٤٦ .

(٣) دلائل النبوة ٢ : ٢٠٨ ، والاكتفا ١ : ٤٤٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٤٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٤٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢١٢ .

قالت عائشة : لما خرج رسول الله ﷺ ، وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر مالَه كلَّه - خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم - وانطلق بها معه ، فدخل علينا جَدِّى أبو قُحَافة - وقد ذهب بصره - فقال : إنى والله لأراه قد فَجَعَكُم بمالِه مع نفسه . قالت قلت : كلا يا أبتى ؛ إنه قد تَرَكَ لنا خيرا كثيرا . فأَخَذْتُ أحجارا ٥
١٩٢ فوضعتُها / فى كُوّة من البيت كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعتُ عليها ثَوْبا ، ثم أخذتُ بيده فقلتُ : ضَعْ يَدَك على هذا المال . فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، فى هذا بلاغ لكم . قالت : ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك (١) . ١٠

وقالت أسماء بنت أبى بكر : لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ؛ فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبى بكر ؟ قلت : لا أدرى - والله - أين أبى . فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشا خبيثا - فلطم خَدِّىَ لطمةً طرح منها قُرْطى ، ثم انصرف (٢) . ١٥

ولما أن كان النبى ﷺ وصاحبه أبو بكر فى الغار عطش أبو بكر عطشا شديدا ، فشَكَا ذلك إلى النبى ﷺ ، فقال له النبى

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٣٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ . والحديث فيها مروى عن أسماء بنت أبى بكر .
(٢) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٣٧ ، والرياض النضرة ١ : ٨٧ ، ٨٨ ، ٢٠
وشرح المواهب ١ : ٣٤٢ .

ﷺ : اذهب إلى صَدْرِ الغار فاشرب . قال أبو بكر : فانطلقتُ إلى صدر الغار فشربتُ منه ماء أحْلَى من العسل ، وأبيض من اللبن ، وأزكى رائحة من المسك ، ثم عُدْتُ إلى النبى ﷺ فقال : شربتَ ؟ قلت : نعم . قال : ألا أبشرك يا أبا بكر ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : إن الله أمر [الملك] [١] الموكل بأنهار الجنة : أن آخْرِق نهرا من جنة الفردوس إلى صَدْرِ الغار ليشرب أبو بكر . قال أبو بكر ، فقلت : يا رسول الله ، ولى عند الله هذه المنزلة ؟ فقال النبى ﷺ : نعم وأفضل ، والذى بعثنى بالحق نَبِيًّا لا يدخل الجنة مُبْغِضُكَ ، ولو كان له عمل سبعين نبيا [٢] .

ولما كان اليوم الثالث حانت من النبى ﷺ التفاتةٌ إلى أعلى الغار ، فنظر فيه كوةً ، ونظر فيها طيرا جاثما لا يأكل ولا يشرب ، فعجب أبو بكر من ذلك وقال : واعجبا لهذا الطير من أين مأكله ومشربه ؟ اختلج هذا فى سِرِّ أبى بكر ، فهبط جبريل على النبى ﷺ ونادى : يا محمد ، العَلِيُّ الأعلى يقرئك السلام ، ويقول لك قد علمت ما اختلج فى سر أبى بكر ، فقُلْ له أن يكلم الطَّيْرَ ؛ فإنى قد أمرتُ الطير أن يتكلّم . فعندها قال النبى ﷺ : يا أبا بكر ما اختلج فى صدرك من أمرِ هذا الطير ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله عجبت من هذا الطير ؛ لنا ثلاثة أيام فى هذا الغار وهو لا يأكل ولا يشرب ولا

---

(١) الإضافة عن الرياض من النضرة ١ : ١٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، والخصائص الكبرى ١ : ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢١١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

يتحرك . قال النبى ﷺ : هذا جبريل يخبرنى عن ربى أن تُكَلِّمَ
١٩٣ الطير / فإنى أمرته أن يكلمك . فقال أبو بكر : أيها الطير . كلمنى
بإذن الله عزَّ وجَلّ ؛ فإنى عبد مملوكٌ مثلك ، فأَخْبِرْنى من أين
مأكلك ومشربك ؟ فبكى الطير حتى تساقطت دموعه على الأرض ثم
تبَسَّم فقال : يا أبا بكر اسألنى عما شئت ، ولا تسألنى عن هذا ؛ ٥
فإنه شئ بينى وبين ربى عز وجل ، لا أريد أن يطلع عليه سواه .
فقال : إن كنتَ مأمورا بالطاعة فأخبرنى . فقال : يا أبا بكر والذى
فلق الحبة وبرأ النسمة ، وتردَّى بالعظمة . وسمّى نفسه الله ؛ لقد
خلقنى الله عَزَّ وجلّ فى هذه الكوة قبل أن يخلق أباكَ آدم ، وجعل
مأكلى فى كلمات أتكلم بها فأشبع ، ومَشْرَبى فى كلمات أتكلم بهن ١٠
فأروى . قال : وما هى ؟ قال : إذا جعتُ لعنتُ باغضك فأشبع ،
وإذا عطشت ترضَّيت عمن يحبك فأروى . فبكى النبى ﷺ وقال :
يا أبا بكر ، ما يحبك إلا مؤمن تقىّ ، وما يبغضك إلا منافق شقىّ .

وأصاب يد أبى بكر وهو مع النبى ﷺ وهو فى الغار حجر
فقال : — ١٥

هل أنت إلا إصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت[1]

---

(١) وكذا فى تاريخ الإسلام ٢ : ٢٢١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٣٨ .
وفى شرح المواهب ١ : ٣٣٦ « دخل أبو بكر الغار فأصاب يده شيء فجعل يمسح الدم
عن إصبعيه ويقول :

هل أنت إلا إصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت ٢٠

وذكر الواقدى وابن هشام أن هذا البيت للوليد بن المغيرة الصحابى لما رجع فى
صلح الحديبية إلى المدينة وعثر بحرتها فانقطعت أصبعه ، وروى ابن أبى ـــ الدنيا أن جعفر
لما قتل بمؤته دعا الناس بعبد الله ابن رواحة فأقبل فأصيب أصبعه فارتجز يقول : =

ولما مضت ثلاثٌ لرسول الله ﷺ وأبى بكر وهما فى الغار ، وسكن عنهما الطلب ، وهدأت عنهما الأصوات أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيريهما وبعيرٍ له ، فخرجا من الغار سَحَرَ ليلة الاثنين لأربع خلون من ربيع الأول .

٥ وفيه نظر لما سبق أنه ﷺ خرج من مكة يوم الاثنين ، فيكون على هذا ليلة الخميس لأربع ليالٍ خلون من ربيع الأول ؛ وفى ذلك خلاف [١] .

فلما قرَّب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدّم له أفضلهما ثم قال : اركب فِدَاكَ أبى وأمى يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : إنى لا أركب بعيرا ليس لى . قال : فهى لك يا رسول بأبى أنت وأمى . قال : لا ؛

١٠ ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد أخذتها بذلك . قال : هىَ لَكَ يا رسول الله . فركبا – والناقة التى أخذها رسول الله ﷺ من أبى بكر هى ناقته التى تسمى الجدعاء وهى غير العضباء [٢] .

= هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقــيت
يانــفس إلا تقــتلى تموتى هذا حياض الموت قد صليت

١٥ ومـا تمنيه فقــد لقــيت إن تفعلى فعلهمـا هديت

وروى الشيخان وغيرهما عن جندب : بينما نحن مع النبى ﷺ إذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال : هل أنت ... البيت ــ والذى يظهر أنه من إنشاء الصديق ، وأن كلا من المصطفى ﷺ والوليد تمثلا به ، والممتنع على النبى ﷺ إنشاء الشعر لا إنشاده ، وضمنه ابن رواحة شعره المذكور .

٢٠ وانظر سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٣٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٦ .

(١) وانظر فى ذلك سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٦٠ التنبيه الرابع ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٣٠ .

(٢) وقيل هى القصواء ، وكانت من نعم بنى قشير ، وعاشت بعده عليه السلام قليلا ، وماتت فى خلافة أبى بكر . (شرح المواهب ١ : ٣٢٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ :

٢٥ ٣٣٧)

وكانت أسماء بنت أبى بكر أتتهما بسُفْرَة ونسيت أن تجعل لها عصاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السُّفْرة فإذا ليس فيها عصام ، فقالت لأبيها : لا أجد شيئا أربطه / إلاّ نِطَاق . قال : فشُقِّيه باثنين ، فعلقت السفرة بواحدة وانتطقت بالأخرى ؛ لذلك قيل لها ذات النّطاقين [١] .

١٩٤

وانطلق النبى ﷺ وأبو بكر ، وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فُهَيْرَة خلفه ليخدمهما فى الطريق ، وحمل أبو بكر معه جميع ماله — وهو ستة آلاف درهم — وسارَ عبدُ الله بن أُرَيْقِط أمامهما على راحلته يهديهما الطريق ، فجاز بهما أسفَل مكة ، ومضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أَسْفَل من عُسْفَان [٢] ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَجْ [٣] ، ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيدا [٤] . قال أبو بكر : دَلَجْنا من مكة ليلا فأحيينا [٥]

(١) وفى شرح المواهب ١ : ٣٢٨ « النطاق : مايشد به الوسط ، وقيل هو إزار فيه تكة ، وقيل ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل ... وسميت ذات النطاقين لأنها كانت تجعل نطاقا على نطاق ، وقيل كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد . قال الحافظ ابن حجر : والمحفوظ أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر : فمن ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين ؛ بالإفراد والتثنية بهذين الاعتبارين . وعند ابن سعد — فى حديث الباب — شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب ، وشدت فم القربة بالباقى فسميت ذات النطاقين » .

وانظر سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٠٢ .

(٢) عسفان : بلدة على ثمانين كيلو مترا شمالى مكة على طريق المدينة ، يلتقى فيها واديان فيها آبار عذبة قديمة وانظر (معالم مكة للبلادى ١٨٨ ، ١٨٩)

(٣) أمج : بعد خليص بجهة مكة بميلين ، وبعده بميل وادى الأزرق ، ويعرف بعران ، وأمج لخزاعة ، وبه نحو عشرين بئرا يزرع عليها . (وفاء الوفا ٢ : ٢٤٩) .

(٤) قديد : قرية بين مكة والمدينة كثيرة المياة . (وفاء الوفا) .

(٥) كذا فى الأصول ، ودلائل النبوة ٢ : ٢٢٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٤٥ . وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٣٩ وتاريخ الخميس ١ : ٣٣١ « فأحثثنا » .

ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة وصَلِيَ (١) الطريقُ فلم يَمُرّ أحد ، فضربت ببصرى هل نرى ظلا نأوى إليه ، فإذا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بَقِيَّةُ ظل لها فنزلنا تحتها ، فسويت للنبى ﷺ مكانا ، وفرشت له فَرْوَة كانت معى ، وقلت اضطجع يا رسول الله حتى أنفض لك ما حولك ، فاضطجع ، ثم خَرَجْتُ أنظر هل أرى أحدا من الطلب ، فإذا أنا براعى غنم معه سائمة يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذى أريد — يعنى الظل — فسألته فقلت : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من قريش فسَمَّاه فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم . فقلت : هل أنت حالب لى ؟ قال : نعم . فأمرته فاعتقل شاةً منها ، ثم أمرته فنفض ضرعها من الغبار ، وأمرته بنفض كفيه من الغبار ، وقال هكذا فضرب إحدى يديه على الأخرى ، ومعى إدَاوَة على فمها خِرْقَة ، فحلب لى كُثْبَة (٢) من اللبن ، ومعى ماء للنبى ﷺ فى إدَاوَة ، فصَبَبْتُ على اللبن حتى برد أسفله ، وكنت أكره أن أوقظ النبىّ ﷺ من نومه ، فوافقته حين استيقظ فناولته الإداوة فقلت : اشرب يا رسول الله . فشرب حتى رضيت . ثم قال : ألم يأن للرحيل يا أبا بكر ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فارتحلنا (٣) — ويقال إن أبا بكر هو القائل : هل آن الرحيل ؟ فارتحلنا .

---

(١) كذا فى م ، وبياض فى ت ، وفى السيرة الحلبية ٢ : ٢٢٣ « وقام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه أحد » .

(٢) كثبة بضم الكاف وسكون المثلثة وفتح الموحدة : أى قدر قدح ، وقيل حلبة خفيفة (سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٦٨) وفى النهاية فى غريب الحديث : كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك .

(٣) دلائل النبوة ٢ : ٢١٥ ، ٢١٦ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٣٩ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٢٢٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

ومرّ النبى ﷺ وأبو بكر بعبد الله بن مسعود وهو يرعى غنما لعُقْبَة بن أبى مُعَيط ، فقال النبى ﷺ : هل عندك لبن تسقينا ؟ فقال : إنى مؤتمن ؛ فلستُ بساقيكما . فقال : هل عندك من جذعة لم يَنْزُ عليها الفحلُ بعد ؟ قال : نعم . فأتاهما بها ، / فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسول الله ﷺ الضرعَ فمَسَحَه ودعا بالبركة ، فجعل الضرع يدر ، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة – ويقال بقَعْب – فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سقيا ابن مسعود ، ثم قال للضرع : اقلِصْ . فقَلَص [١] .

ومَرّ النبى ﷺ وأبو بكر أيضا بعبد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن ، فقال : والله ما عندى شاة تحلب ، غير أن ها هنا عناقا حَمَلت أوّل الشتاء . وقد أُخْدَجَت [٢] ، وما بقى لها لبن . فقال النبى ﷺ : ائتنا بها . فاعتقلها النبى ﷺ ومَسَحَ ضرعها ، ودعا الله . وجاء أبو بكر . بمِجَنٍّ فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب

(١) صفة الصفوة ١ : ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، والخصائص الكبرى ١ : ٣٠٣ . وفى السيرة النبوية لابن كثير « إنما ذلك فى بعض الأحوال قبل الهجرة فإن ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ورجع إلى مكة كما تقدم » . وأوردها الخصائص الكبرى فى باب المعجزات والخصائص الواقعة بمكة فيما بين المبعث والهجرة » . ويروى عن ابن مسعود أنه قال : لقد رأيتنى لسادس ستة ماعلى الأرض مسلم غيرنا .

(٢) فى الأصول ، ودلائل النبوة ٢ : ٢٢٥ ، والخصائص الكبرى ١ : ٤٧٠ « أخرجت » والمثبت عن عيون الأثر ١ : ١٩١ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ٢٢٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٦٤ . والإخداج هو الولادة قبل الآوان ، ويقال اخدجت الشاة إذا جاءت بولدها ناقص الخلق .

فسقى الراعى ، ثم حلب فشرب . فقال العبد : بالله من أنت ، فوالله ما رأيت مثلك قط ؟ قال : أو تراك تَكْتُمُ عَلَيَّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم . قال : فإنى محمد رسول الله . قال : أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ ؟ قال : نعم : إنهم ليقولون ذلك . قال : فأشهد أنك نبى ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى ، وأنا مُتَّبِعُك . قال : إنك لن تستطيع ذلك يومَك ؛ فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا .

ومرّ رسول الله ﷺ فى طريقه بأم مَعْبَد عاتكة ابنة خالد — وهى بقُديد — وكانت امرأةً جلدة بَرْزَة تحتبى وتقعد بفناء الخيمة ، وتطعم وتسقى ، فسألوها : هل معها لحم أو لبن أو تمر يشترونه منها ؟ فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وإذا القوم مُرْمِلُون مُسْنِتُون (١) ، فقالت : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القِرَى . فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كِسْر (٢) الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : هذه شاة خلّفها الجُهد عن الغنم . قال : فهل بها من لبن ؟ قالت : بأبى وأمى أنت إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح بيده ضرعها ، وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها فى شاتها . فتَفَاجَّت (٣) عليه ودَرّت واجترت ، فدعا بإناء لها يُرْبِضُ (٤) الرهْطَ

(١) مرملون مسنتون : أى مجدبون . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٢٤)

(٢) كسر الخيمة : جانبها . (المعجم الوسيط)

(٣) تفاجت : فرجت مابين رجليها للحلب . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٢٤)

(٤) يربض الرهط : أى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض ، من ربض فى المكان يربض إذا لصق به وأقام ملازما له . (النهاية فى غريب الحديث)

فحلب فيه ثَجًّا[١] حتى علاه الثمال[٢] ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ثم شربوا عَلَلاً بعد نَهَل [٣] حتى أراضوا ، ثم شرب آخرهم وقال : ساقى القوم آخرهم شربا ، ثم حلب فيه ثانيا – عودا على بدء – حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، ١٩٦ واستمرت تلك البركة / فيها ، ثم بايعها وارتحل عنها .

فقلّ مَا لَبِثَ أنْ جاء زوجها أبو مَعْبَد أكثم بن الجَوْن [٤]يَسُوقُ أَعْنُزًا حيالا عِجَافاً ، يتساوكن [٥] هُزْلاً ما تَسَاوقوا [٦] ، مُخُّهُن قليل لا نَقَى [٧] بهن . فلما رأى أبو مَعْبد اللبن بالإناء – وما بالشاة من لبن – عَجِبَ وقال : من أين لكم هذا اللبن يا أم معبد ، والشاة عازبة [٨] حِيال ، ولا حلوب فى البيت ؟ فقالت : لا والله إلاّ أنه مرّ بنا رجلٌ مبارك ، من حاله كذا وكذا . قال : والله إنى لأراه صاحب قريش الذى يُطْلَب ، صفيه لى يا أم معبد .

فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، حسن الخَلْق ، مليح

---

(١) ثجا : أى بقوة لكثرة اللبن . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٢٥)
(٢) الثمال : الرغوة . (المرجع السابق)
(٣) عللا بعد نهل : أى مرة ثانية بعد الأولى . (المرجع السابق)
(٤) وانظر الخلاف حول اسمه فى شرح المواهب ١ : ٣٤١ .
(٥) يتساوكن : هزلن حتى تمايلن فى مشيهن من الضعف . (المعجم الوسيط)
(٦) ماتساوقوا : أى ماتتابعوا وتزاحموا فى السير . (المعجم الوسيط)
(٧) النقى : المخ . (المعجم الوسيط)
(٨) عازبة : أى بعيدة المرعى التى لا تأوى إلى المنزل فى الليل . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٢٧)

الوجه ، لم تعِبْه ثُجْلَة (١) ولم تُزْرِ به صُعْلة (٢) ، وَسِيمٌ قَسِيم فى عينيه دَعَج ، وفى أشفاره وَطَف (٣) وفى صوته صَحَل (٤) ، أحْوَر أكْحَل ، أزَجّ (٥) أقْرَن (٦) ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سَطَع (٧) ، وفى لحيته كثافة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حُلْوُ المنطق ، فَصْلٌ لاَ نَزْر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يَتَحَدَّرْن ، أبهى الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، رَبْعَة لا تشنَؤُه (٨) من طول ، ولا تقتحمه (٩) عين من قِصَر ، غُصْنٌ بين غُصْنَيْن ؛ فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحُفُّون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تَبَادَرُوا إلى أمْرِهِ ، مَحْفُود (١٠) مَحْشُود (١١) ، لا عابس ولا مُفْنِد (١٢) . فقال : هذا هو والله صاحب

(١) الثجلة : عظم البطن . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٢٧)
(٢) الصعلة : صغر الرأس . (المرجع السابق)
(٣) الوطف : طول فى الأهداب . (سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٧١) .
(٤) الصحل : بحة فى الصوت تجعله غير حاد . (سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٧٢)
(٥) الأزج : دقيق الحاجبين مقوسهما . (المعجم الوسيط)
(٦) الأقرن : أى مقرون الحاجبين ـــ والمشهور فى وصف حاجبى النبى ﷺ مافى حديث هند بن أبى هالة : أزج الحواجب سوابغ من غير قرن . قال ابن الأثير : وهو الصحيح وقال غيره إنه المشهور . (شرح المواهب ١ : ٣٤١ ، ٣٤٢)
(٧) السطع : أى النور . (السيرة الحلبية ٢ : ٢٢٧)
(٨) لا تشنؤه : أى لاتبغضه لفرط طوله . (المرجع السابق)
(٩) لاتقتحمه عين : أى لاتتجاوزه إلى غيره اختيارا له . (المرجع السابق ٢ : ٢٢٨)
(١٠) المحفود : الذى يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته . (النهاية فى غريب الحديث)
(١١) المحشود : أى له حشد وجماعة . (تاريخ الخميس ١ : ٣٣٤)
(١٢) لا مفند : لا يكثر اللوم على من وقع منه ذنب . (المرجع السابق)

قريش الذى يُطْلَب ، ولو صادَفْتُه لألتمِسَنّ أن أصْحَبه ، ولأجهدَنّ إن وجدت لذلك سبيلا [١] .

ويروى ، قالت أم معبد : طَلَع علينا أربعة على راحلتين فنزلوا بى ، فجئت رسولَ الله ﷺ بشاة أريد أن أذْبَحَها ، فإذا هى ذات دَرٍّ ، فأَدْنَيْتُها منه فلمس ضَرْعها فقال : لا تذبحيها . فأرسلتُهَا ٥ وجئتُ بأخرى فذَبَحْتُها ، فطبختها لهم ، فتغدّى رسول الله ﷺ وأصحابُه ، وملأت سفرتهم منها ما وَسِعَت سفرتُهم ، وبقى عندنا لحمها أو أكثره ، وبقيت الشاة التى لمس رسولُ الله ﷺ ضرعها عندنا حتى كان زمان الرَّمَادَة زمان عمر بن الخطاب ، وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة . وكنا نحلبها صَبُوحًا وغَبُوقًا . وما فى الأرض لا قليل ١٠ ولا كثير [٢] .

ومَرّت قريش بأم مَعْبَد ، وسألوها عن رسول الله ﷺ ووصفوه ، فقالت : ما أدرى ما تقولون ، غير أنه ضَافَنِى حالبُ ١٩٧ الحائل . فقالوا : ذاك الذى / نطلب .

وكان أهل أم معبد يُؤَرِّخون بيوم نزل الرجل المبارك [٣] ١٥

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤٢ — ٢٤٤ ، وعيون الأثر ١ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٦٠ — ٢٦٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٤٦ — ٣٤٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٣٣ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٠ — ٣٤٢ .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤٥ ٢٤٦ ، والامتاع ١ : ٤٣ . ٢٠

(٣) السيرة الحلبية ٢ : ٢٢٨ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٢ .

ولما ارتحل رسولُ الله ﷺ عن أم مَعْبَد تعرَّضَ له سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلِجِىّ . وكان لمّا خرج رسول الله ﷺ مهاجرا إلى المدينة جَعَلَتْ قريش مائةَ ناقة لمن رَدَّه عليهم . قال سُرَاقة : فبينما أنا جالسٌ فى نادى قومى أقبلَ رجلٌ مِنَّا حتى وقف علينا فقال : والله لقد رأيت رَكَبَةً ثلاثة مَرُّوا علىَّ آنفا ، إنى لأراهم محمدا وأصحابَه . فأومأتُ إليه . يعنى أن اسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان يبتغُون ضالَّةً لهم . قال : لعَلّه . ثم سكت ، فمكثتُ قليلا ثم قمتُ فدخلتُ بيتى ، ثم أمَرْتُ بفرسى فقُيِّدَ لى إلى بَطْنِ الوادى ، وأمرتُ بسلاحى من دبر حجرتى ، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها ، ثم انطلقت فلبست لأمتى ، ثم أخرجت قِدَاحى فاسْتَقْسَمْتُ بها فخرجَ السّهم الذى أكره ؛ « لا يضره [1] » . وكنت أرجو أن أَرُدَّه على قريش فآخذ المائة الناقة ، فركبتُ على أثره ، فبينا فرسى يشتد بى إذ عثر بى فسقطتُ عنه ، قلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قِدَاحى فاسْتَقْسَمْتُ بها ، فخرج السهم الذى أكره « لا يضره » فأبيت إلا أن أتبعه فركبت فى أثره ، فبينا فرسى يشتد عثر بى فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قِدَاحى فاسْتَقْسَمْتُ بها ، فخرج السهم الذى أكره « لا يضره » فأبيت إلا أن أتبعه فركبتُ فى أثره ، فلما بَدَا لى القومُ فرأيتهم عثر بى فرسى فذَهَبَتْ يداهُ فى الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار ؛ فعرفت حين رأيت ذلك أنه

(١) كذا فى الأصول . وفى دلائل النبوة ٢ : ٢١٩ « أأضرهم أولا أضرهم ؟ فخرج الذى أكره ؛ لا تضرهم » وفى الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤١ « أضرهم أم لا ؟ فخرج الذى أكره » .

قد منع منى وأنه ظاهر ، فناديتُ القومَ : أنا سُرَاقة بن جُعْشُم ، أنظرونى أكلمكم ، فوالله لا آذيتكم ولا يأتيكم منى شئٌ تكرهونه . فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : قل له : وما تبتغى منا ؟ فقال لى ذلك أبو بكر . قلت : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك . قال : أكتب له يا أبا بكر . فكتب لى كتابا فى عظم — أو فى خرقة — ثم ٥ ألقاه إلىّ فأخذته فجعلته فى كنانتى ، ثم رجعت فسكتّ فلم أذكر شيئا مما كان (*) .

ويروى قال سُرَاقة : جاءنا رُسُلُ كُفَّار قريش يجعلون فى رسول الله ﷺ وفى أبى بكر دِيَةَ كلٍّ واحد منهما لِمَنْ قَتَلَه أو أَسَرَه ، ١٩٨ فبينا ، أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى / بنى مُدْلج إذ أقبل رجلٌ ١٠ منهم (١) حتى وقف علينا ونحن جلوس فقال : يا سُرَاقة إنى قد رأيت آنفا أسْوِدَةً بالساحل أراها محمدا وأصحابه . قال سراقةُ فعرفتُ أنهم هم ، فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقا بأعيننا ، ثم قَلَّ مَا لَبِسْتُ فى المجلس ساعةً حتى قمتُ فدخلت بيتى ، فأمرت جاريتى أن تَخْرُج بفرسى فتهبطها من وراء أكمةٍ ١٥ فَتَحْبِسَها علىَّ ، وأخذتُ رمحى : وخرجت به من ظهر البيت ، فخططت بزُجِّه الأرضَ ، وخفضتُ أعاليه ، حتى أتيت فرسى فركبتها

(*) من أول خبر سراقة إلى هنا ورد فى م قبل خبر مرور النبى ﷺ وأبى بكر بعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما .

(١) فى ت « منا » . والمثبت عن م ودلائل النبوة ٢ : ٢١٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٠ ٢١٦ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٧ .

فرفعتها تَقَرَّبُ بى ، حتى إذا دنوت منهم عثرت بى فرسى فخَرَرْت عنها ، فقمت فأهْوَيْت بيدى إلى كِنَانَتِى فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها : أضرهم أو لا أضرهم ؟ فخرج الذى أكره « لا أضرهم » فركبتُ فرسى — وعصيت الأزلامَ — فرفعتها تَقَرَّبُ بى حتى ٥ إذا سَمِعْتُ قراءَةَ رسولِ الله ﷺ — وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات — ساخَتْ يَدَا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخَرَرْتُ عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تُخْرِج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لِأَثَرِ يَدَيْها غُبَارٌ ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلامَ فخرج الذى أكره أن « لا أضرهم » فناديتهم ١٠ بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى — حين لقيت ما لقيتُ مِنَ الحَبْس عنهم — أن سيظهر أمرُ رسول الله ﷺ ، فقلت له : إنّ قومك قد جعلوا فيكما الدِّيَة ، وأخبرتهم خبر ما يريد الناس بهم ، وعَرَضْتُّ عليهم الزادَ والمتاع . فلم يَرْزَآنى شيئا ، ولم يسألانى إلاّ أن قالا : أَخْفِ عنا . فسألته أن يكتب لى كتاب ١٥ مُوَادَعَةِ أَمْن ، فأمر عامر بن فُهَيْرة فكتب فى رُقْعَة من أَدَم ، ثم مضى رسول الله ﷺ (١) .

ويروى : أنه لما أدرك سُرَاقَةُ بنُ مالك بن جُعْشم النبى ﷺ قال أبو بكر : يا رسول الله ، هذا الطلبُ قد لحقنا . فقال : لا تَحْزَن

(١) وانظر مع المراجع السابقة الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، والسيرة ٢٠ النبوية لابن كثير ٢ : ٢٤٦ ـــ ٢٤٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٣٢ .

إنّ الله معنا . حتى إذا دَنَا فكان بينه وبينهم قَدْر رُمْح أو رمحين أو ثلاثة قال أبو بكر : يا رسول الله هذا الطَّلَبُ قد لحقنا . وبكى أبو بكر ، فقال النبى ﷺ : لم تبكى ؟ قال : أما والله ما عَلَى نفسى أبكى ، ولكن أبكى عليك . فدعا / رسولُ الله ﷺ فقال : اللَّهم اكْفِنَاه بما شئت . فساخت قوائم فرسه إلى بطنها فى أرض صلد ، ووَثَبَ عنها وقال : يا محمد قد عَلِمْتُ أنّ هذا عملك ، فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ؛ فوالله لأعمين عَلَى مَنْ وَرَائى من الطَّلَب ، وهذه كِنَانَتِى فخُذْ مِنْها سهما ؛ فإنك ستمر على إبلى وغنمى وغلمانى فى موضع كذا وكذا فَخُذْ منها حَاجَتَك . فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لى فيها ، ودعا له [1] .

فلما أراد أن يعود عنه قال : كَيْفَ بك يا سُرَاقَةُ إن سُوِّرْتَ بِسِوَارَىّ كسرى ؟ قال : كِسْرَى بن هُرْمُز ؟ قال النبى ﷺ : نعم . وسأله سُرَاقَةُ أن يكتب له النبيُّ ﷺ كتابا ، فكتَبَ له أبو بكر – ويقال بل كتبه له عامر بن فُهَيْرَة – فى أَدَم . ورجع يقول للناس : قد كُفِيتُم ما ها هنا ، ويردّ عنهم الطَّلَبَ [2] .

ويروى : لما تبعهم سُرَاقة بن مالك قال أبو بكر : يا رسول الله أُتينا . فقال رسول الله ﷺ : لا تَحْزَن إنّ الله معنا . فدعا عليه

(١) طبقات ابن سعد ٤ : ٣٦٦ ، ودلائل النبوة ٢ : ٢١٦ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤٠ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٥٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢١٨ ، ٢١٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) الإمتاع ١ : ٤٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٨ .

رسول الله ﷺ فارتطمت فَرَسُه إلى بطنها ، فقال : إنى قد علمت أنكما دَعَوْتُمَا عَلَىَّ ، فادعوا الله لى ، فالله لكما أن أَرُدَّ عنكما الطَلَب ، فدعا الله فَنَجِّىَ ، فرجع لا يلقى أحدا إلا قال : قد كُفِيتُم ما هنا ، فلا يلقى أحدا إلا رَدَّه وَوَفَىَّ لهم (١) .

٥ ولما سمع أبو جهل شأن سُرَاقة وما يذكر من أمرِ رسول الله ﷺ وما رَأى من أمرِ الفَرَسِ حين أصابه ما أصابه ، وتَخَوَّف أبو جهل سُرَاقة أن يُسْلِمَ حين رأى ما رأى فقال :

بنى مُدْلج إنى أخافُ سفيهكم سُرَاقةَ مُسْتَغْوٍ لنصر محمـدِ
عليكم به ألاّ يُفَرِّق جمعكم فيصبح شَتَّى بعد عِزٍّ وسؤدد (٢)
١٠ يظن سفيهُ الحيِّ أن جاء سهمه على واضحٍ مِن سُنَّةِ الحقّ مُهْتَدِ
فأنَّى يكون الحق ما قال إن غدا ولم يأت بالحق المبين المسدد
ولو أنه لم يأت يَثْرب هاربـا لأسحاه (٣) وقع المشرفى المهند
ولكنـه ولـىّ غريبـا بِسَخْطَةٍ إلى يَثْرِبٍ مُتَأَفِّنًا(٤) بعد مَوْلِد

فقال سراقة يجيب أبا جهل / : — ٢٠٠

١٥ أبا حكم والله لو كنت شاهدا لأمرِ جوادى إذ تَسُوخُ قوائمه
علمتَ ولم تَشْكُكْ بأنّ محمدا رسولٌ ببرهان فمن ذا يقاومه

(١) دلائل النبوة ٢ : ٢١٧ .
(٢) ورد هذا البيت وسابقه فى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٤٩ والخصائص الكبرى ١ : ٤٦٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٣٣ . ولم ترد بقية الأبيات .
٢٠ (٣) أسحاه : قشره وأزال جلده . (المعجم الوسيط)
(٤) متأفناً : يقال نأفن الرجل أى تخلق بما ليس فيه (المعجم الوسيط)

عليك بكفِّ القومِ عنه فإننى أرَى أمْرَه يوما ستَبْدُوا معالمه
بأمر تودُّ النفس فيه بأنها لَوَ انّ جميع الناس طرًّا تسالمه(١)

ويروى أن أبا بكر الصديق قال فى دخوله الغار مع رسول الله ﷺ ، ومسيره معه حين سار ، وفى طلب سُرَاقة بن مالك بن جعشم إيَّاهم : —

قال النبىّ — ولم يجزع — يُوَقِّرُنى ونحن فى سُدْفة من ظُلْمَةِ الغار
لا تَخْشَ شيئا فإنّ الله ثَالِثُنَا وقد توَكَّل لى منه بإظهار
وإنما كَيْدُ مَن تخشى بَوَادِرَه كيدُ الشياطين كادته لكُفَّار
والله مُهْلِكُهُم طراً بما كسبوا وجاعلُ المنتهى مِنْهم إلى النار
وأنتَ مرتحلٌ عنهم وتارِكُهُم إما (٢ غُدَّوًا وإما مُدْلِجٌ سارى٢)
وهَاجِرٌ أرضَهم حتى يكونَ لنا قَوْمٌ عليهم ذَوُو عِزٍّ وأَنْصار
حتى إذا الليل وارتنا جَوَانِبُه وسُدَّ مِنْ دونِ من نخشى بأستار
سارَ الأُرَيْقِطُ يَهْدِينَا وأَيْنُقه يَنْعَبْنَ بالقَرْمِ نَصْباً تحت أكوار
يعسفن عُرْضَ الثنايا بعد أطولها وكلَّ سَهْب رِقَاقِ الترب مَوَّار
حتى إذا قَلْتَ قد أَنْجَدْنَ عَارِضَها مِن مُدْلِجٍ فَارِسٍ فى منصبٍ وَار

(١) فى الاكتفا ١ : ٤٥٤ ، والروض الأنف ٢ : ٢٣٣
بأمر يود الناس فيهم بأسرهم بأن جميع الناس طرا يسالمه
وفى دلائل النبوة ٢ : ٢٢١ :
بأمر يود النصر فيه بإلبها لوان جميع الناس طرا تسالمه
وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٤٩
بأمر تود النصر فيه فإنهم وإن جميع الناس طرا مسالمة
(٢) بياض فى ت . وكلمات ليس لها معنى فى م . والمثبت عن الاكتفا ١ : ٤٥٥ ، والروض الأنف ٢ : ٢٣٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٥٥ .

يُرْدِى به مشرَفَ الأقطارِ مُعْتَزِمٌ كالسّيدِذِى اللِّبْدَةِ المستأسِدِ الضارى
فقال كُرُّوا فقلنا إنّ كَرَّتَنَا من دونها لك نصرُ الخالق البارى
أن يخسف الأرضَ بالأحوى وفارِسِه فانظر إلى أَرْبعٍ فى الأرض غَوّار
فهيلَ لَمَّا رأى أرساغَ مُقْرِبِه قد سُخْن فى الأرض لم تُحْفَر بِمحْفَار
٥ فقال هل لكُمُ أن تُطْلِقُوا فرسى وتأخذوا مَوْثِقِى فى نُصح أسرار
وأصرف الحىَّ عنكم إن لَقِيتُهُمُ وأن أُعَوِّرَ منهم عَيْنَ عُوَّار
فَادْعُ الذى هو عنكم كيف عوقنا[1] يُطْلِق جوادِى وأنتم خَيْرُ أبرار
فقال قولا رسولُ اللهِمُبْتَهِلاً يا ربّ إن كان منه غير إخفار
فَنَجِّه سالما من شَرِّ دعوتِنا ومُهْرَه مطلقا مِن كَلْمِ[2] آثار / ٢٠١
١٠ فأظهرَ الله إذْ يَدْعُو حوافِرَه وفَازَ فارِسُه من هَوْلِ أخطار

ولقى النبى ﷺ الزُّبَيْرَ فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام إلى مكة ، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ثيابا بيضا[3] .

ولقى النبىُّ ﷺ – أيضا – أوسَ بن حُجْرٍ الأسلمى ، فحمله

---

١٥ (١) كذا فى الأصول . وفى الروض الأنف ٢ : ٢٣٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٥٦

فادع الذى هو عنكم كف عورتنا ...

وفى الاكتفا ١ : ٤٥٦ فادع الذى هو عنكم كف عدوتنا ...

(٢) فى الأصول « من كل » والمثبت عن المراجع السابقة .

٢٠ (٣) دلائل النبوة ٢ : ٢٢٦ ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤٢ ، وعيون الأثر ١ : ١٨٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٥٦ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٩ .

على جَمَل ، وبَعَثَ معه غلاما له يقال له مَسْعُود بن هُنَيْدَة لِيَرُدّه إليه من المدينة (١) .

ولقى النبىُّ ﷺ طلحةَ بن عُبَيْدِ وقد قدم من الشام وخرج من المدينة عامدا إلى مكة لَمَّا ذُكِرَ له رسول الله ﷺ وأبو بكر . فخروجه إما مُتَلَقِّيًا لهما ، وإما عامدا [عُمْرة] (٢) بمكة ، ومعه ثيابٌ من ثياب الشام اشتراها لأبى بكر ، فلما لَقِيَه أعطاهُ الثياب ، فلبسَ رسولُ ﷺ منها وأبو بكر .

وتلقى النبى ﷺ بُرَيْدَة بن الحُصَيْب فى سبعين راكبا من أهل بيته من بنى سهم (٣) فقال نبىُّ الله : مَن أنت ؟ قال : أنا بُرَيْدَة . فالتفت إلى أبى بكر الصديق فقال : يا أبا بكر بَرُدَ أمرُنا وصَلُح . ثم قال : وممن أنت ؟ قال : من أسْلم . قال رسول الله ﷺ لأبى بكر : سَلِمْنَا . قال : ممن ؟ قال : من بنى سَهْم . قال : خرج سَهْمُك [يا أبا بكر] (٤) فقال بريدة للنبى ﷺ : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسولُ الله . فقال بُرَيْدَة : أشهد أن لا إله إلا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٥٧ .
(٢) الإضافة عن دلائل النبوة ٢ : ٢٢٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٥٦ . وانظر فى لقاء النبى ﷺ لطلحة والزبير تاريخ الخميس ١ : ٣٣٥ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٩ .
(٣) زادت الأصول بعد هذا اللفظ « فلقى نبى الله » .
(٤) الإضافة عن الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٥٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٣١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٣٥ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فأسلم بُرَيْدة وأسلم من كان معه جميعا – وكانوا نحو ثمانين بيتا – فصلى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة ، فصَلُّوا خَلْفَه ، فلما أصبحَ قال بُرَيْدَة للنبى ﷺ : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء . فحَل [بريدة] [١] عمامته ثم شَدَّها فى رُمْح ثم مشى بين يديه ، فقال : يا نبى الله تنزل علىّ [٢] . قال النبى ﷺ : إنّ نَاقتى هذه مَأْمُورَة .

ولما أن مضت ثلاث ليال – وأعمى الله على قريش خبرَ النبى ﷺ وصاحبِه فلم يَدْرُوا أين توجُّهَا – أصبح صوتٌ بمكة عاليا بين السماء والأرض ، يسمعونه و لايدرون مَنْ يقوله ، أقبل من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته ولا يرونه ، حتى خرج بأعلا مكة وهو يقول / : –

٢٠٢

جَزَى اللهُ رَبُّ الناسِ خيرَ جزائه ... رفيقين قَالاَ خيمتى أم مَعْبَد
هما نزلا بالبِــــرِّ وارتحلا به ... فأفلح من أمسى رفيقَ محمد
فيالَقُصَىٍّ مَا زَوَى اللهُ عنكم ... به من فعال لا تُجازَى وسُؤْدَد
لِيَهْنِ بنى كعب مَكَانُ فَتَاتِهِم ... ومقعَدُهـا للمؤمـنين بمَـرْصَد
سَلُوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكمُ إن تَسْأَلُوا الشاةَ تشهد
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَت ... له بصريح ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ
فغادرهـا رهنا لديها لِحَـالِبٍ ... تُدِرُّ لها فى مَصْدَرٍ [٣] ثم مورد

(١) إضافة عن السيرة الحلبية ٢ : ٢٣١ .

(٢) كذا فى ت ، والوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤٧ . وفى م وتاريخ الخميس ١ : ٣٣٥ « تنزل على من » وفى السيرة الحلبية ٢ : ٢٣١ « تنزل علام » .

(٣) كذا فى م . وفى ت « مقعد » . وانظر الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٦٢ ، والخصائص الكبرى ١ : ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٤٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٣٤ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٣ . مع اختلاف يسير فى بعض الألفاظ .

فلما سمعوا قوله عَرَفُوا حيثُ توجّه (١) رسول الله ﷺ ، وأن (٢ وجهتهم إلى المدينة ، فأجَدَّ المسلمون على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول لله ﷺ ٢) . وأجاب حسان بن ثابت فقال : —

لَقد خابَ قومٌ زالَ عنهم نبيُّهم ... وقُدِّسَ مَن يَسْرِى إليهم ويَغْتَدِى
ترحّل عن قومٍ فزالت عقولُهم ... وحَلّ على قومٍ بنورٍ مُجـدَّدِ
هداهُمْ به بعد الضلالة ربُّهم ... وأَرشدهم ، مَنْ يَتْبَعِ الحقَّ يُرْشَدِ
وهل يستوى ضُلاَّلُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا ... عَمًى وهُـدَاةٌ يَقْتَـدُون بمهتـد
لقد نزلت منهُ عَلى أهلِ يثرب ... رِكابُ هُدًى حلَّت عليهم بأسْعُد
نبىٌّ يَرَى مالا يرى الناسُ حوله ... ويتلوا كتابَ اللهِ فى كلِّ مَشْهَدِ
وإن قال فى يوم مَقَالَةَ غائبٍ ... فَتَصْدِيقُها فى ضَحْوَةِ اليوم أوْغَدِ
ليهْنِ أبا بكـر سعـادةُ جَدِّهِ ... بصحبتِهِ ، مَن يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ
ويَهْنِ بنى كعبٍ مكان فتاتهم ... ومقعَدُها للمسلمين بمَرْصَدِ(٣)

ولما بلغ جندب (٤) بن ضمرة الجندعى أن النبى ﷺ هاجر قال : لا عُذْرَ لى فى مقامى بمكة — وكان ضعيفا — فأمَر أهلَه فأخرجوه إلى التنعيم فمات ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ

(١) فى الأصول « وجه » . والمثبت عن شرح المواهب ١ : ٣٤٣ .
(٢) سقط فى م .
(٣) الوفا بأحوال المصطفى ١ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٦٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٣ : ٣٤٩ ، وشرح المواهب ١ : ٣٤٣ ، والديوان — مع اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٤) فى الأصول « حبى » والمثبت عن تفسير الطبرى « جامع البيان » ٥ : ٢٣٩ ، وانظر الخلاف حول اسمه فى الإصابة ١ : ٢٥١ ، ٢٥٢ .

مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ (١) ﴾ الآية . فلما رأى ذلك مَنْ كان بمكة مِمَّن يُطِيقُ الخروجَ خَرَجُوا ، فَبَدَرَ فى طلبهم أبو سُفيان فى جماعة من المشركين فردُّوهم وسجنوهم ، فافتتن منه أناس .

وأقام عليٌّ بعد النبى ﷺ بمكة ثلاث ليال ، أدّى بها الودائع ٥ التى كانت / عند النبى ﷺ ، وقَضَى ديونه ، ثم لحق بالنبى ﷺ ، ٢٠٣ وكان يمشى الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة ، فأدرك النبى ﷺ بقباء (٢) .

ولما وصل النبيُّ ﷺ إلى المدينة بعثَ زيدَ بن حَارِثة وأبَا رَافع إلى مَكّة ليقدما عليه ببناته ؛ فاطمة ، وأم كلثوم ، وزينب ، وزوجته سَوْدَة ١٠ بنت زَمْعَة وابنها ، ومولاهُ أُسَامَة بن زَيْد ، وأمّه حاضنة النبى ﷺ أمّ أيمن بَرَكة ، وبعث معهما ببعيرين وخمسمائة درهم — أخذها من أبى بكر — يشتريان بها ما يحتاجان إليه . وبعث أبو بكر معهما عبدَ الله ابن الأُرَيْقِط الدِّيلى ببعيرين أو ثلاثة ، وكَتَبَ إلى عبدِ الله بن أبى بكر أن يَحْمِل أهْلَه ، أمّ رومان ، وعائشة ، وأسماء . فاشترى زيد ١٥ بالخمسمائة ثلاثة أبعرة بقُدَيْد ، وقدم مكة فإذا طلحة بن عُبَيْد الله يُرِيدُ الهجرة ، فقدما المدينة عَلَى رسول الله ﷺ بابنتيه فاطمة وأم كلثوم ، وزوجته سَوْدَة ، وأسامة بن زيد وأمّه أم أيمن — وحَبَسَ أبو العاص بن

---

(١) سورة النساء آية ١٠٠ .

(٢) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٣٤٢ ، والإمتاع ١ : ٤٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٠ ٢٣٣ ، وشرح المواهب ١ : ٣٥٢ .

الربيع امرأته زينبَ ابنةَ النبى ﷺ – وخَرَج معهم عبدُ الله بن أبى بكر (١ بعيال أبيه – فيهم عائشة – فقدموا المدينة .

ويروى : أن عبد الله بن أُرَيْقِط لَمّا رجع إلى مكة أخبرَ عبدَ الله بن أبى بكر ١) بمكان أبيه أبى بكر ، فخرجَ عبدُ الله بعيال أبيه إليه ، وصحبتهم طلحة بن عُبَيْد الله ، ومعهم أم رومان أم عائشة ، وعبد الرحمن ، حتى قدموا المدينة (٢) .

ولما خرج النبىُّ ﷺ إلى المدينة هَمّ بالخروج على أثره صُهَيْبُ ابن سِنَان ، فصدَّه فتيانٌ من قريش ، (٣ فجعل ليله يقوم لا يقعد ، فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه – ولم يكن شاكيا – فناموا فخرج ، فلحقه منهم ٣) ناسٌ بعدما سار بَرِيدًا ليَرُدُّوه . فقال لهم : هل لكم أن أعطيكم أواقى من ذهب وتخلون سبيلى وتُوفُونَ (٤) لى ؟ ففعلوا : فبعثهم إلى مكة فقال : احفروا تحت أسْكُفَّة الباب فإن تحتها الأواقى ، واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتَين . وخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ قباء قبل أن يتحوَّل منها ، فلما رآنى قال : يا أبا يحيى رَبِحَ البيعُ – ثلاثا – فقلت : يا رسول الله ما سبقنى إليك أحدٌ وما أخبرك إلا جبريلُ عليه السلام .

---

(١) سقط فى ت .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٣١٤ ، والإمتاع ١ : ٤٨ ، ٤٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، وشرح المواهب ١ : ٣٧٠.

(٣) سقط فى ت . والمثبت من م والخصائص الكبرى ١ : ٤٧٣ .

(٤) فى م « وتوثقون لى » . وفى ت لفظ لا يقرأ . وفى دلائل النبوة ٢ : ٢٤٦ « وتوثقون لى الله » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٢٢٣ .

ولما قدم النبىّ ﷺ المدينة أَمَرَ بالتاريخ فكُتِبَ من حين الهجرة ، ويعرف بعام الأذن (١) .

والمشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من أرّخ ، وجعل ذلك من المُحَرّم ، وقيل : / (٢ يعلى بن أُمَيّة إذ كان باليمن ، ٢٠٤ ويروى : بل أرخ وفاته ﷺ ٢) .

والصحيح أنه من فعل عمر جعله فى سنة سبع عشرة — أو التى قبلها ، أو التى بعدها — لَمَّا التبس عليه الأمر . ففى بعض التواريخ : واستشار الصحابة فى ذلك فأجمعوا على سَنَةِ الهجرة وبَدَءُوها بالمحرم (٣) .

وفيها قدم مكة وفد هَمْدَان من اليمن مُسْلِمِين ، وجاءوا لينطلقوا بالنبى ﷺ إلى اليمن ، فوجدوا الأنصارَ قد خرجت به إلى المدينة ، فنزلَت همدانُ مَكَّة .

وفيها مات من المشركين العاص بن وائل السهمى ، والوليد بن المغيرة ، ولما حضر الوليد بن المغيرة الموت جزع ، فقال له أبو جهل :

---

(١) كذا فى الأصول ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٣٨ . ولعله عام الأذان ؛ لأن الأذان قد شرع فى العام الأول من الهجرة على المشهور .

(٢) كذا فى الأصول . وفى المواهب ١ : ٣٥٢ « وقيل أول من أرخ يعلى بن أمية حين كان باليمن — حكاه مغلطاى ، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن يعلى — قال الحافظ : لكن فيه أنقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى . ولم يؤرخوا بالمولد ولا بالمبعث لأن وقتهما لا يخلو من نزاع من حيث الاختلاف فيهما ، ولا بالوفاة النبوية لما يقع فى تذكره من الأسف والتألم على فراقه . وقيل بل أرخ بوفاته عليه السلام ؛ حكاه مغلطاى » .

(٣) شرح المواهب ١ : ٣٥٢ .

يا عم ما يجزعك ؟ قال : والله ما بى جَزَعُ الموتِ ، ولكنى أخاف أن يَظْهَرَ [١] ابن أبى كَبْشَة بمكة . فقال أبو جهل : يا عم لا تخف أنا ضامن ألا يظهر .

* * *

« السنة الثانية من الهجرة النبوية » ٥

فيها فى رجب قدم المَجَدَّعُ [٢] فى الله أميرُ المؤمنين عبد الله بن جَحْش ، وهو أوّل من لُقِّبَ أميرَ المؤمنين فى اثنى عشر مُهَاجِرًا – ويقال ثمانية – كل اثنين يعتقبان بعيرا من المدينة إلى نَخْلَة – على ليلة من مكة – ترصد عيرا لقريش ، فمرت بهم عِير لهم من الطائف ، فيهم عمرو بن الحَضْرَمِىّ ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى ، ١٠ وأخوه نَوْفَل ، والحكم بن كَيسان المخزومى ، فهابهم أهلُ العِير وأنكروا أمرهم ، فحلق عُكَّاشَة بن مِحْصَن الأسدى رأسه ، ثم وافى ليطمئن القوم ، فقال المشركون : لا بأس ؛ قَوْمٌ عُمّار ، فأمنوا وقيّدوا ركابهم وسرّحوها . فاشْتَوَرَ المسلمون فى أمرهم ، وكان آخر يوم من رجب – ويقال أول يوم من شعبان – فقال قائل منهم : هذه غِرَّة من عدو ١٥ وغنم رُزِقتموه ، ولا ندرى مِنَ الشهرِ الحرام هذا اليوم أم لا . وقال قائل منهم : لا نعلم اليوم إلاّ مِنَ الشهر الحرام ، ولا نرى أن تستحلوه

(١) كذا فى الأصول . وفى تاريخ الخميس ١ : ٣٥٣ « أن يظهر دين ابن أبى كبشة » .

(٢) عرف بذلك لأنه مثل به يوم أحد وقطع أنفه . (الاستيعاب ٣ : ٨٧٨) ٢٠

لطمع أشفيتم عليه . فغلب على الأمر الذين يريدون عَرَض الدنيا وقاتلوهم ، فرمى واقِدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين [١] التميمى اليَرْبُوعى عَمَرو بن الحضرمى بسهم فقتله ، وشد القومُ عليهم فأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، والحكم بن كيسان ، وأعجزهم نَوْفَل ٥ ابن عبد الله بن المغيرة ، واستاقوا العير – وكانت تحمل خمرا وأدما وزبيبا – حتى قدموا بها على النبى ﷺ ؛ فهى أوّل غَنِيمَةٍ كانت فى الإسلام . / ويقال بل عَزَل أميرُ الجيش الخُمْسَ وقَسّمَ الباقى ، فكان ٢٠٥ أول خُمْسٍ خُمِّس ، وأوّل غنيمة ، وأوّل قَتِيل ، وأوّل أسير كان فى الإسلام . فأوقف النبىّ ﷺ العيرَ فلم يأخذ منها شيئا ، وحبس ١٠ الأسيرين ، وقال لأصحابه : ما أمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام . فسُقِط فى أيديهم ، وعَنَّفهم المسلمون ، وظنوا أنْ قد هلكوا .

وقالت قريش قد استحلّ محمدٌ سَفْكَ الدم ، وأحل القتال فى الشهر الحرام فأنزل الله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ [٢] ﴾ وبعثت قريش إلى النبى ﷺ فى فداء ١٥ أصحابهم ، فقال : لن نفديهما حتى يعدم صاحبانا ؛ يعنى سَعْدَ بن أبى وَقَّاص ، وعُتْبَة بن غَزْوَان ، وكانا زميلين فضلّ بعيرهما وأقاما يومين يبغيانه ، فلم يشهدا نَخْلَة ، ثم قدما المدينة (٣ فَفَادَى رسولُ الله ﷺ حينئذ الأسيرين ٣) [ووقّف] [٤] الغنيمةَ حتى يرجع من

---

(١) فى الأصول « غرير » والتصويب عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٣٦ ، ٢٠ والإصابة ٣ : ٦٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٣) كذا فى م ، وعبارة ت غير مستقيمة .

(٤) الإضافة عن مغازى الواقدى ١ : ١٨ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١١ ، والإمتاع ١ : ٥٨

بدر ، فقَسَّمَها مع غنائم أهل بَدْر ، وأعطى كلّ قوم حقَّهم . ويقال وَدَى النبىُّ ﷺ عَمْرَو بن الحَضْرَمِىّ ، والصحيح أنه لم يده (١) .

* * *

وفيها تحيَّن رسول الله ﷺ انصراف العِيرِ التى خرج من أجلها إلى العشيرة ، وإقبالها من الشام ، فبعث طَلْحَة وسَعِيدَ بن زيد يتحسّسَان (٢) خبرها ، ونَدَب أصحابه وقال : إن لنا طِلْبَة ، فمن كان ظهره حاضرا فليركب معنا . فجعل رجالٌ يستأذنونه فى ظهر لهم فى علو المدينة ، فقال : لا ، إلا من كان ظَهْرُه حاضرا .

ويقال : إن النبىّ ﷺ أخبر أصحابه ما مع أبى سفيان من المال مع قِلَّة عَدَدِه ، فخرج أقوامٌ منهم لطلب الغَنِيمة ، وقعد آخرون لم يَظُنُّوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا .

وخرج رسول الله ﷺ يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خَلَت من رمضان – وقيل : لثلاث خلون من رمضان – وخرجت معه الأنصار ، ولم يكن غزَا بأحدٍ منهم قبلها ، وقدَّم عينا له على المشركين بَسْبَس بن عمرو وعدى بن أبى الزَّغْبَاء . ولما بلغ أبا سفيان خروجُ رسول الله ﷺ ليأخذ ما معه استأجر ضَمْضَمَ بن عمرو الغِفارِىّ فبعثه إلى مكة يستنفر قريشا لأجل أموالهم ، فخرج ضَمْضَم سريعا .

---

(١) وانظر مع المراجع السابقة دلائل النبوة ٢ : ٣٠٦ ، ٣١٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٣٦٦ – ٣٧٢ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٢) فى الأصول « يتجسسان » والمثبت عن مغازى الواقدى ١ : ١٩ . وفى الروض الأنف ٣ : ٤٣ « التحسس بالحاء أن تتسمّع الأخبار بنفسك ، والتجسس أن تفحص عنها بغيرك » .

وكانت عَاتِكَةُ / بنتُ عبد المطلب قد رأت – قبل قدوم ٢٠٦ ضَمْضَم مَكَّة بثلاث ليال – رؤيا أفزعتها ، فأخبرت بها أخاها العباسَ ابن عبد المطلب ، وأمرته أن يكتم ذلك ؛ قالت : رأيتُ راكبا على بعيرٍ له حتى وقف بالأَبْطَحِ ثم صرخ بأعلى صَوْتِه : أن انفروا يا آل غُدَر إلى مصارعكم فى ثلاث . فاجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هو حوله مَثَل [١] به بعيرُه على ظهر الكعبة يصرخ بأعلى صوته : انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم . ثم مَثَل به بعيرُه على رأس أبى قُبَيْس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صَخْرَةً فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارْفَضَّت فما بقى بيتٌ من بيوت مَكَّة ولا دَارٌ من دورها إلا دخلت فيها فِلْقَة . فقال لها العباس : اكتميها . ثم لقىَ الوليدَ بن عُتْبَةَ – وكان صديقا له – فذكرها له وَآستَكْتَمَه ، ثم لقى الوليدُ أباه [٢] عتبة فذكرها له ، ففشا الحديثُ حتى تحدَّثَت به قُرَيش .

قال العباس : فلقينى أبو جهل فقال : يا أبا الفضل متى حَدَثَت فيكم هذه النَبيَّة ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التى رأتها عَاتِكَةُ ، أما رَضِيتُم أن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم ؟! وقد

---

(١) مثل به بعيره : أى انتصب به على ظهر الكعبة . (السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦)

(٢) فى الأصول ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٣٨٢ « ابنه » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٤١ ، ودلائل النبوة ٢ : ٣١٥ ، والاكتفا ٢ : ١٥ ، وعيون الأثر ١ : ٢٤٣ ، وتاريخ الإسلام ٢ : ١١٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٧٦ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٦٦ .

زعمت عاتكة أنه قال : انفروا فى ثلاث ، فسنتربَّصُ بكم هذه الثلاث ، فإن يَكُنْ ما قالت حَقًّا فسيكون ، وإن تمض هذه الثلاث لم يكن من ذلك شئ فنكتب عليكم كتابا أنكم أكْذَبُ أهلِ بيتٍ فى العرب . قال العباس : فجحدت ذلك وأنكرت بأن تكون رأت شيئا ، ثم تفرقنا ، فلما أمسيتُ لم تبق امرأةٌ من بنى عبد المطلب حتى ٥ أتتنى فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساءَ وأنت تسمع ، ثم لم تكن عندك غِيرَةٌ لما سمعت ؟! فقلت : قد والله فعلتُ ذلك ، وأيّم الله لأتعرضن له فإن عاد كفيتكموه . قال : فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة – وأنا مُغْضَبٌ أرى أَنْ قد فاتنى منه أمرٌ أحب أن أُدْرِكَه منه – فدخلت ١٠ المسجد فرأيته ، فوالله إنى لأمشى نَحْوَه أتعرّض له ليعودَ لبعض ما قال فأقع به إذ خرج نحو باب المسجد يَشْتَدُّ ، فقلت فى نفسى : ما له لعنه الله ، أكل هذا فرقاً من أن أُشَاتِمه ؟! وإذا هو قد سمع ما لَمْ أسمع : صوت ضَمْضَم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى ، وهو واقفٌ على بعيره وقد جَدَّع أُذُنَيه ، وشقّ قميصه ، وحول رحله ١٥ وهو يقول : يا معشر قريش ، يا آل لؤى بن غالب ، اللَّطِيمَة [1] اللَّطِيمَة ، أموالكم مع / أبى سفيان قد عَرَض لها محمد وأصحابه ، ٢٠٧ والله ما أرى أن تُدْرِكُوها ، الغوثَ الغوثَ . فشغلنى عنه وشغله عنى ما جاء من الأمر [2] .

---

(١) اللطيمة : هى العير التى تحمل الطيب والبز . (السيرة الحلبية ٢ : ٣٧٧) ٢٠
(٢) وانظر مع المراجع السابقة مغازى الواقدى ١ : ٢٩ ، ٣٠ .

فتجهّز الناسُ سَرِيعا فى ثلاثة أيام – ويقال : فى يومين – ونفروا على الصعب والذلول ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابُه أن يكون كَعِيرِ ابن الحَضْرَمِىّ ؟! كلا والله ليعلمن غير ذلك . وأعان قَوِيُّهم ضعيفَهم ، وقام سهيل بن عمرو ، وزمعة بن الأسود ، وطُعَيْمة بن عَدِى ، وحَنْظَلة بن أبى سفيان ، وعمرو بن أبى سفيان يَحُضُّون الناسَ على الخروج ، ومشى نَوْفَلُ بن معاوية الدِّيلى إلى أهل القُوَّة من قريش فكلَّمهم فى بَذْلِ النفقة والحُمْلاَن لمن خرج ، فقال عبدُ الله بن ربيعة : هذه خمسمائة دينار ، فضعها حيث رأيتَ . وأخذ من حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى مائتى دينار – أو ثلاثمائة دينار – قَوَّى بها فى السلاح والظهر ، وحمل طُعَيْمَةُ بن عَدِى على عشرين بعيرا ، وقَوَّاهم وخَلَفَهم فى أهلهم بمعونة ، وكان لا يتخلّف أحدٌ من قريش إلا بعث مكانه بعيثا .

ومشوا إلى أبى لَهَب فأبى أن يخرج أو يَبْعَث أحدا – ويقال : إنه بعث مكانه العَاصَ بن هِشَام بن المُغِيرة ، وكان له عليه دين فقال : أخرج ودينى لك . فخرج عنه [١] .

وكان أمية بن خَلَف شيخا كبيرا فأجمع القعود لذلك ، ولما قاله سعدُ بن مُعَاذ لما نَزَل عليه بمَكَّة معتمرا ، وخاصمه أبو جهل عند الطواف ، وصار أُمَيَّة يقول له [٢] : لا ترفع صَوْتَك عليه [٣] فإنه

---

(١) الإمتاع ١ : ٦٧ .

(٢) أى لسعد بن معاذ كما فى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٣٨٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٧٨ .

(٣) أى على أبى جهل الحكم بن هشام . (وانظر المرجعين ، سبل الهدى ٤ : ٧٢)

سيّد أهلِ الوادى – وكَرَّرَ ذلك [فقال سعد : دعنا عنك يا أُمَيّة فوالله لقد سمعت] [١] ، محمدا قال لى : إنه قَاتِلُكَ [١] . قال : إيَّاى ؟ قال : نعم . قال : والله ما يكذب محمد . وأخبر أمرأته بذلك ، فلما كان الصريخ إلى بدر قالت له امرأته : أما تذكُرُ ما قال لك أخوكَ اليَثْرِبِىُّ سعدُ بن مُعاذ ؟ فأتاه عُقْبَةُ بن أبى مُعَيط وأبو جهل فعَنَّفَاه ، وقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادى : فسِرِ معنا يوما أو يومين . وحمل عُقْبَة مِجْمَرَةً فيها نار [وبَخُور] [٢] فوضعها بين يديه ، ثم قال : استَجْمِرْ فإنما أنت من النساء . فقال له : قَبَّحَكَ الله وقبَّح ما جئتَ به . ثم تجهّز وقال لهما : ابتاعا لى أفضل بَعيرٍ فى الوادى . فابتاعوا له جملا بثلاثمائة درهم من نعم بنى قشير ؛ فغَنِمَهُ المسلمون وقُتِلَ هو كما سيأتى .

وأبى عُقْبَةُ بن أبى مُعَيْط أن يخرج ؛ فإنه لما هاجر النبىُّ ﷺ إلى المدينة قال وهو بمكة : –

٢٠٨ يا راكب الناقة القصوى مهاجرة عما قليل تَرَانى راكِبَ الفَرَس /
أُعِلّ رُمْحِىَ فيكم ثم أَنْهَلـه والسيفُ يأخذ منكم كلّ مُلْتَبس

فلما بلغ النبىّ ﷺ قولُه قال : اللهم كُبَّه لنَحْرِهِ وَاصْرَعه .

---

(١) فى الأصول « وكرر ذلك وهو أن محمدا قال له : إنه قاتلك » والسقط فيها ظاهر والاختصار مخل مما اقتضى إضافة مابين الحاصرتين وتصويب بقية العبارة عن سبل الهدى والرشاد ٤ : ٧٢ .

(٢) إضافة عن المرجع السابق . وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٤٣ « فيها نار ومجمر » والمجمر : هو البخور .

فقال له أصحابه : اخرج معنا . فقال : قد وَعَدَنِى هذا الرجل إن أخذنى خارجا من جبال مكة يَضْرِب عنقى صبرا . فقالوا : لك جَمَلٌ أحمرُ لا يدرى ، فإن كانت الهزيمة طِرْتَ . فخرج معهم وقُتِلَ كما سيأتى .

وأخذ عَدَّاس يخذِّل شَيْبَة وعُتْبَة ابنى ربيعة والعاصَ بن مُنَبِّه ابن الحجّاج عن الخروج ، وما كان أحدٌ من قريش أَكْرَهُ للخروج مِنَ الحارث بن عامر ، وكان من أبطالهم هو وأمَيّة بن خلف وابنه عَلِيٌّ ، وعُتْبَة وشَيْبَة ابنا ربيعة ، وحَكِيم بن حِزَام ، وأبو البَخْتَرِيّ ، والعاص ابن مُنَبِّه حتى بَكَّتَهُم أبو جهل بالجُبْن ، وأعانه عُقْبَةُ بن أبى مُعَيْط والنّضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، فأجمعوا المسير .

وكان استقسم أُمَيَّةُ بن خَلَف وعُتْبَةُ وشَيْبَة وزَمْعَة بن الأسود وعُمَيْر بن وَهْب وحَكِيمُ بن حِزَام عند هُبَل بالآمرِ والناهى من الأزلام ، فخرج القِدْحُ النَّاهِى عن الخروج [١] .

ورأى ضَمْضَمُ بن عمرو أنّ وادى مَكَّة يسيلُ دَمًا ما بين أَسْفَلِه وأعلاه [٢] .

ولَمَا أجمعوا المسير ذكروا ما بينهم وبين [٣] كِنَانة قالوا : نَخْشَى أن يَأْتُونَا من خَلْفِنا فتبَدَّى لهم إبليسُ فى صورة خالد بن

(١) الإمتاع ١ : ٦٧ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٧٩ .
(٢) الإمتاع ١ : ٦٨ .
(٣) سقط فى م .

جُعْشم (١) – وكان من أشراف كنانة – فقال : أنا جارٌ لكم من كِنَانة . فخرجوا سراعا فى تَجَمُّل عظيم ، وحنق زائد على النبى ﷺ وأصحابه ؛ لِمَا يَرَوْن من أخذ عيرهم ، وما أصابوا (٢) من قتل عمرو ابن الحَضْرَمِىّ ، وأخذ العِير التى كانت معه ، ومعهم القِيَان والدفوف يُغَنِّين فى كل مَنْهل ، وهم ينحرون الجُزُرَ ويُطْعِمُون الطعام مَنْ أتاهم ، وهم تسعمائة وخمسون مقاتلا ، وقادوا مائة (٣) فرس عليها مائة درع سوى دروع فى المشاة ، وكانت إبلهم سبعمائة بعير ، وهم كما قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ ٱلنَّاسِ (٤) ﴾

ولما نزلوا مَرّ الظهران (٥) رجعت بنو عِدِىّ منه ، ونحَرَ أبو جهل جُزُرًا فكانت جزورٌ منها بها حَيَاةٌ فما بقى خباءٌ من أخبية العسكر إلا أصابه من دمها (٦) .

---

(١) كذا فى ت . وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٤٥ ، والمغازى للواقدى ١ : ٣٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٣٨٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٣٦ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٧٠ « فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى » .

(٢) كذا فى م ، وفى ت « لما أصابها من قتل » .

(٣) كذا فى الأصول ، ومغازى الواقدى ١ : ٣٩ . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٣٨٧ « مائتا فرس » .

(٤) سورة الأنفال آية ٤٧ .

(٥) مر الظهران : من أجل أودية الحجاز ويسمى حاليا وادى فاطمة وبه قرى كثيرة لخصوبة أرضه وكثرة مياهه وانظر معالم مكة للبلادى ٢٥٨ ـــ ٢٦٥ .

(٦) الإمتاع ١ : ٦٨ .

ولما نزلوا الجحفة رأى جهيم [بن الصلت] [١] بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إنى رأيتُ فيما يَرَى النائم ، أو إنى لَبَيْن النائم واليقظان إذ رأيتُ إلى رجلٍ أقبل عَلَى فرس حتى وقف ومعه بعيرٌ له ثم قال : قُتِلَ عُتْبَة بن / ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وزَمْعَة بن ٢٠٩ الأسود ، وأُمَيّة بن خلف ، وأبو البَخْتَرِى ، وأبو الحَكَم ، ونَوْفَل بن ٥ خُوَيْلد فى رجال سَمَّاهم ممن قُتِلَ يومئذ من أشراف قريش . وأُسِرَ سُهَيْل ابن عمرو ، وفَرَّ الحارث بن هشام ، وقائلٍ يقول : والله إنى لأظنكم تَخْرُجُون إلى مَصَارِعِكُم ، ثم رآه كأنه ضَرَب فى لَبَّة بعيره ، وأرسله فى العسكر ؛ فما بقى حيٌّ من أحياء العرب ، أو خِبَاء من أخبية العسكر إلا أصابه بعضُ دمه – أو نضح دمه – فشاعت هذه الرؤيا فى العسكر ١٠ فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبيٌّ آخرُ من بنى عبد المطلب ، سيُعْلَمُ غدا من المقتول إن نحن التقينا .

وأما ما كان من خبر أبى سُفيان فإنه أسرع بالعِيرِ على طريق الساحل ، فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرَزَ عيرَه أرسل إلى قريش : إنكم [٢] إنما جئتم لتمنعوا عِيرَكُم وأموالكم ، وقد نَجَّاها الله فارجعوا . فأتاهم ١٥ قَيْسُ بن امرئ القيس يأمرهم بالرجوع ويخبرهم أن قد نَجَت عيرُهم فلا تُجْزِروُا [٣] أنفسكم أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك [٢] ، إنما

---

(١) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥٠ ، ومغازى الواقدى ١ : ٤٢ ، والإمتاع ١ : ٧٠ ، والإصابة ١ : ٧٥٥ وفيه « وقد أسلم بعد الفتح » .

٢٠ (٢) سقط فى م .

(٣) لاتجزروا أنفسكم – يقال أجزره شاة : أى جعلها له جزرا تذبح ؛ يريد لاتجعلوا أنفسكم ذبائح لأهل يثرب يذبحونكم كما تذبح الشاة . (هامش الإمتاع ١ : ٧١)

خرجتم لتمنعوا العِيرَ وأموالكم وقد نَجَّاها الله . فعالج قريشا فأبت الرجوعَ وردُّوا القِيَانَ من الجُحْفَة . وقال أبو جهل : لا والله لا نرجع حتى نَرِدَ بَدْرًا فنقيمَ عليه ثلاثا نَنْحر الجُزُرَ ونُطْعِمُ الطعام ، ونشربُ الخمر ، وتعزفُ القيانُ علينا ، وتسمع العربُ بنا فلا يزالون يهابُونَنَا أبدا ، فَامْضُوا .

٥ فقال الأَخْنَسُ بن شَرِيق - واسمه أُبَيّ - : يا بنى زهرة قد نَجىّ الله أموالكم فارجعوا ولا تسمعوا ما يقول هذا . فرجعوا ، ولم يشهد بدرا أحدٌ من بنى زهرة - وقال بعضهم : بل شهدها رجلان منهم هما عَمَّا مُسْلِم بن شهاب بن عبد الله [الزُّهْرِى] (1) وقتلا كافرين .

١٠ ويقال : إنّ الأخنس بن شَرِيق خَلاَ بأبى جهل - لَمَّا تراءى الجمعان - فقال : أترى محمدا يكذب ؟ فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله وقد كُنَّا نُسَمِّيه الأمين لأنّه ما كَذَب قَطّ ، ولكن إذا كانت فى بنى عبد مناف السِّقايةُ والرِّفَادَةُ والمَشُورَة ثم تكون فيهم النُّبُوّة فأى شئ بَقِىَ لنا ؟ فحينئذا تخنس الأَخْنَسُ ببنى زُهْرَة .

١٥ ورجع مع من رجع طالبُ بن أبى طالب . وقال :

لاهُمّ إمّا يَغْزُوَنّ طالب فى عُصْبَة محالف محارب

٢١٠ فى مِقْنَبٍ من هذه المقانب فليكن المسلوبَ غير السالب /

وليكن المَغْلُوبَ غير الغالب (2)

---

(1) الإضافة عن سبل الهدى والرشاد ٤ : ٤٧ .

٢٠ (2) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٠٠ والإمتاع ١ : ٧١ ، ٧٢ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٧٥ .

ويقال إنه خرج مع المشركين مكرها فقال : —

يارب إمّا يَذْهَبوا بطالب ... فى مِقْنَبٍ من تلكمُ المقانب
فى نفــر مقاتــل محارب ... فاجعلهمُ المغلوب غير الغالب
والرجلَ المسلوب غير السالب

٥ ويقال إنه قال : —

يا رب إما يَذْهَبوا بطالب ... فى نفر مقاتل محارب
فليكن المسلوبَ غير السالب ... والراجعَ المغلوب غير الغالب

وعُدِمَ يومَ بدر فلم يُوقَفْ له خبر .

وعاد قَيْسٌ إلى أبى سفيان وقد بلغ الهَدَّة — على تسعة أميال ١٠ من عقبة عسفان — فأخبره بمضى قريش ، فقال : واقوماه ، هذا عمل عمرو بن هشام ؛ كَرِهَ أن يرجع لأنه قد ترأس على الناس ، فبغى ، والبغى نقص [١] وشؤم ، وإن أصاب محمد النفير ذَلَلْنا . ثم لحق المشركين فمضى معهم ، فلحقه يوم بدر جِرَاحات ، وأفلت هاربا على قدميه .

١٥ ومضت قريش حتى نزلت بالعُدْوة [٢] القصوى من الوادى خلف العَقَنْقَل [٣] .

---

(١) كذا فى الأصول ، وفى مغازى الواقدى ١ : ٤٣ ، والإمتاع ١ : ٧١ . « والبغى منقصة وشؤم » .
(٢) العدوة : الجانب المرتفع من الوادى . (سبل الهدى والرشاد ٤ : ٢١٤)
٢٠ (٣) العقنقل : الكثيب المتداخل الرمل . المرجع السابق .

فلما اطمأن القوم بعثَ رسولُ الله ﷺ عمرَ بن الخطاب إليهم يقول : ارجعوا فإنه إن يَلِ هذا الأمر منى غيركم أحبّ إلى من أن تَلُوه منى [وإن] (١) أليه من غيركم أحبّ إلى من أن أليه منكم . فقال حكيم بن حزام : قد عرض نَصفًا فاقبلوه ، والله لا تُنْصَرُون عليه بعدما عرض من النَّصف . وقام عُتْبَة خطيبا فقال : يا معشر قريش إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا ؛ فوالله إن أصبتموه لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ؛ قَتل ابن عمه أو قتل ابن خاله ، أو رجالا من عشيرته ، فارجعوا وخلّوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم (٢) ، ولم تعرَّضوا منه ما تريدون . فقال أبو جهل : والله لا نرجع بعد أن أمكننا منهم .

وأقبل نفرٌ من قريش حتى ورَدُوا الحوضَ ؛ منهم حكيم بن حِزَام ، فأراد المسلمون طَرْدَهم فقال رسول الله ﷺ : دَعُوهم . فورَدُوا الماءَ فشربوا ، فما شرب منهم أحدٌ إلا قُتِلَ / إلاّ ما كان من حكيم بن حِزَام فإنه نجا (٣) .

وبعثت قريش عُمَيْرَ بن وَهْب الجُمَحِىّ ليحرز المسلمين ، فجاء بفرسه نحو العسكر ثم رجع فقال : القوم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا

---

(١) الإضافة عن المرجع السابق ٤ : ٥٣ .

(٢) فى ت « أكفاكم » والمثبت عن م ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥٤ ، والاكتفا ٢ : ٢٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٥٢ ، ٢١٨ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٧٧ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٠٤ .

أو يَنْقُصون ، معهم سبعون بعيرا وفرسان ، ولكن أَمْهِلُونى حتى أنظر إلى القوم هل لهم كمين ؟ فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع فقال : ما رأيتُ شيئا ، ولكنى رأيتُ يا معشر قريش البَلاَيَا تحملُ المنايا ؛ نواضحُ يثرب تحملُ الموتَ الناقع ، قوم ليست لهم مَنَعَةٌ ولا ملجأ إلا سيوفهم ، ألا ترونهم خُرْسًا لاَ يتكلّمُون ، يتلمظون تلمظ الأفاعى ؟ والله ما أرى أن يُقْتَل منهم رجل حتى يَقْتُلَ منكم رجلا ، فإذا أصابوا منكم مثل عددهم فما خيرٌ فى العيش بعد ذلك ، فَرَوْا رأيكم [١] .

فبعثوا أيضا أبا سَلَمَة الجُشَمِىّ ، فأطاف بالمسلمين على فرسه ، ثم رجع فقال : والله ما رأيتُ جلدا ، ولا عددا [٢] ، ولا حَلْقَة ولا كُرَاعا ، ولكنى رأيت قوما لا يريدون أن يَئُوبُوا إلى أهليهم ، قوما مستميتين ليست لهم مَنَعَة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، زُرْقُ العيون كأنها الحصى تحت الحَجف [٣] ، فروا رأيكم .

فلما سمع حَكيمُ بن حِزَام ذلك مشى فى الناس ليرجعوا ، وجاء إلى عُتْبَة بن رَبيعة فقال : ياأبا الوليدْ إنك كبيرُ قريش وسيِّدُها ؛ هل لك أن تذهب بِشَرَفِ هذا اليوم مابقيت ؟ — أو هل

(١) الاكتفا ٢ : ٢٥ ، والإمتاع ١ : ٨٢ ، ٨٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الإمتاع ١ : ٨٣ « عدادا » .

(٣) الحجف : جمع حجفة وهى الدرقة أو الترس من جلد . (الإمتاع ١ : ٨٣ ، وسبل الهدى ٤ : ٢١٨)

لك إلى أن تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ – قال : وما ذاك يا حكيم ، أفعل ماذا ؟ فقلت : إنكم لا تطلبون من محمد إلا دَمَ ابن الحضرمى ، وهو حليفك فتحمَّل بديته ، وترجع بالناس . فقال له : أنت وذاك ؛ فأنا أتحمَّل بدية حليفى فاذهب إلى ابن الحنظلية [١] – يعنى أبا جهل – فقل له : هل لك إلى أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك ؟ فجئت فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومن ورائه ، وإذا عامِرُ بن الحضرمى واقف على رأسه وهو يقول : نسخت [٢] عقدى من عبد شمس ، وعقدى إلى بنى مخزوم . ووجدته قد نَثَل [٣] درعا له من جرابها وهو يَهْنِئُها [٤] ، فقلت له : إن عُتْبَة أرسلنى إليك ، وهو يقول لك : هل لك أن ترجع بالناس عن ابن عمك ؟ قال : أما وجد رسولا غيرك ، انتفخ والله سَحْرُه [٥] حين رأى محمدا ، كلا والله لا نرجع حتى يَحْكُمَ الله بيننا وبين محمد ، وما بِعُتْبَة ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أَكَلَة الجزور ، وفيهم ابنه وقد تخوفكم عليه – يعنى أبا حذيفة / بن عُتْبَة ، وكان قد أسلم – قال حكيم : فخرجت أبادِرُ إلى عُتْبَة ، وعُتْبَةُ متكىء على أَيماء بن رَحَضَة – وقد

---

(١) والحنظلية أم أبى جهل ، وهى أسماء بنت مخربة أحد بنى نهشل بن دارم بن مالك بن تميم (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥٤) .

(٢) كذا فى الأصول . وفى تاريخ الخميس ١ : ٣٧٧ « قد فسخت عقدى » .

(٣) أى استخرجها من جرابها ، ويقال للدرع الواسعة النثيلة . (سبل الهدى والرشاد ٤ : ٢١٨)

(٤) يهنئها : أى يطليها ويتفقدها . (المرجع السابق)

(٥) انتفخ سحره : كلمة تقال للجبان . (تاريخ الخميس ١ : ٣٧٨) والسحر : الرئة وما حولها مما يعلق بالحلقوم من فوق السرة . (سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥٥)

أهدى إلى المشركين عشر جزائر – فطلع أبو جهل والشرُّ فى وجهه ، فقال لعُتْبَة : انتفخ والله سَحْرك . فقال له عُتْبَة : ستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفه فضرب به مَتْنَ فرسه ، فقال أيماء بن رحَضَة : بئس الفَأْلُ هذا . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمى أخى عَمْرو المقتول بنَخْلَة وقال له : هذا حليفُك يريد أن يَرْجِعَ بالناس ، وحَثَّه على أخذ ثأر أخيه ، وقال له : قد رأيتَ ثأرَكَ بعيْنِك ، فقُمْ فاشهد [(١)] مَقْتَل أخيك . فقام عامر بن الحضرمى فاكْتَشَف ثم حَثَى [(٢)] على رأسه التراب وصرخ : واعمراه واعمراه : فأفسد على الناس الرأىَ الذى دعاهم إليه عُتْبَة ، ثم حَرَّش بين الناس ، وحملَ فَنَاوَشَ المسلمين ، وحَمِيت الحربُ ، فخرج إليهم مِهْجَع مولى عمر فقتله عامر .

فلما تَرَاجَف [(٣)] الناسُ قال الأسود بن عبد الأسود المخزومى : أعَاهِدُ اللهَ لأشربن من حوضهم أو لأَهْدِمَنّه أو لَأَمُوتَن دونه . فشدّ حتى دنا منه ، فاستقبله حمزةُ بن عبد المطلب فضربه فأَطَنّ [(٤)] قدَمَه ، فزحف الأسودُ حتى وقع فى الحوض فهدمه برِجْلِه الصحيحة وشَرِب منه ، وحمزة يتبعه ، فضربه فى الحوض فقتله [(٥)] .

(١) كذا فى الأصول . وفى المرجع السابق ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٥٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٧٨ « فقم فانشد حفرتك ومقتل أخيك » .

(٢) حثى : واوية ويائية .

(٣) تراجف : أى تهيئوا للحرب . (المعجم الوسيط)

(٤) أطن قدمه : أطار قدمه . (هامش المغازى للواقدى ١ : ٦٨)

(٥) الإمتاع ١ : ٨٤ ، ٨٥ .

وخرج عُتْبَةُ وشَيْبَة ، والوليد بن عُتْبَة فدعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم ثلاثة فتيان من الأنصار ، وهم : مُعَاذ ومُعَوّذ وعَوْف بنو عفراء – ويقال ثالثهم عبد الله بن رَوَاحَة – فاستحيا رسول الله ﷺ وكَرِه أن يكون أوّل قتال لقى فيه المسلمونُ المشركين فى الأنصار ، وأحبَّ أن تكون الشوكة لبنى عمه وقَوْمِه ، فأمرهم بالرجوع ، فرجعوا إلى مَصَافِّهم ، وقال لهم خيرا ، ثم نادى منادى المشركين : يا محمد أَخْرِج لنا الأكفاءَ من قَوْمِنا . فقال النبى ﷺ : يا بنى هاشم قوموا فقاتلوا لحَقِّكُم [١] الذى جاء به نَبِيّكُم إذ جاءوا بباطلهم لِيُطْفِئُوا نورَ الله . فقام حمزة وعلىٌّ وعُبَيْدَة بن الحارث بن المطلب ، فمشوا إليهم ، فقال عُتْبَة لابنه : قم يا وليد . فقام فقتله عَلِىٌّ ، ثم قام عُتْبَةُ فقتله حمزة ، ثم قام شَيْبَة فقام إليه عُبَيْدَة بن الحارث فضربه شَيْبَة فقطَع ساقَه ، فكَرّ حمزةُ وعلىٌّ فقتلا شَيْبَة [٢] ، واحتملا عبيدة إلى الصف ، فنزلت فيهما [٣] هذه الآية / ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِم [٤] ﴾

---

(١) كذا فى الأصول . وفى المغازى للواقدى ١ : ٦٨ ، والإمتاع ١ : ٨٥ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٠١ « بحقكم » .

(٢) كذا فى الأصول ، والمغازى للواقدى ١ : ٦٩ ، والإمتاع ١ : ٨٥ . وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٥٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٥٨ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٧٨ « بارز حمزة شيبة وأبو عبيدة عتبة » وانظر الخلاف فى ذلك فى شرح المواهب ١ : ٤١٧ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٠١ .

(٣) علق الأستاذ محمود شاكر بهامش الإمتاع ١ : ٨٥ على هذا الضمير بقوله : لامعنى لتخصيص الآية باثنين ، وإنما نزلت فى الذين تقاتلوا من المؤمنين والمشركين عامة ولذلك قال الله تعالى (اختصموا) فجمع . وفى سبل الهدى والرشاد ٤ : ٥٨ « نزلت فى الذين برزوا يوم بدر » . وفى تاريخ الخميس ١ : ٣٧٨ « نزلت فى هؤلاء الستة » .

(٤) سورة الحج آية ١٩ .

واستفتح أبو جهل يومئذ فقال : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعلم ، فأَحِنْهُ الغَدَاة . فكان هو المستفتح على نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ ٱلْفَتْحُ (١) ﴾ الآية . وقال أيضا يومئذ :

ما تَنْقِمُ الحربُ العوانُ منى بازلُ عامين حديثٌ سِنِّى
لمثل هذا ولدتنى أمى (٢)

وتصوّر إبليسُ فى صورة سراقة [بن مالك] (٣) بن جعشم [المدلجى] (٣) يذمر (٤) المشركين ، ويُخْبِرهُم أنّه لا غالب لهم مِنَ الناس ، فلما أبصر عدُّو الله الملائكةَ نَكَصَ على عَقِبَيْه وقال : إنى برىءٌ منكم إنى أَرَى مَا لاَ تَرَوْن . فتَشَبَّثَ به الحارث بن هِشام – وهو يرى أنه سُرَاقة – فضربَ فى صدر الحارث فسَقَط ، وانطلق إبليسُ لا يُرَى حتى وقع فى البحر (٥) .

وأقبلَ أبو جهل يَحُضّ المشركين على القتال ، بكلام كثير .

وأبصر بلالُ أُمَيَّةَ بن خَلَف فنادى : يا معشر الأنصار ، أُمَيّة ابن خلف رأسُ الكُفْرِ ، لا نَجَوْتُ إن نَجَا . فأقبلوا حتى طرحوا أُمَيَّة بن خلف على ظهره ، فقطع الحُبَابُ بن المُنْذِر أرنبة أنفه ، وضربه خُبَيْب ابن يَساف حتى قَتَلَه (٦) .

(١) سورة الأنفال آية ١٩ .
(٢) الإمتاع ١ : ٨٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٧٧ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤١٨ .
(٣) الإضافة عن الإصابة ٢ : ١٩ .
(٤) يذمر : أى يحرص . (القاموس المحيط)
(٥) الإمتاع ١ : ٨٦ .
(٦) الإمتاع ١ : ٩٠ .

ثم إن رسول الله ﷺ ابتهل إلى الله تعالى ، وأكثر من الدعاء ، وأخذ حِفْنَةً من الحصباء فاستقبل بها قريشا ، ثم قال : شاهت الوجوه . ثم نفحهم بها ، وأمرَ أصحابه فقال : شدّوا . وأيّد الله بالملائكة فقاتلوا معهم ، فكانت الهَزِيمةُ على المشركين ؛ فقتَل اللهُ مَنْ قَتَل من صناديد قريش ، وأُسِرَ مَن أُسِر من أشرافهم ، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابه : أني قد عَرَفْتُ أنّ رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أُخْرِجُوا كُرْهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقى منكم أحَدًا من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لَقِىَ العباسَ بن عبد المطلب عمَّ النبى — ﷺ — فلا يقتله ، إنما أُخْرِج مُستَكْرَهًا (١) . ونَهَى عن قتل أبى البَخْتَرِىّ بن هشام فقتله المُجَذَّرُ بنُ ذياد حيث لم يَستَأْسِر له — ويقال بل قتله أبو داود المازنى (١) — ونهى عن قتل الحارث بن عامر ابن نَوْفَل ؛ فقتله خُبَيب بن يَسَاف وهو لا يعرفه . ونهى عن قتل زَمْعَة بن الأسْود ؛ فقتله ثابت بن الجِذْع وهو لا يعرفه (١) . وقُتِلَ علىّ بن أميّة بن خلف ؛ قتله عَمَّارُ بن ياسر . وعُبَيْدَةُ بنُ سعيد بن العاص ؛ قَتَلَهَ الزُّبَيْرُ بن العوام . وعاصِم / بن أبى عَوْف بن هُبَيْرَة السَّهْمِى ؛ قتله أبو دُجَانَة . وعبدُ الله بن المنذر بن أبى رِفاعة ، وحَرْمَلَةُ بن عمرو ؛ قتلهما علىّ — وهو يراهما أبا جهل — وقيسُ بن الفاكِه ؛ قتله حمزةُ — وهو يراه أَبَا جهل .

وصمَدَ مُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح إلى أبى جهل وضَرَبَه طرَحَ رِجْلَه من الساق ، فأقبل عِكْرِمَةُ بن أبى جهل على مُعَاذ فضربه

(١) الإمتاع ١ : ٨٩ ، ٩٠ .

على عاتقه طرَحَ يده من العاتق ، وبقيت الجلْدَة ، فوضع معاذٌ عليها رجلَه وتَمَطَّى عليها حتى قطعها ؛ وضرب أَبا جَهْلٍ مع مُعَاذ مُعَوِّذٌ وعَوْفٌ ابنا عفراء .

ولما وضعت الحرب أوزارها أَمَرَ رسول الله ﷺ أن يُلْتَمَس أبو جهل ، فوجدَهُ عبد الله بنُ مَسْعُود فى آخر رَمَق ، فوضع رِجْلَه على عُنُقِه وضربَه فقطع رَأسه – ويقال إن مُعَاذًا ومُعَوِّذًا ابنى عفراء أَثْبَتَا أبا جهل ، وضربَ ابنُ مسعود عُنُقَه فى آخر رَمَق – وقد رأى فى كَتفيه آثار السياط [١] .

وقال النبى ﷺ : اللهم اكفنى نَوْفَلَ بن خُوَيْلِد . فأسره جَبَّار بن صَخْر ، فلقيه علىٌّ فقتله [٢] .

وأَسَرَ أبو بُرْدَة بن نِيَار رجلا يقال له مَعْبَد بن مَعْبَد [٣] من بنى سعد بن ليث ، فلقيه عمرُ بن الخطاب – قبل أن يتفرّق الناس – فقال : أَتَرَوْنَ يا عمر أنكم قد غَلَبْتُم ؟! كلاّ واللاتِ والعُزَّى . فقال عمر : يا عدوّ الله أتتكلم وأنت أَسِيرٌ فى أيدينا ؟! ثم أخذه من أبى بُرْدَة فضرب عنقه – ويقال إن أبا بُرْدَة قتله .

وأمر النبى ﷺ بالقُلُبِ فغُوِّرَت ، وطُرِحَت القَتْلَى فيها ، إلا أُمَيّة بن خلف فإنه كان سمينا فانتفخ ، ولما أرادوا أن يلقوه تزايل [٤] .

---

(١) وفى سبل الهدى والرشاد ٤ : ٧٩ « فأتى – عبد الله بن مسعود – إلى النبى ﷺ فأخبره بذلك ، فقال : ذلك ضرب الملائكة . » وانظر الإمتاع ١ : ٩١ .

(٢) الإمتاع ١ : ٩٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤١٧ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى الإمتاع ١ : ٩٥ « معبد بن وهب من بنى سعد بن ليث » .

(٤) تزايل : تفرق لحمه وتفكك . (هامش الامتاع ١ : ٩٧)

ثم وقَفَ النبى ﷺ فناداهم : يا عُتْبَة بن ربيعة ، يا شَيْبَة بن ربيعة ، يا أُمَيَّة بن خَلَف ، يا أبا جهل بن هشام ؛ هل وَجَدْتُم ما وَعَدَ ربُّكم حَقًّا ، فإنى قد وجدتُ ما وعدنى ربى حقا ؟ بئس القوم كنتم لنَبِيِّكم ؛ كذَّبْتُمونى وصدّقَنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الله [(١)] . قالوا : يا رسول الله ، تُنَادِى قوما قد ماتوا !! قال : قد علموا أن ما وعدهم رَبُّهم حق . ٥

وصلى النبىّ ﷺ العصر ، وسار نحوَ المدينة ومعه الأسرى ؛ وهم سبعون أسيرا ، وفيهم العباسُ بن عبد المطلب ، وعَقِيل بن أبى طالب — وقد خرجا كُرْها — ونَوْفَل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعُقْبَةُ بن أبى مُعَيط — وكان خرج كَارِها — وحلَّ به جمله فى خدد ١٠ ٢١٥ من / الأرض — أو جمحت به فرسه — فأخذه عبد الله بن سَلَمة العَجْلانى . فأمر رسول الله ﷺ عاصم [(٢)] بن ثابت بن أبى الأَقْلَح فضرب عُنقه صبرا — بعرق الظُّبْيَة [(٣)] — وهو راجع إلى المدينة ، وصدَق رسول الله ﷺ فى قوله له : إنْ وَجَدْتُك خارج جبال مَكة قتلتك صَبْراً . ولما أمر بقتله قال : أتقتلنى من بين هؤلاء وأنا أكبرهم ١٥ سِنًّا وأكثرهم مالا ؟! فقال : نعم ؛ بما بزقت فى وجهى . فأنزل الله

(١) كذا فى الأصول . وفى الإمتاع ١ : ٩٨ ، وسبل الهدى والرشاد ١ : ٨٥ « ونصرنى الناس » .

(٢) كذا فى م ، والمغازى للواقدى ١ : ١٣٨ ، والإمتاع ١ : ٩٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٩٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٩٧ . وفى ت « عامر » . ٢٠

(٣) عرق الظبية : موضع بوادى الروحاء ، وقال السهيلى الظبية شجرة تشبه القتادة يستظل بها ، وبهذا الموضع قتل عقبة بن أبى معيط صبرا (وفاء الوفا ٢ : ٣٤٠) .

عز وجل فى ابن أبى مُعيط ﴿ يَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً (١) ﴾

٥ وبلغ الخبرُ إلى أهل مكة ؛ فكان أوّل من قدم به الحَيْسُمَان (٢) بن عبد الله بن إياس الخزاعى . قال أبو رافع مولى رسولِ الله ﷺ : كنت غُلاماً للعبّاس ، وكان الإسلام قد دَخَلَنا أهلَ البيت ، وأسلمَتْ أمُّ الفضل وأسلمتُ ، وكان العباس يهاب قومَه ويكره أن يُخَالِفهم ، ويكْتُمُ إسلامه ، وكان ذَا مالٍ كبير متفرق [فى ١٠ قومه] (٣) فلما جاء الخبرُ عن مصائب أهلِ بَدْرٍ وجَدْنَا فى أنفسنا قُوَّةً وعِزَّةً ؛ فوالله إنى لجالِسٌ فى حجرة زَمْزَم أَنْحِتُ القِدَاحَ — وعندى أمُّ الفضل جالسة ، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر — إذ أقبل أبو لَهَب يجُرّ رِجْلَيْه فجلس ، فأقبل أبو سُفيان بن الحارث ، فقال له أبو لهب : هَلُمّ إلىّ يا ابن أخى فعندك الخبر . فجلس إليه ، ١٥ فقال : أخبرنى كيفَ كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شئ ، والله إن كان إلاّ أن لقيناهم فَمَنَحْنَاهم أكتافنا ، يقتلوننا ويأسرون كيف شاءوا ، وأيّم الله — مع ذلك — ما لُمْتُ الناسَ ؛ لَقِينَا رجالاً بيضاً عَلَى خَيْلٍ

(١) سورة الفرقان الآيات ٢٧ — ٢٩ . وانظر السيرة الحلبية ٢ : ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٢) فى ت « الحسرات بن عبد الله » وفى م « الحزان بن عبد الله » والمثبت عن ٢٠ سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٧٣ ، والمغازى للواقدى ١ : ١٢٠ ، والإصابة ١ : ٣٦٦ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ١٠١ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٨٨ .

(٣) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٧٤ .

بُلْقٍ بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فقلتُ : فتلك الملائكة . فرفع أبو لهب يَدَهُ فضربَ وَجْهِى ضربةً شديدة ، فثاورته فاحتملنى فضربَ بى الأرض ، ثم بَرَك عَلَىَّ يضربنى ، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربَتْه ضربة شَجَّتْه ، وقالت : تستضعفه إذْ غَابَ عنه سيّدُه ؟ فقام مُوَلِّياً ذليلا ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى مات [(١)] . ٥

وناحت قريش على قتلاها بمَكَّة شهرا ، وجزّ النساءُ شُعُورَهُن . ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمدا وأصحابَه فيَشْمَتُوا بنا ، ولا تَبْعَثُوا فى فداء الأسارى حتى تَسْتَأْنُوا بهم لئلا يَشْتَطَّ عليكم فى الفداء . / ٢١٦

وكان الأسودُ بن عبد يغوث قد أصيب ثلاثة من وَلَدِه : زَمْعَة وعَقِيل والحَارِث ، وكان يُحبّ أن يَبْكِى بَنِيهِ ، فسمع نائحة من الليل ١٠ فقال لغلامه : انظر هل أُحِلَّ النحيبُ ؟ هل بَكَتْ قريش على قتلاها ؛ لعلِّى أبكى على زَمْعَة فإن جَوْفِى قد احترق ؟ فقال الغلام : إنما هى امرأة تبكى على بعير أضلته [(٢)] .

ولَمَّا حَبَسَ النبى ﷺ الأَسْرَى بعثوا إلى أبى بكر وعمر لِيُكَلِّما النبىّ ﷺ فى أمرهم ، فأخذ أبو بكر رضى الله تعالى عنه يُكَلِّمُ النبىّ ١٥ ﷺ فيهم ويُلَيِّنه أن يَمُنّ عليهم أو يُفَادِيَهم ، وأخذ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يَحُثُّ رسولَ الله ﷺ على ضرب أعناقهم ؛ فقَبِلَ النبىُّ ﷺ منهم الفِدَاء [(٣)] .

---

(١) وانظر المراجع السابقة ، ودلائل النبوة ٢ : ٣٧٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٤٤ ، ٤٤٥ . ٢٠

(٢) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٧٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ١٠٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٣) الإمتاع ١ : ٩٧ .

وقَدِم جُبَيْرُ بن مطعم فى فداء الأسارى ، وقَدِمَ أربعة عشر من قريش ، فجعل ﷺ على كُلِّ واحدٍ أربعين أوقية [١] ، وأربعة [٢] آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف [درهم] [٣] . ومنهم من منّ عليه لأنه لا مال له ، ولم يقدم له أحد ، أو لغير ذلك ، ومنهم :
٥ السَّائِب بن عُبيد ، وعُبَيْد بن عمرو بن عَلْقَمَة ، وأبو عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عمر الجُمَحِى الشاعر ، بعد ما أعطى النبىّ ﷺ ألاَّ يقاتله ولا يكثر عليه أبدا . ومن الذين لا مال لهم مَنْ كان يُحْسِنُ الكتابة – ولم يكن فى الأنصار من يحسنها – فقَبِلَ منه أن يُعَلِّم عشرةً من الغلمان الكتابة ويخلى سبيله ؛ فتعلم يومئذ زيدُ بن ثابت الكتابةَ
١٠ فى جماعة من غِلْمَة الأنصار [٤] .

وجعل ﷺ على العباس مائة أوقيّة [٥] ، وعلى عَقِيل ثمانين أوقية . فقال العباسُ : لم ، أللقرابة صَنَعْتَ هذا ؟! فوالذى يَحْلِفَ به العباسُ لقد تركتنى فقيرَ قُريشٍ ما بَقِيتُ . فقال : كيفَ تكون فقيرَ قريش وقد استَوْدَعْتَ بَنَادِقَ الذهب أمَّ الفضل ، ثم أقبلت إليها
١٥ فقلتَ لها : إن قُتِلْتُ فقد تركتُك غنيَّة ما بقيتِ ، وإن رجعتُ فلا

(١) زاد سبل الهدى والرشاد ٤ : ١٠٩ « من ذهب » .
(٢) المراد أو أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم ... الخ . وانظر سبل الهدى ٤ : ١٠٥
(٣) إضافة عن المرجع السابق .
٢٠ (٤) الإمتاع ١ : ٩٧ ، ١٠١ .
(٥) وانظر فى فداء العباس المرجع السابق ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ١٠٥ ، ١٠٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٥٩ .

يَهُمَّنَكِ شيء ؟ فقال ! إنى أشهد أن الذى تقول قد كان ، وما اطلع عليه إلا الله . فأنزل الله تعالى على نبيه ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَنْ فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴾[1] – الآية ، فقال العباسُ حين نَزَلَت : لَوَدِدْتُ أنّك كنتَ أخذتَ منى أضْعَافَها ؛ فأتانى الله خَيْرًا منها . وفدى العباسُ عَقِيلاً لأنَّه / لا مال له ، وقال للنبى ﷺ : من قَتَلْتَ من أشرافهم ؟ فقال : قُتِلَ أبو جهل . فقال : الآن صفا لك الوادى . ورجع إلى مكة [2] .

ويقال إن العباس فدى نَوْفَل بن الحارث ، ثم أسلم ، ويقال : بل هو الذى فَدَى نَفْسَه بِرِمَاحِه ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ قال له : افدِ نفسك . قال : ما لى شئ أفتدى به . قال : افدِ نفسك برِمَاحِك التى بجدّة . فقال : والله ما علم أحدٌ أن لى بجدة رماحا غيرى بعد الله ، أشهد أنك رسول الله . ففدى نفسه بها ، فكانت ألف رُمْح [3] .

وكان فى الأسرى النَّضْرُ بن الحارث ، أَسَرَه المِقْدَادُ بن الأسود ، فعُرِض على رسول الله ﷺ بالأُثَيل [4] – وقد سار من بَدْر فقتله علىّ بالسيف صبرا [5] .

(١) سورة الأنفال آية ٧٠ .

(٢) السيرة الحلبية ٢ : ٤٥٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٣٩٠ ، ٣٩١ ، وانظر تفسير ابن كثير لسورة الأنفال .

(٣) الإصابة ٣ : ٥٧٧ ، الخصائص الكبرى ١ : ٥١٧ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ١٠٥ وشرح المواهب ١ : ٤٤٣ .

(٤) الأثيل : موضع بين بدر والصفراء ، به عين لآل جعفر بن أبى طالب (وفاء الوفا ٢ : ٢٤٢)

(٥) الإمتاع ١ : ٩٦ .

و [أُسِرَ] (١) سُهَيلُ بن عَمْرٍو أيضا ، فَفَرَّ بالرَّوْحَاءِ من مالك ابن الدُّخْشُم ، فقال النبى ﷺ : مَنْ وَجَدَه فليقْتُلْه . فوجدَه النبىُّ ﷺ بين سَمُرَاتٍ – وقد خرج مع الناس فى طلبه – فقال عمرُ بن الخطاب : يا رسول الله [دعنى] (٢) أنزع ثَنِيَّتَيْهِ يَدْلَعْ (٣) لسانه ، فلا يَقُومُ عليكَ خطيبا أبدا . فقال النبى ﷺ : لا أُمَثِّلُ به فَيُمَثِّلُ الله بى وإن كنت نبيا ، ولعلّه يقوم مقاما لا تَكْرَهُه . ثم أسْلَم ، وقام حينَ جاءته وفاةُ النبى ﷺ بخطبةِ أبى بكر (٤) – بمَكَّة – كأنه كانَ سَمِعَها ، فقال عمرُ حين بلغه كلام سُهَيْل : أشهدُ أنك رسولُ الله . يريد قول النبىّ ﷺ « لَعَلّه يقوم مقاما لا تكرهه » .

وبعثَتْ زَيْنَبُ بنتُ رسول الله ﷺ – فى فداءِ زوجها أبى

---

(١) سقط فى الأصول والإثبات عن الإمتاع ١ : ٩٥ .

(٢) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٧٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٥٥ .

(٣) يدلع لسانه : أى يخرج لسانه . (السيرة الحلبية ٢ : ٤٥٥)

(٤) وفى السيرة الحلبية ٢ : ٤٥٥ ، ٤٥٦ « فإنه لما مات رسول الله ﷺ أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الإسلام حتى خافهم أمير مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وتوارى ، فقام سهيل بن عمرو رضى الله عنه خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وقال : أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت ، ألم تعلموا أن الله تعالى قال ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ وقال ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ الآيات ، وتلا آيات أخر ، ثم قال : والله إنى أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم – يعنى أبا سفيان – فإنه لا يعلم من هذا الأمر ما أعلم ، لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم ، وتوكلوا على ربكم فإن دين الله قائم وكلمته تامه ، وإن الله ناصر من نصره ومقو دينه ، وقد جمعكم الله على خيركم – يعنى أبابكر رضى الله عنه – وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه ... » .

العاص بن الرّبيع – بقلادة لها كانت لخديجة من جَزْع ظَفَار [١] مع أخيه عمرو بن الرّبيع ، فرَقّ لها رسولُ الله ﷺ وقال : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتَرُدُّوا عليها متاعها فَعَلْتُم . قالوا : نعم . فأطلقوا أبا العاصى ورَدُّوا القِلاَدَة إلى زَيْنَب ، وأخذ النبى ﷺ على أبى العاصى أن يخلىَ سبيلَ زيْنَب ، فوعدَه على ذلك . وكان الذى أسره ٥ عبدُ الله بن جُبَيْر بن النعمان أخو خَوّات بن جُبَير [٢] .

ولما قَدِم أبو العاصى مَكّة أمرَ زينبَ ابنةَ النبى ﷺ باللحوقِ بأبيها ، فتجهَّزَت وقدَّمَ إليها حَمُوهَا كنانةُ بن الربيع أخو زوجها بعيرا ٢١٨ فَرَكِبَتْه ، وأخذ قَوْسَه وكِنَانَتَه ثم خرج بها / نهارا يَقُودُها – وهي فى الهودج – فتحدّث بذلك رجالٌ من قريش ، فخرجوا فى طلبها ، فأدْرَكوها ١٠ بذِى طوى . وكان أوّل من سَبَق إليها هَبَّار بن الأسود ، فلم يَزَلْ يطعن بعيرها برُمْحِهِ حتى طرحها وألْقَتْ ما فى بَطْنِها ، وأُهْرِيقَت دما – وكانت حاملا – ولم يزل بها مَرَضُها ذلك حتى ماتت بالمدينة ، ونزل [٣] حموها يَنْثُرُ كنانته وقال : والله لا يدنو منى رجلٌ إلا وضَعْتُ فيه سَهْماً . فرجع الناسُ عنه ، فجاء أبو سفيان فقال : وَيْحَكَ قد عرَفْتَ مصيبَتَنَا ، ثم ١٥ خرجتَ بالمرأة علانية ؛ فيَظُنّ الناسُ أن ذلك عن ذُلٍّ منا ، ولعمرى ما لنا حاجةٌ فى حَبْسِها عن أبيها ، ولكن رُدَّها ، فإذا هدأ الصوتُ ، وتحدّث الناسُ أنّا قد رَدَدْنَاها فَسِرْ بها سِرًّا فألحقها بأبيها . ففعل .

---

(١) جزع ظفار : خرز منسوب إلى ظفار ، فيه سواد وبياض كأنه عين . (هامش الأمتاع ١ : ١٠٠) ٢٠

(٢) الإمتاع ١ : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٨٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٥٤ « برك » .

وتشاجَرَ فى زَيْنَبَ بنو هاشم وبنو أُمَيّة – وكانت عند هِنْد بنت عُتْبَة بن رَبيعة ، وكانت تقول لها هند : هذا فى سبيلِ أبيك .

وقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : ألاَ تَنْطَلِق فتجىء بزَيْنَب ؟ فقال : بلى يا رسول الله . قال : فخُذْ خاتَمِى فأَعْطِهِ إيَّاها . فانطلق زيد فلم يزل يتَلَطَّف حتى لَقِىَ راعيا فقال : لِمَنْ ترعى ؟ قال : لأبى العاص . قال : فلمن هذه الغنم ؟ قال : لزَيْنَب بنتِ محمد ، فسار معه شيئا ثم قال : هل لَكَ أن أُعْطِيَك شيئا تعطيها إيَّاه ، ولا تذكره لأحد ؟ قال : نعم . فأعطاه الخاتم ، فانطلق الراعى فأدخل الغنم وأعطاها الخاتم ، فعرفَتْهُ فقالت : مَنْ أعطاكَ هذا ؟ قال : رجلٌ . قالت : فأين تركته ؟ قال : بمكان كذا وكذا . فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه ، فلما جاءته قال : اْرْكَبى بين يَدَىّ على بَعيرى . قالت : لا ، ولكن اركَبْ أنت بين يَدَىّ . فركب وركبت وراءه حتى أتت المدينة . فكان رسول الله ﷺ يقول : هى أفضل بناتى ؛ أصيبت فىّ (١) .

ولما كانَ بعدَ مُصَاب أهلِ بدر بيسير جلسَ عُمَيْرُ بن وَهْبٍ الجُمَحِى مع صَفْوَان بن أُمَيَّة فى الحِجْر – وكان عميرٌ شيطانا من شياطين قريش ، وكان يؤذى رسولَ الله ﷺ وأصحابَه ، وكان ابنُه وَهْبُ بن عمير فى أسارى بَدْر – فذكر أصحاب القَلِيب ومصابَهم ،

(١) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٧٧ — ٤٨٢ ، والاكتفا ٢ : ٥٤ — ٥٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٥١٨ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٥٤ . وتاريخ الخميس ١ : ٣٩٠ — ٣٩٢ .

فقال صفوان : والله أن ليس فى العيش خيرٌ بعدهم . فقال عُمَير : صَدَقْتَ ، أما والله لولا دَيْنٌ علىَّ ليس عندى قضاؤه ، وعيالٌ أَخْشَى عليهم الضَّيْعَةَ بعدى لركبتُ إلى محمد / حتى أقتله ؛ فإن لى قبلهم عِلَّةً : ابنى أسيرٌ فى أيديهم . فقال صفوان : فعَلَىَّ دينُك أن أَقْضِيَه عنك ، وعيالُكَ مع عيالى أُوَاسِيهم [1] ما بَقوا ، قال عمير : فاكتُمْ علىَّ شأنى وشأنك . قال : أفعلُ . ثم إن عُمَيْراً أمر بسيفه فشُحِذَ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فرآه عمرُ قد أناخ بعيرَه على باب المسجد مُتَوَشِّحًا السيف ، فقال : هذا عدوُّ الله عُمَيْرٌ ما جاء إلاّ لِشَرٍّ ، وهو الذى حَرَشَّ بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر . ثم دخل عُمَرُ على رسول الله ﷺ فقال : يا نبىّ الله هذا عدوُّ الله عُمَيْرٌ ، قد جاء متوشحا سَيْفَه . قال : فأدخله علىَّ . فأقبل عُمَرُ حتى أخذَ بحمائل سَيْفِهِ فى عُنُقِهِ ، قال : أرْسِلْه يا عمر ، أُدْنُ يا عُمَيْر . فدنا ثم قال : أنْعِمُوا صَبَاحا – وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم – فقال رسول الله ﷺ : قد أكْرَمَنَا الله بتحية خيرٍ من تحيتكم يا عُمَير ؛ بالسلام تحية أهل الجنة ، ما جاء بك يا عُمَيْر ؟ قال : جئتُ لأفتدى الأسير الذى بين أيديكم ، فأحْسِنُوا فيه . قال ﷺ : فما بال السَّيْف فى عُنُقِك ؟ قال : قبَّحَهَا اللهُ من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ، إنما أُنْسِيتُه [2] حين نَزَلْتُ وهو فى عنقى . فقال النبىُّ ﷺ : اصْدُقْنى

(١) فى الأصول « آسوتهم » . والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٨٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٨٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٥٧ .

(٢) فى الأصول « نسيتها » والمثبت عن الإمتاع ١ : ١٠٠ .

ما الذى جئتَ له ؟ قال : ما جئتُ إلا لذلك . فقال : بَل [١] قَعَدْتَ أنت وصَفْوَان بن أُمَيّة فى الحِجْر ، فذكرتما أصحابَ القَلِيب من قريش ، ثم قلتَ : لولا دينٌ علىَّ [٢] وعيالٌ عندى [٢] لخرجتُ حتى أقتل محمدا ، فتحمَّلَ لك صفوان بدَيْنِكَ وعِيَالِك عَلَى أن تَقْتُلَنى ، واللهُ حائلٌ بينى وبينك . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، وأنك صادق ، قد كنا نكذبـ [ـك بما تأتى به من خَبَرِ السماء] [٣] ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصَفْوَان ، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلاّ الله ، والحمدُ لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المساق . ثم شهد شهادة الحَقّ ، فقال رسول الله ﷺ : فَقِّهُوا أخاكم فى دِينِه ، وعَلِّمُوه القرآن ، وأطلِقُوا له أسِيرَه . ففعلوا ، ثم قال : يا رسولَ الله إنى كنتُ جاهدا فى إطفاء نورِ الله ، شديد الأذى لمن كان عَلَى دين الله ، وإنى أُحِبُّ أن تأذنَ لى فأقدم مكةَ فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، ولعلّ الله أن يَهْدِيَهم ، وإلاّ آذَيْتُهم فى دينهم كما كنت أوذِى أصحابك فى دينهم . فأذن له ، فلحق بمَكَّة .

وكان صفوان حين خَرَج عُمَيْر بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآنَ فى أيّامٍ / تُنْسِيكم وقعةَ بدر . وكان صفوانُ يسأل عنه الرُّكْبَان ، حتى قدِمَ ركبٌ فأخبره بإسلامه ، فحلف ألاّ يكلمه

(١) فى الأصول « بلى » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٤٨٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٨٧ .

(٢) بياض فى ت . وفى م « وعلى عيالى » والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٣) الإضافة عن المرجعين السابقين .

أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا . فلما قدم مكة أقامَ بها يدعو إلى الإسلام ، ويُؤْذِى من خالفه ، فأسْلَم على يديه ناسٌ كثير .

ولما رجع أبو سُفْيَان بن حرب ، [وفَلّ] [١] من المشركين من بدر – وقُتِلَت رءوسهم – نذرَ ألاَ يمسَّ رأسَه دهنٌ ولا طيبٌ ، ولا يَقْرُبَ أهْلَه حتى يثأَرَ من محمد وأصحابِه بمن أُصِيبَ من قومه ، فلم يجتمع له الناس كما يريد ، فأقبلَ فى مائتى راكب – ويقال : ثلاثين ، ويقال : أربعين – حتى نزل بصدْرِ قَنَاة إلى جبل يقال له ثَيْب [٢] من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النَّضِير فضربَ عَلَى حُيَىّ بن أخْطَب بابَه فلم يفتح له وخافه ، فذَهَبَ عنه إلى سَلاَّم بن مِشْكَم – وكان سيّد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كَنْزِهِم [٣] – فاستأذن عليه فأذِنَ له ، وقَرَاهُ وسَقَاهُ خمرا ، وأبْطَنَ له من خَبَرِ الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى جاء أصحابه ، فبعث رجلا أو رجلين منهم وأمرهما أن يحرقا أدنى نخل

---

(١) الإضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٥٥٩ ، وعيون الأثر ١ : ٢٩٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٥٤٠ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٢٥٨ .

(٢) كذا فى م ، وسيرة النبى لابن هشام ٢ : ٥٥٩ – وانظر تحرير اللفظ بين ثيب ، وتيت ، ويتيب فى وفاء والوفا فى الفصل الحادى عشر فى بيان الألفاظ المتعلقة بتحرير حرم المدينة وهو جبل شرق المدينة ، وكذا هو فى العقيق . وقد أورد فى شرحه ماهنا من حديث غزوة السويق .

(٣) أى المال الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم ومايعرض لهم ، وكان حليا يعيرونه لأهل مكة . (السيرة الحلبية ٢ : ٤٧٩)

يأتيانه من نخل المدينة ، فأتوا ناحيه منها يقال لها العُرَيْض على ثلاثة أميال منها ، فحرقا حرثا لهم وقتلا رجلا من الأنصار وأجيرا له فى حرث لهما ، وانطلقا ، فانطلق أبو سفيان وأصحابُه – ورأى أن يَمِينَه قد بَرَّت – سراعا هاربين قِبَلَ مكة ، ونُذِرَ بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ ومعه مائتا راكب – ويقال : ثمانون راكبا – من المهاجرين والأنصار فى إثرهم – واستخلف على المدينة أبا لُبَابَة بشير ابن عبد المنذر – حتى بلغ قَرْقَرَة [(١)] الكُدْر فلم يدركهم . وجعل أبو سفيان وأصحابُه يتخفَّفُون للهرب والنجاة فيُلْقُون أزوادهم ، وكان فيها سويق [(٢)] – وهى عامة أزوادهم – فأخذها المسلمون ، فسُمِّيَت غزوة السَّوِيق بذلك ، وكان ذلك فى يوم الأحد لخمس خلون من ذى الحجة – وقيل فى صفر [(٣)] .

وفيها فى صفر مات أبو وهب المُطْعِمُ بن عَدِىّ بن نَوْفَل بن

---

(١) القرقرة : أرض ملساء ، والكدر : طير فى ألوانها كدرة . وعرف بها ذلك الموضع ؛ يعنى أنها مستقر هذه الطيور . (سبل الهدى والرشاد ٤ : ٢٥٦) وفى وفاء الوفا ٢ : ٣٦٥ « بناحية معدن بنى سليم قريب من الأرحضية وراء سد معاوية ، بلغها رسول الله ﷺ فى غزوة السويق يطلب أبا سفيان » .

(٢) السويق : قمح أو شعير يقلى ثم يطحن ليسف ، تارة بماء وتارة بسمن ، وتارة بعسل وسمن — (السيرة الحلبية ٢ : ٤٨٠)

(٣) سيرة النبى لابن هشام ٢ : ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ودلائل النبوة ٢ : ٤٣٢ — ٤٣٤ ، وتاريخ الخميس ١ : ٤١٠ .

عبد مناف كافرا ، ودُفِن بالحجون ، فأُقِيمَ النوحُ عليه سنة . وأبو أُحَيْحَة سعد بن العاص بن أمية كافرا بالطائف * .

* * *

« السنة الثالثة من الهجرة »

فيها فى يوم السبت للنصف من شوّال كانت واقعةُ أُحُد بين النبى ﷺ وقريش ، وسببها : أنه لما عاد المشركون من بدر إلى مكة وجدو العِيرَ التى قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة فى دار الندوة ـــ وكذلك كانوا يصنعون ـــ لم يحركها ولا فرقها ، وكانت ألْفَ بعير ، فمشى أشراف قريش [١] إلى أبى سفيان ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة وقالوا : نحن طَيِّبُوا[٢] الأنفسِ بأن تجهز بِرِبْح هذه العير جيشا كثيفا إلى محمد . فقال أبو سفيان : أنا أوّل مَن أجاب [٣] إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معى . فباعوها فصارت ذهبا ، فسلموا إلى أهل العِيرِ رُءُوس أموالهم ، وخرجوا الأرباح ـــ وكانوا يربحون فى تجارتهم لكل [دينار][٤] دينارا ـــ فنزل فيهم قول الله تعالى ﴿ إنّ

* ختمت نسخة ت هذا القدر بقولها « أنتهى الربع الأول من الكتاب » ثم بدأت « بسم الله الرحمن الرحيم » ولم يرد ذلك فى نسخة م .

(١) وهم كما فى مغازى الواقدى ١ : ١٩٩ « الأسود بن المطلب بن أسد ، وجبير ابن مطعم ، وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، والحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، وحويطب بن عبد العزى ، وحجير بن أبى إهاب » .

(٢) فى الأصول « طيبون » والمثبت عن الوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٦٨٤ .

(٣) فى الأصول « جاب » .

(٤) سقط فى الأصول ، والمثبت عن مغازى الواقدى ١ : ٢٠٠ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٣٧ ، والإمتاع ١ : ١١٥ ، وعيون الأثر ٢ : ٢ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٢٧١ .

الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ (١) الآية . وبعثوا عمرو بن العاص ، وهُبَيْرة بن أبي وَهْب ، وابن الزِّبَعْرَى ، وأبا عَزَّة الجُمَحِيّ إلى العرب يستنفرونها ؛ فألَّبُوا (٢) العربَ وجمعوها . وكان أبو عَزَّة الجمحى المذكور ــ وهو عمرو بن عبد الله ــ قد مَنَّ عليه النبيُّ ﷺ يوم بَدْر على ألاّ يقاتله (٣) ولا يكثر عليه أبدا ، فقال له صفوان ابن أميّة : يا أبا عَزّة إنك آمْرُؤ شاعر فأعِنّا بلسانك فَآخْرُج معنا . فقال : إن محمدا قد منّ عليّ فلا أريد أن أُظاهر عليه . قال : بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله إن رجعتَ أن أُغْنِيَك ، وإن أُصِبْت أن نجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر . [فخرج أبو عزة يسير] (٤) فى تهامة ويدعو كنانة ويقول :

يا بنى عبد مناة (٥) الرُّزّامْ أنتم حماة وأبوكم حام
لا تعدونى نصركم بعد العام لا تُسْلِمُونى لا يحل إسلام(٦)

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٦ .
(٢) فى الأصول « فأثبتوا » والمثبت عن مغازى الواقدى ١ : ٢٠١ ، والإمتاع ١ : ١١٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٢٧١ .
(٣) فى الأصول « يقاتلوه » .
(٤) سقط فى الأصول . والمثبت عن تاريخ الطبرى ٣ : ١٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٠ ، وتاريخ الخميس ١ : ٤٢٠ .
(٥) فى الأصول « مناف » وهو خطأ .
(٦) سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٥٨٢ ، ومغازى الواقدى ١ : ٢٠١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٠ مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، وتقديم وتأخير فى بعض الشطرات .

وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا إلى رسول الله ﷺ مع رجل من بنى غِفَار [١] يخبره بذلك .

وخرجت قريش من مكة ومعهم الظُّعُن التماس الحفيظة وألا يفروا ، وخرج نساء مكة ومعهن الدفوف يبكين قتلى بدر ، ويَنُحْنَ عليهن . ٥

وحشدت بنو كنانة ، وعقدوا ثلاثة ألوية .

وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوال فى ثلاثة آلاف رجل ومائتى فرس ، وسبعمائة درع ، وثلاثة آلاف بعير ، ٢٢٣ وخمس عشرة امرأة ، رئيسهم أبو سفيان / بن حرب .

وهَمَّت قريش وهى بالأبواء أن تنبش قبر آمنة أم النبى ﷺ ، ١٠ ثم كفّهم الله عنه ، ثم نزلت قريش ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

ثم خرج النبى ﷺ وعسكره إلى تحت أحد قُبَالَة العدوة . وانخذل فى الطريق عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول بثلث العسكر ؛ لزعمه أن النبى ﷺ خالفه حالة [٢] مشاورة أصحابه هل يقيم بالمدينة أو ١٥ يخرج إلى العدو . فكان النبى ﷺ وعبد الله بن أبى اختارا الإقامة بالمدينة واختار أصحابه الخروج ، فوافقهم ﷺ . فلما خرجوا انخزل عبد الله عنهم بمن معه .

---

(١) فى الأصول « عفاف » والمثبت عن مغازى الواقدى ١ : ٢٠٤ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٢٧٢ ، والإمتاع ١ : ١١٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٤٨٩ ، وشرح المواهب ٢٠ ٢ : ٢١ .

(٢) كذا فى ت ، وفى م « حال » .

وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال فى سبعمائة رجل ، ثم وقع القتال بين المسلمين والمشركين ، فانكشف المسلمون بعد أن قتل من المسلمين حمزة بن عبد المطلب وغيره — رضى الله عنهم — وقتل من المشركين أُبَىّ بن خَلَف ؛ قتله رسول الله ﷺ تصديقا لقوله : إن شاء الله ؛ فإن أبى بن خَلَف كان يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يامحمد إن عندى العود — فرسا — أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها . فيقول له ﷺ ؛ بل أنا أقتلك إن شاء الله . ويقال إن النبى ﷺ قال له [ذلك][(١)] يوم افتدى منه ببدر ، فلما كان يوم أحد أقبل يركض فرسه تلك حتى دنا من رسول الله ﷺ ، فاعترضه رجال من المسلمين ليقاتلوه ، فقال لهم النبى ﷺ : دعوه . فأخذ حربة فرمى بها أُبيًّا فكسر ضلعا من أضلاعه ، أو خدشه فى عنقه خدشا غير كبير ، فأحتقن الدم ، فرجع إلى أصحابه ثقيلا فاحتملوه حتى ولّوا به وهم يقولون : لا بأس عليك . فقال : قتلنى والله محمد . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إنْ بِكَ بأس . قال : إنه قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلنى . فانطلق به أصحابه فمات بَسرِف فدفنوه [(٢)] .

وقتل من المشركين أيضا طلحة ، وأبو سعد [(٣)] ، وعثمان بنو أبى طلحة ، ومُسَافع والحارث والجُلاَس والكِلاَب بنو طلحة ، وأَرْطَاة

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٩ .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى مغازى الواقدى ١ ٣٠٧ « أبو سعيد » .

٢٢٤ ابن عبد شُرَحْبِيل بن هاشم ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم / ، والقاسط بن شُرَيح بن هاشم ، وعبد الله بن حُمَيْد بن زهُيَر بن الحارث بن أسد ، وأبو الحكم بن الأخنس بن شَرِيق ، وسِبَاع بن عبد العزى بن عمرو بن نُفَيْل ، وهشام بن أُمَيّة بن أبي المغيرة ، والوليد بن العاص بن هشام ، وأبو أمية بن أبي حُذَيْفَة بن المغيرة ، وخالد بن الأعلم أبو عزة ، وعمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب — صبرا — وعبيدة بن جابر ، وشَيْبَة بن مالك بن المضَرِّب ، وصواب — غلامٌ حَبَشِيٌّ لبنى عبد الدار — .

ثم انصرف أبو سفيان ومن معه إلى أن وصلوا الرَّوْحَاء .

وعاد النبى ﷺ إلى المدينة ، ثم نادى مناديه فى غداة يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال بالخروج فى طلب العدو ، فخرج حتى انتهى إلى حمراء الأسد ؛ وهى من المدينة على ثمانية (١) أميال ، وأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم عاد إلى المدينة بعد ما مر به مَعْبَد بن أبى مَعْبَد الخزاعى واجتمع به . ثم لحق أبا سفيان ومن معه بالروحاء — وقد أجمعوا الرجعة إلى المدينة — فقال لهم : لا تفعلوا فإن محمدا قد خرج فى أصحابه فى جمع لم أر مثله قطّ يتحرقون عليكم تَحَرُّقا ، وما أرى أن ترحلوا حتى تروا نواصى الخيل . فانصرفوا سراعا خائفين من الطلب . ثم بعث معبد الخزاعى رجلا إلى رسول الله ﷺ فأخبره بانصراف أبى سفيان ومن معه خائفين (٢) .

---

(١) فى الأصول « ثلاثة أميال » والمثبت عن عيون الأثر ٢ : ٣٧ ، وسيرة النبى لابن هشام ٣ : ٦١٦ ، وشرح المواهب ٢ : ٥٩ .

(٢) مغازى الواقدى ١ : ٣٣٨ — ٣٤٠ ، وسيرة النبى لابن هشام ٣ : ٩٨ ، ٩٩ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٤٣٨ — ٤٤٣ .

وكان أول من قدم مكة بخبر أحد وانكسار المشركين عبد الله ابن أمية بن المغيرة ، فكره أن يأتيهم بهزيمة أهلهم ، فقدم الطائف وأخبر أن أصحاب محمد قد ظفروا وانهزمنا .

وقدم وَحْشِي وقد سار أربعا على راحلته ووقف على الثنِيّة التى ٥ تطلع على الحجون فنادى : يامعشر قريش أبشروا ، فقد قتلنا أصحاب محمد قتلة لم يقتل مثلها فى زحف [١] قط ، وجرحنا محمدا فأثبتناه بالجراح ، وقتل حمزة . فسروا بذلك .

ولما قدم أبو سفيان مكة لم يصل إلى بيته حتى أتى هبل فقال : قد أنعمت ، ونصرتنا ، وشفيت نفسى من محمد وأصحابه . وحَلَقَ ١٠ رأسه .

* * *

« السنة الرابعة من الهجرة »

فيها فى يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم كانت سرية عبد الله ابن أُنَيْس وحده إلى سفيان بن[٢] خالد بن نُبَيْح الهذلى ثم اللحيانى بِعُرَنَة ـــ وهو وادى عَرَفَة[٣] ـــ وذلك أنه بلغ النبى ﷺ أن سفيان ١٥ ابن خالد نزل عرفة وما حولها فى ناس يجمع لحربه ، وضوى إليه بشر كثير من أفناء / العرب ، فدعا النبى ﷺ عبد الله بن أُنَيْس فقال : ٢٢٥

---

(١) فى الأصول « فى زمن » والمثبت عن مغازى الواقدى ١ : ٣٣٢ .

(٢) كذا فى الأصول ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٥٠ ، وعيون الأثر ٢ : ٣٩ ، وتاريخ الخميس ١ : ٤٥٠ . وفى الاكتفا ٢ : ٤١٧ « خالد بن سفيان » .

٢٠ (٣) ويقال : بطن عرنة واد بحذاء عرفات ، ويقال بطن عرنة مسجد عرفة والمسيل كله ، وله ذكر فى الحديث ، وهو بطن عرفة . (معجم البلدان لياقوت) .

إنه بلغنى أن سفيان بن خالد بن نُبَيْح الهذلى جمع لى الناس ليغزونى وهو بنَخْلَة[١] أو بعُرَنَة [٢] فاقتله ، وقال : انتسب إلى خزاعة . فقال عبد الله : يا رسول الله ٱنْعَتْهُ لى حتى أعرفه . قال ﷺ : إنك إذا رأيته هِبْتَه وفَرَقْتَ منه وذكرتَ الشيطانَ ، وآية ذلك أن تجد له قشعريرة إذا رأيته . فاستأذن النبى ﷺ فى القول ، فأَذِنَ له ، فأخذ سيفه وتوشّح به . وخرج حتى إذا كان ببطن عُرَنَة[٣] لقى سفيان يمشى ووراءه الأحابيش ، فهابه ، وعرفه بالنعت الذى نعت له رسول الله ﷺ ـــ وقد دخل العصر ـــ قال عبد الله : فلما رأيته وجدتُ ما وصفَ لى رسول الله ﷺ من القشعريرة ، فأخذت نحوه ، وخشيت أن يكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه [٤] وأومىء برأسى ، فلما انتهيت إليه قال : من[٥] الرجل ؟ قلت : رجل من العرب ـــ أو قال رجل من خزاعة ـــ سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك . فقال : أنا فى ذلك . فمشيت معه أحادثه وأنشده ، وقلت : عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين

---

(١) فى الأصول « بنجد » والتصويب عن الاكتفا ٢ : ٤١٨ ، وتاريخ الخميس ١ : ٤٥

(٢) فى الأصول « بعرفة » والتصويب عن المرجعين السابقين .

(٣) فى الأصول « عرفة » والتصويب عن عيون الأثر ٢: ٣٩ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٥١ .

(٤) فى الأصول « خلفه » والمثبت عن الاكتفا ٢ : ٤١٨ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ١ : ٢٧١ .

(٥) فى الأصول « ممن » والمثبت عن الاكتفا ٢: ٤١٨ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٥١ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ١ : ٢٧١ .

المحدث ؛ فارق الآباء وسفّه أحلامهم !! فقال سفيان : لم يَلْقَ محمدٌ من يشبهنى . حتى انتهى إلى خبائه وتفرّق عنه أصحابه ، فقال : يا أخا خزاعة . فدنوت منه وجلس عندى حتى نام الناس ، فحملت عليه بالسيف حتى قتلته ، ثم خرجت — وتركت ظعائنه منكبات عليه — حتى قدمت على النبى ﷺ — ويقال إن سفيان بن خالد لما رقد اغتره عبد الله بن أنيس فقتله ، وأخذ رأسه فدخل به غارا فى الجبل وضربت عليه العنكبوت ، وجاء الطلب فلم يروا شيئا فانصرفوا راجعين . وخرج فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة فى يوم السبت لسبع بقين من المحرم .

وفيها لهلال ذى القعدة كانت غزوة بدر المَوْعِد ، وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد أن ينصرف يوم أحد نادى : موعد بيننا وبينكم بدر الصغرى[1] برأس الحول نلتقى فيه فنقتتل . فقال عمر بن الخطاب — وقد أمره رسول الله ﷺ — : نعم / إن شاء الله . ٢٢٦

وكانت بدر الصغرى مجمعا للعرب فى سوقٍ يُقَامُ لهلال ذى القعدة إلى ثمان منه ، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج وأحب

(١) كذا فى الأصول ، وفى نهاية الخبر فى طبقات ابن سعد ٢ : ٦٠ « وهى غزوة بدر الصغرى » وفى شرح المواهب ٢ : ٩٣ « غزوة بدر الأخيرة وهى الصغرى — لعدم وقوع حرب فيها فكانت صغرى بالنسبة للكبرى ؛ فهى تسمية اصطلاحية للتمييز » . وفى مغازى الواقدى ١ : ٣٨٤ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٥٩ ، والإمتاع ١ : ١٨٣ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٤٧٨ « بدر الصفراء » . وفى معجم البلدان لياقوت « وبدر الموعد ، وبدر القتال ، وبدر الأولى والثانية ، كله موضع واحد ... وبدر ماء مشهور بين مكة والمدينة أسفل وادى الصفراء ، بينه وبين الجار — وهو ساحل البحر — ليلة » .

ألا يوافى رسول الله ﷺ الموعد[١] ، وكان يظهر أنه يريد الغزو فى جمع كثير ، فبلغ أهل المدينة أنه يجمع الجموع ويسير فى العرب ، فتأهب المسلمون له .

وقدم نعيم بن مسعود الأشجعى مَكَّة فأخبر أبا سفيان وقريشا بتهيُّؤِ المسلمين لحربهم — وكان عام جَدْب — فأخبره أبو سفيان بأنه كَارِهٌ للخروج إلى لقاء المسلمين ، واعتل بجدب الأرض ، وجعل له عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو على أن يُخَذِّلَ المسلمين عن المسير لموعده ، وحمله على بعير ، فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبى سفيان حتى رَعَّبَ المسلمين ، وهو يطوف فيهم حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين ، ولم تبق لهم نِيَّة فى الخروج ، واستبشر المنافقون واليهود وقالوا : محمد لا يفلت [٢] من هذا الجمع . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج النبى ﷺ فى ألف وخمسمائة ومعه عشرة أفراس حتى وافى بدرا ، وأقاموا بها ثمانية أيام — والسوق قائمة — وانصرف راجعا فأنزل الله تعالى ﴿ فَٱنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُم سُوءٌ ﴾ [٣]

ويقال إن أبا سفيان خرج فى ألفين ومعهم خمسون فرسا حتى بلغ عُسْفَان وقيل مَجَنَّة من ناحية مَرّ [٤] الظهران ، ثم رجع لجدب البلاد فسماهم أهل مكة جيش السَّوِيق .

(١) سقط فى ت ، والمثبت من م والإمتاع ١ : ١٨٣ .

(٢) كذا فى ت ، ومغازى الواقدى ١ : ٣٨٦ . وفى م والإمتاع ١ : ١٨٤ « لا يغلب » .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٤ .

(٤) فى الأصول « من » والتصويب عن طبقات ابن سعد ٢ : ٦٠ ، ومعجم البلدان لياقوت ، والسيرة الحلبية ٢ : ٥٨٠ ، وشرح المواهب ٢ : ٩٣ ، وتاريخ الخميس ١ : ٤٦٥ .

وانطلق مَعْبَد بن أبى مَعْبَد الخزاعى سريعا ــ بعد انقضاء الموسم ــ إلى مكة ، وأخبر بكثرة المسلمين وأنهم أهل ذلك (١) الموسم ، وأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ للضَّمْرِى . فأخذوا فى الكيد والنفقة (٢) فى قتال رسول الله ﷺ ، واستجلبوا مَنْ حولهم من العرب ، وجمعوا الأموال ؛ فضربوا البعث على أهل مكة ، فلم يُتْرَك أحدٌ منهم إلا أن يأتى بمال ، ولم يقبل من أحد أقلّ من أوقية لغزو الخندق . وأنزل الله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ (٣) يعنى نعيم بن مسعود .

* * *

« السنة الخامسة من الهجرة »

فيها فى صفر(٤) بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط ــ وقيل

---

(١) فى الأصول « لذلك » والمثبت عن مغازى الواقدى ١ : ٣٨٨ ، والإمتاع ١ : ١٨٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٤٨٠ .

(٢) فى الأصول « والنقلة » والتصويب عن مغازى الواقدى ١ : ٣٨٩ ، والإمتاع ١ : ١٨٥ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٤٨٠ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٧٣ .

(٤) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٣٥٤ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٥٥ ، وعيون الأثر ٢ : ٤٠ ، والمواهب اللدنية ٢ : ٦٤ ، والإمتاع ١ : ١٧٤ ، وتاريخ الخميس ١ : ٤٥٤ « فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة » . وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٦٦٧ ، والدرر لابن عبد البر ١٦٨ « فى السنة الثالثة » . وفى الكامل لابن الأثير ٢ : ٦٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٢٣ ، وشرح المواهب ٢ : ٦٤ « فى السنة الرابعة » .

ستة — منهم : عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح [١] ، وخُبَيْب بن عَدِىّ ، وزيد بن الدَّثِنَّه ، وخالد بن أبى البُكَيْر [٢] ، وعبد الله بن طارق ، وأخوه لأمه / مُعَتِّب [٣] بن عُبَيْد سرية عينا ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى . ٢٢٧

فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهَدَّة — بين عُسْفَان ومكة — ذُكِرُوا لحيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان . فَنَفَرُوا لهم قريبا من مائة رجل كُلُّهم رَام ، فقصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا فى منزل نزلوه فقالوا : هذا تمر يثرب . فاتبعوا آثارهم ، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم ، فقالوا لهم : انزلوا فأعطوا [٤] بأيديكم ولكم العهد والميثاق لا [٥] نقتل منكم أحدا . فقال عاصم

---

(١) فى الأصول ، وسيرة النبى لابن هشام ٣ : ٦٦٧ ، والإصابة ٢ : ٢٤٤ « ابن أبى الأفلح » والمثبت عن مغازى الواقدى ١ : ٣٥٥ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٤١ ، ٥٥ ، والاستيعاب ٢ ٧٧٩ ، والاكتفا ٢ : ١٣٤ ، وعيون الأثر ٢ : ٤١ ، وشرح المواهب ٢ : ٦٤ وفيه « ابن أبى الأقلح » — بالقاف واللام المهملة .

(٢) فى الأصول « ابن أبى بكر » والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٣٥٥ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٥٥ ، والإمتاع ١ : ١٧٥ . وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٦٦٧ ، والدرر ١٦٨ ، والاكتفا ٢ : ١٣٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٢٦ ، وشرح المواهب ٢ : ١٦٥ « ابن البكير » .

(٣) فى الأصول « مغيب » والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٣٥٥ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٥٥ ، والإمتاع ١ : ١٧٥ ، وشرح المواهب ٢ : ٦٥ .

(٤) فى الأصول « فأعطونا بأيديكم » والمثبت عن حلية الأولياء ١ : ١١٢ ، وصفة الصفوة ١ : ٦٢٠ .

(٥) فى الأصول « أن نقتل منكم » والمثبت عن المرجعين السابقين .

ابن ثابت أمير السرية : أيها القوم أمّا أنا فوالله لا أنزل اليوم فى ذمة كافر . ثم قال : اللهم أخبر عنا نبيَّكَ . فرموهم بالنبل فقتلوا سبعة منهم عاصم ، وأنزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق ، منهم خُبَيْب الأنصارى وزيد بن الدَّثِنَّة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيِّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ، ٥
والله لا أصحبكم ؛ إن لى بهؤلاء أسوة ـــ يريد القتل ـــ فجرجروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى أن يصحبهم فقتلوه .

وانطلقوا بخُبَيْب وزيد بن الدَّثِنَّة حتى باعوهما بمكة ، فابتاع خُبَيْبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ـــ وكان قتل الحارث بن عامر يوم بدر ـــ فلبث خُبَيْب عندهم أسيرا حتى أجمعوا ١٠
على قتله ، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها [1] فأعارته ، فدرج ابن لها ـــ وهى غافلة ـــ حتى أتاه ، فوجدته مُجْلِسَه على فخذه والموسى بيده ، ففزعت فزعة عرفها خُبَيْب فى وجهها ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ماكنت لأفعل ذلك . قالت : والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خُبَيْب ، والله لقد وجدته يوما يأكل ١٥
قِطْفاً من عِنَبٍ فى يده وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة . وكانت تقول : رِزْقٌ من الله رزَقه خُبَيْبًا .

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحِلّ ، قال لهم خُبَيْب : دعونى أصلى ركعتين . فتركوه ، فركع ركعتين ، فقال : والله لولا أن تحسبوا أنما بى جَزَعٌ لَزِدْتُ ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم ٢٠
بَدَدًا ، / ولا تُبْقِ منهم أحدا . ثم أنشأ يقول : ٢٢٨

(١) يستحد بها : أى يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله (شرح المواهب ٢ : ٦٨)

فلَسْتُ أُبَالِى حينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً عَلَى أىّ جَنْبٍ كان لله مَصْرَعى
وذلك فى ذَاتِ الإلهِ وإن يَشَا يُبَارِكْ على أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام أبو سِروعة عُقْبَةُ بن الحارث فقتله [١] ، وكان خُبَيْب هو الذى سَنّ الركعتين لكل مسلم قُتِلَ صبْرًا .

واستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب ، فأخبَرَ النبىُّ ﷺ أصحابه يوم أُصيبوا . وبَعثَ ناسٌ من كُفّار قريش إلى عاصم ابن ثابت ــ حين حُدِّثُوا أنه قُتِلَ ــ أن يُؤْتَوا بشىء منه يُعْرَف ، فبعث الله على عاصم مثل الظُّلَّة من الدَّبْرِ [٢] فحمته منهم ومن رسولهم ، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئا .

ويقال إن هذه السرية كانت إلى الرجيع بناحية الحجاز ــ ماء لهذيل بين مكة وعسفان ، وهو على سبعة أميال من عسفان ــ وخبرها أن رهطا من عَضَل والقَارَة وهم إلى الهُوْن بن خُزَيْمَة أتوا النبى ﷺ ، وسألوه أن يبعث معهم من يعلمهم شرائع الإسلام ، فبعث معهم مَنْ ذُكِرَ ، فلما كانوا بالرجيع غدروا بهم فقتلوهم غير زيد بن الدَّثِنَّة ، وخُبَيْب بن عَدِىّ فإنهما أسرا وبيعا بمكة فقتلا بها بعد

---

(١) وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٦٧١ « قال ابن إسحاق ، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث قال : سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ؛ لأنى كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة أخا بنى عبد الدار أخذ الحربة فجعلها فى يدى ، ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله » .

(٢) الدبر ــ بفتح الدال وسكون الموحدة : الزنابير ، وقيل ذكور النحل ، ولا واحد له من لفظه . (شرح المواهب ٢ : ٧٣)

أن صلّى خُبَيْبٌ ـــ قبل قتله ـــ ركعتين ، وهو أول من سنهما ، ويقال بل زيد بن حارثة (١) حينما أراد الكَرِيُّ (٢) الغدر به .

وفيها فى شوال ـــ وقيل فى ذى القعدة ـــ كان غزوة الخندق ، وتسمى الأحزاب ، وذلك أن النبى ﷺ لما أجلى بنى النضير ، وساروا ٥ إلى خيبر خرج نفر من وجوه يهود بنى النضير ، وبنى وائل وأشرافهم منهم : حُيَيُّ بن أخْطَب ، وكِنَانة (٣) بن أبى الحُقيق ، وهَوْذَة بن قيس الوائلى من الأوس ، وأبو عامر الراهب فى بضعة عشر رجلا حتى

---

(١) فى الأصول « أسامة بن زيد » والتصويب عن الروض الأنف ٣ : ٢٣٥ ، وشرح المواهب ٢ : ٧٢ . وفى تاريخ الخميس ١ : ٤٥٧ « وفى سيرة مغلطاى أن هذه ١٠ القصة وقعت لأسامة بن زيد والصواب أنها لأسامة بن حارثة » والخبر كما يروى عن الليث ابن سعد قال : بلغنى أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف ، واشترط عليه الكرى أن ينزله حيث شاء . قال : فمال به إلى خربة فقال له : انزل . فنزل ، فإذا فى الخربة قتلى كثيرة ، قال : فلما أراد أن يقتله قال : دعنى أصلى ركعتين . قال : صلّ ، فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا . قال : فلما صليت أتانى ليقتلنى ، ١٥ قال ، فقلت : ياأرحم الراحمين . قال ، فسمع صوتا : لا تقتله . قال : فهاب ذلك فخرج يطلب أحدا فلم ير شيئا فرجع إلى ، فناديت : يا أرحم الراحمين ـــ ففعل ذلك ثلاثا ـــ فإذا أنا بفارس بيده حربة حديد فى رأسها شعلة من نار ، فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتا ، ثم قال : لما دعوتَ المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت فى السماء السابعة ، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت فى السماء الدنيا ، فلما دعوت ٢٠ المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك .

(٢) الكرى : الذى يكريك دابته ـــ فعيل بمعنى مفعل . (المعجم الوسيط)

(٣) فى الأصول « كندر » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٠٠ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٤٤١ ، والدرر ١٧٩ ، والاكتفا ٢ : ١٥٨ ، وعيون الأثر ٢ : ٥٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٨١ ، والإمتاع ١ : ٢١٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦٢٨ ، ٢٥ وتاريخ الخميس ١ : ٤٨٠ .

قدموا مكة على قريش ، فألَّبُوهم ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : نكون معكم حتى نستأصل محمدا ، جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله . فقال أبو سفيان : مرحبا ، وأحبُّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد ، وأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها ، / وتحالفوا وتعاقدوا ـــ وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة ، وهم بينها وبين أستارها ـــ ألا يخذل بعضهم بعضا وليكونن يدا واحدة على محمد مابقى منهم رجل . ثم قال أبو سفيان : يامعشر يهود ، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم ، أخبرونا عَمَّا أصبحنا نحن فيه ومحمد ، أدِينُنَا خَيْرٌ أم دين محمد ؟ فنحن عُمَّار البيت ، وننحر الكور ، ونسقى الحجيج ، ونعبد الأصنام . فقالت يهود : اللهم أنتم أولى بالحق منه ؛ إنكم لتعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية ، وتنحرون البُدْن ، وتعبدون ماكان عليه آباؤكم ، وأنتم أولى بالحق منه . فأنزل الله فى ذلك ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُو نَصِيبًا مِنَ الكتابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ والطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا ﴾(١) واتّعدوا لذلك موعدا ، ثم خرجوا من عندهم حتى أتوا غَطَفَان وسلّموا ، فاستصرخوهم لحَرْبِ النبىّ ﷺ ، وأنهم يكونون معهم عليه ، وأخبروهم بمبايعة قريش ؛ فأجابوهم .

وتجهَّزَت قريش بأحَابِيشِهَا ومن تبعها من العرب ، فكانوا أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء فى دار الندوة ، وأعطوه عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، فحمله . وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وألفاً وخمسمائة بعير ، وخرجت ـــ قائدها أبو سفيان بن حرب بن أمية ـــ ووافتهم

(١) سورة النساء آية ٥١ .

غطفان[١] بمر الظهران ، [وخرجت][٢] فزارة فى ألف ، قائدها عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَة ، وبنو سليم فى سبعمائة ، يقودهم مسعودِ بن رُخَيْلَة ، وبنو مُرّة فى أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبى حارثة ـــ ويقال إنه رجع بهم فلم يشهد الخندق أحدٌ من بنى مرة .

فأقبلت قريش والأحابيش ومن معهم من بنى كنانة وأهل تهامة فى عشرة آلاف حتى نزلت وادى العقيق بمجتمع الأسيال ، ونزلت غطفان بذنب نقمى إلى جانب أحد ـــ وكانوا ثلاثة عساكر ـــ وعناج[٣] الأمر إلى أبى سفيان .

ولما أن خرجت قريش من مكة أتى ركبُ خزاعة لرسول الله ﷺ فى أربع ليال حتى أخبروه ، فندب النبىُّ ﷺ الناسَ وأخبرهم خبر عدوِّهم ، وشاورهم أيبرز من المدينة أم يكون فيها ويخندق عليها ، أم يكون قريبا والجبل وراءهم ؟ فاختلفوا ، فأشار سلمان [الفارسى][٤] بالخندق ، فأعجبهم ذلك ، وذكروا يوم أحد فأحبوا الثبات فى المدينة .

---

(١) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٤٤٣ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٦٦ ، والإمتاع ١ : ٢١٨ ، وسبل الهدى والرشاد ٤ : ٥١٣ ، وشرح المواهب ٢ : ١٠٤ « بنو سليم » .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) عناج الأمر ـــ بعين مهملة مكسورة فنون مخففة فألف وجيم : أى ملاكه ـــ بكسر الميم وفتحها : وهو مايقوم به . ومعناه أنه كان صاحبهم ، ومدبر أمرهم ، والقائم بشأنهم كما يحمل ثقل الدلو عناجها وهو الحبل الذى يشد تحت الدلو ثم يشد فى العروة ليكون عونا لعراها فلا تنقطع (سبل الهدى والرشاد ٤ : ٥٠٦) .

(٤) إضافة عن الإمتاع ١ : ٢١٩ .

٢٣٠ وكانت مدة حصار الخندق خمسة عشر يوما ، وقيل عشرين يوما ، / وقيل قريبا من شهر [(١)] .

* * *

« السنة السادسة من الهجرة »

فيها فى غرة ربيع الأول ـــ ويقال فى جمادى الأولى ، ويقال فى سنة خمس ـــ كانت غزوة بني لِحْيان ، وكانوا فى ناحية عُسْفَان . ٥

خرج هم رسول الله ﷺ فى مائتى رجل ، ومعه عشرون فرسا ، يطلبهم بأصحاب الرجيع خُبَيْب بن عَدِىّ ورفيقيه ؛ لأنه وَجَدَ عليهم وجدا شديدا ، فسلك طريق الشام ، وَوَرَّى على الناس أنه لا يريدهم ليصيب منهم غِرَّة ، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران ـــ وادٍ بين أَمَج [وعسفان] [(٢)] بينه وبين عُسْفان خمسة أميال ـــ فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال ـــ وثَمَّ أُصِيبَ أهل الرجيع ، فترحم عليهم ودعا لهم ـــ وأقام يوما أو يومين فبعث سراياه في كل ناحية فلم يظفروا بأحد ، وصلى صلاة الخوف ؛ فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ نازلا بين ضجنان وعُسْفَان يحاصر المشركين ، فقال المشركون : إن هؤلاء صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأبكارهم ، أجمعوا أمركم ثم ميلوا عليهم ميلة واحدة . فجاء جبريل فأمره أن يُقَسِّم أصحابه نصفين فَصَلِّ بطائفة منهم وطائفة مقبلون على عدوهم قد أخذوا حذرهم وأسلحتهم ، فتصلى بهم ركعة ، ثم يتأخر هؤلاء ويتقدم أولئك ، فتصلى بهم ركعة يكون لهم مع رسول الله ﷺ ركعة ركعة وللنبى ﷺ ركعتان . ١٥ ٢٠

(١) وانظر خبر هذه الغزوة فى المراجع السابقة ، وسيرة النبى لابن هشام ٣: ٦٩٩ ـــ ٧١٥ ، وعيون الأثر ٢ : ٥٥ ـــ ٦٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣: ١٧٨ ـــ ٢٢٢ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦٢٨ ـــ ٦٥٧ .

(٢) إضافة على الأصول .

ولما أخطأه ﷺ ما أراد من غِرَّةِ القوم قال : لو أنا هبطنا عُسْفان لرأت قريش أنا قد جئنا مكة . فأتاها حتى نزل بها ، ثم بعث فارسين من أصحابه — وقيل بعث أبا بكر الصديق — فى عشرة فوارس إلى كُرَاع الغَمِيم لِيُذْعِر قريشا ، فأتوها فلم يلقوا بها أحدا ، ثم ٥ انصرفوا .

ثم أقبل رسول الله ﷺ راجعا إلى المدينة .

وفيها فى شهر رمضان — ويقال فى ذى الحجة سنة أربع ، وفى الحجة سنة خمس ، ويقال فى جمادى الثانية سنة ثلاث — كانت سرية عبد الله بن عَتِيك لقتل أبى رافع سلام — وقيل عبد الله — بن ١٠ أبى الحُقَيق النَّضْرِى ، بحصنه بالحجاز — ويقال بخيبر — وكان ممن حزَّب يوم الخندق ، ويجعل الجُعْل[1] على حرب رسول الله ﷺ ، ويؤذيه ويُعِينُ عليه . وذلك أن الأوس لَمّا قتلت كَعْبَ بن الأشرف أرادت الخزرج أن تصنع مثل صنيعهم ، فتذاكروا من يُعَادي رسول الله ﷺ ، / فذكروا ابن أبى الحُقَيق ، فاستأذنوا النبى ﷺ فى قتله ، ٢٣١ ١٥ فأذن لهم ، ونهاهم عن قتل النساء والصبيان .

فخرج ابن عَتِيك فى أربعة [2] نفر معه ، وهم : عبد الله بن أُنَيس — ويقال ابن عُتْبَة ، وفيه نظر — وأبو قتادة [الحارث بن ربعى ، والأسود] [3] بن خزاعى ، ومسعود بن سِنَان ، فلما دَنَوْا

---

(١) فى الأصول « النفل » . وفى طبقات ابن سعد ٢ : ٩١ « الحفل » . والمثبت ٢٠ عن مغازى الواقدى ١ : ٣٩٤ ، والإمتاع ١ : ١٨٦ .

(٢) فى الأصول « فى أربع » .

(٣) سقط فى الأصول والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٤٦ ، وشرح المواهب ٢ : ١٦٥ .

منه ــ وقد غربت الشمس وراح الناس بسَرْحِهم ــ قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم وإنى منطلق ومُتَلَطِّف للبواب . ثم تَقَنَّع بثوبه كأنه يقضى حاجة ــ وقد دخل الناس ــ وقد هتف البواب : إن كنتَ تريدُ أن تدخل [فادخل][(١)] فإنى أريد أن أُغْلِق الباب . فدخل فكمن ، فلما دخل الناس أغلق [البواب] [(١)] الباب ، ثم علّق الأقاليد على وَتَد ، فقام عبد الله إلى الأقاليد فأخذها [بعدما رقد][(١)] ففتح الباب .

وكان أبو رافع يُسْمَر عنده ، وكان فى عَلاَلِىّ له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعد عبد الله فجعل كلما فتح بابا أغلقه على نفسه من داخل وقال : إن القومُ نُذِرُوا بى لم يُخْلَص إلىّ حتى أقتله . فانتهى إليه فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا يدرى أين هو من البيت ، فقال : يا [أبا][(٢)] رافع . قال : من هذا ؟ فأهوى نحو الصوت فضربه ضربة بالسيف ــ وهو داهش ــ فما أغنت شيئا ، وصاح ، فخرج عبد الله من البيت فمكث غير بعيد ثم دخل إليه ، فقال : ماهذا الصوت يا [أبا][(٢)] رافع ؟ فقال : لأمِّكَ الويل ؛ إن رجلا فى البيت ضربني قبل بالسيف . فضربه ضربةً أثخنته ولم تقتله ، ثم وضع ضَبِيب [(٣)] السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره ، فجعل يفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهى إلى درجة له [(٤)] ، فوضع رجله ــ وهو

---

(١) إضافة عن شرح المواهب ٢ : ١٦٧ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٢ .

(٢) سقط فى الأصول والمثبت عن شرح المواهب ٢ : ١٦٧ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٣ .

(٣) ضبيب السيف : حده . وانظر تحرير هذا اللفظ فى شرح المواهب ٢ : ١٦٨ .

(٤) فى الأصول « به » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٦٤ ، وشرح المواهب ٢ : ١٦٨ .

يرى أنه قد انتهى إلى الأرض — فوقع فى ليلة مقمرة ، وانكسرت ساقه فعصبها بعمامته ، ثم انطلق حتى جلس على الباب ، وقال : لا أخرج الليلة حتى أعلم أَقَتَلْتُه أم لا . فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع تاجر أهلِ الحجاز . فانطلق إلى أصحابه فقال : النجاء النجاء ؛ فقد قَتَلَ اللهُ أبا رافع .

ويقال إن ابن عَتِيك ومن معه دخلوا على ابن أبى الحُقَيق فى عُلِّية[١] وقدموا / عبد الله بن عَتِيك لأنه كان يرطن باليهودية ، فاستفتح وقال : جئتُ أبا رافع بهدية . ففتحت له امرأته ، فلما رأت السلاح صاحت ، فأشاروا إليها بالسيف — ولولا نَهْىُ النبى ﷺ إياهم لقتلوها — فسكتت ، ودخلوا عليه فلم يعرفوه إلا ببياضه كأنه قُبْطِيّة[٢] ، فابتدروه بأسيافهم ، وتحامل عليه ابن أُنَيْس فى بطنه بالسيف حتى قتله ، ثم نزلوا ، وصاحت امرأته فتصايح أهل الدار ، فاختبئوا فى بعض مناهر [٣] القوم ، وخرج فى آثارهم الحارث أبو زينب فى ثلاثة آلاف — ومعهم النيران — يطلبونهم ، فلم يظفروا بهم فرجعوا . ومكثوا فى موضعهم يومين حتى سكن الطلب ، ثم خرجوا إلى المدينة .

وفيها قال أبو سفيان لنفر من قريش : ما أحد يغتال محمدا ، فإنه يمشى فى الأسواق ؛ فيدرك ثأرنا ؟ فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله ، وقال له : إن أنت قَوَّيْتَنِى خرجتُ إليه حتى أغتاله ؛ فإنى

---

(١) العلية : غرفة يصعد إليها بسلم . وانظر شرح المواهب ٢ : ١٦٧.
(٢) القبطية : ثوب من كتان رقيق يعمل بمصر . (شرح المواهب ٢ : ١٦٦)
(٣) مناهر — جمع منهر ، والمنهر طريق فى الحصن نافذ يجرى منه الماء . (لسان العرب)

هاد للطريق خِرِّيت[١] ، ومعى خِنْجَر مثل خَافِية[٢] النَّسْر . قال : أنت صاحبنا . فأعطاه بعيرا ونفقة وقال : اطْوِ أمرَك فإنى لا آمن أن يسمع هذا أحد فينميه إلى محمد . قال العربى : لا يعلم به أحد .

فخرج ليلا على راحلته فسار خمسا وصَبَّحَ ظَهْرَ الحرة [صُبْحَ][٣] سادسة ، ثم سأل عن رسول الله ﷺ حتى أتى المصلى ، فقال له قائل : قد توجه[٤] إلى بنى عبد الأشهل . فخرج يقود راحلته حتى انتهى إلى بنى عبد الأشهل ، فعقل راحلته . ثم أقبل يؤم رسول الله ﷺ ، فوجده فى جماعة من أصحابه يتحدث فى المسجد ، فدخل ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه : إن هذا الرجل يريد غَدْرًا ، والله حائلٌ بينه وبين مايريد . فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب . فذهب [ينحنى][٥] على رسول الله ﷺ كأنه يُسارّه . فجذبه أُسَيْد بن الحُضَيْر فقال له : تنح عن رسول الله ﷺ ، وجذب بداخلة[٦] إزاره فإذا الخَنْجَرُ ، فقال رسول الله ﷺ : هذا غادر . وسُقِطَ فى

---

(١) فى الأصول « خرجت » والمثبت من السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٣٥ .

(٢) الخافية : ريشة صغيرة فى جناح النسر دون العشر ريشات من مقدم الجناح . (شرح المواهب ٢ : ١٧٧)

(٣) الإضافة عن طبقات ابن سعد ٢ : ٩١ .

(٤) فى الأصول « وجه » والمثبت عن عيون الأثر ٢ : ١١٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٣٥ .

(٥) سقط فى الأصول ، والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٣٥ ، وشرح المواهب ٢ : ١٧٧ .

(٦) فى الأصول « ناحية » والمثبت عن المرجعين السابقين ، وعيون الأثر ٢ : ١١٢ . وفى شرح المواهب ٢ : ١٧٧ « داخلة الإزار : أى طرفه وحاشيته من داخل » .

يَدَي العربى ، وقال : دمى دمى يا محمد . وأخذ أسيد يُلَبِّبه ، فقال رسول الله ﷺ : اصْدُقنى ، ما أنت [١] وما أقدمك ؟ فإن صدقتنى نفعك الصدق ، وإن كذبتنى فقد اطلعتُ على ما هممتَ به . قال العربى : فأنا آمن ؟ قال : أنت آمن . فأخبره خبر أبى سفيان وما جعل له ، فأمر ﷺ به فحبس عند أُسَيْد ، ثم دُعِيَ من الغد فقال : قد أمنتك فأذهب حيث شئت ، أو خيرٌ لك من ذلك ؟ قال : وماهو ؟ قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، يامحمد ماكنت أفْرَقُ [من][٢] الرجال ، فما هو إلا أن رأيتُك فذهب عقلى وضعفت نفسى ، ثم اطلعتَ على ماهممتُ به — فما سبقت به الركبان ولم يعلمه أحد — فعرفت أنك ممنوع ، وأنك على الحق ، وأن حزب أبى سفيان بن حرب [حزب][٣] الشيطان . فجعل النبى ﷺ يتبسم ، فأقام أياما ، ثم استأذن النبى ﷺ فخرج من عنده ، فلم يسمع له بذكر [٤] .

فقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضَّمرى [وسلمة بن أسلم [٥]] بن حَرِيس : اخرجا[٦] حتى تأتيا أبا سفيان بن حرب ،

---

(١) أى ماصفتك ؟ أوخاطبه خطاب مالا يعقل لأن هذا فعل مالا يعقل . (شرح المواهب ٢ : ١٧٧ ، ١٧٨)

(٢) إضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٣٦ .

(٣) سقط فى الأصول ، والمثبت عن المرجع السابق ، وشرح المواهب ٢ : ١٧٨ .

(٤) فى الأصول « بذلك » والتصويب عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٣٦ ، وشرح المواهب ٢ : ١٧٨ .

(٥) سقط فى الأصول ، والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٦) فى الأصول « اخرج » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٣٦ .

فإن أصبتما منه غِرّة فاقتلاه . قال عمرو : فخرجت أنا وصاحبى حتى أتينا بطن يَأْجَج فقيدنا بعيرينا ، فقال لى صاحبى : ياعمرو ، هل لك فى أن نأتى مكة فنطوف بالبيت أسبوعا ونصلى ركعتين ؟ فقلت : إنى أعرف بمكة من [١] الفرس الأبلق ، وإنهم أن رأونا عرفونا ، وأنا أعرف أهل مكة أنهم إذا أمنوا اضطجعوا بأَفْنِيَتهم ، فأبى أن يطيعنى ٥ فأتينا مكة فطفنا أسبوعا وصلينا ركعتين ، فلما خرجت لقينى معاوية ابن أبى سفيان فعرفنى وقال : عمرو بن أمية !! فأخبر أباه ، فنذر بنا أهل مكة وتجمعوا . وهرب عمرو وسلمة ، وخرجوا فى طلبهما ، واشتدا فى الجبل ؛ قال عمرو : فدخلنا غارا فتغيبنا عنهم حتى أصبحنا ، وباتوا يطلبوننا فى الجبل ، وعمّى الله عليهم أن يهتدوا طريق المدينة ، فلما ١٠ ٢٣٤ كان الغد ضحوة أقبل عبيد الله بن مالك / بن عبيد التيمى [٢] يختلى لفرسه حشيشا ، فقلت لسلمة بن أسلم : إن أبصرنا أشعر بنا أهلَ مكة — وقد قصروا عنا — فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا ، فخرجت فطعنته تحت الثدى بخنجرى فسقط ، فصاح فأَسْمَعَ أهل مكة ، فأقبلوا بعد تفرقهم ، ودخلت الغار وقلت لصاحبى : لا ١٥ تتحرك ، وأقبلوا حتى أتوا عبيد الله بن مالك فقالوا : من قتلك ؟ قال : عمرو بن أمية . قال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت بعمرو خير — ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا لأنه كان فى آخر رمق ،

---

(١) فى « ت » « غرة الفرس » .

(٢) فى ت « التميمى » والمثبت عن م ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٩٤ ، وعيون ٢٠ الأثر ٢ : ١١٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٣٧ ، وشرح المواهب ٢ : ١٧٨ .

فمات . وشغلوا عنا و عن طلبنا بصاحبهم ، فحملوه ، فمكثنا ليلتين في مكاننا ثم خرجنا ، فقال صاحبي : ياعمرو بن أمية هل لك في خُبَيْب بن عَدِىّ ننزله ؟ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوب حوله الحرس ، فقلت : أمهلني وتَنَحَّ عني ، فإن خشيت شيئا فانج إلى بعيرك فاقعد عليه وأتِ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، ودعني فإني عالم بالمدينة ، ثم اشتددت عليه وحللته فحملته على ظهري ، فما مشيت به إلا عشرين ذراعا حتى استيقظوا فخرجوا في طلب أَثَرِى فطرحت الخشبة فما أنسى وقعها — دب : يعني صوتها — ثم أَهَلْتُ عليه التراب برجلي ، فأخذت بهم طريق الصفراء [١] ، فأعيوا فرجعوا — وكنت لا أدرى مع بقاء نفسي — فانطلق صاحبي إلى البعير فركب وأتى النبي ﷺ فأخبره ، وأقبلت حتى أشرفت على الغميم غميم ضَجَنَان[٢] ، فدخلت في غار فيه معي قوسي وأسهم وخنجر ، فبينا أنا فيه إذ أقبل رجل من بني بكر من بني الديل أعور طويل ، يسوق غنما ومعزا ، فدخل عليّ الغار فقال : من الرجل ؟ فقلت : من بني بكر . فقال : وأنا من بني بكر . ثم اتَّكأ فرفع عقيرته يتغنى يقول :—

---

(١) الصفراء — تأنيث الأصفر : قرية كثيرة النخل والعيون والزروع فوق ينبع يجرى فضلها إلى ينبع . وانظر معجم البلدان لياقوت .

(٢) ضجنان — بالتحريك ونونان ، جبل بتهامة ، وقيل على بريد من مكة ، وقيل بين مكة وضجنان خمسة وعشرون ميلا . (مراصد الاطلاع) ويقال حَرَّة مستطيلة من الشرق إلى الغرب ، يمر بها الطريق من مكة إلى المدينة بنعفها الغربي الذى يعرف اليوم بخشم المحسنية . (معالم مكة للبلادى)

فلست بمسلم[١] مادمتُ حيًّا ولستُ أدِينُ دِينَ المسلمينا

فقلت فى نفسى : والله إنى لأرجو أن أقتلك . فلما نام قمت إليه فقتلته / شر قتلة قُتِلَها أحد قط ، ثم خرجت فهبطت ، فلما أسهلت فى الطريق إذا رجلان بعثهما قريش يتجسسان الأخبار ، فقلت : استَأْسِرَا . فأبى أحدهما فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر ، فشددته وثاقا ، ثم أقبلت به إلى النبى ﷺ

٢٣٥

٥

وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيام .

فيها رأى النبى ﷺ فى النوم أنه دخل البيت ، وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح البيت ، وعرّف مع المعرفين ؛ فاستنفر أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتهيئوا للخروج [(٢وقدم عليه بُسْر بن سُفْيَان الكَعْبِىّ فى ليال بقيت من شوال سنة ست ، فقدم مُسلِّما على رسول الله ﷺ زَائِراً له ، وهو على الرجوع إلى أهله ، فقال له رسول الله ﷺ : يابُسْر ، لا تَبْرَحْ حتى تَخْرُجَ ٢)] معنا فإنا إن شاء الله مُعْتَمِرُون ، فأقام وابتاع بُدْنا لرسول الله ﷺ ، وكان يبعث بها [إلى] [٣] ذى الجَدْر [٤] حتى حضر خروجه ، فأمر بها فجُلِبَت

١٠

١٥

(١) فى الأصول « مسلما » والمثبت عن طبقات ابن سعد ٢ : ٩٤ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ١٣٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٨٩.

(٢) سقط فى الأصول ، والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٢ .

(٣) سقط فى الأصول ، والمثبت عن المرجع السابق ، والإمتاع ١ : ٢٧٤ .

(٤) ذو الجدر : مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء ، كانت فيها لقاح رسول الله ﷺ تروح عليه . (معجم البلدان لياقوت) .

٢٠

إلى المدينة ، وسلّمها إلى نَاجِيَة بن جُنْدب الأسلمى ليقدمها إلى ذى الحليفة . واغتسل فى بيته ، ولبس ثوبين من نسج صُحَار ، وأحرم ودخل بيته محرما ، وكان معه رجل من الأنصار ، فوقف الأنصارى بالباب ، فقال له : ألا تدخل ؟ فقال : أَحْمَسِىٌّ يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ : وأنا أحْمَسِىٌّ ، دينى ودينك سواء . فدخل الأنصارى على رسول الله ﷺ لما رآه دخل من بابه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَى وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [1] وركب راحلته القَصْوَى من عند بابه ، وخرج فى ذى القعدة معتمرا — لايريد حربا — بمن معه من المهاجرين والأنصار . ومن تبعه من الأعراب ، وهم سبعمائة — وقيل ألف وخمسمائة ، ويقال ألف وأربعمائة ، وقيل ألف وستمائة ، ويقال ألف وثلاثمائة ، وقيل ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا [2] — وخرج المسلمون لايشكون فى الفتح ؛ للرؤيا المذكورة .

وخرج النبى ﷺ ومعه زوجته [3] أم سلمة ، ولم يُخرج معه بسلاح سوى السيوف فى القُرُب ، وقال عمر بن الخطاب : أتخشى يارسول الله علينا من أبى سفيان بن حرب وأصحابه ، ولم تأخذ للحرب عدتها ؟! فقال : ما أدرى ، ولستُ أُحِبّ أحمل السلاح معتمرا . وقال سعد بن عبادة : لو حملنا يارسول الله السلاح معنا ؛

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٢) وانظر هذه الأقوال بأسانيدها فى شرح المواهب ٢ : ١٨٠ .

(٣) فى الأصول « معه بزوجته » والمثبت عن المرجع السابق .

فإن رأينا من القوم رَيْبًا كُنَّا مُعَدِّين لهم . فقال : لست أحمل السلاح إنما خرجت معتمرا .

وساق الهدىَ النبيُّ ﷺ وجماعةٌ من أصحابه ، منهم أبو بكر ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، وسعد بن عبادة . / واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ـــ ويقال نُمَيْلَة بن ٢٣٦ ٥ عبد الله الليثى ـــ فصلى الظهر بذى الحليفة ، ثم دعا بالبُدْن التى ساق ؛ وهى سبعون بدنه ، منها جمل لأبى جهل فى أنفه بُرَةٌ[1] من فضة ، فجُلِّلَت[2] ثم أشعر[3] منها عدة ـــ وهى مُوَجَّهَات إلى القبلة ـــ فى الشق الأيمن وقلّدها ، ثم أمر ناجية بن جندب بإشعار مابقى ، وقلد نعلا [نعلا][4] وأشعر المسلمون بُدْنَهم ، وقلدوا النعال ١٠ فى رقابها ، ثم أحرم بالعمرة ولَبَّى ، وقدم أمامه عَبَّاد بن بِشْر فى عشرين فارسا ـــ منهم رجال من المهاجرين والأنصار ـــ طليعة .

ولما مَرَّ رسول الله ﷺ بالأبْوَاء ـــ فى بَدْئِه أو عَوْدِه ـــ قال : إن الله قد أذن لمحمد فى زيارة أمه ، فأتى رسول الله ﷺ قَبْرَ أمه فأصلحه وبكى عنده ، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ ، ١٥ فقيل له [فى ذلك][5] فقال : أدْرَكَتْنِى رحمة رحمتها فبكيت .

(١) البرة : الحلقة . (السيرة الحلبية ٢ : ٧١٢).

(٢) جللت : أى ألبست الجل وهو الغطاء . (المعجم الوسيط)

(٣) اشعار البدن : هو أن يحدث جرحا بأسنمتها فيسيل الدم ، ثم يضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فتلطخها بدمها ؛ إشعارا بأنه هدى . (شرح المواهب ٢ : ٢٠ ١٨١) .

(٤) إضافة عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٧٣ ، والإمتاع ١ : ٢٧٥ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦٨٩ .

(٥) إضافة عن تاريخ الخميس ١ : ٢٣٠.

وبلغ المشركين خروج النبى ﷺ فاجتمعوا لِصَدِّه عن المسجد الحرام ، وخرجوا إلى بَلْدَح [(١)] فعسكروا به وقدموا خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى مائتى فارس إلى كراع الغميم .

فلما انتهى النبى ﷺ لغدير الأشطاط [(٢)] ـــ وراء عُسْفَان ـــ لقيه بُسْرُ بن سُفْيَان الخزاعى ـــ وكان دخل مكة فسمع كلامهم وعرف رأيهم ـــ فقال : يارسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العُوذُ المَطَافِيل [(٣)] ، قد لبسوا جلود النمر [(٤)] ، يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عَنْوَة أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموا إلى كُرَاع الغَمِيم . فقال رسول الله ﷺ : ياوَيْحَ قُرَيْش ، لهذا أكلتهم الحربُ ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين الناس ؛ فإن أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن ظفَّرَنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وهم وافرون ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة ، فماذا تظن قريش ؟! والله لا أزال أُجَاهدهم على الذى بعثنى الله له [(٥)] أو تَنْفَرِد هذه السَّالِفَة .

---

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب ، ويطلق على وادى مكة فيما بين الزاهر والحديبية (الشميسى) . معجم البلدان لياقوت ، ومعالم مكة التاريخية للبلادى .

(٢) فى الأصول « الأشطاظ » والمثبت عن طبقات ابن سعد ٢ : ٩٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢٩ ، وشرح المواهب ٢ : ١٨١ ، ومعجم البلدان لياقوت .

(٣) العوذ : جمع عائذ ، وهى الناقة ذات اللبن ، أو التى معها ولدها ، والمطافيل التى معها أولادها ، وإنما قيل للناقة عائذ وإن كان الولد هو الذى يعوذ بها لأنها عاطف عليه ، أو العوذ المطافيل كناية عن النساء معهن أطفالهن : أى أنهم خرجوا بنسائهم معهن أولادهن لإرادة طول المقام ، وذلك أدعى لعدم الفرار . (شرح المواهب ٢: ١٨٧ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦٩٠) .

(٤) أى أظهروا العداوة والحقد . (السيرة الحلبية ٢ : ٦٩٠)

(٥) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٧٥ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٤ والسيرة الحلبية ٢ : ٦٩٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٧ «به» .

ثم دنا خالد فى خيله حتى ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ ،
٢٣٧ فأمر رسول الله ﷺ عَبّاد بنَ بِشْر فتقدم فى خيله ، فأقام / بإزائه ، وصف أصحابه .

وحانت صلاة الظهر فصلّى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف بعُسْفَان ، فقال المشركون : لقد أصبنا غِرَّة ، لقد أصبنا ٥ غفلة ، لو كنا حملنا عليهم وهم فى الصلاة !! فنزلت آية القصر (١) بين الظهر والعصر ، فلما حضرت العصر قامَ رسولُ الله ﷺ مُسْتَقْبِلَ القبلة ــ والمشركون أمامه ــ فصفَّ خلف رسول الله ﷺ [صفٌّ](٢) ، وصف بعد ذلك الصف صفٌّ آخر ، فركع رسول ١٠ الله ﷺ وركعوا جميعا ، ثم سجد وسجد الصف الذى يليه ، وقام الآخرون الذين كانوا خلفهم ، ثم تأخر الصف الذى يليه إلى مقام الآخرين ، وتقدّم الصفُّ الآخر إلى مقام الصف الأول ، ثم ركع رسول الله ﷺ وركعوا جميعا ، ثم سجد وسجد الصفُّ الذى يليه وقام الآخرون يحرسونهم ، فلما جلس رسول الله ﷺ والصف الذى يليه ١٥ سجد الآخرون ، ثم جلسوا جميعا فسلَّم بهم جميعا (٣) .

فلما أن أمسى النبىُّ ﷺ قال لأصحابه : تيامنوا فى هذا العصل (٤) ــ موضع منعطف فى الوادى ــ فإن عُيُونَ قريش بمرّ

---

(١) وهى قوله تعالى ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ﴾ .. إلى آخر الآية ١٠٢ من سورة النساء .

٢٠ (٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) ويلاحظ أن المؤلف أغفل سجود الصف الثانى للركعة الأولى .

(٤) فى الأصول « يتامون فى هذا العنصل » وهو من خطأ النساخ ، والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٣ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٩٥ ، والإمتاع ١ : ٢٨٢ . والعصل : الاعوجاج ، والمعنى الرمل الملتوى . (النهاية فى غريب الحديث)

الظهران وضَجَنَان . ثم قال ﷺ : من يخرج بنا على طريق نخرج به من ظهورهم ؟ فقال رجل من المسلمين(١) : أنا يارسول الله . فسلك بهم طريقا وعرا بين شعاب ، فلما خرجوا منه — وشق ذلك على المسلمين — أفْضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ، فقال لهم النبى ﷺ : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه . فقالوها ، فقال ﷺ : إنها الحِطَّة التى عُرِضَت على بنى إسرائيل فلم يقولوها .

ويقال إن النبى ﷺ أمر الناسَ فسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرَى الحَمْض على طريق يخرجه على ثنية المُرَار والحُدَيْبِيَّة من أسفل مكة ، فسلك بالجيش تلك الطريق ، فلما رأت [خيل] (٢) قريش كثرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش . وخرج النبى ﷺ حتى إذا سلك فى ثنية المُرَار ودنا من الحديبية [وقعت يدا ناقته] (٣) على ثنية تُهْبِطُه على غائط القوم فبركت ، فقال الناس :

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٧٥ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦٩٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٧ « رجل من أسلم » . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، والإمتاع ١ : ٢٨٢ « قال بريدة من الحصيب الأسلمى : أنا يارسول الله عالم بها . فقال ﷺ : اسلك أمامنا . فأخذ بريدة فى العصل قبل جبال سراوع قبل المغرب ، فسار قليلا وحار حتى كأنه لم يعرفها قط ... فنزل حمزة ابن عمرو الأسلمى فسار قليلا ثم سقط فى خمر الشجر فلا يدرى أين يتوجه ... فنزل عمرو بن عبد فهم الأسلمى ، فانطلق أمامهم حتى نظر رسول الله ﷺ إلى الثنية فقال : هذه ثنية ذات الحنظل ؟ فقال عمرو : نعم » .

(٢) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٧٥ .

(٣) فى الأصول « وقفت ناقته » والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٥٨٧ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٩٦ ، والإمتاع ١ : ٢٨٣ .

حَلْ حَلْ ــ يزجرونها ــ فأبت أن تنبعث ، فقالوا : خَلَأَتْ (١) القَصْوَى . فقال النبى ﷺ : ما خلأت وما هو لها بخُلُق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، إنا والله الذى نفسى / بيده لا تدعونى قريش اليوم إلى خُطَّة(٢) يسألونى فيها تعظيم حُرُمَات الله وصلة الرحم إلاّ أعطيتهم إيَّاها . ثم زجرها فوثبت فعدل بهم راجعا ــ عوده على بدئه ــ حتى نزل بنا أقصى الحديبية ، على ثَمَد(٣) من أثمادها قليل الماء ، وقال للناس ؛ انزلوا . قالوا : يا رسول الله ما بالوادى من ماء ينزل عليه الناس . فأخرج النبى ﷺ سهما من كِنَانته فأعطاه البَرَاءَ بن عازِب ــ وقيل ناجِيَة بن جُنْدب ، ويقال خالد بن عبادة الغفارى ــ فغرزه فى جوف البئر فجاش الماء بالرّواء حتى اغترفوا بأنفسهم جلوسا على شَفِيره حتى صدروا عنه وكفى جميعهم ، حتى ضرب الناس فيه بعطن .

ويقال إن المسلمين عطشوا بالحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه رِكْوَة يتوضأ منها إذ خَرِسَ (٤) الناس نحوه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، مالنا ماء نتوضأ به ولا نشرب منه إلا مابين يديك . فوضع رسول الله ﷺ يده على الرِكْوَة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشرب المسلمون وتوضئوا .

---

(١) خلأت : حرنت وبركت من غير علة . (شرح المواهب ٢ : ١٨٤)

(٢) خطة : أى خصلة . (المرجع السابق ٢ : ١٨٥)

(٣) ثمد : حفرة فيها ماء قليل . (السيرة الحلبية ٢ : ٦٩٣)

(٤) خرس الناس : أى مشوا نحوه صامتين . (المعجم الوسيط) .

ويقال إن المسلمين نزحوا البئر التى بالحديبية فلم يتركوا فيها قطرة ، فبلغ النبى ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء فيه ماء فتوضأ وتَمَضْمَضَ ودعا ثم صبَّه فيها فتركوها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتهم جميعا وركابهم .

٥ فلما اطمأن رسول الله ﷺ إذا به بابن وَرْقَاء فى رجال من خزاعة ــ وكانت خزاعةُ عَيْبَةَ نُصْحٍ لرسول الله ﷺ ؛ مُسْلِمُها ومُشْرِكُها ، لايخفون على رسول الله ﷺ شيئا كان بمكة ــ فقال لهم النبى ﷺ مثل قوله لبُسْرِ بن سُفْيَان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ؛ إن محمدا لم يأت لقتال إنما جاء زائرا لهذا ١٠ البيت مُعَظِّما لحقه . فاتَّهَمُوهم ؛ فقالوا : وإن كان إنما جاء لذلك فلا والله لا يدخلها أبدا عَنْوَة علينا ، ولا تَحَدَّثُ بذلك العرب .

وبعث رسول الله ﷺ خِرَاش بن أمّية الخزاعى / إلى مكة ٢٣٩ وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة عَقَرت به قريش (١) ، وأرادوا قتله فمنعهم الأحابيش (٢) حتى أتى رسول الله ١٥ ﷺ ، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فقال : يارسول الله إنى أخاف قريشا على نفسى وليس بها من بنى عدى من يمنعنى ، وقد

---

(١) الذى تولى عقره عكرمة بن أبى جهل ، كما فى مغازى الواقدى ٢ : ٦٠٠ والامتاع ١ : ٢٨٩ .

(٢) الأحابيش : هم بنو الهون بن خزيمة ، وبنو الحارث من عبد مناف بن ٢٠ كنانة ، وبنو المصطلق بن خزيمة ؛ قيل لهم ذلك لأنهم تحالفوا تحت جبل بأسفل مكة يقال له حبشى هم وقريش على أنهم يد واحدة على من عاداهم ماسجى ليل ووضح نهار ومارسا حبشى ، فسموا أحابيش قريش . (السيرة الحلبية ٢ : ٦٩٥)

عَرَفَت قريش عداوتى إيَّاها وغِلْظَتى عليها ، ولكن أَدُلُّك على رجل هو أعزّ منى ؛ عثمان بن عفان . فدعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته .

فخرج عثمان حتى أتى مكة فلقيه أَبَان بن سعيد بن العاص ، فنزل عن دابته وحمله بين يديه ، وأردفه خلفه ، وأجارَه حتى بلَّغَ رسالة رسول الله ﷺ . فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلَّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به . فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُفْ به . فقال : ماكنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قُتِل ؛ فدعا النبى ﷺ الناس إلى بيعة الرِّضْوَان ، فبايعهم تحت الشجرة — وعمر بن الخطاب آخذ بيده — على ألا يفروا ، [وقيل : بايعهم][1] على الموت ، وضرب بيمينه على شماله وقال : هذه لى وهذه لعثمان إن كان حَيًّا . فكان كَمَنْ شهدها .

ثم إن قريشا بعثوا إلى النبى ﷺ مِكْرَز بن حفص بن الأخيف أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هذا رجل غادِر . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلَّمة رسول الله ﷺ بنحو ما كلم به أصحابه . ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسولُ الله

(١) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨٠ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٦٠٣ ، والإمتاع ١ : ٢٩١ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٨ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٢٠ .
وانظر الخلاف حول الذى بايع رسول الله ﷺ المسلمين عليه تحت الشجرة ، فى شرح المواهب ٢ : ٢٠٧ .

ﷺ . فبعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة الكنانى ـــ وهو يومئذ سيّد الأحابيش ـــ فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هذا رجل من قوم يَتَأَلَّهُون ، فابعثوا الهدى فى وجهه . فبعثوا الهدى ، / فلما رأى الهدى ٢٤٠
يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قد أكل أوباره من طول
٥ الحبس عن محله ، رجع ولم يصل للنبى ﷺ إعظاما لما رأى ، فقال : يامعشر قريش قد رأيت مالا يحل صَدُّه : الهَدْى فى قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله . قالوا : اجلس فإنما أنت أعرابى لا علم لك . فبعثوا إليه عُرْوَة بن مسعود الثقفى فقال : يامعشر قريش إنى قد رأيتُ ما يلقى منكم مَن بعثتموه [١] إلى محمد ـــ إذا
١٠ جاءكم ـــ من التَّعْنِيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأنى ولد ـــ وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس ـــ وقد سمعتُ بالذى نابكم ، فجمعتُ من أطاعنى من قومى ، ثم جئت حتى أواسيكم بنفسى . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمُتَّهَم . فخرج حتى أتى النبىّ ﷺ ، فجلس بين يديه فقال : يامحمد جمعتَ أوباش [٢] الناس ثم
١٥ جئت بهم لبيضتك [٣] لنقضها ؛ إنها قريش قد خرجت معها العُوذُ المَطَافِيل قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله ألاّ تدخلها عليهم عَنْوَة أبدا ، وأَيّم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر

---

(١) فى الأصول « من تبعثه » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٧٨ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦٩٦ .

٢٠ (٢) أوباش الناس : أى أخلاطهم . (السيرة الحلبية ٢ : ٦٩٧) .

(٣) بيضتك : أى أصلك وعشيرتك (السيرة الحلبية ٦٩٧٢)

الصديق خلف رسول الله ﷺ ، فقال : امْصَص ببظر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟! قال : فمن هذا يامحمد ؟ قال : ابن أبى قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت[1] لك عندى لكافأتك بها ولكن هذه بها . ثم تناول لحية النبى ﷺ ، والمغيرة بن شُعْبَة واقف على رأس رسول الله ﷺ فى الحديد ، فقرع يده ثم قال : أمْسِك يدَكَ عن لحية رسول الله ﷺ قبل — والله — ألا[2] تصل إليك . قال : ويحك ما أفَظَّك وأغلظك !! فتبسّم رسول الله ﷺ ، فقال عروة من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شُعْبَة . قال : ياغُدَر ، وهل غَسَلْتُ سوأتك[3] إلا بالأمس . فكلمه رسول الله ﷺ — وقد رأى مايصنع به أصحابه : لا يتوضأ وضوءًا إلا ابتدروه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه — فرجع إلى قريش فقال : يامعشر قريش إنى جئت كِسْرَى فى ملكه ، وجئت قيصر والنجاشىَّ فى ملكهما ، / والله مارأيت ملكا قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قوما لا يسلمونه لشىء أبدا ، فَرَوْ رَأْيَكم .

(١) واليد التى كانت لأبى بكر رضى الله عنه عند عروة هى أن عروة تحمل بدية ، فأعانه أبو بكر بعون حسن ، قيل بعشر قلائص ، وكان غيره يعينه بالاثنتين والثلاث — شرح المواهب ٢ : ١٩٠ ، وانظر السيرة الحلبية ٢ : ٦٩٧ .

(٢) فى الأصول « لاتصل » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٧٨ ، مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٥ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٧ ، والإمتاع ١ : ٢٨٧ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦٩٧ .

(٣) قال ابن هشام فى سيرة النبى ٣ : ٧٧٩ أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة — قبل إسلامه — قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة : فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر . وانظر الخبر بأطول من هذا فى مغازى الواقدى ٢ : ٥٩٦ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، وشرح المواهب ٢ : ١٩١ .

ثم إن قريشا بعثوا بسُهَيْل بن عمرو أحد (١) بنى عامر بن لؤى وقالوا : إئت محمدا فصالحه ، ولا يكون فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تَتَحَدَّث العرب أنه دخلها علينا عَنْوَة أبدا . فأتاه سُهَيْل بن عمرو ، فلما رآه النبى ﷺ قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ تكلم (٢) فأطال الكلام ، وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأتى أبابكر فقال : أوليس برسول الله ؟! أولسنا بالمسلمين ؟! أوليسوا بالمشركين ؟! قال : بلى . قال : فعلام نُعطى الدَّنِّيَةَ فى ديننا ؟! فقال أبو بكر : ياعمر ٱلْزَمْ غَرْزَه(٣) حيث كان ؛ فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد . ثم أتى عمر بن الخطاب رسولَ الله ﷺ فقال : يارسولَ الله ، أولسنا بالمسلمين ؟! أوليسوا بالمشركين ؟! قال : بلى . قال : فعلام نعطى الدَّنِيَّة فى ديننا ؟! فقال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن

---

(١) كذا فى الأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨١ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣١٩ « بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بنى عامر ابن لؤى » .

(٢) فى الأصول « تكلما وأطالا » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨١ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٦٠٥ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢٠ .

(٣) الغرز : ركاب الدابة ، والمراد هنا اتبع قوله وفعله ولا تخالفه . (هامش عيون الأثر ٢ : ١١٩)

يضيعنى [١] الله عزّ وجَلّ . ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال له رسول الله ﷺ : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل ابن عمرو : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم . فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، هذا ما قاضى[٢] عليه محمد رسول الله ـــ ﷺ ـــ سهيل بن عمرو . فقال : لو عَلِمْنَا أنك رسول الله ـــ ﷺ ـــ ما مَنَعْنَاك ولا قَاتَلْنَاك ، ولكن اكتب هذا ما قاضى [٢] عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . فقال النبى ﷺ : أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله . ثم قال لعلى : امح رسول الله . قال : والله لا أمحوك أبدا . فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب : هذا ما قاضى [٣] عليه محمد بن عبد الله ، لا يدخل مكة بسلاح إلا [السيوف][٤] فى الأقراب ، وألا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه ، وألا يمنع أحدا من أصحابه إن أراد أن يقيم فيها .

ويقال إن صفة الكتاب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله / سُهَيْل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيهن[٥]

(١) فى الأصول « يصيبنى » والمثبت عن المراجع السابقة .

(٢) فى الأصول « هذا ماقضى » . وفى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨٢ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٩٧ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧٠٧ « هذا ما صالح » والمثبت عن المواهب اللدنية وشرحها ٢ : ١٩٥ .

(٣) انظر التعليق السابق .

(٤) إضافة عن مغازى الواقدى ٢ : ٦١٢ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٩٧ ، والوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٦٩٩ .

(٥) فى الأصول « فيهم » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨٢ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢١ . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦١١ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٩٧ ، والوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٦٩٨ « فيها » .

الناس ، ويكُفّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول [(١)] الله من قريش [(٢)] بغير إذن وَلِيِّه رَدَّه عليهم ، ومن أتى قريشا ممن مع رسول [(١)] الله ــ ﷺ ــ لم يَرُدُّوه عليه ، وأن بَيْنَنَا عَيْبَةً مكفُوفَة[(٣)] ، وأنه لا إسلال ولا إغلال [(٤)] ، وكان فى شرطهم حين كتبوا الكتاب : أنه من أَحَبّ أن يدخل فى عَقْد محمد وعَهْدِه دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عَقْدِ قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعةُ فقالوا : نحن فى عَقْدِ رسول الله ﷺ وعَهْدِه ، وتواثَبَتْ بنو بكر فقالوا : نحن فى عَقْدِ قريش وعهدهم ، وأن يرجع عنا عامنا هذا فلا يدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فتدخلها بأصحابك ، وأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، لاتدخلها بغير السيوف[(٥)] فى القرب .

فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاء أبو جَنْدَل بن سُهَيْل بن عمرو فى الحديد ــ قد أثقله ــ إلى رسول الله ﷺ . وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه خرجوا وهم لا يَشُكُّونَ فى الفتح ،

---

(١) كذا فى الأصول وفى المراجع السابقة « محمدا » .

(٢) فى الأصول « من أصحابه » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨٢ ، وعيون الأثر ٢ : ١١٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢١ . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٦١١ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٩٧ ، والوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٦٩٨ « منهم » .

(٣) عيبة مكفوفة : صدور منطوية على مافيها لاتبدى عداوة ، وقيل صدور نقية من الغل والخداع منطوية على الوفاء بالصلح . (السيرة الحلبية ٢ : ٧٠٩) .

(٤) لا إسلال ولا إغلال : لا سرقة ولا خيانة . (المرجع السابق)

(٥) فى الأصول « السيف » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢١ ، والإمتاع ١ : ٢٩٨ .

لرؤيا رسول الله ﷺ ، فلما رَأَوْا مارَأَوْه من الصلح والرجوع ، وما تحمل رسول الله ﷺ على نفسه دخل الناسَ من ذلك أمْرٌ عظيم ، حتى كادوا أن يهلكوا . فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ثم قال : يامحمد قد لَجَّت[1] القضيّة بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت [2] . فقام إليه فأخذ بتَلْبِيبه ، قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته : يامعشر المسلمين أتردونى إلى أهل الشرك فيفتنونى فى دينى ؟! فزاد الناس شَرًّا إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جَنْدَل اصْبِر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عقدا ، وإنا لن نغدر بهم . فوثب [3] عمر بن الخطاب مع أبى جَنْدَل فجعل يمشى إلى جنبه وهو يقول : اَصْبِر يا أبا جَنْدَلُ ؛ فإنما هم المشركون ، وإنما دَمُ أحدهم دَم كَلْبٍ ـــ ويدنى قائم السيف منه ، يقول : رجوت أن / يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فَضَنّ الرجل بأبيه ـــ ونفذت القضية .

فلما فرغا من الكتاب ـــ وكان رسول الله ﷺ يصلى فى الحرم وهو مضطرب [فى الحل][4] ـــ فقام رسول الله ﷺ فقال : يا أيها

(١) لجت القضية : أى وجبت وتمت . (السيرة الحلبية ٢ : ٧١٠)

(٢) فى الأصول « قاصدك » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨٣ ، وعيون الأثر ٢ : ١٢٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧١٠ .

(٣) فى الأصول « فوثب إليه عمر » والمثبت يستقيم به السياق .

(٤) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٣٢٢ . والمعنى كانت خيامه مقامة فى الحل . (هامش ابن كثير) .

الناس انحروا . فما قام أحد ، ثم عاد بمثلها ، فما قام أحد[١] ، ثم عاد بمثلها فما قام رجل . فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة ، فقال : ياأم سلمة ، ما شأن الناس ؟ قالت : يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت ، فلا تكلمنّ منهم إنسانا ، واعمد إلى هديك — حيث كان — فانحر واحلق ، فلو فعلت ذلك فعل الناس ذلك . فخرج رسول الله ﷺ — لا يكلّم أحدا — حتى أتى هديه فنحره ثم جلس ؛ فقام الناس ينحرون ويحلقون — وبعث الله ريحا عاصفة فاحتملت شعور المسلمين فألقتها فى الحرم .

ولبث ﷺ بالحديبية عشرين يوما ، وقيل بضعة عشر ، وقيل شهرا ونصف شهر ، ثم رجع ﷺ إلى المدينة الشريفة .

فلما رجع رسول الله ﷺ انفلت من مكة أبو بصير بن أُسيد ابن جارية[٢] الثقفى ومعه خمسة نفر ، فأتوا رسول الله ﷺ مسلمين مهاجرين ، فبعث فى أثرهم الأَخْنَسُ بن شريق رجلين من بنى منقذ ، أحدهما — زعموا — موالى ، والآخر من أنفسهم اسمه خُنَيْس[٣] بن جابر — وكان ذا جلد ورأى فى أنفس المشركين — وجعل لهما الأَخْنَسُ فى طلبهما أبا بصير جعلا ، ولم يرسل أحدٌ من قريش فى

(١) فى م « رجل » .

(٢) فى الأصول « حارثة » والتصويب عن سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٧٨٧ والاستيعاب ٤ : ١٦١٢ ، والإمتاع ١ : ٣٠٢ .

(٣) فى الأصول « حبيش » والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٤ ، والإمتاع ١ : ٣٠٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧١٨ .

الخمسة الباقين أحدا ، فقدم خُنَيْس بن جابر ورفيقه على رسول الله ﷺ فدفع أبا بصير إليهما ، فخرجا به حتى إذا كانوا بذى الحُلَيْفَة سَلّ خُنَيْس سيفه ثم هزّه فقال : لأضربن بسيفى هذا فى الأوس والخزرج يوما إلى الليل . فقال له أبو بصير : أو صارم سيفك هذا ؟ قال : نعم . قال : ناولينه أنظر إليه . فناوله إياه ، فلما قبضه ضربه به ٥
٢٤٤ حتى برد ــ ويقال : بل تناول / سيف العامرى[1] بِفِيهِ وهو نائم فقطع إساره ثم ضربه به حتى برد ــ ثم طلب الآخر فجمز . مرعوبا مستحفيا حتى دخل المسجد ــ ورسول الله ﷺ جالس فيه ــ تطن الحصباء من شدة سعيه ، فقال رسول الله ﷺ : لقد رأى هذا ذُعْرًا . فأقبل حتى استغات رسول الله ﷺ ، وجاء أبو بصير يتلوه . ١٠ فسلّم على رسول الله ﷺ وقال : وَفَتْ ذِمَّتُك ؛ دفعتنى إليهما فعرفتُ أنهم سيعذبونى ويفتنونى عن دينى فَقَتَلْتُ العامرِيّ[2] وأَفْلَتَنِى هذا . فقال رسول الله ﷺ : ويل أُمِّه مِسْعَر حَرْبٍ لو كانَ معه أحد . وجاء أبو بصير بسلبه إلى رسول الله ﷺ فقال : خمسه يارسول الله . فقال : إنى إذا خمسته لم أوف لهم بالذى عاهدتهم ١٥ عليه ، ولكن شأنك بسلب صاحبك ، واذهب حيث شئت .

فخرج أبو بصير معه الخمسة نفر الذين قدموا معه من مكة ، حتى إذا كانوا بين العيص وذى المروة من أرض جهينة على طريق

---

(١) فى الأصول « السيف المنقذى » والتصويب عن مغازى الواقدى ٢ : ٦٢٥ . وخنيس هو من بنى عامر بن لؤى . ٢٠

(٢) فى الأصول « المنقذى » والتصويب عن المرجع السابق .

عيرات قريش مما يلي سيف البحر لا يمر بهم عِيرٌ لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها .

وانفلت من مكة أبو جَنْدَل بن سُهَيل بن عمرو فى سبعين راكبا أسلموا وهاجروا فلحقوا بأبى بصير ، وكرهوا أن يقدموا على ٥ رسول الله ﷺ فى هُدْنَة المشركين ، وكرهوا الثواء بين ظهرانى قومهم ؛ فنزلوا مع أبى بصير فى منزلٍ كريهٍ إلى قريش ، يقطعون به مادتهم من طريق الشام ، واجتمع إلى أبى جَنْدَل — حين سمعوا بقدومه — ناس من بنى غِفار وأسْلَم وجُهَيْنة ، وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل ؛ وهم مسلمون . فأقاموا مع أبى جندل وأبى بصير لاتمر بهم ١٠ عِيرٌ لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ؛ فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب يسألونه ويتضرّعُون إليه أن يبعث إلى أبى بصير وأبى جندل بن سُهَيل ، ومن تبعهما فيقدمون عليه . وقالوا : من خرج منا إليك فأمسِكه من غير حرج أنت فيه ؛ فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باب إضرار بنا .

١٥ فكتب رسول الله ﷺ إلى أبى جندل وإلى أبى بصير يأمرهما أن يقدما عليه ، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا / إلى بلادهم وأهليهم ولا يعرضوا لأحد مَرَّ بهم من قريش ٢٤٥ وعيراتها . فقدم كتاب رسول الله ﷺ إلى أبى جندل وأبى بصير — وأبو بصير يموت — فمات وكتاب رسول الله ﷺ بيده يقرأه ، فدفنه ٢٠ أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا .

وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ ومعه ناس من أصحابه ، ورجع سائرهم إلى أهاليهم ، وأمنت عيرات قريش .

* * *

« السنة السابعة من الهجرة »

فيها ــ ويقال فى السنة السادسة ــ لما سمعت قريش بأن النبى ﷺ خرج إلى خَيْبَر وقع بينهم تبايع وتراهن عظيم ، فمنهم من يقول : يظهر ، ومنهم من يقول : تظهر يهود ، حتى وَرَدَ عليهم مكة الحَجَّاجُ بنُ عِلَاط السلمى ثم البَهْزِىّ بعد فتح خيبر ، فأتى امرأته فقال : اجمعى لى ماكان[1] عندك فإنى أريد أن أشترى من غنائم محمد وأصحابه ؛ فإنهم قد استُسْلِبُوا[2] وأُصِيبَت أموالهم . وفشا ذلك بمكة ، فانقمع المسلمون ، وأظهر المشركون فرحا وسرورا ، وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب فَعُقِرَ فى مجلسه ، وجعل لا يستطيع أن يقوم ، فأخذا ابناً له يقال له قُثَم ، كان يُشَبّه برسول الله ﷺ ، فاستلقى على قفاه ووضعه على صدره يقول :

حِبِّى قُثَمْ شِبْه[3] ذى الأنف الأشمّ
بُنى ذى النِّعم برَغْمْ من زَعَمْ

ثم أرسل غلاما له إلى الحجاج بن عِلَاط فقال : ويلك ماذا جئت به وماذا تقول ، فما وعد الله خير مما جئت به ؟ فقال الحجاج : اقْرَأ أبا الفضل السلام ، وقُل له فليُخْلِ لى بعضَ بيوته فلآتيه ، فإن الخبر على مايَسُرُّه . فجاء غلامه ، فلما بلغ الباب قال : أبشر يا أبا الفضل . فوثب العباس فرحا حتى قبّل بين عينيه ، فأخبره بما قال له الحجاج ، فأعتقه .

(١) فى الأصول « مكانا » والتصويب عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٠٩ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧٦٣ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى المرجعين السابقين « استبيحوا » .

(٣) فى الأصول « شبيه » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٠٩ .

ثم جاء الحجاج فأخبره أن النبى ﷺ قد افتتح خَيْبَر وغَنِمَ أموالهم ، وجرت سهام الله فى أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صَفِيَّة بنت حُيَىّ واتخذها لنفسه ، وخَيَّرها بين أن يعتقها وتكون له زوجة أو تلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة . ولكن
٥ جئت لمالٍ لى بمكة أردت أن أجمعه فأذهب به ، واستأذنتُ رسول الله ﷺ ؛ فقلت : يارسول الله ، / إن لى بمكة مالا ولى بها أهلا ، وإنى ٢٤٦ أريد أن آتيهم فأنا فى حل إن قلت فيك شيئا ؟ فأذن لى رسول الله ﷺ أن أقول ما شئت ، فأخف علىَّ [1] ثلاثا ، ثم اذكر مابدا لك .

وجمعت امرأته ماكان عندها من حلى أو متاع فَدَفَعَتْه إليه ، ثم
١٠ انشمر [به][2] . فلما كان بعد ثلاث ، أتى العباس امرأة الحجَّاج فقال : مافعل زوجك ؟ فأخبرته أنه قد ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل ؛ لقد شَقَّ علينا الذى بلغك . فقال : أجل لا يحزننى [3] ، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحْبَبْنَا ، وقد أخبر الحجاجُ أنّ الله تبارك وتعالى فتح خَيْبَر على رسول الله ﷺ ،
١٥ وجرت بها سهام الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صَفِيَّةَ لنفسه ؛ فإن كان لك حاجة فى زوجك فالحقى به . فقالت : أظنك والله صادقا . قال : فإنى والله صادق ، والأمر على ماذكر أخْبَرْتُكِ .

---

(١) فى الأصول « عنى » والمثبت عن السيرية النبوية لابن كثير ٣ : ٤١٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧٦٤ .

٢٠ (٢) إضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤١٠ .

(٣) فى الأصول « لايخزينى » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤١٠ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧٦٤ .

ثم ذهب العباس حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مربهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبنى إلا خيرٌ بحمد الله ؛ قد أخبرنى الحجّاج بن عِلَاط أن خَيْبَر فتحها اللهُ على رسوله ﷺ ، وجَرَت فيها سهامُ الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صَفِيَّة لنفسه ، وقد سألنى أن أخفى عنه ثلاثا ، وإنما ليأخذ ماله وماكان له من شيء هاهنا ثم يذهب .

فرد الله عز وجل الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون : من كان داخل بيته مكتئبا حتى أتى العباس فأخبرهم الخبر فَسُرَّ المسلمون ، وردّ الله ماكان من كآبة أو غَيْظٍ أو حزن على المشركين [1] .

وفيها لما استهل ذو القعدة نادى منادى رسول الله ﷺ فى الناس : أن يتجهزوا ليعتمروا قضاءً لعمرتهم [2] التى صدهم المشركون عنها ، ولا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية . فخرجوا سوى من استشهد بخيبر ، أو مات ، وجماعة غيرهم .

فخرج النبى ﷺ فى ألفين قاصدا مكة للعمرة على ما عاقده عليه قريش فى العام الماضى بالحُدَيْبية ، وساق معه ستين بَدَنَة ، وجعل عليها ناجية بن جُنْدب الأسلمى ، وحَمَلَ السلاح : البِيضَ[3]

(١) وانظر مع المرجعين السابقين سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٨٠٦ — ٨٠٨ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٧٠٢ — ٧٠٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) فى ت ، ومغازى الواقدى ٢ : ٧٣١ « عمرتهم » والمثبت عن م ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٢٠ .

(٣) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة من الحديد توضع على الرأس لوقايته وسميت بهذا لما فيها من الشبه الشكلى بالبيضة . السلوك للمقريزى ١/٣ : ٦٩٠ هامش د . زيادة .

والدُّرُوعَ والرِّمَاح والمَجَانَّ(١) والنَّبْل والأقواس ، واستعمل عليه بشير (٢) بن سعد ، وقاد مائة فرس ، وأقام عليها محمد بن مسلمة .

فلما انتهى إلى ذى الحليفة قدَّم الخيل والسلاح أمامه ، وأحرم من باب المسجد ولَبّى والمسلمون / معه يُلَبُّون . ٢٤٧

٥ ومضى محمد بن مسلمة فلما كان بمرّ الظهران وجد به نفرا من قريش ، فسألوه فأخبرهم بقدوم رسول الله ﷺ ، وأنه مُصَبِّحٌ هذا المنزل غدا إن شاء الله . فأتوا قريشا فأخبروهم ، ففزعوا .

ونزل رسول الله ﷺ بمرّ الظهران ، وقدم السلاح إلى بطن يأجج — حيث ينظر إلى أنصاب الحرم — وخلف عليه أوس بن ١٠ خولى الأنصارى فى مائتى رجل ، وقدم الهَدْىَ أمامه ، فَحُبِس بذى طوى ، وبعث جعفر بن أبى طالب بين يديه إلى ميمونة ابنة الحارث ابن حَزْن العامرية الهلالية فخطبها عليه ، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب — وكانت تحته أختُها أم الفضل ابنة الحارث — فزوّجها العباس إلى رسول الله ﷺ وهو محرم ، ويقال إن ذلك كان بعد أن ١٥ حَلَّ النبى ﷺ من عُمْرَته ، وهو الصحيح .

ويروى أن رسول الله ﷺ لمَّا نزل (٣ مرّ الظهران فى عمرته ٣)

---

(١) المجان : جمع مجن ، وهو الترس . (المعجم الوسيط)

(٢) فى الأصول وتاريخ الخميس ٢ : ٦٢ « بشر » . والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٧٣٣ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٢١ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧٨٠ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٥٤ .

٢٠ (٣) فى الأصول « نزل من أبلغ أصحابه » والمثبت عن سيرة النبى لابن كثير ٣ : ٤٣٧ ، والخصائص ٢ : ٦٧ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٥٨ .

بَلَغ أصحابه أن قريشا تقول يتتايعون [١] ضَعْفاً ، فقال الصحابة : يارسول الله لو نحرنا من ظهرنا فأكلنا من لحومها وشحومها ، وحسونا من المرق فأصبحنا غدا — حين ندخل على القوم وبنا جمال [٢] . فقال النبى ﷺ : لا ، ولكن ائتونى بفضول أزوادكم . فبسطوا أنطاعهم ، ثم جمعوا عليها من أطعمتهم كلها ، فدعا لهم فيها بالبركة ، ٥ فأكلوا حتى تضلَّعُوا شبعا ، ولَمُّوا فى جربهم فضول ما فضل منها .

وخرج جماعة من أكابر قريش عن مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت — عَدَاوَةً لله ، ونَفَاسَةً وحَسَدًا وغَيْظًا وحَنَقا — إلى الخِنْدَمَة ، وخرج باقيهم إلى رءوس الجبال ، وأخلوا مكة .

١٠ ويروى أنهم اجتمعوا نحو الحِجْر ، فدخل رسول الله ﷺ مكة من الثنية التى تطلعه على الحجون على راحلته القصوى ، والمسلمون متوشِّحُون السيوف [٣] ، مُحْدِقُون برسول الله ﷺ ٢٤٨ يُلَبُّون ، وعبد الله بن / رواحة بين يدى النبى ﷺ آخذٌ بزمام ناقته متوشحاسيفه يرتجز ويقول :—

خَلُّوا بنى الكُفَّارِ عن سَبِيله ... إنَّا لنشهد أنه رسوله[٤] ١٥

---

(١) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٣٧ ، والخصائص ٢ : ٦٧ « ما يتباعثون » ويتتايعون أى يتمايلون . (المعجم الوسيط)

(٢) كذا فى الأصول . وفى المرجعين السابقين « جمامة » .

(٣) فى الأصول « السيف » والمثبت عن الإمتاع ١ : ٣٣٨ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٦٣ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٥٥ . ٢٠

(٤) فى الأصول « أنا أشهد أنه رسوله » وفى تاريخ الطبرى ٣ : ١٠٠ « إنى شهيد أنه رسوله »

خلوا فكل الخير فى رسوله   يارب إنى مؤمن بقيله
إنى رأيت الحقّ فى قَبُوله   قد أنزل الرحمن فى تنزيله
فى صُحُفٍ تُتْلَى عَلَى رسوله   بأنّ خير القَتْل فى سبيله
فاليومَ نَضْرِبُكُم على تَأْوِيلِهِ   كَمَا ضَرَبْنَاكُمَ على تَنْزِيله[1]
٥ ضَرْباً يُزِيلُ الهامَ عَنْ مَقِيلِهِ   ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِه[2]

فقال له عمر بن الخطاب : ياابن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ ، وفى حرم الله تقول الشعر ؟! فقال رسول الله ﷺ : خَلِّ عنه ياعمر ؛ فهو أسرع فيهم من نضح النبل .

ويقال لما دخل النبى ﷺ مكة قام أهل مكه سماطين ، وقال ١٠ النبى ﷺ لأصحابه : لا يرى القوم فيكم غميزة . ولم يزل النبى ﷺ يلبى حتى استلم الركن بمحجنه ، مضطبعا بثوبه ، وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه قد اضطبعوا بثيابهم يشتدون حوله ، وابن رواحة يقول :ـــ

باسم الذى لا دين إلا دينه   باسم الذى محمد رسوله
١٥ خلوا بنى الكفار عن سبيله

---

(١) سقط هذا الشطر من ت .

(٢) وانظر الشعر مع اختلاف فى عدد الأبيات وفى ترتيب الشطرات وفى بعض الكلمات فى سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٨٢٨ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٧٣٦ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٢١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٠٠ ، وعيون الأثر ٢ : ١٤٩ ، والاكتفا ٢ : ٢٠ ٢٧٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٦٣ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧٨٤ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

وقعد بعض المشركين بقُعَيْقِعَان ينظرون إلى المسلمين وهم يطوفون بالبيت ، وأمر النبى ﷺ بالرَّمَل ليرى المشركون أن بهم قوة — وكانوا قالوا فى المهاجرين قد وهنتهم حُمّى يثرب — ورَمَل النبىّ ﷺ ، ورمل أصحابه فلما بلغ الركن اليمانى ، وتغيَّبت قريش مشى هو وأصحابه حتى استلموا الركن الأسود ، فطافوا ثلاثة أطواف فلذلك ٥ تقول قريش — وهم يمرون بهم — : يرملون كأنهم الغزلان . فكانت سُنَّة ، ثم سعى رسول الله ﷺ وأصحابه بين الصفا والمروة — وهو على راحلته — سبعا ، وقد وقف الهدى عند المروة فقال : هذا المنحر ، وكل فجاج مَكَّة مَنْحَر . فنحر عند المروة وحلق هناك ، وكذلك فعل المسلمون ، وأتم الله له عمرته . ١٠

ثم أمر ﷺ ناسا أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يَأْجَج فيقيموا على السلاح ، ويأتى الآخرون فيقضوا نسكهم ، ففعلوا ذلك .

٢٤٩ وأقام رسول الله ﷺ بمكة / ثلاث ليال ، فلما كان فى اليوم الرابع عند الظهر جاء سُهَيل بن عمرو ، وحُوَيْطب بن عبد العزى فقالا : قد انقضى الأجل فاخرج عنا . فقال النبى ﷺ : إنى قد ١٥ نكحت فيكم امرأة ؛ فما يضركم إن مَكَثْتُ حتى أدخل بها ونصنع طعاما فنأكل وتأكلون معنا ؟ فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا . فأمر النبى ﷺ أبا رافع فنادى بالرحيل وقال : لا يُمْسِيَنّ بها أحد من المسلمين . وخلف أبارافع ليحمل مَيْمُونَة حين يمشى .

ويروى لما مضى الأجل أتى المشركون عليا فقالوا : قل لصاحبك ٢٠ أخرج عنا فقد مضى الأجل . ولما انطلق استلم الحجر وقام وسط

المسجد والتفت إلى البيت وقال : إنى لأعلم ما وضع [الله] (١) فى الأرض بيتا أحب إليه منك ، وما فى الأرض بلد أحبّ إلىّ منكِ ، وماخرجت عنكِ رغبة ولكن الذين كفروا هم أخرجونى . ثم نادى يابنى عبد مناف . لا يحل لعبد منع عبدا صلى فى هذا المسجد أية (٢) ساعة شاء من ليل أو نهار . ٥

ويروى لما خرج النبى ﷺ وقف إلى الحزورة — ويقال [لما أخرج من مكة](٣) قال : أما والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجت منك ، يابنى عبد مناف إن كنتم ولاة هذا الأمر من بعدى فلا تمنعوا طائفا أن يطوف بيت الله أى ساعة شاء من ليل أو نهار ، ١٠ ولولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل ، اللهم إنك أَذَقْتَ أوَّلَهم نكَالاً فأَذِق آخرهم نوالا (٤) .

وركب رسول الله ﷺ حتى نزل سَرِف ، وتبعتهم عمارة ابنة حمزة تقول : يا عَمّ ياعَمّ . ويروى : قعدت لهم على قارعة الطريق ، فمرّ بها النبى ﷺ ، فقالت : يارسول الله إلى مَن تدعنى ؟ فمضى ١٥ ولم يلتفت إليها ؛ وذلك للعهد الذى بين النبى ﷺ وأهل مكة : من

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت عن أخبار مكة للأزرقى ٢ : ١٥٥ .

(٢) فى الأصول « أى » والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) بياض فى الأصول والمثبت عن المرجع السابق .

٢٠ (٤) وانظر الحديث فى أخبار مكة للأزرقى ٢ : ١٥٥ ، ١٥٦ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

دخل منا إليكم رددتموه علينا ، ومن دخل إلينا منكم رددناه إليكم .
ومَرّ الناسُ فنادتهم فلم يلتفتوا إليها حتى مَرّ عَلِيٌّ بن أبى طالب
فقالت : ياعَمّ ياعَمّ إلى من تدعنى ؟ فأخذ بيدها وقال لفاطمة :
دونك ابنة عمك ، احمليها ، ويروى لما قالت له ياعمّ إلى من تدعنى
مَالَ إليها فقال : نَاوِلينِي يَدَيْك . فناولته يديها فحملها خلفه ، ٥
٢٥٠ فلما / استقر بهم المنزل اختصم فيها علىٌّ وجَعْفر وزَيْد ، فقال على :
أنا أحق بها وهى ابنة عمى ، وأنا أخرجتها . وقال جعفر : ابنة عمى
وخالتها تحتى ، وأنا أحقّ بها ، وقال زيد : ابنة أخى . فقضى بها النبى
ﷺ لجعفر من أجل أن خالتها أسماء بنت عُمَيس تحته وقال : الخالة
بمنزلة الأم . وقال لعلى : ياعلى أنت منى وأنا منك . وقال لجعفر : ١٠
أشبهت خَلْقى وخُلُقى . وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا .

ويروى أن على بن أبى طالب كلم النبى ﷺ فى إخراج عمارة
ابنة حمزة فأخرجها [(١)] .

وأقام رسول الله ﷺ بسرف حتى قدمت عليه مَيْمُونَة فَبَنَى
بها ثَمَّ ، وقد نالها ومَنْ معها أذًى وعناءٌ من سفهاء المشركين ١٥
وصبيانهم . ثم أدلج رسولُ الله ﷺ فسار حتى قدم المدينة .

---

(١) وانظر مغازى الواقدى ٢ : ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٨٥٢
وزاد المعادى ٤ : ١٧١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، والإمتاع ١ :
٣٣٩ ، ٣٤٠ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والسيرة الحلبية ٢ : ٧٨٥ ، ٧٨٦ ،
وشرح المواهب ٢ : ٢٥٩ — ٢٦٢ . ٢٠

وفيها ويقال فى التى بعدها خرج أبو العاص بن الربيع ، وقدم المدينة فى جماعةٍ تُجَّارًا إلى الشام ، فلما عادوا وجدتهم سريَّة لرسول الله ﷺ ، مقدمها زيد بن حارثة ، فأخذوا مامعهم ، واستأسروا بعضهم ، وهرب أبو العاص مستخفيا ، فأجارته زوجته زينب بنتُ ٥ النبى ﷺ ، وقال ﷺ لأصحاب السرية فى ماله فَرَدُّوه عليه ، ثم قدم إلى مَكَةَ فَرَدَّ ماللناس عنده ، ثم قال : يامعشر قريش هل بقى لأحدٍ منكم عندى مال ؟ قالوا : لا . قال : إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، والله مامنعنى من الإسلام إلا خوفا أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم . ثم خرج فقدم على رسول الله ﷺ ، ١٠ فَرَدَّ عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول — ويقال ردَّها بنكاح جديد (١) .

* * *

« السنة الثامنة من الهجرة »

فيها خرج من مكة خالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، ١٥ وعمرو بن العاص فقدموا المدينة وأسلموا . قال خالد بن الوليد : لما أراد الله لى ما أراد من الخَيْر قذف فى قلبى الإسلام ، وحضرنى رشدى ، وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن [أشهده](٢) إلا أنصرف وأنا أرى فى نفسى أنى مُوضِعٌ فى غير

---

(١) مغازى الواقدى ٢ : ٥٥٣ ، وشرح المواهب ٢ : ١٥٥ — ١٥٨ .

٢٠ (٢) إضافة عن مغازى الواقدى ٢ : ٧٤٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥٠ .

٢٥١ شيء ، وأن محمدا سيظهر . فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية / خرجتُ فى خَيْلِ المشركين ، فلقيت رسول الله ﷺ فى أصحابه بعُسْفَان ؛ فقمت بإزائه وتعرَّضت له ، فصلى الظهر أمامنا [١] فهممنا أن نغير عليه ثم لم يُعْزَم لنا — [٢] وكانت فيه خيرة [٢] — فاطَّلع على ما فى أنفسنا [من الهَمِّ به][٣] ؛ فصلى بأصحابه صلاة ٥ العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منا موقعا فقلت : الرجل ممنوع . فافترقنا ، وعدل عن سَنَن خَيْلِنَا وأخذ ذات اليمين ، فلما صالح قريشا بالحديبية ، ودافعته قريش بالرّواح [٤] قلت فى نفسى : أى شيء بقى ؟! أين المذهب ؟ إلى النجاشى !! فقد اتَّبع محمدا وأصحابُه عنده آمنون ، فأَخْرُجُ إلى هِرَقل ؟! فأخرجُ من دينى إلى نصرانية أو ١٠ يهودية فأقيم مع [٥] عَيْبِ ذلك [٥] !! أو أقيم فى دارى فيمن بقى ؟! فأنا على ذلك ؟ إذ دخلَ رسولُ الله ﷺ [مكة][٦] فى عُمْرَة القضيّة ، فتغيَّبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد قد دخل مع النبى ﷺ فى عمرة القضيّة ، فطلبنى فلم يجدنى ، فكتب إلى كتابا فإذا فيه :

---

(١) كذا فى الأصول ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥٠ . وفى مغازى الواقدى ١٥ ٢ : ٧٤٦ « آمنا منا » .

(٢) فى الأصول « وكانت فيه خبيرة » والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٣) إضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥١ .

(٤) فى ت « بالمراح » وفى م « بالراح » والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٧٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥١ . ٢٠

(٥) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٧٤٦ « فأقيم مع عجم تابعا » . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥١ « فأقيم مع عجم » .

(٦) إضافة عن المرجعين السابقين .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك !! ومثل الإسلام مايجهله أحد ، وقد سألنى رسول الله ﷺ عنك فقال : أين خالد ؟ فقلت : يأتى الله به . فقال : ما مثله جهل الإسلام !! ولو كان جعل نكايته[1] وحَدَّه مع المسلمين كان خيرا له ، ولقدَّمناه على غيره . فاستدرِك ياأخى ماقد فاتك [من][2] مواطن صالحة .

فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الإسلام ، وسرّنى سؤال [3] رسول الله ﷺ عنى — وأرى فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة جلدة[4] ، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة ، قلت : إن هذه لرؤيا . فلما قدمت المدينة قلت : لأذكرنها لأبى بكر ، فذكرتها ، فقال : هو مخرجك الذى هداك الله إلى الإسلام ، والضِّيق الذى كنت فيه الشِّرك .

---

(١) فى الأصول « مكايسته » والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٧٤٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥١ .

(٢) إضافة عن المرجعين السابقين .

(٣) فى الأصول « وسرنى عن رسول الله ﷺ » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥١ ، وفى مغازى الواقدى ٢ : ٧٤٧ « وسرنى مقالة » .

(٤) كذا فى الأصول ، والمعنى أنها غليظة صلبة أو أصابها الجليد . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٧٤٧ « جديبة » . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥١ « مجدبة » .

فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت : من أصاحب إلى محمد ؟ فلقيت صفوان بن أمية ، فقلت : يا أبا وهب ، أما ترى مانحن فيه ؟ إنما نحن كأضراس [١] ، وقد ظهر محمد على العرب ٢٥٢ والعجم / . فلو قدمنا على محمد فاتبعناه ؛ فإن شرف محمد لنا شرف ، فأبى أشد الإباء ، وقال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا . ٥ فافترقنا وقلت : هذا رجل قُتِلَ أبوه وأخوه ببدر . فلقيت عِكْرِمَة بن أبى جهل فقلت له مثل ماقلت لصَفْوَان بن أميّة ؛ فقال لى مثل ما قال صَفْوَان ، قلت : فَاكْتُمْ ذِكْرَ ما قلتُ لك . قال : لا أذكره . فخرجت إلى منزلى [وأمرت][٢] براحلتى تُخْرَج إذ لقينى عثمان بن طلحة فقلت : إن هذا لى صديق ، فلو ذكرتُ له ما أرجو !! ثم ١٠ ذكرت من قُتِلَ من آبائه فكرهتُ أن أذكره ، فقلت : وما عَلَيَّ وأنا راحل من ساعتى . فذكرت له ما صار الأمر إليه ؛ فقلت : إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جُحْرٍ لو صُبَّ فيه ذَنُوبُ ماء خرج . وقلت له نحوًا مما قلت لصاحبى ، فأسرع الإجابة وقال : إنى غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو ، وهذه راحلتى بفَخّ مُنَاخَة . قال : فاتعدت أنا وهو ١٥ بيَأْجج ؛ إن سبقنى أقام وإن سبقته أقمتُ عليه . فأدلجنا سَحَراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهداة [٣] ،

---

(١) كذا فى الأصول والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٤٥٢ . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٧٤٧ « اكلة رأس » .

(٢) إضافة عن المرجعين السابقين . ٢٠

(٣) كذا فى الأصول ، وفى المرجعين السابقين الهدة .

والهدة موضع بين مكة وعسفان . (معجم البلدان) ويقال قرية بوادى فاطمة .

فنجد عمرو بن العاص بها فقال : مرحبا بالقوم . فقلنا : وبك . قال : أين مسيركم ؟ قلنا : ماأخرجك فقال : ماأخرجكم ؟ قلنا : الدخول فى الإسلام واتباع محمد [ﷺ][1] .

قال : وذلك الذى أقدمنى . فاصطحبنا جميعا حتى دخلنا ٥ المدينة فى صفر وأسلمنا .

وفيها كان فتح مكة ، وسببه أن مالك بن عبّاد[2] الحضرمى حليف الأسود بن رَزْن الديلى خرج تاجرا فلما توسَّط أرض خُزَاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، فعَدَت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت [خزاعة][3] قبيل الإسلام على بني الأسود بن رَزْن ١٠ الديلى وهو مَتْجَر[4] بنى كنانة وأشرافهم ، [سُلْمَى][5] وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم . فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام وتشاغل الناس به ، فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش دخلت خزاعة — مؤمنها وكافرها — فى عقد رسول الله ﷺ ، ودخلت / بنو بكر فى عقد قريش . ٢٥٣

١٥ (١) إضافة عن المرجعين السابقين .

(٢) فى الأصول « ابن عبادة » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٥١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١١٠ ، والدرر ٢٢٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٧ ، وشفاء الغرام ٢ : ١١٠ .

(٣) إضافة على الأصول .

٢٠ (٤) كذا فى الأصول ، وعيون الأثر ٢ : ١٦٤ ، وشفاء الغرام ٢ : ١١٠ . وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٥١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١١٠ ، والاكتفا ٢ : ٢٨٧ « منخر » . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٨ «مفخر» .

(٥) سقط فى الأصول والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٥١ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٧٨١ ، وعيون الأثر ٢ : ١٦٤ ، والدرر ٢٢٤ .

ثم إن بنى الديلى بن بكر بن عبد مناة بن كنانة [(١) أرادوا أن يصيبوا منهم ثأرا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم(١)] فلما دخل شعبان (٢) كلمت [(٣) بنو نفاثة من بنى الديل بن بكر (٣)] أشراف قريش أن يُعِينُوهم على خزاعة بالسلاح والرجال ، فوعدوهم ووافوهم — متنقبين متنكرين — بالوتير — ماء لخزاعة أسفل مكة — فيهم صفوان ٥ ابن أمية ، وحُوَيْطب بن عبد العُزّى ، ومِكْرَز بن حَفْص بن الأَخْيَف فبيتوهم ليلا وهم آمنون غارُّون ؛ فقتلوا منهم عشرين رجلا . ثم نَدِمَت قريش على ما صنعت ، وعلموا أن هذا نقض للعهد والموادعة التى كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ فى صلح الحديبية .

١٠ وخرج عمرو بن سالم الخزاعى ، ومعه بُدَيْل بن وَرْقَاء فى أربعين راكبا من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فقال عمرو ابن سالم :—

يارب إنى ناشدٌ محمدا ... حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتمُ وُلْداً وكنا والدا ... ثُمَّتَ أسلمنا ولم ننزع يدا

١٥ إلى أن قال :

إن قريشا أَخْلَفُوكَ الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رُصَّدا ... وزعموا أن لست أدعو أحدا

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت عن تاريخ الطبرى ٣ : ١١١ ، وعيون الأثر ٢ : ١٦٤ والامتاع ١ : ٣٥٧ .

٢٠ (٢) أى على رأس اثنين وعشرين شهرا من الحديبية . (مغازى الواقدى ٢ : ٧٨٣ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٧٤ ، والإمتاع ١ : ٣٥٧) .

(٣) سقط فى الأصول والمثبت عن المراجع السابقة ، وتاريخ الخميس ٢ : ٧٧ .

وهم أَذَلّ وأَقَلّ عددا هم بَيَّتونا بالوتير هُجَّدا
وقَتَّلُونا رُكَّعًا وسُجَّدا

وأخبروه بما أصيب منهم ومظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، فقام رسول الله ﷺ وهو يجرّ رداءه ويقول : لا نُصِرْتُ إن لم أنصر بنى كعب مما أنصر منه نَفْسِى . ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنَانٌ من السماء فقال : إن هذه السحابة لتستهِلّ بنصر بنى كعب — ويقال : لما خرج النبى ﷺ — وكان بالروحاء نظر إلى سحاب منصب [١] فقال : إن هذا السحاب لينصب [٢] بنصر بنى كعب . فقام رجل من بنى عدى بن عمرو أخو بنى كعب بن عمرو فقال : يارسول الله ، ونصر بنى عَدِىّ . فقال رسول الله ﷺ : ترب نحرك ، وهل عَدِىّ إلا كعب . وكعب إلا عَدِىّ . فاستشهد ذلك الرجل فى ذلك السفر .

وقال رسول الله / ﷺ : كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشد[٣] العقد ويزيد فى المدة . ثم انصرفوا راجعين فلقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ — وقد رهبوا[٤] الذى

(١) فى الأصول « مقتصب » والمثبت عن تاريخ الخميس ٢ : ٧٧ .

(٢) فى الأصول « لينتصر » والمثبت عن المرجع السابق ، والسيرة الحلبية ٣ : ٥ وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٣٤ « لتبض » .

(٣) فى الأصول « جاء فى العقد » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٥٥ ، والاكتفا ٢ : ٢٨٨ ، وعيون الأثر ٢ : ١٦٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٢٩ ، وشفاء الغرام ٢ : ١١٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٧٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦ .

(٤) كذا فى م ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١١٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٣٠ . وفى ت « تهيبوا » .

صنعوا ــ فسألهم : من أين ؟ فقالوا : سرنا فى هذا الساحل فى بطن هذا الوادى . فعمد أبو سفيان إلى مبرك رواحلهم فأخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيْلٌ محمدا . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ فدخل على ابنته أم حَبِيبَة فلم تمكنه من الجلوس على فراش النبى ﷺ وطوته عنه . ثم خرج فأتى النبىّ ﷺ فلم يَرُدّ عليه شيئا ، فتَتَبَّع أشراف قريش والأنصار فكلمهم ، وكلٌ يقول : عقدنا فى عقد رسول الله ﷺ . فلما يئس منهم دخل على فاطمة ابنة رسول الله ﷺ وكلمها فقالت : إنما أنا امرأة . فقال : مُرِى أحد ابْنَيْك لِيُجير بَيْنَ الناس . فقالت : ليس مثلهما يُجير . قال : فكَلِّمي لى عليا . قالت : كلِّمْه أنت . فكلمه فقال له : ليس أحد يفتات على رسول الله ﷺ بجِوَار ، وأنت سيّد قريش وأكبرها وأمنعها فأجِرْ بين عشيرتك . قال : صدقتَ وأنا كذلك . فخرج فصاح : ألا إنى قد أجَرْتُ بين الناس ، ولا والله ما أظن أن يخفرنى أحد ، ولا يرد جوارى . فقال له النبى ﷺ : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة . وخرج على ذلك . فقال النبىُّ ﷺ ــ حين أدبر ــ اللهم خذ على سمعهم وأبصارهم فلا يرونا[1] إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة .

وقدم أبو سفيان على قريش فأخبرهم بما صنع ، فقالوا له : هل أجاز[2] ذلك محمد ؟ فأخبرهم بما رَدَّه عليه . فقالوا : وَيْحَك ، مازاد

(١) فى الأصول « يرون » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٣٤ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٠ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩١ .

(٢) فى الأصول « جاز » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٥٧ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١١٣ ، والاكتفا ٢ : ٧٩٠ ، وعيون الأثر ٢ : ١٦٦ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩٠ ، وشفاء الغرام ٢ : ١١٣ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٧٨ .

الرجل ـــ يعنون عليا ـــ على أن لَعِبَ بك ؛ فما يُغْنى عنا ماقلتَ .
قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

ويروى أن النبى ﷺ بات ليلة من الليالى عند ميمونة ، فقام يتوضّأ للصلاة ، قالت ميمونة : فسمعته يقول ـــ وهو يتوضأ ـــ: لبَّيْك لبيك ثلاثا نصرت ثلاثا . فلما فرغ قلت : يارسول الله ، سمعتك تقول فى متوضئك لبيك لبيك ثلاثا ، نصرت ثلاثا ؛ كأنك تكلم إنسانا ، فهل كان معك أحد ؟ فقال : هذا رَاجِزُ بنى كعب / ٢٥٥ يستصرخنى ، ويزعم أن قريشا أعانت عليهم بنى بكر [١]

ثم خرج رسول الله ﷺ فأمر عائشة أن تُجهِّزه ولا تعلم أحدا ، فدخل أبو بكر فقال : أى بنية ، ماهذا الجهاز ؟ فقالت : والله ماأدرى . فقال : والله ماهذا زمان غَزْوِ بنى الأصفر ، فأين يريد رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله لا أعلم .

قالت [ميمونة][٢] فأقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشد :ـــ

يارب إنى ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إنا ولدناك وكنت ولدا	ثُمَّتَ أسلمنا ولم ننزع يدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا	فانصر هداك الله نصرا أيِّدا

(١) السيرة الحلبية ٣ : ٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٧٧ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٠ ، ٢٩١

(٢) إضافة عن المراجع السابقة .

وادع عبادَ الله يأتوا مددا فيهم رسول الله قد تجرَّدَا
إن سيم خسفا وَجْهُهُ تربَّدا

فقال رسول الله ﷺ : لبيك لبيك ثلاثا . وأذَّنَ فى الناس بالغزو ، ثم أعلمهم أنه سائر إلى مكة ، وقال : اللهم خُذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهَّزَ الناس . ٥

ولما أجمع المسيرَ كتب حاطبُ بن أبى بَلْتَعة — رضى الله عنه — كتابا إلى صفوان بن أمية وسُهَيْل بن عمرو ، وعِكْرِمَة بن أبى جهل فيه : إن رسول الله ﷺ قد أذّن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يُرِيدُ غَيْرَكم — وقيل فيه : إن محمدا قد نَفَر فإمّا إليكم وإما إلى غيركم فعليكم الحَذَر ، ويقال فيه : إن رسول الله ﷺ توجّه إليكم بجيش ١٠ كالليل يسيرُ كالسَّيل ، وأقسِمُ بالله لو سار إليكم وحْدَه لنصره الله عليكم ؛ فإنه منجزٌ له ما وعده . وأرسله مع أم سارة[١] كنود المزنية ، وجعل لها دنانير[٢] على أن تبلغه لهم — وكانت أمه بين ظهرانيهم فأراد أن يحفظوه فيها — فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك ، فأرسل عليًّا والمِقْدَاد — ويقال والزبير بن العوام ، وقيل أبا مَرْثَد بدل ١٥

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٢٩٥ « سماها ابن إسحاق سارة ، والواقدى كنود ، وفى رواية أم سارة وقيل كانت مولاة العباس — ذكره الحافظ — وذكر المصنف فى الجهاد أن اسمها سارة على المشهور وتكنى أم سارة . وفى الإصابة « سارة مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب » .

(٢) وفى الإمتاع ١ : ٣٦٢ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٤ « وجعل لها دينارا ، وقيل عشرة دنانير » . وفى السيرة الحلبية ٣ : ١٠ « وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردة . » ٢٠

المقداد ، وكلهم فارس ــ فقال : انطلقوا حتى تأتوا رَوْضَة خَاخ[١]
فإن بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حَاطِب بن أبى بلتعة إلى
المشركين . فأَدْرَكُوهَا تسِيْر على جمل لها حيث قال النبى ﷺ ،
فقالوا لها : أين الكتاب الذى معك ؟ قالت : مامعى كتاب . فأناخوا
٥ بها وفتَّشُوا رَحْلَها فلم يجدوا فيه شيئا ، فقال الزبير والمقداد / مانرى ٢٥٦
كتابا . فقال على رضى الله عنى : لقد علمتم ماكذب رسول الله
ﷺ ، والذى يُحْلَف به لتُخْرِجِن الكتاب أو لأُجَرِّدَنَّك . فلما
رأت الجِدَّ أهوت بيدها إلى حجزتها وهى محتجزة[٢] بكساء فأخرجت
الكتاب ــ ويقال فأخرجته من قرون رأسها ــ فأتوا به النبى ﷺ ،
١٠ فقال : ماحملك ياحاطب على ماصنعت ؟ فقال : مابى[٣] إلا أن
أكون مؤمنا بالله ورسوله ، ولكنى أردت أن يكون لى عند القوم يد
يدفع الله بها عن عيالى ، وليس من أصحابك هناك إلاّ وله من يدفع
الله به عن أهله وماله . قال : صَدَق ؛ فلا تقولوا له إلا خيرا . فقال
عمر بن الخطاب : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعنى أضرب
١٥ عنقه . فقال النبى ﷺ : وما يدريك لعلّ الله قد اطَّلَع على أهل بدر
فقال اعملوا ماشئتم فقد رضيت لكم الجنة . فدمعت عينا عمر ،
فقال الله ورسوله أعلم .

---

(١) روضة خاخ : بالقرب من ذى الحليفة على بريد من المدينة وقيل على اثنى عشر ميلا منها . (وفاء الوفا ٢ : ٢٩٧)

٢٠ (٢) فى م « إلى حجزتها وهى مغنجرة بكساء » . وفى ت « إلى عجيزتها وهى مرتجزة بكساء » والمثبت عن تفسير ابن كثير ٧ : ١٠٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١١ ، وشرح المواهب ٢ : ٢٩٥ .

والحجزة : معقد الإزار والسراويل .

(٣) فى الأصول « مالى » والمثبت عن تفسير ابن كثير ٧ : ١٠٩ .

وبعث رسول الله ﷺ إلى من حوله من العرب فجلبهم : أسلم ، وغفار ، ومُزَيْنة ، وجُهَيْنة ، وأَشْجَع ، وسُلَيْم . فمنهم من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لحقه بالطريق .

وخرج رسول الله ﷺ يوم الأربعاء بعد العصر لعشر ليال مضين من شهر رمضان ـــ وقيل لليلتين خلتا منه ـــ فى عشرة آلاف ـــ وقيل فى اثنى عشر ألفا ـــ من المهاجرين والأنصار وأسْلم وجُهَيْنة وبنى سُلَيم وغِفَار ومُزَيْنَة . واستخلف على المدينة أبارُهْمٍ كُلْثُوم بن حُصَيْن بن عُتْبَة بن خلف الغفارى ـــ وقيل عبد الله بن أم مَكْتُوم ـــ وصام النبىُّ ﷺ ، وصام الناس معه ، فلما بلغ الصُلْصُل[١] قدَّم أمامه الزبير بن العوام فى مائتين من المسلمين ، ونادى مناديه : من أحب أن يفطر فليفطر ، ومن أحب أن يصوم فليصم . ويروى لما بلغ النبى ﷺ الكَدِيد[٢] ـــ ماء بين عُسْفَان وأَمَج ، ويقال بين قُدَيْد وعُسْفَان ـــ أفطر وشرب بعد صلاة العصر على راحلته ليراه الناس وأمر بالافطار ، ولم يزل مفطرا حتى انصرم الشهر .

ولقى النبى ﷺ بذى الحليفة ـــ وقيل ذى الجحفة ـــ عمه العباس مهاجرا بأهله ، فأرسل بهم إلى المدينة ورجع مع النبى ﷺ ؛ وكان أسلم قبل ذلك وأقام / بمكة على السقاية ، والنبىّ ﷺ عنه راض . ٢٥٧

(١) الصلصل ـــ بالضم والتكرير : على سبعة أميال من المدينة . (مراصد الاطلاع)

(٢) الكديد ويقال على اثنين وأربعين ميلا من مكة . (المرجع السابق)

ولقى النبى ﷺ بالوادى ــ وقيل بنيق العقاب [١] ، وقيل بين السقيا[٢] والعرج [٣] ــ ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أمية بن المغيرة مسلمين ، فأعرض النبى ﷺ عنهما ، وقال على بن أبى طالب لأبى سفيان ائته من قبل وجهه ، فقل له ماقال إخوة يوسف ﴿ تا لله لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾[٤] ففعل ذلك أبو سفيان ، فأقبل ﷺ عليهما ، وقَبِلَ منهما إسلامهما .

وتمادى رسول الله ﷺ فلما كان بقُدَيْد وَفَدَتْ عليه بنو سليم فى سبعمائة نفر ، ويقال ألف فيهم العباس بن مِرْدَاس فأسلموا .

ثم عقد النبى ﷺ الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل ، ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب . وسأله أسامة بن زيد : أين ننزل غدا ؟ فقال : بخَيْفِ[٥] بنى كِنَانة ؛ حيث تقاسموا على الكفر .

---

(١) فى الأصول « العقار » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦٠ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١١٤ ، ومعجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما أستعجم ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٤٣ ، ووفاء الوفا ٢ : ٣٨٦ . وهو موضع قرب الجحفة بين مكة والمدينة .

(٢) السقيا : موضع على ستة وتسعين ميلا من المدينة ، ويقال على أربعة أيام منها ، ويقال قرية جامعة بطريق مكة . وانظر وفاء الوفا ٢ : ٣٢٣ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٠١ .

(٣) العرج : قرية جامعة على ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة . شرح المواهب ٢ : ٣٠١ .

(٤) سورة يوسف آية ٩١ .

(٥) خيف بنى كنانة : هو المحصب ، وهو بطحاء مكة . (مراصد الاطلاع)

وعميت الأخبار على قريش فهم على وجل وارتقاب من غزوه إياهم ؛ فبعثوا أبا سفيان بن حَرْب يتجسَّس الأخبار ، وقالوا : إن لقيت محمدا فخذلنا منه أمانا . فخرج أبو سفيان ، وحكيم بن حزام ، ولقيهما بُدَيْل بن وَرْقَاء فصحبهم ، فخرجوا تلك الليلة حتى أشرفوا على مَرّ ، ورَقَّ قلبُ العباس فخرج راكبا بغلة النبى ﷺ البيضاء ــ ليلا ــ لعله يجد أحدا يخبر أهل مكة بمكان النبى ﷺ ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عَنْوة ، حتى جاء الأراك إذ سمع صوتهم وهم يتراجعون ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا .

ويروى أن أبا سفيان قال لبُدَيْل : هذه نيران بنى كعب أهلك . فقال : حاشتها[1] إليك الحروب .

ويروى أن أبا سفيان وحكيما وبُدَيْلا أقبلوا يسيرون حتى أتوا مَرّ الظهران فإذا هم بنيران كنيران عَرَفَة ، فقال أبوسفيان : ماهذه ؟ لكأنها نيران عرفة . فقال بُدَيل بن ورقاء : نيران بنى عمرو . قال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك . فسمع العباس صوت أبى سفيان فناداه أبا حنظلة . فقال : لبَّيْك فما وراءك ؟ قال : هذا رسول الله ﷺ فى عشرة آلاف ، فأسلم ثَكِلَتْك أمُّك وعشيرتك . وأجاره / ٢٥٨

(١) كذا فى الأصول ، ومغازى الواقدى ٢ : ٨١٤ . والمعنى جمعتها وساقتها . (المعجم الوسيط) وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٤٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ١٦ « حمشتها » وفى الروض الأنف ٤ : ٩٩ ، والسيرة الحلبية « وقيل بالسين المهملة : أى اشتدت عليها من الحماسة وهى الشدة » . وفى الامتاع ١ : ٣٦٨ « جاشتها » .

وخرج به فأردفه خلفه ، ورجع صاحباه ـــ ويروى أنه ذهب بهمامعه حتى أتى بهم النبى ﷺ ـــ ودافع العباسُ عمرَ بن الخطاب عن أبى سفيان بحضرة النبى ﷺ ، ثم ذهب به معه إلى رحله بأمر رسول الله ﷺ ، وأمره أن يحْبِسَ أبا سفيان بالمَضِيق دون الأراك إلى مكة ـــ ٥ ويقال عند خَطْمِ [١] الجبَلَ ـــ حتى يَمُرّ به العسْكَرُ وينظر إلى المسلمين ، وذهب الآخرون فأعلما أهل مكة .

ويقال إنما ظَفَرَ بأبى سفيان وصاحبيه مُزَيْنَةُ ـــ وكانت الحراسة عليهم تلك الليلة ـــ فسألوهم أن يذهبوا بهم إلى العباس بن عبد المطلب ، فذهبوا بهم[٢] إليه فسأله أبو سفيان أن يستأمن لهم من ١٠ النبى ﷺ ، فخرج بهم حتى دخل على النبى ﷺ . فسأله أن يؤمِّن له من أمَّن . فقال النبى ﷺ : قد أمَّنْت من أمَّنْت خلا أبا سفيان . فقال : يارسول الله لا تحجر علىّ . فقال ﷺ : من أمَّنْت فهو آمن . فذهب بهم العباس إلى النبى ﷺ ثم خرج بهم ، فقال أبو سفيان إنا نريد أن نذهب . فقال : أسفروا . وقام النبى ﷺ ١٥ يتوضَّأ فابتدر المسلمون وضوءه فينضحونه فى وجوههم . فقال : يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما . فقال : ليس بملك ولكنها النُّبوّة ، وفى ذلك يرغبون .

---

(١) خطم الجبل : أى أنف الجبل وهو الجزء الناتىء منه نازلا إلى الأرض . ويقال عند حطم الخيل : أى المكان الذى تزدحم فيه الخيل عند اجتيازه . وانظر شرح المواهب ٢٠ ٢ : ٣٠٤ .

(٢) فى الأصول « به » والمثبت عن مغازى الواقدى ٢ : ٨١٥ .

وقدَّم النبى ﷺ بين يديه الكتائب : بعث النبى ﷺ الزبيرَ ابن العوام على المهاجرين وخَيْلَهم ، وأمرهم أن يدخلوا من ثَنِيَّة كَدَاء من أعلى مكة ، وأن يغْرِزَ رايته بالحَجُون ، ولايبرح حتى يأتيه . وبعث خالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قُضَاعَة وسُلَيم وأناس أسلموا من قبل ذلك ، وأمره أن يدخلِ من أسفل مكة ، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت . وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الأنصار فى مقدمة رسول الله ﷺ ، فدفع سعد الراية إلى ابنه قَيْس . وبعث أبا عبيدة على السَّاقَة ــ وهم الرَّجَّالة ــ فأخذوا بطن الوادى ، وأمرهم أن يكفوا أيديهم / ولا يقاتلوا أحدا إلا من قاتلهم سوى ثمانية نفر وأربع نسوة استثناهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وهم : عبد الله بن سعد ابن أبى سرح ، استأمن له عثمانُ بن عفّان ــ وهو أخوه من الرضاعة ــ رسولَ الله ﷺ فأمنه وأسلم ، وهلال ــ وقيل عبد العزى ــ بن خطل (١) ، قُتِلَ و[هو](٢) آخذ بأستار الكعبة ،

(١) كذا فى الأصول . وفى الدرر ٢٣٢ ، وعيون الأثر ٢ : ١٧٥ « عبد العزى ابن خطل . وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١١٩ ، والاكتفا ٢ : ٣٠١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٩٠ « عبد الله بن خطل » . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٨٢٥ « عبد الله بن هلال بن خطل » . وفى الوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٧٠٠ « أبو عبد الله بن هلال بن خطل » . وفى الإمتاع ١ : ٣٧٨ « هلال بن عبد الله » وفى السيرة الحلبية ٣ : ٣٧ « كان اسمه عبد العزى فلما أسلم سماه الرسول ﷺ عبد الله » .

(٢) إضافة على الأصول يقتضيها السياق . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٨٩٥ عن أبى برزة يقول : أخرجت عبد الله بن خطل وهو معلق بأستار الكعبة فضربت عنقه بين الركن والمقام . وفى الروض الأنف ٤ : ١٠٣ « فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة » .

والحويرث بن نقيد — قتل عند باب بيته — ومِقْيَس بن صبابة — قتل — وهبار بن الأسود ؛ جاء إلى النبى ﷺ وهو بالجعرانه فأسلم ، وكعب بن زهير ؛ قدم على النبى ﷺ بالمدينة فأسلم وأنشد قصيدته « بانت سعاد » ووَحْشِى الزِّنْجِىّ ؛ قدم مع وفد الطائف فأسلم ، فقال له النبى ﷺ : غَيِّب وجهك عنى . ويقال منهم عِكْرِمة بن أبى جهل . وأما النساء فقينتا ابن خطل قُرَيْبَة فقتلت ، وفَرْتَنا استأمنت النبى ﷺ فأمنها ، فعاشت مدة ثم ماتت فى حياة النبى ﷺ . وأما سارَة مولاة عمرو بن هاشم — وقيل مولاة لأبى لهب — استؤمن لها النبى ﷺ فأَمَّنَها فعاشت إلى أن أوطأها رجل فرسا بالأبطح فماتت — وقيل قتلت يوم الفتح — وهند بنت عُتْبَة بن ربيعة زوجة أبى سفيان ؛ فاختفت ثم أتت رسول الله ﷺ فأسلمت ، وكان بينها وبين زوجها فى الإسلام ليلة واحدة ، ماتت هى وأبو قحافة فى يوم واحد فى خلافة عمر .

ووَبَّشَت قريش أوْبَاشا لها فقالوا نقدم هؤلاء فإن كان لهم شىء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطينا الذى سئلنا .

وأمَرَ النبىّ ﷺ [أبا هريرة][1] فقال : اهْتِف بالأنصار ، ولا يأتينى إلا أنصارى . قال أبو هريرة : ففعلت . فجاءوا فأطافوا برسول الله ﷺ فقال : ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ ويقال : انظروا قريشا وأوْبَاشَها !! ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : احصدوهم

---

(١) إضافة عن عيون الأثر ٢ : ١٧٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٢ ، وشرح المواهب ٢ : ٣١٧ .

حصدا حتى توافونى بالصَّفَا . قال أبو هريرة : فانطلقنا فما أحدٌ منهم
٢٦٠ يُوَجّه إلينا شيئا ، ومامنا أحد يريد / شيئا إلا أخذه منهم . وجاء أبو
سفيان فقال : يارسول الله أُبِيَحت خَضْراءُ قريش ، لا قُرَيْشَ بعد
اليوم . فأمَّنَ النبى ﷺ من دخل المسجدَ ودارَ أبى سفيان ـــ وكانت
دار أبى سفيان بأعلى مكة ـــ ودار حكيم بن حِزَام ـــ وكانت بأسفل ٥
مكة ـــ ومن أغلق عليه بابه ، ومن ألقى السلاح . فألقى الناس
سلاحهم ، وأغلقوا أبوابهم .

وأقبل النبى ﷺ فى كتيبته الخضراء وهو على ناقته القصوى
بين أبى بكر ، وأُسَيْد بن حُضَيْر من أَذَاخِر ، واللواء يُحْمَل بين
يديه ـــ وكان أبيض ـــ فلما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته ١٠
معتجرا بشقة بُرْد حِبَرَة حمراء ، ثم سار حتى نزل بأعلى مكة ،
وضربت له هناك قُبَّة

ومرت الكتائب كتيبة كتيبة على أبى سفيان(١) فمرت كتيبة ،
فقال : ياعباس من هذه ؟ قال : هذه غِفَار . قال : مالى ولغِفَار . ثم
مَرَّت جُهَنْيَة فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال : ١٥
من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار ، عليهم سعد بن عبادة معه راية .
فنادى سعد بن عبادة فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليومَ

---

(١) قد يتبادر إلى الذهن من السياق هنا أن الكتائب مرت على أبى سفيان ورسول الله ﷺ بأعلى مكة فى قبته . ولكن مرور الكتائب على أبى سفيان كان حين أمر النبى ﷺ عمه العباس أن يحبس أبا سفيان عند خطم الجبل (مضيق الوادى) ليرى تحرك ٢٠
الجيوش كتيبة كتيبة من مر الظهران لدخول مكة .

تُستَحَلُّ الحرمة . فقال أبو سفيان : ياعباس حبذا يوم الذِّمَار . ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية النبى ﷺ مع الزُّبَيْر بن العوّام ، فلما مرّ رسول الله ﷺ بأبى سفيان قال : ألم تعلم ماقال سعد بن عبادة ؟ قال : ماقال سعد بن ٥ عبادة ؟ قال : قال كذا ، وناشده الله فى قومه . فقال النبى ﷺ : كذَبَ سعد ، ولكن هذا يوم يُعَظِّمُ اللهُ فيه الكعبةَ ، ويوم تُكْسَى فيه الكعبة . وأرسل النبى ﷺ إلى سعد فعزله ، وجعل الزُّبَيْر مكانه على الأنصار مع المهاجرين ، فسار بهم حتى وقف بالحجون وغَرَزَ الراية حيث أُمِرَ . واندفع خالد حتى دخل من اللِّيط أسفل مكة ، فلقيه ١٠ صَفْوَان / بن أُمَيّة وعِكْرِمة بن أبى جهل ، وسُهَيْل بن عمرو فى ٢٦١ أناس جمعوهم للقتال بالخِنْدَمَة من بنى بكر وهذيل ، فناوشوه القتال فلم يكن له بُدٌّ من قتالهم ، فقتل من بنى بكر قريبا من عشرين ، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فتبعوهم بالسيوف ، وفرّ بعضهم فدخلوا الدور .

١٥ وكان منهم حِمَاس[1] بن قيس بن خالد ، أخوُ بنى بكر ، وكان قبل ذلك يُعِدُّ السلاح ويصلح منه ، فتقول له أمرأته : لماذا[2]

---

(١) فى الأصول « حماش » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦٥ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٨٢٧ ، وعيون الأثر ٢ : ١٧٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦١ . وفى شرح المواهب ٢ : ٣١٠ « جماش بجيم مكسورة وميم مخففة ومعجمة » .

٢٠ (٢) فى الأصول « ماذا » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦٦ ، وعيون الأثر ٢ : ١٧٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦١ .

تعد ما أرى ؟ فيقول : لمحمد وأصحابه . فتقول : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء . فيقول : والله إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم . ثم ينشد :

إنْ يُقْبِلُوا اليومَ فَمَالِى عِلَّة هذا سلاح كامل وأَلَّة[١]
وذو غِرَارَين[٢] سَرِيعُ السَّلَّة

فانهزم حتى دخل على امرأته وقال لها : اغلقى على بابى . فقالت له : أين ماكنت تقول ؟! فأنشد :ـــ

وأنت لو رأيتِنَا بالخِنْدَمَة[٣] إذ فَرَّ صفوان وفرّ عِكْرِمَة
ولَحِقَتْنَا بالسيوفِ المُسْلِمَة يَقْطَعْن كلَّ سَاعِدٍ وجُمْجُمَة
ضَرْبًا فلا تَسْمَع إلا غَمْغَمة لهم نَهِيتٌ حولنا وهَمْهَمَة
لم تَنْطِقِى فى اللَّومِ أَدْنَى كِلَمَة

وقتل من المسلمين يومئذ ـــ فى خيل خالد ـــ ثلاثة : اثنان منهم هما كرز بن خالد الفهرى ، وحبيش[٤] بن الأشعر ؛ سلكا غير طريق خالد فقتلا جميعا ، وقتل حبيش قبل كرز [فجعله][٥] بين رجليه ثم قاتل عنه[٦] حتى قتل وهو يرتجز ويقول :ـــ

---

(١) الألة : كل أداة للحرب . (المعجم الوسيط)

(٢) ذو الغرارين : يراد به السيف ، والغرار حد السيف ونحوه . (المعجم الوسيط)

(٣) فى الأصول « وأنت لو رأيتنا يوم الخندمة » والمثبت يستقيم وزنا .

(٤) كذا فى الأصول ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٢ . وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦٦ « خنيس » . وانظر الخلاف حول اسمه فى الاستيعاب ٣ : ٤٠٦ .

(٥) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦٦ ، وشفاء الغرام ٢ : ١١٧ .

(٦) فى الأصول « عليه » والمثبت عن المرجعين السابقين .

قد علمت صَفْرَاءُ من بنى فِهْرِ   نقيَّة الوجه نقيّة الصدرِ
لأضْرِبَن اليوم عن أبى صخر

وكان حبيش يكنى بأبى صخر . والثالث هو سلمة بن الميلاء — رجل من جهينة — أصيب معه [١] .

ودخل رسول الله ﷺ فى المهاجرين الأولين فى أخريات الناس بُكْرَة يوم الجمعة لعشر ليال بقين من شهر رمضان ، وهو غير محرم وعلى رأسه المِغْفَر — وقيل كان على رأسه عمامة سوداء مُرْخٍ طرفها وراء كتفيه — وهو ﷺ يتلو سورة الفتح ، ويرجع فيها . ورأى النبى ﷺ النساء يُلَطِّمْنَ وجوهَ الخيل بالخُمُرِ فتبسم إلى أبى بكر ، وقال يا أبا بكر : كيف [قال حسان ؟][٢] فأنشده أبو بكر :— / ٢٦٢

عدمت بُنَيَّتِي إن لم تروها   تُثِيرُ النقعَ من كَتِفى كَدَاء
يُنَازِعْن الأَعِنَّةَ مُسْرَجَاتٍ   يُلَطِّمُهُنْ بالخُمُر النْساء

فقال النبى ﷺ : أُدخلوها[٣] من حيث قال حسان .

ولما دخل أبو سفيان مكة صاح : من أغلق داره وكفَّ فهو آمن . فشتمته زوجته هند وأخذت بلحيته وقالت : اقتلوا الشيخ الأحمق . فقال لها : ويحك اسكتى وادخلى بيتك ؛ فقد جاء الحق .

---

(١) أى مع خالد بن الوليد رضى الله عنه لأنه كان من خيله . وانظر شفاء الغرام ٢ : ١١٨ .

(٢) إضافة عن مغازى الواقدى ٢ : ٨٢٥ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٠٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٥٧ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٠٩ .

(٣) فى الأصول « أدخلوهن » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٥٧ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٠٩ .

ولما علا النبى ﷺ ثَنِيّة كداء نظر إلى البارقة على الجبال فقال : ماهذا ، وقد نَهَيْتُ عن القتال ؟! فقال المهاجرون : نظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال ، فلم يكن له بُدٌّ من القتال ، ولم يكن ليعصى أمرك أو[١] يخالفك .

ووقف ﷺ على الحَجُون ثم قال : والله إنك لخير أرض الله ، وإنك أحب أرض الله [إلى الله][٢] ، ولو لم أُخْرَج منك ماخرجت ، إنها لم تحل لأحد كان قبلى ، [٣] ولا تحل لأحد كائن بعدى[٣] ، وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، ثم هى من ساعتى هذه حرام [لا يعضد شجرها ، ولا يُحْتَشُّ خلاها ، ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد . فقال رجل يقال له أبو شاة : يارسول الله][٢] إلا الإِذْخِر فإنه لبيوتنا وقبورنا . فقال رسول الله ﷺ : إلا الإِذْخِر .

وهبط النبى ﷺ من الثنيّة وذقنه ﷺ على رحله متخشعا متواضعا ، وكان النبى ﷺ لما نزل بذى طوى ورأى ماأكرمه الله به من الفتح جعل يتواضع لله عزّ وجلّ حتى أن كاد عُثْنُونه[٤] أن يصيب واسطة الرحل ، وأجاز ﷺ على الحَجُون وهو مردفٌ أسامة ابن زيد ـــ ويقال ابنَ ابنته زينب عَلِيَّ بن أبى العاص بن الربيع بن عبد

(١) فى الأصول « ولايخالفك » .

(٢) إضافة عن أخبار مكة للأزرقى ٢ : ١٥٦ .

(٣) فى الأصول « ولم تحل لأحد كان بعدى » والمثبت عن المرجع السابق .

(٤) العثنون : اللحية ، أو مافضل منها بعد العارضين ، أو مانبت على الذقن وتحته سفلا . (تاريخ الخميس ٢ : ٨٢ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٢٠)

العُزَّى بن عبد شمس — وبين يديه ابن رواحه آخذ بزمام ناقته وهو يرتجز ويقول :—

خَلُّوا بنى الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله   ضربا يزيل الهام عن مقيله
٥ ويذهل الخليل عن خليله   يارب إنى مؤمن بِقِيله(١)

واندفع الزبير بين يديه بالراية — وكانت تسمى العقاب ، سودا ، مِرْط مُرَجّل لعائشة — حتى وقف بباب المسجد ، ودخل رسول الله ﷺ المسجد فبدأ بالحَجَر فاستلمه ، ثم طاف بالبيت على راحلته سبعا ، يتسلم الركن بمحجنه ، وكان ابن أمّ مكتوم آخذا بخطام ١٠ ناقته ﷺ ، وهو يطوف / ويقول : ٢٦٣

حبَّذَا مكة من وادى   بها أرضى وعُوَّادِى
بها ترسخ أوتــادى   بها أَمْشِى بلاهادى(٢)

ويروى : كان محمد بن مسلمة آخذا بزمام ناقة النبى ﷺ .

وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما قد ألزمها (٣) الشياطين ١٥ بالرصاص والنحاس ، وكان هبل أعظمها ، وهو وِجَاه الكعبة على بابها ، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح . وكان النبى ﷺ وهو فى طوافه فى يده قوس ، وهو آخذٌ بِسِيَة(٤) القوس ، فجعل ﷺ كلما مَرّ

---

(١) وقد سبق هذا الرجز فى عمرة الفضاء ، وانظر تعليقنا عليه ص ٦١١ من هذا الجزء .

(٢) كذا الرجز فى الأصول ، وأخبار مكة للأزرقى ٢ : ١٥٤ . وانظره — مع ٢٠ اختلاف — فى طبقات ابن سعد ٢ : ١٤١ ، والإمتاع ١ : ٣٨٢ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب ٢ : ٣٣٤ « قد ألزقها الشيطان » . وفى الخصائص ٢ : ٨٠ « ألزقها الشياطين » .

(٤) السية : ماعطف من طرف القوس . (شرح المواهب ٢ : ٣٣٤)

بصنم منها أشار إليه بقضيب كان فى يده ـــ ويقال يطعنه بعود ، وقيل بعصا ـــ ويتلو قوله تبارك وتعالى ﴿ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[١] ﴿ وَمَا يُبْدِىءُ ٱلْبَاطِلُ وَمَايُعِيدُ ﴾[٢] فيقع الصنم على وجهه حتى مَرّ عليها كلها . ويروى مامن صنم منها أشار إلى وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى مابقى منها صنم إلا وقع فقال تميم بن أوس الخزاعى :ـــ

وفى الأصنام مُعْتَبَرٌ وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

ويروى لما صلى الظهر أمر بالأصنام التى حول الكعبة كلها فجمعت ثم حرقت بالنار . ويقال فأخرجت[٣] إلى المسيل وكسرت . وفى ذلك يقول فَضالة بن عمير بن الملوح الليثى فى ذكر يوم الفتح :ـــ

لو ما رأيتَ محمدا وجُنُودَه بالفتح يومَ تُكَسَّرُ الأصنام
لرأيتَ نورَ الله أصبح بَيِّنـا والشركَ يغشى وجهه الإظلام[٤]

واستكف المشركون ، ثم دخل صناديد قريش من المشركين الكعبة وهم يظنون [أن][٥] السيف لا يرفع عنهم ، فلما قضى رسول الله

(١) سورة الإسراء آية ٨١ .

(٢) سورة سبأ آية ٤٩ .

(٣) فى الأصول « فأخرجن » .

(٤) وانظر الشعر فى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٧٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٤ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٨٧ مع أختلاف فى بعض الألفاظ .

(٥) أضافة على الأصول .

ﷺ طوافه لم يجد مَنَاخًا لراحلته فنزل على أيدى الرجال ، فجاء معمر ابن عبد الله بن نضلة فأخرج راحلته . [ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى المقام ـــ وهو لاصق بالكعبة ـــ][١] والدرع عليه والمغفر ، وعمامته بين كتفيه ، وَصلّى ركعتين خلف المقام ، ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتى الباب وقال : ماتقولون وماتظنون ؟ قالوا نقول ابن أخ وابن عم حليم رحيم ـــ ثلاثا ـــ فقال رسول الله ﷺ : أقول كما قال أخى يوسف ﴿ لاتَثْرِيبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُم وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[٢] ـــ فخرجوا كأنما نُشِرُوا من القبور ؛ فدخلوا فى الإسلام . / ٢٦٤

ويروى : أن النبى ﷺ لما نزل عن راحلته قام فخطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : الحمد لله الذى أذهب عنكم عُبِّيَّة[٣] الجاهلية وتعظُّمها بآبائها[٤] ، [فالناس][٥] رجلان رجل بَرٌّ تقىٌّ كريم على الله عز وجل ، وفاجر شقى هيِّن على الله تعالى ، ثم تلا ﷺ ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾[٦] ثم قال : أقول قولى هذا ،

---

(١) إضافة عن مغازى الواقدى ٢ : ٨٣٢ .

(٢) سورة يوسف آية ٩٢ .

(٣) العبية : هى الكبر . (هامش تفسير ابن كثير ٧ : ٣٦٦) .

(٤) فى الأصول « وفخرها بأيامها » والمثبت عن المرجع السابق ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٤٣

(٥) سقط فى الأصول . والمثبت عن تفسير ابن كثير ٧ : ٣٦٦ .

(٦) سورة الحجرات آية ١٣ .

وأستغفر الله لى ولكم . ثم انصرف ﷺ إلى زمزم فاطلع فيها وقال : لولا أن تُغْلَب بنو عبد المطلب على سقايتهم لنزعت منها بيدى . ثم انصرف إلى ناحية من المسجد قريبة من مقام إبراهيم — وكان ملصقا بالكعبة فأخرجه فى مكانه هذا — ودعا بسَجْلٍ من ماء زمزم فنزع له العباس دلوا فشرب وتوضأ ، والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبُّونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون إليه ويتعجَّبُون ويقولون : ما رأينا ولا سمعنا ملكا قط بلغ هذا . ٥

وأمر ﷺ بهُبَل فكُسِرَ وهو واقف عليه ، وقال الزبير بن العوام لأبى سفيان بن حرب : قد كُسِرَ هُبَل ، أما إنك قد كنت منه يوم أُحُدٍ فى غُرُور حين تَزْعُم أنه قد أنعم عليك . فقال أبو سفيان : دع هذا عنك ياابن العوام ؛ فقد أرى أن لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان [١] . ١٠

وكُسِرَ إسَاف ونائِلَة ، فخرج من أحدهما امرأة سوداء شمطاء تَخْمِشُ وجهها ، عُرْيَانة ناشرة الشعر ، تدعو بالويل ، فقيل للنبىّ ﷺ ، فقال : تلك نائلة قد أَيِست أن تُعْبَد ببلادكم أبدا [٢] . ١٥

ورنّ إبليس رَنَّة حين افتتح رسول الله مكة ، فاجتمعت إلى إبليس ذريته فقال : آيأسوا أن تَرُدُّوا أمته على الشرك بعد يومهم هذا ، ولكن افشوا فيهم النَّوْحَ والشِّعْر [٣] .

---

(١) الإمتاع ١ : ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٢٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٧٢ ، والخصائص ٢ : ٨٣ . ٢٠

(٣) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١١٢ ، ١٢٣ ، والخصائص ٢ : ٨٣ .

وجلس النبى ﷺ عند قَرْنِ مَسْقَلَة[١] ــ وقرن مَسْقَلة الذى إليه بيوت ابن أبى أمامة ودبر دار ابن سمرة وماحوله ــ فجاءه الناس ــ الصغار والكبار والرجال والنساء ــ فبايعوه على الإسلام والشهادة ، وأتوه بصبيانهم ليمسح على رءوسهم ويدعو لهم ، فخرجت ٥ أم الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيْط بابنها الوليد إلى النبى ﷺ ــ وهو مُطَيَّبٌ بالخلوق ــ فلم يمسح على رأسه ولم يمسه ، ولم يمنعه من ذلك إلا من أجل الخَلُوق ، ويروى أن الوليد سلح يومئذ فقذره رسول الله صلى الله / عليه وسلم ، فلم يمسه ولم يدع له . ٢٦٥

وكان أبو قحافة لما نزل النبى ﷺ ذى طوى قال لابنة له ــ ١٠ كانت من أصغر ولده ــ : أى بُنَيّة . أشرفى بى على أبى قُبَيْس ــ وكان قد كُفَّ بصره ــ فأشرفت به عليه . فقال : أى بُنَيّة ، ماذا تَرَيْن ؟ قالت : أرى سوادا مجتمعا ، وأرى رجلا يشتد بين ذلك السواد مُقْبِلاً ومُدْبِرا . فقال : تلك الخيل يابُنَيَّة ، وذلك الرجل الوازع . ثم قال : ماذا تَرَيْن ؟ فقالت ؟ أرى السواد انتشر . فقال : والله إذًا ١٥ دفعت الخيل فأسرعى بى إلى بَيْتِى . فخَرَجَت سريعا حتى إذا هبطت به إلى الأبطح لَقِيَتْه الخيل ، وفى عنقها طوق لها من وَرِق ، فاقتطعه إنسان من عنقها .

---

(١) قرن مسقلة : وفى أخبار مكة للأزرقى ٢ : ٢٧٠ وهو قرن بقيت منه بقية بأعلى مكة فى دبر دار سمرة عند موقف الغنم بين شعب ابن عامر وحرف دار رابغة فى ٢٠ أصله ، ومصقلة رجل كان يسكنه فى الجاهلية ، وأورد حديث أبى الوليد بسنده عن ابن جريج قال : لما كان يوم الفتح فتح مكة جلس رسول الله ﷺ على قرن مصقلة فجاءه الناس يبايعونه بأعلى مكة عند سوق الغنم .

فلما دخل النبىُّ ﷺ المسجد وجاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأبيه أبى قحافة يقوده ــ ورأسه ولحيته كأنها ثغامة ــ فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلا تركتَ الشيخ فى بيته حتى أجيئه ؟ غَيِّروا الشيبَ واجتنبوا السواد . فقال : يمشى هو إليك يارسول الله أحقّ من أن تمشى إليه . فأجلسه بين يديه ثم مسح رسول الله ﷺ صدره وقال : أسلم تسلم . فأسلم . ٥

وقام أبوبكر فأخذ يد أخته وقال : أنشد بالله والإسلام طوقَ أختى . فوالله ما أجابه أحد ، ثم قال الثانية فما أجابه أحد ، فقال يا أُخَيّة احتسبى طوقك ؛ فوالله إن الأمانة اليوم فى الناس لقليلة .

ثم أرسل النبى ﷺ بلالا إلى عثمان بن طلحة أن يأتيه بمفتاح الكعبة . فجاء بلال إلى عثمان وقال له : إن رسول الله يأمرك أن تأتيه بمفتاح الكعبة . قال عثمان : نعم . فخرج إلى أمه سُلَافة ابنة سعيد[1] بن شُهَيْد الأنصارية ، ورجع بلال إلى النبى ﷺ فأخبره أنه قال نعم ، ثم جلس بلال مع الناس . فقال عثمان لأمه / ــ والمفتاح يومئذ بيدها ــ : يا أمه أعطنى المفتاح فإن رسول الله ﷺ أرسل إلىّ وأمرنى أن آتى به إليه . فقالت له أمه : أعيذك بالله أن تكون الذى يُذْهَبُ بَمأثُرَة قومك على يديك . قال : والله لتدفعِنَّه إلىّ أو ليأتينَّك غيرى فيأخذه منك . فأدخلته فى حجرها[2] وقالت : أى رجل ١٠ ٢٦٦ ١٥

---

(١) كذا فى الأصول ، وشرح المواهب ٢ : ٣٣٨ . وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ٢٦٦ ، وشفاء الغرام ٢ : ١٥٢ « بنت سعد » . ٢٠

(٢) كذا فى الأصول ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ٢٦٦ ، وشفاء الغرام ٢ : ١٥٢ . وفى مغازى الواقدى ٢ : ٨٣٣ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٣٨ « فى حجزتها » .

يدخل يده هاهنا ؟! فبينما هما على ذلك إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر فى الدار ــ وعمر رافع صوته حين رأى إبطاء عثمان ــ فقالت أمُّه : يابنى خذ المفتاح ؛ فلأن تأخذه أنت أحبّ إلىّ من أن يأخذه تَيْمٌ وعَدِى . فأخذه عثمان فأتى به رسول الله ﷺ ، فناوله إيّاه ، فلما ناوله إيّاه فتح الكعبة ، وأمر رسول الله ﷺ بالكعبة فغُلِّقت عليه . ومعه أسامة بن زيد ، وبلال بن رباح ، وعثمان بن طلحة . وأرسل الفضل بن عباس بن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ، ثم أمر بثوب فَبُلّ بالماء ، وأمر بَطمْسِ [تلك] الصور[1] التى جعلتها قريش فى دعائم الكعبة فَطُمِسَت ، ووضع كَفَّيْه على صورة عيسى بن مريم وأمه وقال : امحوا جميع الصور إلا ماتحت يَدَىّ . فرفع يده عن عيسى بن مريم وأمه ، ونظر إلى إبراهيم فقال : قاتلهم الله ؛ جعلوه يستقسم بالأزلام ، مالإبراهيم والأزلام ؟![2]

ويروى أن النبى ﷺ قال : ياشَيْبَة أمح كل صورة فيه إلا ماتحت يَدى . فرفع يده عن عيسى بن مريم وأمه [3] .

ويروى أنه لما دخل الكعبة وفيها صور الملائكة وغيرها ، فرأى صورة إبراهيم فقال : قاتلهم الله ؛ جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام !! ثم رأى صورة مريم فوضع يده عليها وقال : امحوا مافيها من الصور إلا صورة مريم [4] .

---

(١) فى الأصول « بطمس الصورة » والمثبت عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٥ .

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٥ ، ١٦٦ ، وانظر تعليق الاستاذ رشدى الصالح المتضمن أن مفاد عدم محو صورة عيسى وأمه متروك وباطل .

(٣) المرجع السابق ١ : ١٦٤

(٤) المرجع السابق ١ : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٨٣٤ وفيه « إلا صورة إبراهيم » .

ويروى أنه لما دخلها وجد فيها حمامة من عِيدان فطرحها [١] .

ويروى أنه لما دخل البيت فإذا فيه صورة إبراهيم وإسماعيل والكبش ورأس الكبش ، فأمرهم أن يمحوها ؛ فما دخل حتى مُحِيَت ، فلما دخل رأى الأزلام قد صورت فى يد إبراهيم ، فقال : قاتلهم الله لقد علمنا لم يستقسما بالأزلام قط [٢] .

٢٦٧ ويروى / أن النبى ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أَمَرَ عمر بن الخطاب أن يدخلها فيمحو مافيها من صورة[٣] . ٥

ثم دخلها فمكث فيها ماشاء الله ، وكان البيت على ستة أعمدة ، ووقف على الباب خالد بن الوليد يَذُبّ الناس عن الباب حتى خرج رسول الله ﷺ والمفتاح بيده ، وهو يتلو قول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾[٤] فاستبق ١٠

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٩ . وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٦٩ « فكسرها بيده ثم طرحها » .

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٩ وفيه « قاتلهم الله ؛ لقد أبى ، إنهما لم يستقسما بالأزلام » . والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٧٣ وفيها « قد صورت فى يد إبراهيم وإسماعيل فقال : قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بالأزلام قط » . ١٥

(٣) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٦٨ وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٧١ من حديث الإمام أحمد بسنده عن جابر قال : كان فى الكعبة صور فأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يمحوها ، فبل عمر ثوبا ومحاها به فدخل رسول الله ﷺ ومافيها منها شىء . وفى طبقات ابن سعد ٢ : ١٤٢ من حديث جابر أن النبى ﷺ أمر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، ولم يدخلها النبى ﷺ حتى محيت كل صورة فيها . ٢٠

(٤) سورة النساء آية ٥٨ .

الناس فكان عبد الله بن عمر أوّل من دخل ، فوجد بلالا وراء الباب قائما فسأله : أين صلى النبى ﷺ ؟ فأشار إلى المكان الذى صلّى فيه ؛ قال : جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة وراءه .

ثم خطب النبىّ ﷺ على دَرَج الكعبة فقال : الحمد لله الذى صدقنا وعده . ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا إن هذا(١ البلد هى١) حرام بحرم الله ؛ لا يختلى خلاها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمنشد . فقال العباس : يارسول الله إلا الإذخر ؛ فإنه لبيوتنا وموتانا . فقال : إلا الإذخر ، المسلمون يَدٌ على من سواهم ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم ، ولا يُقْتَلُ مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد . ولا يتوارث أهل مِلَّتَيْن ، ألا إن قتل العمد الخطأ بالسوط والعصَى فيه مائة من الإبل مغلظة منها أربعون خلفة فى بطونها أولادها . إلا إن كل مأثرة فى الجاهلية ومال تحت قدمَىّ هاتين إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج فقد أمضيتها لأهلها .

١٥ ويروى : أن النبى ﷺ قال يوم فتح مكة : إن هذا البلد حرَّمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ؛ فهو حرام بحرمة الله ، لم يحل فيه القتلُ لأحدٍ قبلى ولا لأحد بعدى ، وإنما أُحِلَّ لى ساعة ؛ فهو حرام حَرَّمَه الله تعالى إلى يوم القيامة ، لا يُنَفَّرُ صيده ، ولا يعضد شوكه ، ولا يلتقط لقطته إلا مَنْ عَرَّفها ، ولا يُخْتَلَى خلاه . فقال العباس :

٢٠ إلا الإذخر فإنه لموتاهم . فقال ﷺ : إلا الإذخر / ، ولا هجرة ولكن جهاد ونِيَّة ، فإذا استنفرتم فانفروا . ٢٦٨

---

(١) كذا فى الأصول .

ثم نزل رسول الله ﷺ ومعه المفتاح فتَنَحَّى ناحية من المسجد فجلس ، وكان قد قبض السقاية من العباس فبَسَط العباسُ بن عبد المطلب يَده فقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله اجمع لنا الحجابة والسقاية . فقال رسول الله ﷺ : أعطيكم ماتُرْزَءُون فيه ولا أعطيكم ماترزءون منه . ثم قال : ادع لى عثمان . [فقام عثمان][1] بن عفان . [فقال : ادع لى عثمان . فقام عثمان بن طلحة][1] . وكان رسول الله ﷺ قال لعثمان بن طلحة [يوما][1] وهو بمكة يدعوه للإسلام ـــ ومع عثمان المفتاح ـــ فقال : لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت . فقال عثمان : لقد هلكت قريش إذًا وذلّت . فقال رسول الله ﷺ : بل عمرت وعزت يومئذ . قال عثمان فدعانى رسول الله ﷺ [بعد][1] أخذه المفتاح ، فذكرت قوله وماكان قال لى ، فأقبلت فاستقبلته ببشر واستقبلنى ببشر ، قال : خذوها يابنى أبى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، ياعثمان إن الله استأمنكم على بيته ، فخذوها بأمانة الله . قال عثمان : فلما وليت نادانى فرجعت إليه ، فقال : ألم يكن الذى قلت لك ؟ قال : فذكرت قوله لى بمكة ، فقلت : بلى أشهد أنك رسول الله ، فأعطاه المفتاح ـــ والنبى ﷺ مضطبع عليه يومئذ بثوبه ـــ وقال عليه الصلاة والسلام : غَيِّبوه [2] .

---

(١) إضافات عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ٢٦٧ .

(٢) وانظر مغازى الواقدى ٢ : ٨٣٧ ، ٨٣٨ .

وحانت صلاة الظهر فأمر النبى ﷺ بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة ليغيظ به المشركين ، وكانوا فوق رءوس الجبال وقد فرّ وجوههم وتغيّبوا خوفا أن يقتلوا ، ومنهم من يطلب الأمان ومنهم من أُمِّن . فلما أذّن بلال رفع صوته كأشد مايكون ، فلما قال : أشهد أن محمدا رسول الله . ٥ قالت جويرية بنت أبى جهل : قد لعمرى رفع لك ذكرك ، أما الصلاة فسنصلى ، والله مانُحِبُّ مَن قتل الأحبة أبدا ، ولقد جاء إلى أبى الذى كان جاء إلى محمد من النبوّة فردَّها ، ولم يُرِدْ خلاف قومه . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع بهذا اليوم — وكان أسيد مات قبل الفتح بيوم — وقال الحارث بن هشام : واثُكْلَاه / ، ليتنى مِتّ ٢٦٩ ١٠ قبل أن أسمع بلالا ينهق فوق الكعبة . وقال الحكم بن أبى العاص : هذا والله الحَدَث الجليل ؛ أن يصبح عبد بنى جمح ينهق على بنية أبى طلحة !! وقال سهيل بن عمرو : إن كان فى هذا سخط الله فسيغيّره الله . وقال أبو سفيان : أما أنا فلا أقول شيئا ؛ لوقلت شيئا لأخبرته هذه الحصاة ، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فأخبره خبرهم ، فأقبل حتى وقف ١٥ عليهم فقال : أما أنت يافلان فقلت كذا ، وأما أنت يافلان فقلت كذا . فقال أبو سفيان : أما أنا يارسول الله فما قلت شيئا . فضحك رسول الله ﷺ (١) .

وقال النبى ﷺ لخالد : لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟ فقال : هم بدأونا ، ووضعوا فينا السلاح ، وأسعرونا(٢) بالنبل ، وقد كففت يدى ٢٠ ما استطعت . فقال رسول الله ﷺ : قضاء الله خير .

(١) مغازى الواقدى ٢ : ٨٤٦ ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، والإمتاع ١ : ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الاكتفا ٢ : ٣٠٣ « وأشعرونا » . وفى الإمتاع ١ : ٣٨٨ « ورشقونا » .

ثم أتى النبى ﷺ الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه فجعل يحمد الله ويذكر الله بما شاء الله عز وجل أن يذكره ويدعوه ، والأنصار تحته يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ، ورأفة بعشيرته . وجاء الوحى ـــ وكان إذا جاء الوحى لم يخف على أصحابه ، وليس أحد منهم يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضى ـــ ٥
فلما قضى الوحى رفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال : يامعشر الأنصار ، قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ؟ قالوا : قلنا ذلك يارسول الله . قال ﷺ : كَلاَّ ، فما أُسَمَّى إذًا ؟! كلاّ ، إنى عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا مَحْياكم والممات مماتكم . فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ماقلنا الذى قلنا إلا الضَّنَّ بالله عز وجل ١٠
وبرسوله . قال : فإن الله جل وعلا ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم (١) .

وفرّ يومئذ صفوان بن أمية ، فاستأمن له عمير بن وهب الجمحى النبى ﷺ ، فأمنه وأعطاه عمامته التى دخل بها مكة ، فلحقه بها وهو يريد أن يركب البحر فرَدَّه ، فقال يارسول الله : اجعلنى بالخيار شهرين .
٢٧٠ قال : أنت بالخيار أربعة أشهر (٢) . / ١٥

وعكرمة بن أبى جهل ، فاستأمنت له زوجته أم حكيم ابنة الحارث ابن هشام ـــ بعد أن أسلمت ـــ من النبى ﷺ فأمَّنَه ، فلحقته باليمن فردَّته . وأقر رسولُ الله ﷺ صفوان وعكرمة مع امرأتيهما على نكاحهما الأوّل (٣) .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٨٣ ، والخصائص ٢ : ٧٩ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٣٣ . ٢٠
(٢) هذا اللفظ من م ، وعيون الأثر ٢ : ١٨٠ .
(٣) تاريخ الطبرى ٣ : ١٢٢ ، وعيون الأثر ٢ : ١٨٠ ، والإمتاع ١ : ٣٩٢ .

وسهيل بن عمرو بن عبد شمس ، أغلق بابه وأرسل ابنه فاستأمن له رسولَ الله ﷺ ، فقال : هو آمن بأمان الله عزّ وجلّ فليظهر . فأسلم بالجعرانة (١) .

وهبيرة بن أبى وهب المخزومى فَرَّ إلى نَجْرَان فمات بها مشركا ، ٥ وهو زوج أم هانىء(٢) .

وعبد الله بن الزبعرى (٣) .

واستتر حموان لأم هانىء وهما الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية (٤) أخو أم سلمة ــ وقيل : أحدهما جَعْدَة بن هبيرة والآخر عبد الله بن أبى المغيرة (٥) ــ فأجارتهما ، فجاء على رضى الله عنه يريد ١٠ قتلهما ، قالت أم هانىء : وأتيتُ النبى ﷺ وهو فى قُبَّتِهِ بالأبطح بأعلى مكة فلم أجده ، ووجدت فاطمة ؛ فلهى كانت أشد علىَّ فقالت : أتؤمنين الكفار وتجيرينهم ، وتفعلين وتفعلين . فلم ألبث أن جاء رسول الله ﷺ بوجهه رهجة الغبار . فقال : يافاطمة اسكبى

---

(١) الإمتاع ١ : ٣٩١ .

١٥ (٢) المرجع السابق .

(٣) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، والإمتاع ١ : ٣٩١ « أنه فر إلى نجران مع هبيرة بن أبى وهب ، فبعث حسان بن ثابت بشعر إليه فجاء ، ولما نظر رسول الله ﷺ قال : هذا ابن الزبعرى ومعه وجه فيه نور الإسلام فأسلم . »

(٤) كذا فى الأصول وسيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٦٩ ، وعيون الأثر ٢ : ٢٠ ١٧٧ .

(٥) وانظر الاختلاف فى أسماء من أجارتهما أم هانىء فى أخبار مكة للأزرقى ٢ : ١٦٢ ، وشفاء الغرام ٢ : ١٥١ ، والاستيعاب فى ترجمة الحارث ١ : ٣٠٢ ، وفى ترجمة عبد الله بن أبى ربيعة ٣ : ٨٩٦ .

لى غسلا . فسكبت له غسلا فى جفنة لكأنى أنظر أثر العجين فيها ، ثم سترت عليه بثوب فاغتسل ثم صلى فى ثوب واحد ـــ لَفًّا بين طرفيه ـــ ثمانى ركعات مارأيته صلاّها قبلها ولا بعدها ، فلما انصرف قلت : يارسول الله إنى قد أجرت حموين لى ، وإن ابن أمى عليا أراد قتلهما . فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك ، قد أجرنا من أجرت وأمّنا من أمنت . ٥

وقال النبى ﷺ لعائشة : إن قومك استقصروا فى بناء البيت ، ولولا حداثة عهد قومك بالكفر أَعَدْتُ فيه ماتركوه منه [فإن بدا لقومِكِ أن يبنوه فهلم لأريك ماتركوا منه ،] (١) فأراها قريبا من سبعة (٢) أذرع ، وجعلتُ لها بابين موضوعين بالأرض ؛ بابا شرقيا ١٠ وبابا غربيا ، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : لا . قال : تعززا ألا يدخلها أحد إلا من أرادوا ، فكانوا إذا كرهوا أن يدخلها الرجل يدعونه يرتقى حتى إذا كاد أن يدخل يدفعونه فيسقط (٣) .

وقالت : إن رسول الله ﷺ قال : ألم ترى إلى قومك حين بنوا البيت استقصروا عن قواعد إبراهيم !! فقالت : يارسول الله أَلاَ ١٥ تَرُدّها(٤) على / قواعده ؟ قال : لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت . ٢٧١

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٧٠ .

(٢) فى الأصول « تسع أذرع » والمثبت عن المرجع السابق .

(٣) فى الأصول « يدفعوه فسقط » والمثبت عن المرجع السابق ١ : ١٧١ .

(٤) فى ت « قالت يارسول الله ردها » وفى م « ألا ردها » والمثبت عن أخبار ٢٠ مكة للأزرقى ١ : ١٧١ .

وسَرَقَتْ فاطمةُ المَخْزُومِيّة (١) ، فأمر بقطعها ، فكلمه فيها أسامة بن زيد ؛ فأنكر عليه ذلك (٢) .

وبعث رسول الله ﷺ سراياه خارج الحرم ، وكانوا يغنمون ويروحون إليه .

٥ واستقرض النبى ﷺ فى الفتح من ثلاثة نَفَر مائة وثلاثين ألف [درهم](٣) ؛ من صفوان بن أُمَيّة خمسين ألف درهم ، ومن عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ، ومن حُوَيْطِب بن عبد العُزّى أربعين ألف درهم . فقسم ذلك بين أصحابه من أهل الضعف ، فيقع للرجل الخمسون (٤) الدرهم وأقل من ذلك وأكثر ، وبعث منه إلى بنى جذيمة ١٠ بطائفة .

ولما كان الغد من الفتح خطب النبىُّ ﷺ — بعد الظهر — الناس ؛ حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن مَكَّة حرَّمها الله تبارك وتعالى ولم يحرمها الناس ، فلا يحل لا مرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يَعضِد فيها شجرة ، فإن أحد ترخَّص بقتال رسول الله ﷺ فقولوا له إنّ ١٥ الله عز وجل أذِنَ لرسوله ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لى فى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهدُ الغائبَ(٥) .

---

(١) هى فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد المخزومية ، وانظر الاستيعاب ٤ : ١٨٩١ .

(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا لمغلطاى — مخطوط .

(٣) إضافة للتوضيح .

٢٠ (٤) فى الأصول « الخمسين » وفى مغازى الواقدى ٢ : ٨٦٣ ، والإمتاع ١ : ٣٩٥ « فيصيب الرجل خمسين درهما » .

(٥) الدرر ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٧٨ ، وشفاء الغرام ٢ : ١٢٢ ، والخصائص ٢ : ٨٦ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

ونادى منادى النبى ﷺ يوم الفتح بمكة : من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر فلا يَدَع فى بيته صنما إلا كَسَّره أو حَرَّقه ، وثمنه حرام . فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام ، وكان عكرمة بن أبى جهل ــ حين أسلم ــ لايسمع بصنم فى بيت من بيوت قريش إلا مشى إليه حتى كسره . ٥

وكان أبو تُجراة يعملها فى الجاهلية ويطوف بها ، فيشتريها أهل البلد فيزخرفون بها بيوتهم ، ولم يكن فى قريش رجل بمكة إلا وفى بيته صنم إذا دخل يمسحه وإذا خرج يمسحه تبركا به[١] .

ولما أسلمت هند بنت عتبة جعلت تضرب صنما فى بيتها بالقدوم فِلْذَةً فِلْذَةً ، وهى تقول : كُنَّا منك فى غُرُور [٢] . ١٠

ورأى الصحابة أيام الفتح عجوزا حبشية شمطاء تخمش وجهها ، وتدعو بالويل ، فقيل : يارسول الله ، رأينا عجوزا شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل . فقال صلى الله / عليه وسلم : ٢٧٢ تلك نائلة أَيِسَت أن تعبد ببلدكم هذا أبدا[٣] .

وجاء حسان إلى النبى ﷺ ــ وهو فى المسجد ــ فقال : ١٥ يارسول الله إيذن لى أن أقول ؛ فإنى لا أقول إلا حقا . قال : قل .

---

(١) مغازى الواقدى ٢ : ٨٧٠ ، ٨٧١ ، وأخبار مكة للأزرق ١ : ١٢٣ ، والإمتاع ١ : ٣٩٨ .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) الخصائص ٢ : ٨٣ ويلاحظ أنه مر عند تكسير إساف ونائله ص ٥٠٦ . ٢٠

فانشأ يقول :

شَهِـدتُ بإذْنِ اللهِ أنَّ محمـدا رسولُ الذى فوقَ السمواتِ مِن عَلُ

فقال النبى ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :ـ

وأَنَّ أَبَا يَحْيَى ويَحْيَى كليهما له عمـلٌ فى دِينِـهِ مُتَقَبَّـلُ

فقال النبى ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :ـ

وأن الـذى عاد اليهود ابـن مريم رسولٌ أتى من عندِ ذِى العَرْشِ مُرْسَلُ

فقال النبى ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :ـ

وأن أَخَا الأَحْقَافِ إذ يَعْذِلُونَه يجاهِدُ فى ذاتِ الإله ويَعْـدِل

فقال النبى ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :ـ

وأن التى بالجِزْع من بطن نَخْلَة ومَن دَانَها فِلٌّ مِنَ الحق مَعْزِلُ

فقال النبى ﷺ : وأنا أشهد .

التى بالجزع هى العُزَّى [١] .

وبعث رسول الله ﷺ السرايا إلى الأصنام التى حول مكة ، فكسّرت العزى وسواع ومناة وبوانة وذاكفين ، وفى كل وجه ، وأمرهم أن يغيروا على من لم يكن على الإسلام .

فخرج هشام بن العاص فى مائتين قِبَل يَلَمْلَم .

وخالد بن سعد بن العاص فى ثلاثمائة قبل عُرَنَة .

---

(١) وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٣٠٥ .

وخالد بن الوليد فى ثلاثين فارسا من أصحابه ـــ لخمس بقين من شهر رمضان إلى العُزّى [١] بنخلة ، وكانت لقريش وجميع بنى كنانة ، وكانت أعظم أصنامهم ، فكان سَدنتها ـــ من بنى سليم ـــ بنو شيبان . فلما انتهى إليها هدمها لخمس ليال بقين من رمضان ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فقال : أهدمت ؟ قال : نعم يارسول الله . قال : هل رأيت شيئا ؟ ٥
قال : لا . قال : ارجع فا هدمها فإنك لم تهدمها . فرجع خالد وهو متغيظ ، فلما انتهى [إليها][٢] جرّد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة
٢٧٣ شعرها قائمة عليهن كأنها تنوح / عليهن ، فجعل السادن يصيح بها . قال خالد ـــ وأخذنى اقشعرار فى ظهرى ـــ فجعل يصيح بها ويقول :

أَعُزَّى شُدِّى شَدَّةً لاتكذبى أَعُزّى ألقى القِنَاع وشَمِّرِى ١٠
أَعُزّ إنْ لَمْ تَقْتُلِى المرءَ خالدا فَبُوئِى بِذَنْبٍ عاجِلٍ وتَنَصَّرِى[٣]

وأقبل خالد بن الوليد بالسيف إليها وهو يقول :

[ياعُزُّ][٤] كُفْرَانَكِ لاسُبْحَانَكِ إنى رأيتُ اللهَ قد أهـــانكِ

فضربها بالسيف فجزلها باثنين ، ثم رجع إلى النبى ﷺ فأخبره ، فقال : نعم تلك العُزَّى ، وقد أَيِسَت أن تعبد ببلادكم أبدا . ١٥
ثم قال خالد : يارسول الله ، الحمد لله الذى أكرمنا وأنقذنا بك من

---

(١) العزى : هى ثلاث شجرات سمرات بنخلة . (أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٢٦) ويقال صنم ، ويقال نخلات أى سمرات مجتمعه وعليها بناء . (السيرة الحلبية ٣ : ٢٠٨) ، وانظر الأصنام لابن الكلبى ص ١٨ ـــ ٢٧ .
(٢) إضافة عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٢٧ . ٢٠
(٣) وانظر الشعر فى الأصنام ٢٦ وهوامشها .
(٤) سقط فى الأصول والمثبت عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٢٨ ، والأصنام ٢٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٥٩٧ .

الهلكة [١] ، لقد كنت أرى أبى يأتى العُزَّى بخير ماله من الإبل والغنم فيذبحها للعزى ، ثم يقيم عندها ثلاثا ، ثم ينصرف إلينا مسرورا ، ونظرت إلى مامات عليها أبى وإلى ذلك الرأى الذى كان يُعَاشُ فى فضله ، وكيف خُدِعَ حتى صار يذبح لِمَا لَا يَسْمَعُ ولا يبصر ، ولا يضرّ ولا ينفع !! فقال رسول الله ﷺ : إن هذا الأمر إلى الله تعالى ، فمن يَسَّرَه للهُدَى تَيَسَّرله ، ومن يَسَّره للضلالة كان فيها . وكان من سدنة العُزّى أفلح بن النضر السلمى من بنى سليم ، فلما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعوده — وهو حزين — فقال [له] [٢] : ما لى أراك حزينا ؟ قال : أخاف أن تضيع العُزَّى من بعدى . قال له أبولهب : فلا تحزن فأنا أقوم عليها بعدك . فجعل أبولهب يقول لكل من لقى : إن تظهر العُزَّى [كنت][٢] قد اتخذت عندها يدا بقيامى عليها ، وإنْ يظهر محمد على العُزَّى — وما أراه أن يظهر — فابن أخى ، فأنزل الله ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبّ ﴾[٣] .

وبعث عمرو بن العاص فى شهر رمضان إلى سُوَاع[٤] —

(١) فى الأصول « الهلك » والمثبت عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٢٨ .

(٢) إضافة عن المرجع السابق .

(٣) سورة المسد آية ١ .

(٤) سواع : صنم سمى باسم سواع بن نوح عليه السلام وكان على صورة امرأة . (السيرة الحلبية ٣ : ٢٠٩) ، وفى شرح المواهب ٢ : ٣٤٨ قال ابن جرير سواع بن شيث ابن آدم لما مات صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا فى دعائه من الإجابة .

بُرهَاط : قرية جامعة على ثلاثة [١] أميال من مكة ـــ وهو صنم
٢٧٤ هذيل / وكانوا يحجون إليه ، فأتاه وعنده السادن فقال له : ماتريد ؟
قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أهدمه . قال : لا تقدر على هدمه ؛
إنك تُمْنَع . فقال له : حتى الآن أنت على الباطل !! ويحك هل
يسمع أو يبصر ؟! ودنا منه فكَسَّرَه ، وأمر أصحابه فهدموا بيت ٥
خزانته ، فلم يجدوا فيه شيئا ، ثم قال للسادن : كيف رأيت ؟ فقال :
أسلمت لله عز وجل [٢] .

وسعد[٣] بن زيد الأشهلى فى عشرين فارسا ، فى شهر
رمضان إلى مَنَاة[٤] بالمُشَلَّل ـــ ثَنِيَّة مشرفة على قُدَيد ـــ وكانت
للأوس والخزرج وغسّان ، فانتهى إليها وعندها سادنها ، فقال له : ١٠
ماتريد ؟ قال : هدمها . فقال : أنتَ وذاك . فأقبل يمشى إليها ،

---

(١) كذا فى الأصول . وفى الأصنام ٩ ، ١٠ « برهاط من أرض ينبع ، وينبع عرض من أعراض المدينة » وكذا قال ياقوت فى معجم البلدان ولكنه فى آخر خبر سواع قال : رهاط من بطن نخله . وفى مراصد الاطلاع رهاط موضع على ثلاث ليال من مكة ، قرية على طريق المدينة بواد يقال له غران . وبأرض ينبع على ماقيل رهاط منها كان سواع ١٥ صنم هذيل . وفى شرح المواهب ٢ : ٣٤٩ « رهاط قرية جامعة بساحل البحر على ثلاثة أميال من مكة .»

(٢) مغازى الواقدى ٢ : ٨٧٠ ، وعيون الأثر ٢ : ١٨٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) فى الأصول « سعيد » والمثبت عن المراجع السابقة وطبقات ابن سعد ٢ : ٢٠ ١٤٦ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٢٠٩ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٤٩ ، والإمتاع ١ : ٣٩٨ .

(٤) مناة : صنم فى جهة البحر مما يلى قديدا بالمشلل على سبعة أميال من المدينة ، وقيل صخرة لهذيل بقديد . (معجم البلدان ياقوت)

وخرجت إليه امرأة سوداء ثائرة الرأس عُرْيَانة تضرب صدرها وتدعو بالويل . فقال لها السادن : مناةُ دُونَك بَعْض عُصَاتك [١] ، فضربها سعدٌ فقتلها ، وأقبل ومعه أصحابه إلى الصّنم فهدموه ، ولم يجدوا فى خزانتها شيئا وانصرف راجعا إلى رسول الله ﷺ لست بقين من رمضان .

٥ وقدم على النبى ﷺ بعد الفتح وفد باهلة ؛ مطرف بن الكاهن فأسلم وأخذ لقومه أمانا ، ثم قدم نهشل بن مالك الوائلى من باهلة[٢] .

ووفد ثُمَالة : عبد الله بن عَلَس الثُّمَالى فى جماعة من قومه فبايعوا وأسلموا[٣] .

ووفد الحُدَّان : مُسْلِيَة بن هِزّان الحُدّانى فى عصابة من قومه ١٠ فأسلموا وبايعوا[٣] .

وبعث النبى ﷺ خالد بن الوليد ــ بعد عوده من هَدْمِ العُزّى ــ إلى بنى جُذيمة بن عامر بن عبد مناة بأسفل مكة على ليلة منها بناحية يَلَمْلَم[٤] ويعرف بيوم الغُمَيْصَاء [٥] ، دَاعياً للإسلام لا مقاتلا ، فى ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبنى سليم ، فانتهى إليهم

---

١٥ (١) كذا فى الأصول ، وعيون الأثر ٢ : ١٨٥ ، وشرح المواهب ٢ : ٣٤٩ . وفى طبقات ابن سعد ٢ : ١٤٧ ، والخصائص ٢ : ٨٥ « غضباتك » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٣٠٧ .

(٣) طبقات ابن سعد ١ : ٣٥٣ .

(٤) يلملم : واد جنوب غربى الطائف على ثلاثين كليو منها ، وهو ميقات أهل ٢٠ اليمن ، يصب فى البحر جنوب جدة على مرحلتين ، وسيله يمر جنوب مكة على مائة كليو ، وانظر معجم مااستعجم ، ومعجم البلدان ، ومراصد الاطلاع ، ومعالم مكة للبلادى .

(٥) الغميصاء : موضع قرب مكة جنوبها يسكنه بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة . (المراجع السابقة) .

ودعاهم للإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فقالوا : صَبَأْنا ، فاستأسرهم ودفع إلى كل رجل من أصحابه أسيرا . ويقال إنه لما انتهى إليهم [قال : ماأنتم][(١)] قالوا : مسلمون قد صَلَّيْنا وصَدَّقْنا بمحمد وبَنَيْنا المساجد فى ساحاتنا وأَذَّنَّا فيها . فقال لهم : فما بال السلاح عليكم ؟ فقالوا : إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة ؛ فخفنا أن تكونوا هم ، فأخذنا ٥ السلاح . فقال لهم : ضعوا السلاح . فوضعوه ، فقال لهم : أستأسروا . فاستأسر القوم ، فأمر بعضهم فكَتَّفَ[(٢)] بعضا وفَرَّقهم فى أصحابه . فلما كان بالسحر نادى خالد : من كان معه أسير فليذافه — وهى بالذال المعجمة والفاء : الإجهاز بالسيف — فقتلت بنو سليم من كان فى أيديهم ، وامتنع من ذلك المهاجرون والأنصار فأرسلوهم . ١٠

فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فبعث على بن أبى طالب بمالٍ فَوَدَى به قتلاهم ، وما ذهب لهم حتى وَدَى لهم ميلغة[(٣)] الكلب ، وبقيت معه بقيّة من المال فدفعها إليهم وقال : هذا احتياط لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ولا تعلمون . ثم رجع إلى النبى ﷺ فأخبره فقال : أَصَبْتَ وأَحْسَنْتَ ، ثم قام فاستقبل القبلة وشهر يَدَيْه حتى إنه لَيُرَى ماتحت ١٥ منكبيه ، فقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد — ثلاث مرات .

---

(١) إضافة عن طبقات ابن سعد ٢ : ١٤٧ ، وعيون الأثر ٢ : ١٨٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٩٧ ، وشرح المواهب ٣ : ٢ .

(٢) فى الأصول « يكتف » والمثبت عن المراجع السابقة . ٢٠

(٣) الميلغة : الإناء يلغ — يشرب — فيه الكلب . (السيرة الحلبية ٣ : ٢١٠ ، والمعجم الوسيط) .

ويقال : إن يوم فتح مكة قدم على النبى ﷺ — وهو بالأبطح — أخت حليمة معها أخت زوجها ، فأهدت إليه جِرَاباً فيه أَقِط ونِحْىَ سَمْن ، فسأل أخت حليمة عن حليمة ، فأخبرته بموتها ، فذرفت عيناه ، وسألها عَمَّن خلّفت[١] ، فأخبرته بخلّة وحاجة ، فأمر لها بكسوة وجمل ، وأعطاها مائتى درهم وَافِيَة ، فانصرفت وهى تقول : نعم المكفول أنت صغيرا وكبيرا .

ويقال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة أتى جِذْمَ قبر فجلس إليه — والناس حوله — فجعل كهيئة المخاطب ، ثم قام وهو يبكى ، فاستقبله عمر — وكان من أجرإ الناس عليه — فقال : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ما الذى أبكاك ؟ قال : هذا قبر أمى سألت [ربى][٢] الزيارة فأذن لى ، وسألته الاستغفار فلم يأذن لى ، فذكرتها فرققت فبكيت . فلم ير كان أكثر باكيا من يومئذ . وهذا غلط ؛ / فليس قبرها بمكة وإنما قبرها بالأبواء . وإن صح أنها بمكة [٣] فلعلها حملت من الأبواء إلى مكة فدفنت بها .

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بضع عشرة ليلة — وقيل سبع عشرة

---

(١) وفى مغازى الواقدى ٢ : ٨٦٩ « وسألها : من بقى منهم ؟ فقالت : أخواك وأختاك وهم والله محتاجون إلى برك وصلتك ولقد كان لهم موئل فذهب » . وانظر الإمتاع ١ : ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٢) إضافة عن تاريخ الخميس ١ : ٢٣٥ .

(٣) وفى السيرة الحلبية ١ : ١٧٢ ، ١٧٣ « وقيل دفنت فى دار رابغة بمكة . وقيل دفنت بالحجون بشعب أبى ذؤيب » .

وقيل خمس عشرة ، وقيل ثمان عشرة ، وقيل تسع عشرة ، ويقال عشرين — وقيل غير ذلك يقصر الصلاة [١] .

وقيل للنبى ﷺ يوم الفتح : ألا تنزل منزلك من الشعب ؟ قال : وهل ترك لنا عقيل منزلا ؟! وكان عقيل قد باع منزل النبى ﷺ ومنازل إخوته من الرجال والنساء بمكة حين هاجروا ، ومنزل كل مهاجر من بنى هاشم . فقيل يارسول الله فانزل في بعض بيوت مكة فى غير منزلك . فأبى رسول الله ﷺ وقال : لا أدخل البيوت . فلم يزل مضطربا فى الحجون لم يدخل بيتا ، وكان يأتى المسجد من الحجون لكل صلاة [٢] .

وفيها فى يوم السبت لست ليال خلون من شوال — وقيل للتلتين بقيتا من رمضان — كانت غزوة هوازن بِحُنَيْن — واد فيه ماء قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ينسب إلى حنين ابن قانية بن مهلائيل من جرهم — وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة بلغه أن أشراف هَوَازِن وثقيف مَشَى بعضُهم إلى بعض فجمعوا وحشدوا ، ورئيسهم مالك بن عوف النصرى وهو يومئذ ابن ثلاثين عاما ، واجتمعوا حتى نزلوا أوطاس — وأميرهم مالك — فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم ، وخرجوا معهم بدُرَيْد بن الصِّمَّة شيخ كبير استصحبوه تَيَمُّناً برأيه ومعرفته ، والأمداد تأتيهم ، وأجمعوا المسير

(١) الإمتاع ١ : ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٥٨ .
(٢) مغازى الواقدى ٢ : ٨٢٩ ، والإمتاع ١ : ٣٨١ .

إلى النبى ﷺ ، فبعث النبىُّ ﷺ عبد الله بن أبى حَدْرَد ليأتيه بخبرهم فانطلق ودخل عسكرهم فطاف به وأقام فيهم يوما أو يومين ، ثم أتى النبى ﷺ بماقد أجمعوا عليه من حربه ــ وقيل إنه بعثه حين نزل بحُنَيْن ــ فأجمع على المسير إليهم ، وقيل له : إن عند صفوان بن ٥ أمّية أدراعا وسلاحا . فطلبها النبى ﷺ ، فقال : أغَصْبًا يامحمد ؟! قال : لا بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك . قال / : ليس بهذا ٢٧٧ بأس . وأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، ويقال إن النبى ﷺ قال له : اكفنا حملها . ففعل [1] .

وأعان رسولَ الله ﷺ نوفلُ بن الحارث بن عبد المطلب بثلاثة ١٠ آلاف رمح ، فقال له النبى ﷺ : كأنى أنظر إلى رماحكم ياأبا الحارث تقصف أصلاب المشركين [2] .

وخرج النبى ﷺ فى أصحابه الذين شهدوا الفتح ، واجتمع عليه من أهل مكة ألفان ، فكانوا اثنى عشر ألفا من المسلمين ، وخرج جماعة من المشركين من أهل مكة ركبانا ومشاة ، حتى خرج ١٥ النساء يمشين على غير دين ينظرون ويرجون الغنائم ، فنزل النبىُّ ﷺ بالمُحَصَّب فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى مكة أقرب ، وكان النبىُّ ﷺ قال حين أراد حُنَيْنًا : منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر . واستعمل النبى ﷺ على أهل مكة معاذ

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٩١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦١٣ .

٢٠ (٢) السيرة الحلبية ٣ : ٦٢ ، ٦٣ ، وشرح المواهب ٣ : ٦ ، ٧ .

ابن جَبَل الأنصارى يُعَلِّمُ القرآن الناس ويفقههم فى الدين ، والصحيح أنه إنما استعمل عَتَّابَ بن أَسِيد بن أبى العيص بن أمَية بن عبد شمس ، ثم مضى يريد لقاء هَوَازِن ، فرأى نفرٌ من جهال العرب — فيهم الحارث بن مالك — شجرةً خضراء ، ويقال سِدْرَة تسمى ذات أنواط ، تسايرهم من جانب الطريق ، وكان المشركون يعظمونها ، ويعلقون عليها أسلحتهم ، ويجتمعون ويذبحون عندها فى يوم معلوم من السنة ، بل ومَن يَمُرّ عليها يريد الحج يضع رداءه عندها ، ويدخل بغير رداء[1] تعظيما لها ، فقالوا : يارسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال النبى ﷺ : الله أكبر ، قُلْتُم كما قال بنو إسرائيل قوم موسى ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَة قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[2] لتركبن سَنَن مَن كان قبلكم . وأطنبوا السيرَ حتى كان عَشِيَّةً فحضرت صلاةُ الظهر عند النبى ﷺ ، فجاء رجل فارس فقال : يارسول الله ، إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن — على بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم — اجتمعوا إلى حنين . فتبسّم رسول الله ﷺ وقال : تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله تعالى . ثم قال ﷺ : من يَحْرُسُنا الليلةَ ؟ / قال أنس بن أبى مرثد الغنوى : أنا يارسول الله . قال : فاركب . فركب فرسه وجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه ، ولا

(١) فى الأصول « زاده » والمثبت عن مغازى الواقدى ٣ : ٨٩١ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

نُغَرَّن من قبلك الليلة . فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مُصَلاَّه (١) فركع ركعتين ، ثم قال : هل أحسستم فارسكم ؟ قالوا : يارسول الله ما أحسسنا . فثوّب بالصلاة ، فجعل رسول الله ﷺ يصلى وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته وسلّمَ قال : أبشروا فقد جاء فارسكم . فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر فى الشعب إذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ . فقال : إنى انطلقت حتى كنت فى أعلى هذا الشعب ؛ حيث أمرنى رسول الله ﷺ ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما ، فنظرتُ فلم أر أحدا . فقال له رسول الله ﷺ : هل نزلت الليلة ؟ قال : لا ، إلا مَصَلّياً أو قاضيا حاجة . فقال رسول الله ﷺ : قد أوجبت فلا عليك ألاَّ تعمل بعدها .

وانتهى رسول الله ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ خَلَوْن من شوال ، ويقال ليلة الاثنين خامس عشره .

وأرسل مالك بن عوف ثلاثة عيون يأتونه بخبر رسول الله ﷺ وأصحابه ، فرأوا رجالا بيضا على خيل بلق ، فلم يتماسكوا أن وَلَّوْا — وقد تفرقت أوصالهم من الرعب — حتى أَتَوْهُ فأخبروه الخبر ، فلم يرده ذلك ، ولما كان الليل عبّأ أصحابه وأمرهم بالحملة جميعا وأوعز إليهم فى ذلك ، وكان جاء بالصبيان والنساء والإبل والغنم والنعم ، فجعلوها صفين ليكثروا على رسول الله ﷺ .

(١) فى الأصول « إلى أن صلى » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦١٧ ، وشرح المواهب ٣ : ٩ .

وعبّأ رسول الله ﷺ أصحابه فى السَّحَر ، وصَفَّهم صفوفا . ووضع الألوية والرايات فى أهلها ، مع المهاجرين لواء يحمله على بن أبى طالب ، وراية يحملها سعد بن أبى وَقَّاص ، وراية يحملها عمر بن الخطاب ، ولواء الخزرج يحمله حُبَاب بن المنذر ـــ ويقال لواء الخزرج الآخر مع سعد بن عُبَادَة ـــ ولواء الأوس مع أسيد بن حضير ، وفى ٥
٢٧٩ كل بطن من الأوس / والخزرج لواء أو راية يحملها رجل مُسَمَّى ، وكذلك قبائل العرب فيها الألوية والرايات يحملها قوم مسمون منهم . وكان رسول الله ﷺ قد قدَّم بنى سليم حين خرج من مكة ، واستعمل عليهم خالد بن الوليد ، فلم يزل على مقدمته حتى جاء الجعرانة ، وانحدر رسول الله ﷺ فى وادى حُنَيْن على تعبئته ، ولما ١٠
تصافوا للقتال ظاهر ﷺ بين دِرْعَين ولبس مِغْفَره وبَيْضَتَه ، وركب بغلة له شهباء ـــ وقيل بيضاء ـــ تدعى دُلْدُل ، أهداها له فَرْوَةُ بن نُفَاثَة ـــ أو ابن نعامة ـــ الجُذَامى .

ورأى بعضُ الصحابة ـــ ويقال إنه الصديق ، ويقال سلمة بن سلامة ابن وَقْش ـــ كثرةَ العساكر فقال : لن نُغْلَبَ اليومَ مِن قِلَّة ، ١٥
وفشا ذلك للنبى ﷺ ، فأنزل الله عَزّ وجَلَّ ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾(١) وصبَّحهم النبى ﷺ بالقتال ، فاستقبلهم من هوازن فَيْءٌ لم يَرَوْا مِثله قطّ من السواد والكثرة ، وخرجت الكتائب من مَضِيق الوادى وشُعَبِه ، فَشَدّ عليهم المشركون شَدَّةً واحدة فانكشفت خيلُ بنى سليم مولية ، وتبعهم أهل مكة والناس منهزمين ، ٢٠

(١) سورة التوبة آية ٢٥ .

فطفق النبى ﷺ يُرْكِضُ بغلته قِبَلَ الكفار ، والعباس آخذ بلجام بغلة النبى ﷺ يَكُفُّها إرادة ألاَّ تُسْرِع ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركاب رسول الله ﷺ [ورسول الله ﷺ][1] يقول : يا عباد الله أنا عبد الله ورسول الله . ثم قال : يامعشر أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله ، يا أيها الناس إنى أنا عبد الله ورسوله . ورجع رسول الله ﷺ إلى العسكر ، وثاب إليه من انهزم ، ولم يثبت معه يومئذ غير عشرة ؛ وفى ذلك يقول العباس بن عبد المطلب :ـــ

نصرنا رسول الله فى الحرب تسعة ... [2] وقد فر من قد فرعنه فأقشعوا [2]

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... لما مَسَّه فى الله لا يتوجع

ويقال [3] ثمانية وأبدل تسعة وعاشرنا بثامننا [3] ، ويقال ثمانين ، والذى نقل لنا وسُمِّىَ أبوبكر الصديق ، وعمر الفاروق ، والعباس بن عبد المطلب ، وابنه الفضل / وعلىٌّ ، وعقيل ابنا أبى طالب ، وأبو سفيان وربيعة ابنا الحارث بن عبد المطلب ، وجعفر بن أبى سُفْيَان ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، والزُّبَيْر بن العوام ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد ـــ وقتل يومئذ ـــ ويقال نَوْفَل بين الحارث بن المطلب [4] .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق وأنظر السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٩ ، والإمتاع ١ : ٤٠٦ ، وشرح المواهب ٣ : ١٤ .

(٢) فى الأصول كلمات لامعنى لها ولا يستقيم بها الوزن والمثبت من شرح المواهب ٣ : ١٩

(٣) كذا فى الأصول . وكان على المصنف أن يقول « وأبدل بتسعة ، وعاشرنا سبعة ، وثامنتا » .

(٤) وانظر من كان مع النبى ﷺ ثابتا لم يفر وعددهم فى الإمتاع ١ : ٤٠٦ ـــ ٤٠٨ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٢ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٥ ، وشرح المواهب ٣ : ١٨ ، ١٩ .

وبقى من بقى مع النبى ﷺ لم يولوا الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، والنبى ﷺ على بغلته يمضى قدما ، فحادت بغلته فمال عن السرج ، فشَدَّ نحوه ابن مسعود وقال : ارتفع رفعك الله . فقال النبى ﷺ لابن مسعود : نَاوِلْنِى كَفًّا من تُرَاب . فناوله ، فضرب به وجوههم ؛ فامتلأت أعينهم ترابا ، وقال النبى ﷺ : أين المهاجرون والأنصار ؟ فقال ابن مسعود : هم هنا : قال : اهتف بهم . فهتف بهم ، فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها [١] الشُّهُب .

ويقال إنه لما فلّ المسلمون أمَرَ النبىُّ ﷺ عمه العباس ــ وكان جهير الصوت صيِّتاً ــ فقال : أى عباس ، نادِ [يا][٢] أصحاب الشجرة ، ياأصحاب سورة البقرة . فنادى : يامعشر الأنصار ، يامعشر أصحاب الشجرة [٣] ، ياأصحاب سورة البقرة [٤] ، يامعشر المهاجرين . فأقبلوا على النبى ﷺ كأنهم الإبل إذا حنّت على أولادها ، أو قال : فرجعوا عطفة كعطفة البقر على أولادها[٥] ،

---

(١) فى الأصول « كأنهم الشهب » والمثبت عن الوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٧٠٣ ، وشرح المواهب ٣ : ١٥ .

(٢) إضافة عن شرح المواهب ٣ : ١٢ .

(٣) أى الذين بايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة . تاريخ الخميس ٢ : ١٠٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٥ .

(٤) وخص سورة البقرة بالذكر لأنها أول سورة نزلت فى المدينة ، ولأن فيها ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ وفيها ﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ﴾ وفيها ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ السيرة الحلبية ٣ : ٦٦ ، وشرح المواهب ٣ : ١٢ .

(٥) وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٧ ، وشرح المواهب ٣ : ١٢ « لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولاده » .

يقولون : يا لَبَّيْكاه . فاقتتلوا هم والكفار ، وارتفعت الأصوات ، [١] والدعوة فى الأنصار يقولون : يامعشر الأنصار . ثم قصرت الدعوة فى الأنصار يقولون يامعشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث ابن الخزرج يقولون يابنى الحارث بن الخزرج [١] . فنظر النبى ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ : ([٢]هذا حين حمى الوطيس[٢]) ، ([٣]قدما ياعباس[٣]) ، ثم أخذ حصيات فرمى بهن [فى وجوه الكفار][٤] وكان العباس وأبو سفيان ابن الحارث آخذين بلجام بغلة النبى ﷺ يَكُفَّانها عن الإسراع والتقدم إلى العدو ، والنبى ﷺ يقول :ـــ

أنا النبىُّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب

---

(١) كذا فى الأصول ، ويبدو أن فى العبارة تكرارا . وفى تاريخ الطبرى ٣ : ١٢٩ ومغازى الواقدى ٣ : ٨٩٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٥ « فاقتتلوا فكانت الدعوة أولا يا للأنصار ، ثم جعلت أخيرا يا للخزرج . وكانوا صبرا عند الحرب . وعبارة ابن كثير فى ٣ : ٦٢٧ « والدعوة فى الأنصار يقولون : يامعشر الأنصار ، ثم قصرت الدعوة على بنى الحارب بن الخزرج فقالوا : يابنى الحارث بن الخزرج . »

(٢) كذا فى الأصول والوفا بأحوال المصطفى ٢ : ٧٠٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٨ . وفى مغازى الواقدى ٣ : ٨٩٩ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٢٩ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٥١ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٣ « الآن حمى الوطيس » والوطيس حجارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم ، وهو فى الأصل التنور ـــ وقد أصبح مثلا يضرب لشدة الحرب . (السيرة الحلبية ٣ : ٦٦) .

(٣) لم ترد هذه العبارة فى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٧ ، ٦٢٨ ولا فى أى من المراجع السابقة .

(٤) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٢٨ .

ويقال : إن على بن أبى طالب كان على فرس رسول الله صلى
٢٨١ الله / عليه وسلم يضرب بسيفه ويرتجز ويقول :

هذا النبى لا كذب   هذا ابن عبد المطلب

ويقال : إن المسلمين لما لقوا هوازن وحملوا عليهم انهزموا ، فأقبل
المسلمون على الغنائم فاستقبلتهم هوازن بالسهام ، فانهزم الناس [١] .   ٥

ويقال : إن المسلمين أقبلوا لا يعملون بخبر القوم الذين خُبِّئُوا
فاستقبلوا وادى حنين فى غيابة الصّبح ، وهو واد أجوف من أودية
تهامة ، إنما ينحدرون فيه انحدارا ، فإن الناس ليتتابعون لايعلمون بشيء
إذ فجأتهم الكتائب من كل ناحية فلم ينتظر الناسُ أن انهزموا
راجعين ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين وقال : أين أيها الناس ؟!
أنا رسول الله ــ ﷺ ــ أنا محمد بن عبد الله . وكان أخو [٢]
صفوان بن أمية لأمه قال : ألاَ بَطَلَ السحرُ اليوم . وكان صفوان بن
أمية يومئذ مشركا فى المدة التى ضرب له رسول الله ﷺ ، فقال له
صفوان بن أُمَيّة : آسْكُت فَضّ الله فاك : ؛ لأن يلينى [٣] رجل من
قريش أحب إلى من أن يلينى[٣] رجل من هوازن .   ١٥

وكان أمام هوازن رجلٌ ضخم على جمل أحمر فى يده راية

---

(١) شرح المواهب ٣ : ١٦ .

(٢) هو كلدة بن حنبل . (سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٩٤ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩١٠ وتاريخ الطبرى ٣ : ١٢٨ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٠ ، والإمتاع ١ : ٤١٢ .)

(٣) وفى المراجع السابقة « يربنى » .   ٢٠

سوداء (١) إذا أدرك طعن بها ، وإذا فاته شيء بين يديه رفعها لمن خلفه ، فَرَصَد له علىّ بن أبي طالب ورجلٌ من الأنصار كلاهما يريده ، فضرب علىٌّ عرقوب الجمل فوقع على عجزه ، وضرب الأنصارى ساقه فطرح قدمه بنصف ساقه فوقع .

٥ ويقال : إن النبى ﷺ نظر إلى رجل من هوازن على جمل صغير معه راية المشركين ، لايلحق رجلا إلا طعنه ، فقال النبى ﷺ للعباس : ياعمّ إنْ يُقْتَل صاحبُ الراية يَنْهَزِم القوم . ثم توجّه علىٌّ حتى استدار إلى عجز البعير ، ثم قام قائما على الفرس فضربه بالسيف ، ومَرَّ به وأخذ الراية .

١٠ واقتتل الناس قتالا شديدا فقال النبى ﷺ لبغلته : الْبَدِى(٢) ، فوضعت بطنها على الأرض ، فأخذ / حِفْنَة من تراب — ٢٨٢ ويقال إنه قال للعباس أو لابن مسعود : ناولنى حصباء من الأرض ، أو كَفًّا من تراب ، فناوله ، ويقال : إن النبى ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب (٣) فرمى بها فى وجوههم ، وقال : شاهت ١٥ الوجوه . ثم قال ﷺ : انهزِمُوا ورَبِّ محمد — أو قال ورَبِّ

---

(١) وفى تاريخ الطبرى ٣ : ١٢٨ ، والاكتفا ٢ : ٣٢٧ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٠ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦١٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٩ « راية سوداء فى رأس رمح طويل وهوازن خلفه إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه » .

٢٠ (٢) فى الأصول « لبدى » والمثبت عن تاريخ الطبرى ٣ : ١٣٠ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٦٨ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٤ .

(٣) وانظر عيون الأثر ٢ : ١٩٢ ، وشرح المواهب ٣ : ١٣ — ١٥ .

الكعبة ــ فلم يبق منهم إنسان إلاّ امتلأت عيناه وفَمُه من ذلك التراب ؛ فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمَارَمَيْتَ إِذْرَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى ﴾[(١)]

وخرج النبى ﷺ فى إثرهم وهو على بغلته ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فانهزموا لايلوى أحد منهم على الآخر ، وتفرقوا فى كل وجه . وأمر النبىُّ ﷺ بقتل من قَدَرُوا عليه منهم ، فَحَنَق[(٢)] عليهم المسلمون واتبعوهم يقتلونهم حتى أفضوا فى القتل إلى الذُّرِّيّة . فبلغ ذلك النبى ﷺ فنهى عن ذلك ، وقال من قتل كافرا فله سلبه . فقتلوا منهم اثنين وتسعين [(٣)] ؛ قَتَلَ أبو طلحة يومئذ عشرين رجلا وأخذ سلاحهم .

وضرب أبو قَتَادَة رجلا على حبل العاتق وعليه دِرْع [قال أبو قتادة][(٤)] فأعجلت عنه أن آخذها فانظر مع من هى . فقام رجل فقال : يارسول الله أنا أخذتها فأرضه منها [(٥)] وأعطنيها . فسكت رسول الله ﷺ ــ وكان لا يُسْأَل شيئا إلا أعطاه أو سكت ــ فقال عمر[(٦)] :

---

(١) سورة الأنفال آية ١٧ . وانظر الدرر ص ٢٤٠ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٤ .

(٢) فى الأصول « فحلق » والمثبت عن طبقات ابن سعد ٢ : ١٥١ ، والإمتاع ١ : ٤٠٩ ، وشرح المواهب ٣ : ٢١ .

(٣) وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٩٩ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٤ « قتل منهم سبعون رجلا » . وفى الإمتاع ١ : ٤١٠ « قتل منهم قرابة المائة » .

(٤) إضافة يستقيم بها السياق ــ وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٩٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩٢ « قال أبو قتادة : يارسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب واجهضنى عنه القتال فما أدرى من استلبه » .

(٥) كذا فى الأصول . وفى مغازى الواقدى ٣ : ٩٠٨ « فأرضه منى » . وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٩٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٧٢ « فأرضه عنى من سلبه » .

(٦) وفى المراجع السابقة أن الذى اعترض على ترضيه أبى قتادة عن سلبه هو أبوبكر رضى الله عنه ، والخبر هناك أطول مما هنا .

لايفيئها الله على أسد من أسده ويعطيكها !! فضحك رسول الله ﷺ وقال : صَدَق عمر .

واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة(١) .

وممن ثبت مع النبى ﷺ [أمّ سُلَيْم](٢) وبيدها خنجر فقال لها أبو طلحة : ما تفعلين به ؟ قالت : أبعج به من قرب منى من الكفار . فتبسم رسول الله ﷺ ــ وقيل قالت : أردت أن أقتل به الطلقاء أن انهزموا عنك (٣) ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله قد كفى وأحسن .

وكان خالد بن الوليد بن المغيرة جرح يومئذ ، وكان على / خيل رسول الله ﷺ ، وبعد أن هزم الله الكفار ورجع المسلمون إلى رحالهم مشى النبى ﷺ فى المسلمين وهو يقول : من يدل على رحل خالد بن الوليد (٤) ؟ ٢٨٣

فبينا هو كذلك إذ أتى برجل قد شرب خمرا ، فقال النبى ﷺ : اضربوه فمنهم من ضربه بالنعال ، ومنهم من ضربه بالعصا ،

---

(١) وهم كما فى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٠٦ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٢٢ « أيمن ابن عبيد ، وسراقة بن الحارث ، ورقيم بن ثابت بن ثعلبة ، وأبو عامر الأشعرى » . وانظر الدرر ٢٤٢ ، وشرح المواهب ٣ : ٢٤ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق ، وهى أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ابن جندب الأنصارية . وهى أم أنس خادم رسول الله ﷺ ، اشتهرت بكنيها واختلف فى إسمها فقيل سهلة وقيل رميلة ، وقيل رميثة ، وقيل مليكة ، وقيل العميصاء أو الرميصاء . (الإصابة ٤ : ٤٦١)

(٣) فى الأصول « بك » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٨٩٦ .

(٤) مغازى الواقدى ٣ : ٩٢٢ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٧٤ ، ٧٥ وفيها « حتى دل عليه فوجده قد أسند إلى مؤخرة رحله ؛ لأنه قد أثقل بالجراحة فتفل النبى ﷺ فى جرحه فبرأ » .

ومنهم من ضربه بالمتيخة[١] ــ يعنى الجريدة الرطبة ــ وأخذ النبى ﷺ ترابا من الأرض فرمى به فى وجهه [٢] .

وقال شيبة بن عثمان : ما رأيت أعجب مما كُنَّا فيه من لزوم مامضى عليه آباؤنا من الضلالات ، ثم يقول : لما كان عام الفتح ودخل رسول الله ﷺ عليه وسلم مكة عَنْوَة ، قلت : أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غِرَّة فأثأرَ منه فأكون أنا الذى قمت بثأر قريش كلها ، وأقول : لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدا ما تبعته أبدا ، وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الأمر فى نفسى إلا قوة ؛ فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته ، وأصلت السيف ، وذكرت أبى وعمىِّ وقَتْلَ على وحمزة إيّاهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأرى من محمد ، فذهبتُ لأجيئه عن يمينه فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائم عليه درع بيضاء كأنها فضة تكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله ، ثم جئته عن يساره فإذا أنا بأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت ابن عمه ولن يخذله ، ثم جئته من خلفه فدنوت أريد

(١) وفى النهاية ٤ : ٢٩١ ، ٢٩٢ « هذه اللفظة اختلف فى ضبطها ، فقيل هى بكسر الميم وتشديد الياء ، وبفتح الميم مع التشديد ، وبكسر الميم وسكون التاء قبل الياء ، وبكسر الميم وتقديم الياء الساكنة على التاء . قال الأزهرى : وهذه كلها أسماء لجرائد النخل وأصل العرجون . وقيل هى اسم للعصا . وقيل القضيب الدقيق اللين . وقيل كل ما ضرب به من جريد أو عصا أو درة ، وغير ذلك » .

(٢) وانظر مغازى الواقدى ٣ : ٩٢٢ ، والإمتاع ١ : ٤١٥ .

منه ورفعت سيفى ، فلم يبق إلا أن أُسَوِّرَه فرفع لى شواظ من نار بينى وبينه كالبرق كاد يمحشنى ، فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه ومشيت القهقرى ، والتفت إلىّ رسولُ الله ﷺ فنادانى : ياشَيْبُ ادْنُ منى ، اللهم أذهب عنه الشيطان . فدنوت منه فمسح صدرى ثم ٥ قال : اللهم أعذه من الشيطان . فرفعت إليه — ﷺ — بصرى فوالله لهو كان ساعتئذ أحب / إلىّ من سمعى وبصرى ونفسى ، وأذْهَبَ الله ٢٨٤ ماكان فىَّ ، ثم قال : ادْنُ فقاتل . فتقدمت أمامه أضرب بسيفى ، الله يعلم أنى أحب أن أقيه بنفسى كل شىء ، ولو لقيت تلك الساعة أبى — لو كان حيا — لأوقعت به السيف ، فجعلت ألزمه فيمن لزمه ١٠ حتى تراجع المسلمون ، فكروا كرة رجل واحد ، وقربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها ، فخرج فى أثرهم حتى تفرّقوا فى كل وجه ، ورجع ﷺ إلى معسكره فدخل خباءه فدخلت عليه — مادخل عليه غيرى — حبا لرؤية وجهه وسرورا به ، فقال ﷺ ياشَيْبُ ، الذى أراد الله بك خيرٌ مما أردتَ بنفسك . ثم حدثنى بكل ما أضمرت فى نفسى ١٥ مما لم أكن أذكره لأحد قط ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم قلت : استغفرلى . فقال : غفر الله لك [١] .

ولما ولى الكفار مدبرين وقف مالك بن عوف النصرى فى أناس

(١) وانظر مغازى الواقدى ٣ : ٩٠٩ ، ٩١٠ ، والاكتفا ٢ : ٣٢٨ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٣٢ ، والإمتاع ١ : ٤١١ ، والخصائص ٢ : ٢٠ ٩٤ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ .

من أشراف قومه على [ثنية][١] من الثنايا حتى مضى ضعفاء أصحابه وتتامّ آخرهم ، ثم هرب هو وأصحابه . فتحصنوا فى قصره بِلِيَّة ، ويقال دخلوا حصن ثقيف بالطائف .

وأسلم من أهل مكة خلقٌ حين رأوا نصر الله عزّ وجل لرسوله ﷺ وإعزازه دينه . ٥

وتوجه بعض المنهزمين نحو الطائف ، وبعضهم نحو نَخْلَة ، وبعضهم إلى أَوْطَاس ، فعسكر مَنْ بأَوْطَاس . وأمر ﷺ بطلب العدو ، فتبعت خيلُ رسول الله ﷺ من سَلَكَ نَخْلَة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا ، وبعث رسول الله ﷺ أباعامر الأشعرى على جيش — فيهم سلمة بن الأكوع — فى أثر من توجّه قِبَلَ أَوْطَاس ، ١٠ وقال : إن قدرتم على بجاد — رجل من بنى سعد بن بكر — فلا يفلتنكم ؛ وكان قد أحدث حدثا [٢] .

فأدركَ ربيعةُ بن رُفَيْع بن أُهْبَان بن ثعلبة من ربيعة بن يَرْبُوع ابن سِمَاك[٣] بن عوف بن امرىء القيس السُّلَمِى — وكان يدعى بابن الدُّغُنَّة [وهى][٤] أُمّه ، ويقال ابن لَذْعَة ، فيما يقال — / دُرَيْدَ بن ٢٨٥ ١٥

(١) إضافة عن مغازى الواقدى ٣ : ٩١٦ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٣ .

(٢) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٠٥ . وفى شرح المواهب ٣ : ٢٦ « وكان أحدث حدثا عظيما ؛ أتاه مسلم فقطعه عضوا عضوا ثم أحرقه بالنار .»

(٣) كذا بالأصول . وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٠١ « ابن سماك عوف بن امرىء القيس » . ٢٠

(٤) إضافة عن المرجع السابق .

الصِّمة الجشمي من هوازن ، فأخذ بخطام جمله — وهو فى شِجَار ، وهو يظن أنه امرأة — فأناخ به فإذا هو شيخ كبير ولا يعرفه ، فقال له دُرَيْد : من أنت ، وماتريد ؟ فقال : أنا ربيعة بن رُفَيْع السلمى ، أريد قتلك . ثم ضربه بسيفه فلم يصنع فيه شيئا ، فقال له : بئس ماسلَّحتك أمك ، خذ سيفى من مؤخر الشِّجَار ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فكذلك كنت أقتل الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قد قتلتَ دُرَيْدَ بن الصِّمَّة ، فرُبَّ يوم قد منعت فيه نساءك . فضربه ، فلما وقع تكشف فإذا عَجِانُه وبطون فخذيه أبيض كالِقرْطَاس من ركوب الخيل أعراء . فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا . وقيل إنه أُسِرَ بحنين فأمر النبى ﷺ بقتله ؛ لمشاهدته الحروب ورأيه فيها ، وكان له يومئذ مائة وستون سنة — وقيل وعشرون — وهو فارس مشهور وشاعر مذكور . وهزم الله أصحاب دُرَيْد بن الصمة (١) .

ولقى أبو عامر [الأشعرى] (٢) عشرة إخوة فحمل عليه أحدهم فدعاه أبوعامر إلى الإسلام ، وحمل عليه وهو يقول : اللهم اشهد عليه . فقتله ، ثم آخر ، ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل عليهم ويدعوهم إلى الإسلام وهو يقول : اللهم اشهد عليه ، حتى قتل تسعة وبقى العاشر ، فحمل عليه ودَعَاهُ إلى الإسلام وقال : اللهم

---

(١) وانظر مغازى الواقدى ٣ : ٩١٤ ، ٩١٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٧٢ .

(٢) إضافة للتوضيح عن الإصابة ٤ : ١٢٣ ، وهو عم أبى موسى الأشعرى واسمه عبيد بن سليم بن حصار .

اشهد عليه . فقال : اللهم لاتشهد عَلَىَّ . فكفَّ عنه أبو عامر فأفلت ، ثم أسلم بعدُ فحَسُنَ إسلامه ، فكان النبى ﷺ يقول : هذا شريد أبى عامر (١) .

ورمى أبا عامر رجلان أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث من بنى جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قَلْبَه والآخر ركبته فأثبتاه ، فحمل عليهما أبو موسى الأشعرى فقتلهما . وقيل رماه سلمة بن دريد (٢) .

قال أبو موسى الأشعرى : فانتهيت إلى أبى عامر فقلت : ياعم / من رماك ؟ فرآه فأشار فقال : إن ذاك الذى رمانى . فقصدت إليه فاعتمدته فلحقته ، فلما رآنى ولّى هاربا فاتبعته وجعلت أقول له : ألا تستحى ؟ ألستَ عَرَبِيًّا ؟ ألا تثبت ؟! فكَرَّ فالتقيت أنا وهو فاختلفنا أنا وهو ضربتين ، فضربته بالسيف فقتلته . ثم رجعتُ إلى أبى عامر فقلت : إن الله قد قتل صاحبك . قال : فانزع هذا السهم . فنزعته فنزا منه الماء ، فقال : يا ابن أخى ، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه منى السلام ، وقل له : يقول لك استغفرلى . واستعمل أبو عامر أبا موسى الأشعرى على الناس ، ثم مكث يسيرا ومات .

وقاتلهم أبو موسى حتى فتح الله عليه . فلما رجع أبو موسى إلى النبى ﷺ دخل عليه وهو على سرير مُرَمَّل عليه فراش ــ وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه ــ فأخبره بخبرهم وخبر

(١) وانظر سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٠٤ .
(٢) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٠٤ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٣١ ، والاكتفا ٢ : ٣٣٥ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٧ .

أبى عامر ، وقال له : قال قل له يستغفرلى . فاستغفر له حتى رؤى بياض إبطيه . ثم قال : اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك — أومن الناس — فقال له أبو موسى : ولى يارسول الله فاستَغْفِر . فقال النبى ﷺ : اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، ٥ وأدخله يوم القيامة الجنة[١] مُدْخَلاً كريما[١] .

وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا وبِجَادٍ السَّعْدِى الذى أمرهم النبى ﷺ إن وجدوه لا يقلتوه ، وساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيْمَاء بنت الحارث بن عبد العُزَّى ، أخت النبى ﷺ من الرضاعة ، فَعَنَفُوا عليها فى السِّياق ، فقالت الشَّيْمَاء للمسلمين : تعلمون والله أنى ١٠ لأخت صاحبكم من الرضاعة . فلم يصدِّقوها ، فأخذها طائفة من الأنصار حتى أَتَوْا بها رسول الله ﷺ ، فلما انْتَهِىَ بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يامحمد إنى أختك . قال : وماعلامة ذلك ؟ ولكن بلِكِ منى أثرٌ لَنْ يَبْلى . فكشفت عن ظهرها — ويقال عن عضدها — ثم قالت : نعم يارسول الله ، حملتك وأنت صغير فعضضتنى هذه / ٢٨٧ ١٥ العضة وأنا متوركتك بوادى السرر ، ونحن يومئذ نرعى بهم أبيك وأبى وأمك وأمى ، قد نازعتك الثدى ، وتذكر يارسول الله حلابى عنز أبيك « أطلال »[٢]فعرف رسول الله ﷺ العلامة فوثب قائما فبسط لها

---

(١) كذا فى الأصول . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٤٣ « وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما » .

٢٠ (٢) أطلال أوردها مغلطاى فى كتاب الإشارة إلى سيرة المصطفى لوحة ٤٣ ضمن غنم رسول الله ﷺ . وأوردها الطبرى فى تاريخه ٣ : ١٨٤ ضمن منائح رسول الله ﷺ السبع وكانت أعنزا .

رداءه ثم قال : اجلسى ورحّب بها ودمعت عيناه ، وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما فى الزمان ، ثم قال : إن أحببت فأقيمى عندنا مُحَبَّة مكرمة ، وإن أحببت أن ترجعى إلى قومك . فقالت : بل أرجع إلى قومى وأسلمت .

ويقال إن النبى ﷺ قال لها : سَلِى تُعْطَىْ ، واشفعى تُشَفَّعِى . وأعطاها رسول الله ﷺ ثلاثة أَعْبُد وجارية أحدهم يقال له مكحول . فزوَّجُوه الجارية ، فلم يزل من نسلهما بقية [(١)ورجعت الشَّيْمَاء إلى منزلها ، وكلمها النسوة فى بجَاد ، فرجعت إليه](١) فكلمته أن يَهَبَه لها ويعفو عنه ، ففعل ﷺ ، ثم أمر لها ببعير — أو بعيرين — وسألها من بَقِىَ من أهلها ، فأخبرته بأخيها وأختها ، وبعمها أبى بُرْقَان ، وأخبرته بقوم سألها عنهم ، ثم قال لها : ارجعى إلى الجعرانة تكونين مع قومك فإنى أمضى إلى الطائف . فرجعت إلى الجعرانة ، ووافاها رسول الله ﷺ بالجعرانة فأعطاها نعما وشاءً لها ولمن بقى من قومها من أهل بيتها .

ويقال إن الذى قدم إلى النبى ﷺ فأكرمه وبسط له رداءه أُمُّه حليمة (٢) .

ويقال أن أَبَ النبىِّ ﷺ من الرضاعة قدم عليه فوضع له بعضَ ثوبه فقعد عليه ، ثم أقبلت أُمُّهُ فوضع لها شِقَّ ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ، ثم جاء أخوه من الرضاعة فقام فأجلسه بين يديه (٣) .

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت عن مغازى الواقدى ٣ : ٩١٤ .
(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٩٠ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٩ .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٩٠ .

وأمر ﷺ بالسبايا والغنائم فجمع ذلك كله ، وَحَدَرَهُ ﷺ إلى الجعرانة ، وجعل على ذلك بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعى ، وقيل مسعود ابن عمرو الغفارى ، فوقف بها إلى أن انصرف عليه الصلاة والسلام من الطائف وهم فى حظائر لهم يستظلون بها من الشمس ، وملئت عُرُشُ مَكَّة منهم . وكان السبى ستة آلاف رأس[١] ، والإبل [أربعة و][٢] عشرين ألفا ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية / فضة . ٢٨٨

ثم خرج النبى ﷺ [٣] إلى الطائف[٣] — فى شوال — من حنين يريد الطائف .

وبعث الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسِىّ إلى ذى الكَفَّيْن صَنَم عمرو ابن حُمَمَة — وكان من خشب ، وكان له بين العرب ثلاثمائة[٤] سنة — ليهدمه ، وأمر أن يستمد[٥] قومه ويوافيه بالطائف ، فخرج سريعا حتى

---

(١) أى من الذرارى والنساء . (سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٧ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١١٢ ، وشرح المواهب ٣ : ٣٦)

(٢) الإضافة عن المراجع السابقة ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٤٣ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٣ ، والإمتاع ١ : ٤٢٣ .

(٣) كذا فى الأصول والكلمتان زائدتان لاتحتاجهما العبارة .

(٤) وفى شرح المواهب ٣ : ٢٧ « وذو الكفين صنم من خشب كان لعمرو بن حممة ، كان حاكما على دوس ثلاثمائة سنة فيما ذكر ابن الكلبى » .

(٥) فى الأصول « يشهد » . والمثبت عن مغازى الواقدى ٣ : ٩٢٣ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٥٧ ، وعيون الأثر ٢ : ٢٥٠ ، والإمتاع ١ : ٤١٥ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٠٩ .

مر بقومه فاجتمع معه أربعمائة فهدم ذا الكفين ، وجعل يحشو النار فى وجهه ويحرقه ويقول :

يإذا الكفَّيْن لستُ من عُبَّادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إنى حشوت[١] النار فى فؤادكا

وسار النبى ﷺ وجعل خالد بن الوليد على مقدمته ، فسلك على نخلة اليمانية[٢] ، ومرّ فى طريقه بقبر فقال : هذا قبر أبى رِغَال ، وهو أبو ثقيف وكان من قوم ثمود ، فلما أهلك الله قومه بما أهلكهم به منعه بمكان من الحرم ، فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان ، فمات فدفن به ، وآية ذلك أنه دُفِنَ معه غُصْنٌ من ذهب إن نبشتم عنه أصبتموه . فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن [٣] . ثم مَرّ عَلَى قَرْن[٤] ، ثم على المُلَيح[٥] ، ثم على بُحْرَة الرُّغَاء[٦] من لِيَّة ، فابتنى فيها مسجدا وصلّى فيه ، وأمر بحصن

(١) فى الأصول « حشيث » والتصويب عن الأصنام ٣٧ ، وشرح المواهب ٣ : ٢٨ .

(٢) نخلة اليمانية : واد يصب فيه يدعان ، ويقال يصب فيه جميع مياه هداة الطائف عن طريق تضاع والشرقة والكفؤ ، وبنخلة هذه عينا الزيمة وسولا ، وهما عينان جاريتان ، ويسلكها طريق الطائف من مكة . (معجم البلدان لياقوت ، ومعالم مكة التاريخية للبلادى)

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٥ ، والخصائص ٢ : ٩٩ ، وشرح المواهب ٣ : ٢٩ .

(٤) قرن : يطلق على جزء من وادى الغدير بين المحرمين محرم طريق كرا ومحرم السيل الكبير . (معالم مكة التاريخية للبلادى .)

(٥) المليح : أحد وديان الطائف (معجم البلدان لياقوت . و مراصد الاطلاع)

(٦) بحرة الرغاء : موضع فى لية من ديار بنى نصر . (معجم ما استعجم)

مَالِك بن عَوْف فَهُدِم ، ثم سلك على الضَّيِّقَة وسأل عن اسمها ، فقيل : الضَّيِّقة . فقال : بل هى اليُسْرَى ، ثم خرج [على نَخِب][1] حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة بالقرب من أُطُمِ رجل من ثقيف تَمَنَّع فيه بماله ، فأمر رسول الله ﷺ بهدمه ، ثم سلك على تحت واد وراء الطائف
٥ حتى نزل بوادى العقيق قرب الطائف ؛ وعسكر هناك ، فتحصَّنَت ثقيف فى حِصْنِهم حين انصرفوا من أوطاس ، ولم يكن له نظير فى حصون العرب ، وكانوا رَمُّوه وأدخلوا فيه مايكفيهم لسنة ، فدخلوه وأغلقوه عليهم ، وتهيئوا للقتال وهم يقولون : هذا قبر أبى رغال فينا ، والله لانسلم ماحيينا . فحاصرهم المسلمون ، فرموهم بالنبل رميا شديدا كأنه رِجْل
١٠ جَرَاد[2] حتى أصيب من المسلمين رجال بجراحة ، واستشهد منهم اثنا عشر رجلا ، منهم : سعيد بن سعيد[3] بن العاص ، وعبد الله بن أبى أمية ، ورُمِىَ عبدُ الله بن أبى بكر الصديق يومئذ فجُرِحَ ، واندمل جرحه / ثم انتقض بعد ذلك ، فمات منه فى خلافة أبيه[4] . ٢٨٩

---

(١) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٠ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٢٥ ،
١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٥ . وهو واد من وراء الطائف وقيل واد بالسراة ، وقيل بينه وبين الطائف ساعة . وانظر مراصد الاطلاع . وضبطه البكرى فى معجمه بالفتح ثم السكون ، وضبطه ياقوت بالفتح ثم الكسر .

(٢) يعنى أن السهام لكثرتها صارت كجماعة الجراد المنتشر . (شرح المواهب ٣ : ٣٠)

٢٠ (٣) فى الأصول « ابن زيد » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٤ ؛ والدرر ٢٤٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٣ ، وشرح المواهب ٣ : ٣٠ .

(٤) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٤ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٣٠ ، ٩٣١ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٥٨ ، والدرر ٢٤٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٣ ، وشرح المواهب ٣ : ٣٠ ، وبقية الاثنى عشر شهيدا مذكورة بهذه المراجع .

فارتفع النبى ﷺ من ذلك المنزل إلى موضع مسجد الطائف اليوم ، فعسكر النبى ﷺ هناك ، وكان به سارية ــ فيما يزعمون ــ لاتطلع عليها الشمس يوما من الدهر إلا سُمِعَ لها نقيض [(١)] .

وكان مع النبى ﷺ من نسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قُبَّتين ، فكان يصلى بينهما حصارَ الطائف كله ، فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة ، ويقال عشرين يوما ، وقيل ثمانية عشر ، ويقال خمسة عشر ، وقيل بضعة عشر ؛ وهو الأصح [(٢)] .

ووافى النبى ﷺ الطُّفَيْلُ بن عمرو الدَّوْسِىُّ فى قومه بعد مقدمه بأربع ليال بدَبَّابَة ومَنْجَنِيق ، فنصبه عليهم ورَمَاهم به ؛ فإنه لأول منجنيق رُمِىَ به فى الإسلام ، ونثر الحسك [(٣)] شقتين من عيدان حول الحصن ، ودخل نفر من أصحاب النبى ﷺ تحت دَبَّابة ثم زحفوا نحو الحصن ليخرقوه ، فصَبَّ عليهم أهلُ الطائف سِكَكَ الحديد المحماة بالنار ، فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل ، فأصابوا منهم جماعة [(٤)] . وقاتل فيها رسول الله ﷺ بنفسه ، وقال : من بلغ

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٠ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٢٧ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٣٣ ، والإمتاع ١ : ٤١٧ ، وشرح المواهب ٣ : ٣١ .

(٢) وانظر مغازى الواقدى ٣ : ٩٢٧ ، والإمتاع ١ : ٤١٧ ، وشرح المواهب ٣ : ٣١ .

(٣) الحسك : ثمر نبات مدحرج له شوك يعلق بصوف الغنم ، ويعمل على مثاله أداة للحرب من حديد أو قصب فيلقى حول العسكر ويسمى باسمه . (القاموس المحيط) وفى طبقات ابن سعد ٢ : ١٥٨ « ونثر الحسك سبقين » .

(٤) مغازى الواقدى ٣ : ٩٢٧ ، والإمتاع ١ : ٤١٦ .

سهمُه فله درجة فى الجنة ، ومن رمى بسهم فى سبيل الله فهو عَدْل مُحَرّر (١) .

وأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها ، فسارع المسلمون فى قطعها ، فناشدوه الله والرحم أن يدعها ، فتركها (٢) .

٥ ونادى منادى رسول الله ﷺ : أيُّما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حُرّ . فخرج منهم ثلاثة وعشرون ــ ويقال بضعة عشر ــ فيهم نُفَيْع بن الحارث فى بَكَرَة فقيل له أبوبَكَرَةَ ، فأعتقهم النبى ﷺ ، ودفع كل واحد منهم إلى آخر من المسلمين يَمُونُه ، فشَقَّ ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة (٣) .

١٠ ولم يؤذن للنبى ﷺ فى فتحها ، واستشار نَوْفَل بن معاوية الديلى ، فقال : ماترى ؟ قال : ثعلب فى جُحر ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك(٤) . فأمر عمر بن الخطاب فأذّن فى الناس / بالرحيل ، فضجُّوا من ذلك وقالوا : نرحل قبل فتحها ؟! فقال ٢٩٠ النبى ﷺ : اغدوا على القتال . فغدوا فأصابهم جراحات ، فقال ١٥ النبى ﷺ : إنَّا قَافِلُون غدا إن شاء الله تعالى . فَسُرَّ المسلمون بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يُرَحِّلُون ورسول الله ﷺ يضحك ، وقال لهم : قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٥٩ ، ٦٦٠ .

(٢) مغازى الواقدى ٣ : ٩٣١ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٥٨ ، وتاريخ الطبرى ٢٠ ٣ : ١٣٣ ، وشرح المواهب ٣ : ٣١ .

(٣) وانظر أسماء بعضهم فى مغازى الواقدى ٣ : ٩٣١ ، ٩٣٢ ، والروض الأنف ٤ : ١٦٤ ، وشرح المواهب ٣ : ٣٢ .

(٤) مغازى الواقدى ٣ : ٩٣٧ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٥٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٢ .

جنده ، وهزم الأحزاب وحده . فلما ارتحلوا واستقلوا قال النبى ﷺ : قولوا آيبؤن تائبون عابدون لربنا حامدون . وقيل يارسول الله ادعُ على ثقيف . فقال ﷺ : اللهم آهْدِ ثقيفا وأت بهم [١] .

وانصرف النبى ﷺ عن الطائف ، فأخذ على دَحْنَا [٢] وقال : إن الله خلق منها آدم ، ومسح ظهره بنعمان الأراك [٣] ـــ ٥ ويقال بالسحاب ـــ جبل قرب عرفة [٤] ، حتى انتهى النبى ﷺ إلى الجعرانة لخمس ليال خَلَوْن من ذى القعدة ، فقسم بها غنائم حُنَيْن ، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس ؛ فأعطى أبا سُفْيان بن حرب وابنيه يزيد ومعاوية كلّ واحد أربعين أوقية ، ومائة من الإبل ، وحَكِيم بن حِزَام مائة ثم مائة[٥] ، والنُّضَير[٦] بن الحارث بن كلدة ، والحارث بن ١٠

(١) مغازى الواقدى ٣ : ٩٣٧ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٥٩ ، وعيون الأثر ٢ : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، والإمتاع ١ : ٤٢٠ ، وشرح المواهب ٣ : ٣٤ .

(٢) دحنا : من مخاليف الطائف . (مراصد الاطلاع)

(٣) وانظر حديث مسح ظهر آدم بنعمان الأراك فى الروض الأنف ٤ : ١٦٥ .

(٤) هذا تعريف بنعمان الأراك وانظر فيه معجم البلدان لياقوت . ١٥

(٥) أى بعد ماسأله مائة أخرى . (عيون الأثر ٢ : ١٩٣ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١١٤ ، وشرح المواهب ٣ : ٣٧ . وفى مغازى الواقدى ٣ : ٩٤٥ من حديث حكيم بن حزام قال ، سألت رسول الله ﷺ بحنين مائة من الإبل فأعطانيها ، ثم سألته مائة فأعطانيها ، ثم سألته مائة فأعطانيها . ثم قال رسول الله ﷺ : ياحكيم بن حزام إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى ٢٠ يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من السفلى وابدأ بمن تعول . قال : فكان حكيم يقول : والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا . فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدعوه إلى عطائه فيأبى يأخذه ، فيقول عمر : أيها الناس إنى اشهدكم على حكيم أنى ادعوه إلى عطائه فيأبى أن يأخذه . قال حدثنا ابن أبى الزناد قال : أخذ حكيم المائة الأولى ثم ترك . وانظر الإمتاع ٤ : ٤٢٣ ، ٤٢٤ . ٢٥

(٦) فى الأصول « النضر » والمثبت عن مغازى الواقدى ٣ : ٩٤٥ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٣٦ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٣ ، والإمتاع ١ : ٤٢٤ .

هشام ، وصفوان بن أمية ، وقيس بن عَدِى ، وسُهَيل بن عمرو ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزّى ، والأقرع بن حَابِس ، وعُيَيْنَة بن حِصْن ، ومالك بن عَوْف ، وأُسِيد بن جارية الثقفى كل واحد مائة من الإبل ؛ وأعطى العلاء بن جارية الثقفى ، ومَخْرَمة بن نَوْفَل ، ٥ وسعيد بن يَرْبُوع ، وعثمان بن وَهْب ، وهشام بن عمرو العامرى كل واحد خمسين بعيرا ؛ والعباس بن مِرْدَاس أربعين من الإبل — أو أباعر — سخطها فأنشد شعرا يعاتب رسول الله ﷺ فقال :

كانت نِهَابـــاً تلافَيْتُهـــا ... بكَرِّى على المُهْرِ فى الأجْرَع

وإيقاظى القوم أن يرقدوا ... إذا هجع الناس لم أهجع

١٠ فأصبح نهبى ونهب العبيـ ... ـد بين عُيَيْنَه والأقـــرع

وقد كنت فى الحرب ذا تُدْرَإٍ ... فلم أعط شيئا ولم أمنع

ولكـن أفائـل أُعْطِيتها ... عَدِيد قوائمهـا[1] الأربـع

وما كان حِصْنٌ ولا حَابِسٌ ... يفوقان شيخى فى المجمع

وماكنتُ دون امرىء منهما ... ومن تَضع اليوم لا يُرفَع

١٥ فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى . فكان ذلك قطع لسانه الذى أمربه رسول الله ﷺ . / ٢٩١

(١) فى الأصول ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١١٣ ، والاكتفا ٢ : ٣٦٠ « قوائمه » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٣٠ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٤٧ ، وتاريخ ٢٠ الطبرى ٣ : ١٣٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٨٠ ، ٦٨١ .

ويقال إن النبى ﷺ أتمها له مائة ، ويقال خمسين كل ذلك من الخمس .

فلما أعطاهم ذلك وَجدَت الأنصار فى أنفسها حتى قال قائلهم : لقى والله رسول الله ﷺ قومه . فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يارسول الله ، إن هذا الحىّ من الأنصار قد وَجِدُوا عليك فى أنفسهم . فقال : فيم ياسعد ؟ فقال : فيما كان من قَسْمِك هذه الغنائم فى قومك وفى سائر العرب ، ولم يكن [فى هذا الحَىّ من الأنصار][1] من ذلك شىء . فقال رسول الله ﷺ : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ فقال : ما أنا إلا امرؤ من قومى . فقال رسول الله ﷺ : فاجمع لى قومَك فى هذه الحظيرة ، فإذا اجتمعوا فيها فأعلمنى . فخرج سعد فصرخ عليهم فجمعهم فى تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فأذن لهم فدخلوا ، وجاء رجال آخرون فمنعوا . حتى إذا لم يبق من الأنصار أحدٌ إلا اجتمع إليه أتاه فقال : يارسول الله قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار حيث أمرتنى أن أجمعهم . فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يامعشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلاَّلاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداءً فألف بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله . ثم قال رسول الله ﷺ : ألا تجيبونى يامعشر الأنصار ؟ فقالوا : مانقول يارسول الله ؟ وماذا نجيبك ؟ المَنُّ لله عز وجل

---

(١) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٣٥ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٣٨ ، وعيون الأثر ٢ : ١٩٤ ، والاكتفا ٢ : ٣٦٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٧٨ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩٠ .

ولرسوله ﷺ . فقال : أمَا والله لو شئتم لقلتم فَصَدقتم وصُدّقتم ؛ جئتنا طَرِيدًا فآويْناك ، وعائلا فواسيناك ، وخائفا فأمَّنَّاك ، ومخذولا فنصرناك . فقالوا : المَنُّ لله ولرسوله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : وجدتم فى أنفسكم يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى ماقسم الله لكم من الإسلام !! أفلاتَرْضَوْن يامعشر الأنصار أن يَذْهَب الناسُ إلىَ رِحَالهم بالشاء والبعير ، وتذهبوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم ، فوالذى نفس محمد بيده لو سلك الناسُ واديا وشِعْبًا وسَلَكَت الأنصارُ شعبا لسلكتُ شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت [امر أً](١) من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رَضِينَا بالله [رَبًّا](١) ورسوله قسما / ٢٩٢ وحظا . ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا (٢) .

وقدم على النبى ﷺ بالجعرانة أربعة عشر رجلا من وفد هوازن ، ورأسهم أبو جَرْوَل(٣) زُهَير بن صُرَد ، وفيهم أبو بُرْقان عَمّ

---

(١) الإضافة عن السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٧٩ .

(٢) وفى المرجع السابق قال ابن كثير : « هكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيح .

(٣) كذا فى الأصول . وفى الروض الأنف ٤ : ١٦٦ « يكنى أبا جرول وقيل أبا صرد ، وفى الإصابة ١ : ٥٥٣ يكنى أبا جرول وأبا صرد . وفى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٥ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٥٠ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٣٤ ، والاكتفا ٢ : ٣٥٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٧ ، والإمتاع ١ : ٤٢٧ « أبو صرد »

النبى ﷺ من الرضاعة ــ وقد أسلموا ــ فقالوا : يارسول الله إنّا [١] أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك ، فامنن علينا منّ الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال : إنما فى الحظائر ــ من السبايا ــ خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، فلو أننا ملحنا للحارث بن أبى شَمِر [٢] والنعمان بن المنذر ٥ ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ؛ وأنت خير المكفولين . ثم أنشده :ــ

امْنُنْ علينا رسولَ اللهِ فى كَرَمٍ فإنك المرءُ نرجوه وننتظرُ
امنن على بيضة قَدْعَاقَهَا قَدَرٌ مُفَرِّق شَمْلَها فى دَهْرِها غِيَرُ
أَبْقَتْ لنا الدهرَ هُتَّافًا على حَزَن على قلوبهم الغَمَّاءُ والغَمَرُ ١٠
إن لم تَدَارَكهم نَعْمَاءُ تَنْشُرُها يا أَرْجَحَ الناسِ حِلْماً حِينَ يُخْتَبَرُ
امنن على نِسْوَةٍ قدكنتَ تَرْضِعُهَا إذْفُوكَ تَمْلَؤُه مِن مَحْضِها الدِّرَر
إذْ أنتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ كنت ترضعها وإذ يَزِينُك مَا تَأتِى ومَاتَذَرُ
ياخيرَمَن مَرَحَت كُمْتُ الجِيَادِ به عند الهِيَاج إذا مَا اسْتَوْقَدَ الشَّرَرُ

(١) فى الأصول « لنا » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٥ ، والسيرة ١٥ النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٧ ، والاكتفا ٢ : ٣٥٤ ، والإمتاع ١ : ٤٢٧ . وفى مغازى الواقدى ٣ : ٩٥٠ « إنا أهلك » وفى تاريخ الطبرى ٣ : ١٣٤ ، والكامل ٢ : ١١٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١١٢ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٩٤ « انا أصل وعشيرة » .

(٢) كذا ضبطها محقق السيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٧ ، والإمتاع ١ : ٤٢٧ . وضبطت فى سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٥ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٥٠ ، ٢٠ وتاريخ الطبرى ٣ : ١٣٤ ، والاكتفا ٢ : ٣٥٤ « بكسر الشين وسكون الميم » وهو ملك الشام والنعمان بن المنذر ملك العراق . السيرة الحلبية ٣ : ٩٤ .

لاتجعلنّا كَمَنْ شَالَتْ نعامَتُه وَاستَبْقِ مِنّا فإنّا مَعْشَر زُهُر
إنا نؤمِّل عَفْوًا مِنْكَ تُلْبِسُه هَذِى البَرِيّةَ إذ تَعْفُو وتَنْتَصِرُ
إنّا لَنَشْكُرُ لِلنَّعْمَاءِ إذْ كُفِرَت وعِنْدَنا بَعْدَ هَذَا اليومِ مُدَّخَرُ
فألْبِسِ العَفْوَ مَن قَدْكُنْتَ تَرْضِعُهُ مِن أُمَّهاتِكَ إنَّ العَفْوَ مُشْتَهَرُ
٥ واعْفُ عَفَا اللهُ عَمَّا أنت رَاهِبَه يوم القيامَةِ إذ أُضْحَى لَكَ الظَّفَرُ(١)

ويقال بينما النبى ﷺ يَقْسِمُ الغنائم بالجعرانه وَثَبَ أبو جَرْوَل زُهَيْر بن صُرَد — وكان فى السَّبْي — حتى قعد بين يَدَي رسول الله ﷺ يذكره حيث شَبَّ ونشأ فى هَوَازِن ، وحيث أرضعوه ، وأنشأ يقول : ... فقال رسول الله ﷺ : نساؤكم وأبناؤكم أحبُّ إليكم أم ١٠ أموالكم ؟ فقالوا : يارسول الله ﷺ خيَّرْتَنَا بين أحسابنا وبين أموالنا ، أبناؤنا ونساؤنا أحبُّ إلينا . فقال رسول الله ﷺ : أمَّا ماكان / لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صَلَّيْت بالناس ٢٩٣ فقوموا وقولوا إنَّا نتشفع برسول الله ﷺ [إلى المسلمين](٢) وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعينكم (٣) عند ذلك ١٥ وأسأل لكم . فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهرَ قاموا فقالوا ما

---

(١) وانظر الروض الأنف ٤ : ١٦٦ ، والاكتفا ٢ : ٣٥٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، والإمتاع ١ : ٤٢٧ ، ٤٢٨ مع اختلاف فى بعض الألفاظ وتقديم وتأخير .

(٢) سقط فى الأصول ، والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٦ ، ومغازى ٢٠ الواقدى ٣ : ٩٥١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٣٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٨ .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى المراجع السابقة « فسأعطيكم » .

أمرهم به رسول الله ﷺ ، فقال [رسول الله ﷺ][1] : أمَّا ماكان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم . وقالت قريش : وماكان لنا فهو لله ولرسوله ﷺ . وقالت الأنصار : وماكان لنا فهو لله ولرسوله . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال العباس بن مِرْداس : أما أنا وبنو سُلَيْم فلا . فقالت بنو سُلَيم : بَلْ ماكان لنا فهو لرسول الله ﷺ . [فقال عباس بن مِرْدَاس لبنى سليم : وَهَّنْتُمُونِى .][2] وقال عُيَيْنَةُ بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا . فقال رسول الله ﷺ : إن هؤلاء قد جاءوا مُسْلِمين ، وقد كنت آسْتَأْنَيْت بهم [فَخَيَّرْتُهم بين النساء والأبناء والأموال][3] فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا ، فمن كان عنده منهن شيء فطابت به نفسه [أن يردّه][3] فسبيل ذلك ، ومن أبى ذلك فَلْيَرُدّ عليهم وَلْيَكُن ذلك قَرْضاً علينا بِسِتِّ فرائض من أول مايفيء الله علينا . قالوا : رضينا وسلَّمْنا . فَرَدُّوا عليهم ، سوى عُيَيْنَة بن حصن فإنه أبى أن يَرُدّ عجوزًا صارت فى يده منهم ، ثم رَدَّها بعد ذلك .

وكان النبى ﷺ قد كَسَا السَّبْىَ قُبْطِيَّة ؛ أَمَرَ رجلا[4] أن يأتى مكة فيشترى لهم ثياب المعقد[5] فلا يخرج الحُرُّ منهم إلا كاسيا[6] .

---

(١) سقط فى الأصول والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٦ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٥١ .

(٢) إضافة عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٦ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٥٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٨ .

(٣) إضافة عن مغازى الواقدى ٣ : ٩٥٢ ، والامتاع ١ : ٤٢٩ .

(٤) هو بسر بن سفيان الخزاعى كما فى مغازى الواقدى ٣ : ٩٤٩ .

(٥) المعقد : نوع من برود هجر . (النهاية فى غريب الحديث) .

(٦) السيرة الحلبية ٣ : ٩٧ ، وفيها « يشترى له ثياب المتعة » .

وقال : احبسوا أهل مالك بن عوف بمكة عند عَمَّتِهم أم عبد الله بن أبى أُمَيَّة . فقال الوفد : يارسول الله أولئك سَادَاتُنَا وأَحِبَّتَنَا . فقال رسول الله ﷺ : إنما أُرِيدُ بهم الخيرَ[1] .

ثم ركب رسول الله ﷺ واتَّبَعَهُ الناس يقولون : يارسول الله ، اقْسِمْ عَلَيْنَا فيْئَنَا . حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه ، فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس رُدُّوا علىّ ردائى ، فوالذى نفسى بيده / ٢٩٤ لو كان لكم عدد شجر تهامة نعما لقَسَمْتُه عليكم ، ثم ما أَلْفَيْتُمُونى بخيلا ولا جبانا ولا كذوبا[2] .

ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعير وأخذ من سنامه وَبَرَةً فجعلها بين إصبعيه وقال : أيها الناس والله مالى مِن فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمسُ مَرْدُودٌ عليكم ، فأدوا الخِيَاط والمَخِيط فإن الغُلُول عَارٌ ونار وشَنَار على أهله يوم القيامة . فجاء رجل من الأنصار بكُبَّةٍ من خيوط شعر فقال : يارسول الله أخذت هذه لأخيط بها بَرْذَعَة بعير لى دَبِر . فقال رسول الله ﷺ : أما حقى منها فلك . فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر هذا فلا حاجة لى بها . فرمى بها من يده[3] .

---

(١) السيرة الحلبية ٣ : ٩٧ ، وانظر الإمتاع ١ : ٤٣٠ .

(٢) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٩ .

(٣) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٩ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٤٣ ؛ والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٦٩ .

ثم أمر النبى ﷺ زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم فقسم عليهم ، وكان للرجل أربع من الإبل وأربعون شاة ، وللفارس اثنتا عشرة من الإبل ومائة وعشرون شاة .

وكان النبى ﷺ سأل وفد هوازن عن مَالِك بنِ عَوْف ومافعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثَقِيف . فقال النبى ﷺ : أخبروا مالِكاً أنه إن أتانى مسلما رَدَدْتُ إليه أهله ، وأعطيته مائة من الإبل . فبلغ ذلك مالكا ، وخاف من ثَقِيف على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ماقال فيحبسوه ، فأمر براحلة له فهُيِّئَت ، وأمر بفرس له فأتى به الطائف ، فخرج ليلا فجلس على فرسه فركَضَه حتى أتى راحلته حيث أمر بها (١) ، فجلس عليها ثم لحق برسول الله ﷺ ، فأدركه بالجعرانة ـــ أو بمكة ـــ فردّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل كما سبق فى إعطائه المؤلفة قلوبهم ، فأسلم فحسن إسلامه . وقال مالك بن عوف حين أتى رسول الله ﷺ :ـــ

ما إنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... فى الناسِ كُلِّهِمُ بِمِثْلِ محمدِ
أَوْفَى وأَعْطَى للجزيلِ إذَا ٱجْتُدِى ... وإذا تَشأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فى غَدِ
وإذا الكَتِيبَةُ عَرَّدَت أَنْيَابُها ... أَمَّ العِدَى فيها بُكُلِّ مُهَنَّدِ
فكأنــه لَيْثٌ لَدَى أَشْبَالِــهِ ... وَسْطَ الهباءَةِ خادِرٌ فى مَرْصَدِ(٢)/ ٢٩٥

(١) وفى مغازى الواقدى ٣ : ٩٥٥ « أنه أمر براحلته فقدمت حتى وضعت بدحنا » .

(٢) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٨ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٥٦ ، والاكتفا ٢ : ٣٥٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٨٣ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

ثم استعمله رسول الله ﷺ على قومه وتلك القبائل من ثُمَالَة وسَلَمَة وفَهْم ، وكان يُقَاتِل بهم ثقيفا ، لايخرج لهم سَرح إلا أغار عليه ، حتى ضيَّق عليهم ، فقال فى ذلك أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى :ـــ

٥ هابت الأعداءُ جَانِبَنَا ثم يغزونا بنو سَلَمَة
وأتانا مالكٌ بِهِمُ نَاقِضًا للعَهْدِ والحُرُمَة
وأَتَوْنَا فى مَنَازِلِنا ولقد كنا أُولي نِقْمَة[1]

وأقام رسول الله ﷺ بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، وأحرم منها هو وبعض أصحابه فى ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى ١٠ القعدة ، ثم خرجوا ليلا حتى أتوا مكة فطافوا مضطبعين ـــ جعلوا أرديتهم تحت آباطهم ، ووضعوها على عواتقهم اليسرى ـــ ثم رملوا بالبيت ثلاثة أشواط ، ومشوا أربعة ، وسعوا ، وقصَّر ﷺ من رأسه ؛ قصَّر له معاوية . ثم رجع من ليلته [إلى الجعرانة][2] فأصبح بها كبائت ، فلذلك خَفِيَت على كثير من الناس [3] .

١٥ وأمر رسول الله ﷺ ببقايا الفيء فَحُبِسَ بمَجِنَّة من ناحية مَرِّ الظهران [4] .

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٢٨ .

(٢) إضافة عن الإمتاع ١ : ٤٣٢ .

(٣) وانظر سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٣٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٢٠ ٦٩٢ ـــ ٦٩٨ .

(٤) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٣٦ .

فلما زالت الشمس من الغد يوم الخميس خرج من الجعرانة فى واديها حتى خرج على سَرِف ، ثم أخذ الطريق على مَرّ الظهران حتى أتى المدينة فى بقية ذى القعدة ـــ أو فى أول ذى الحجة ـــ واستخلف النبى ﷺ على مكة عَتَّاب بن أَسِيد ، ورزقه كل يوم درهما ـــ ويقال فرض له أربعين أوقية من فضة ـــ وقال له : تدرىٰ عَلَى مَنْ وَلَّيْتُكَ ؟ وَلَّيْتُكَ على أهل الله . وخلف معه معاذا وأبا موسىٰ الأشعرى يعلمان الناس القرآن ويفقهانهم فى الدين [١] .

وخرج عُرْوَةُ بن مسعود الثقفى يتبع النبىَّ ﷺ حتى لقيه بالطريق قبل أن يدخل المدينة فأسْلَم ، واستأذن النبىّ ﷺ فى الرجوع إلى قومه ، فقال النبى ﷺ : إنهم قَاتِلُوك [٢] . وقال النبى ﷺ : إنه فى قومه مثل صاحب ﴿ يٓس ﴾ فى قومه [٣] . فرجع إلى قومه ودعاهم إلى / الإسلام ، فرموه بالنبل فأصابه سهم فقتله ، فأوصى أن يُدْفَن خارج الطائف مع الذين استُشْهِدُوا عند حصار الطائف ، فدفن معهم [٤] .

---

(١) الاكتفا ٢ : ٣٦٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٣ : ٦٩٧ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١١٧ ، وانظر سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٣٦ ، والإمتاع ١ : ٤٣٢ .

(٢) أضافت بعض المراجع أن النبى ﷺ عرف أن فى ثقيف نخوة الامتناع للذى كان منهم ، فقال لعروة ماقال ، فقال عروة : يارسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم أو من أبصارهم . (سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٦٤ والاكتفا ٢ : ٣٩٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٣ ، والامتاع ١ : ٤٨٩ . وتاريخ الخميس ٢ : ١١٧) .

(٣) وهو الذى قال الله تعالى فيه ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين ﴾ الخ (سورة يس الآيات من ٢٠ ـــ ٣٠) .

(٤) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٦٤ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٦٠ ـــ ٩٦٢ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٤٠ ، وعيون الأثر ٢ : ٢٢٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٣ ، ٥٤ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١١٧ .

وفيها أقاد رسول الله ﷺ رجلا من هُذَيل برجل من بنى ليث (١) .

وفيها لم يؤذن للنبى ﷺ فى الحج تلك السنة ، ولم يبلغنا أنه استعمل عَتَّاباً على الحج تلك السنة ، ولا أمره فيه بشيء . فلما جاء الحجُّ حَجَّ المسلمون والمشركون فدفعوا معا ، وكان المسلمون فى ناحية يدفع بهم عَتَّاب ابن أَسِيد ، ويقف بهم المواقف ؛ لأنه أمير البلد ، فكان أوّل أمير أقام الحجَّ فى الإسلام ، وكان المشركون ممن كان له عهد ومن لم يكن له عهد فى ناحيةٍ ، يدفع بهم أبو سَارَة العُدْوَانى على أتان عوراء رَسَنُها ليف (٢) .

* * *

« السنة التاسعة من الهجرة »

فيها كانت سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى حيٍّ من خَثْعَم بناحيةٍ قريبا من تَرَبَة من مخاليف مكة النجدية فى عشرين رجلا ، وأمرهم بشَنّ الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها ، فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم ، وجعل يصيح بالحاضرة ، يحذِّرُهم ، فضربوا عنقه ، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وكثرت الجراحة فى الفريقين جميعا ، فقتَلَ قُطْبَةُ بن عامر من قَتَل ، واستاقوا النعم والشاءَ ، وأتوا إلى المدينة ، وجاء سيل أتِىٌّ (٣) فحال بينهم وبينه فما يجدون إليه سبيلا (٤) .

---

(١) مغازى الواقدى ٣ : ٩٢٤ .

(٢) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٣) السيل الأتى : الذى لا يدرى من أين أتى (هامش الإمتاع ١ : ٤٤٠)

(٤) وانظر مغازى الواقدى ٣ : ٩٨١ ، وعيون الأثر ٢ : ٢٠٦ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٢٢١ ، وشرح المواهب ٣ : ٤٨ .

وفيها ائتمرت ثقيف فيما بينهم ، ورأوا أنهم لم يكن لهم طاقة بماهُم فيه من خِلاَف جميع العرب ، فاتفقوا على أن يبعثوا رجالاً إلى رسول الله ﷺ ؛ فكلموا عبدَ ياليل بن عمرو بن عمير [١] ، فأبى وخشى أنهم يصنعون به كما صنعوا بعروة وقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالاً . فبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ، فيهم : عثمان بن أبى العاص [٢] ، فخرجوا بهم فلما كانوا بالقناة[٣] قرب المدينة نزلوا وألْفَوْا بها المغيرة بن شُعْبَة[٤] ، فاشتد ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر / فأقسم عليه أن يؤثره بذلك حتى يكون هو الذى يُحَدِّث النبى ﷺ ، ففعل ذلك ، فدخل أبو بكر على النبى ﷺ فأخبره بقدومهم . ورجع

(١) كذا فى الأصول والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٤ . وسيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٦٥ . وفى مغازى الواقدى ٣ : ٩٦٣ « ابن عمرو بن حبيب » .

(٢) وفى السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٤ ، ٥٥ أن الخمسة هم « الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، وعثمان بن أبى العاص ، وأوس بن عوف أخو بنى سالم ، ونمير بن خرشة بن ربيعة » وكذا سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٦٥ ، ٩٦٦ .

(٣) القناة : واد قرب المدينة قيل يأتى من الطائف ويصب فى الأرحضية وقرقرة الكدر ، ثم يأتى بئر معاوية ، ثم يمر على طرف القدوم فى أصل قبور الشهداء بأحد (مراصد الاطلاع) .

(٤) أضافت المراجع « يرعى فى نوبته ركاب رسول الله ﷺ وكانت رعيتها نوبا على أصحابه ، فما رآهم المغيرة ترك الركاب عند الثقفيين وضبر يشتد ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم . (سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٦٦ ، ومغازى الواقدى ٣ : ٩٦٣ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٤١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٥ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٢٤١) .

المغيرةُ إليهم ، فعلَّمَهم كيف يُحَيُّون النبى ﷺ ، فلم يفعلوا وحَيّوه بتحيَّة الجاهلية . ونزل الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بنى مالك فى قبة ضَرَبَها لهم فى ناحية المسجد ـــ ويقال إن النبى ﷺ أنزل جميع الوفد فى قُبَّةٍ فى المسجد ـــ ليكون أرقّ لقلوبهم ، وكان خالد بن سعيد بن العاص يختلف بين رسول الله ﷺ وبينهم حتى اكتتبوا كتابهم ـــ وكان خالد كاتبهم ـــ وكان الطعام يأتيهم من عند رسول الله ﷺ فلا يمسُّونه حتى يأكل منه خالدٌ أو غيرُه ؛ وسبب أنهم لا يمسُّونه حتى يمسّه خالد أو غيره أنهم قدموا فى شهر رمضان ، فكان يأتيهم بلال بفطرهم فيقولون : أفْطَر رسولُ الله ﷺ ؟ فيقول : نعم ، ماجئتكم حتى أفطر . فيضع يده فيأكل ويأكلون [(١)] .

وسألت ثقيف رسول الله ﷺ أن يُعْفَوْا من الصلاة وأن يُتْرَك لهم الطاغية ـــ وهى اللَّات ـــ ثلاث سنين لا يهدمها . فأبى النبى ﷺ من ذلك وقال : وأما الصلاة فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه . وقالوا : يامحمد سنؤتيكها وإن كانت دناءة . وسألوه ألا يهدموا أوثانهم بأيديهم . فأجابهم إلى ذلك ، وأسلموا ، واشترطوا حين أسلموا

---

(١) كذا علل المصنف عدم مسهم للطعام حتى يمسه خالد أو غيره ، والذى ورد فى المراجع أنهم كانوا يمتنعون عن الطعام حتى يمسه خالد أو غيره وذلك قبل أن يسلموا ، فلما أسلموا كانوا يمتنعون عن تناول فطورهم ظنا أن الشمس لم تغرب ، ويمتنعون عن تناول سحورهم ظنا أن الفجر قد طلع ؛ فكان بلال يقول لهم : ماحضرت بطعامكم إلا بعد أن تناول رسول الله ﷺ فطوره أو تهيأ لتناول سحوره . وانظر المراجع السابقة .

ألا يُحْشَرُوا ولا يُعَشَّرُوا ولا يَنْحَنُوا (١) . فقال رسول الله ﷺ : ألا يُحْشَرُوا ولا يُعَشَّرُوا ، ولاخير فى دين ليس فيه ركوع . فقالوا : سنعطيكها على قماءة (٢) فيها .

وأَمَّرَ النبى ﷺ عثمان بن العاص ــ وكان أصغرهم ــ لحرصه على تَعَلُّمِ(٣) القرآن وشرائع الأحكام ، وأمره أن يَؤُمَّهم ، وقال له / تجاوَزْ فى الصلاة ، واقْدُر الناس بأضعفهم ؛ فإن فيهم الضعيف والكبير والصغير وذا الحاجة ، واتخذ (٤) مؤذنا [لا يأخذ](٥) على أذانه أجرا

ثم انصرفوا ، وبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية وغيرها ، فخرجا حتى إذا قدما الطائف أراد المغيرة تقديم أبى سفيان فأبى منه ، وقال له : ادخل أنت على قومك ، وأقام بماله بذى الهَرْم (٦) . ودخل المغيرة إليها فعلاها فضربها

---

(١) فى الأصول « يحيوا » . وفى السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٦ « يجبوا » . ولعل الصواب ماذكرناه حيث إنهم اشترطوا هنا ثلاثة أشياء ، فأجابهم الرسول ﷺ إلى اثنتين منها ، أما الثالثة فقال : ولاخير فى دين ليس فيه ركوع ، وهذا يناسب اشتراطهم عدم الانحناء وهو تعبير عن الركوع ولا يناسبه التحية أو الجباية .

(٢) أى على ذلة وصغار .

(٣) فى الأصول « تعليم » والمثبت عن سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٦٧ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٦ .

(٤) فى الأصول « ويتخذ » والمثبت عن السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٧ .

(٥) سقط فى الأصول والمثبت عن المرجع السابق .

(٦) ذو الهرم : موضع قرب الطائف وكان لأبى سفيان به مال . (معجم ما استعجم) .

بالمِعْوَل ، وقام دونه قومه بنو معتب أن يُرْمَى أو يُصَاب كما أُصِيب عُرْوَة وخرج نساء ثقيف حُسَّرًا يبكين عليها ويقلن :

لتُبْكَيِنَّ دُفَّـاعْ أسْلَمهَا الرُّضّاع

لم يُحْسِنُوا المِصَاعْ(١)

٥ فهدمها وأخذ مالها وحليها من الذهب والفضة والجزع ، فجمعه إلى أبى سفيان ، فقضيامنه دَيْن عُرْوَة بن مسعود وأخيه الأسود بأمر النبى ﷺ لهما بذلك .

وأمر النبى ﷺ عثمان بن أبى العاص أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم (٢) .

١٠ وفيها فى ذى القعدة استعمل رسول الله ﷺ أبابكر الصديق على الحج ، وأمره أن يخالف المشركين لأنهم كانوا يقفون بجَمْع فيقف بعرفة ، ولا يدفع منها حتى الليل ، ويدفع من جَمْع قبل طلوع الشمس . ويقال إن أبابكر الصديق أقام الحجّ للناس على منازلهم وهى آخر حَجَّة حجها المشركون .

١٥ فخرج فى ثلاثمائة رجل من المدينة الشريفة ، وبعث النبى ﷺ بعشرين بَدَنَة قلَّدَها بيده ، عليها نَاجِيَةُ بن جُنْدَب الأسلمى ، وساق أبوبكر خمس بَدَنَات ، فلما كان بالعَرْج ـــ ويقال بضَجْنَان ـــ ثوّبَ للصبح ، فلما استوى للتكبير سمع الرَّغْوَةَ خلف

---

(١) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ٩٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٤٢ ، والسيرة

٢٠ النبوية لابن كثير ٤ : ٦١ .

(٢) زاد المعاد بهامش شرح المواهب ٥ : ١٤١ .

ظهره ؛ فوقف عن التكبير فقال : هذه رَغْوَةَ ناقة رسول الله ﷺ الجذعاء ؛ لقد بدا لرسول الله ﷺ فى الحجّ ، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنُصلّى معه . فإذا على رضى الله عنه ، فقال له أبوبكر رضى الله عنه : أميرٌ أم رَسُولٌ ؟ فقال : لا ، بل رَسُولٌ / أرسلنى رسول الله ﷺ ببراءة أقرأها على الناس فى مواقف الحجّ [١] .

فقدموا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام أبوبكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم ، حتى إذا فرغ قام علىٌّ فقرأ على الناس ﴿ براءة ﴾ حتى ختمها ، ثم خرجوا حتى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس يعلمهم مناسكهم حتى إذا فرغ قام فقرأ على الناس ﴿ براءة ﴾ حتى ختمها ، ثم كان يوم النحر فأفاضوا ، فلما رجع أبوبكر خطب الناس قبل الجمرة فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم ، فلما فرغ قام علىٌّ فقرأ على الناس ﴿ بَرَاءَة ﴾ حتى ختمها [١] .

ونبذ على رضى الله عنه إلى كل ذى عهد عهده ، فنادى بأربع حتى صَحِل صوته : ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مطمئنة ، ولا يحجن بعد العام مشرك ، ولايطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله إلى مدته ، ومن لم يكن بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى أربعة أشهر ؛ يسيحون فيها حيث شاءوا ، فإذا مضى الأجل فإن الله برىء من المشركين ورسوله . فقال المشركون ــ أو بعضهم ــ : بل إلى أن تنتهى تلك المدة نبرأ منك ومن ابن عمك إلاّ من الضرب والطعن . فلما رجعوا أرعب الله المشركين فدخلوا فى الإسلام طوعا وكرها [٢] .

(١) تاريخ الخميس ٢ : ١٤١ ، وشرح المواهب ٣ : ٩٣ من حديث جابر بن عبد الله .
(٢) الرياض النضرة ٢ : ٢٢٨ ، وشرح المواهب ٣ : ٩٣ .
(٣) شرح المواهب ٣ : ٩٣ ، ٩٤ .

وأرسل رسول الله ﷺ مع أبي بكر بمال يعمل به طعاما للحاج كما كانت تعمل قريش فى الجاهلية ، فعمله .

وكان حج أبى بكر رضى الله عنه فى ذى القعدة [١] لأنهم كانوا يحجون فى كل شهر عامين[٢] .

٥ فلما رجع أبوبكر الصديق إلى المدينة قال : يارسول الله ، مالى ؟ قال : خير ، أنت صاحبى فى الغار ، غير أنه لا يبلغ غيرى أو رجل منى ـــ يعنى عليا[٣] ـــ .

* * *

« السنة العاشرة من الهجرة »

١٠ فيها فى رمضان قدم على رسول الله ﷺ جَرِيرُ بن عبد الله البَجَلى مسلما ، فبعثه إلى ذى الخلصة [٤]ليهدمها ، وكانت حجرا

---

(١) وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٦ « ولما كانت سنة تسع وقع الحج فى ذى الحجة فأرسل النبى ﷺ أبابكر رضى الله عنه واستعمله على الحج وعلمه المناسك . » وأنظر الخلاف حول ذلك فى شرح المواهب ٣ : ٨٩ .

١٥ (٢) هذا هو نتيجة الإنساء . وانظر أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٥ ، وشفاء الغرام ٢ : ٤٠ ، وعبارتهما « فيحجون فى كل شهر حجتين » .

(٣) الرياض النضرة ٢ : ٢٢٨ وفيه « خرجه أبو حاتم والنسائى » .

(٤) ذو الخلصة : وهو مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة ، وكان سدنتها بنو أمامة من باهلة بن أعصر ،

٢٠ وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن .... وهو اليوم عتبة مسجد تبالة . (الأصنام ٣٤ ـــ ٣٦ . وانظر المحبر لابن حبيب ٣١٧ ، ومعجم بلدان ياقوت .)

٣٠ أبيض ضم له بيت صنم بَجِيلَة / وخَثْعَم وأَزْد السراة فهدمه ، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك فسجد شكرا لله تعالى (١) .

* * *

وفيها فى ذى القعدة أعلم النبى ﷺ الناس أنه خارج إلى الحَجِّ وأمرهم بالخروج معه ، فقدم المدينة بَشَرٌ كثير كلهم يلتمس أن ٥ يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله ، فأصابهم جدرى أو حصبة منعت بعضهم من الحجِّ مع النبى ﷺ [فأعلم رسول الله ﷺ](٢) أن عمرة [فى](٢) رمضان تعدل حجة . وخرج ﷺ من المدينة إلى مكة بعد أن صلى الظهر بالمدينة الشريفة ، ومعه جَمْعٌ من الناس كثير ، لا يحصيهم غير خالقهم ورازقهم ، فقيل مائة وأربعة ١٠ عشر ألفا ، وقيل أكثر ، وقيل تسعون ألفا . حتى حج معه من لم يكن يراه قبلها ولا بعدها ، وحصل لهم فضيلة الصُّحْبَة ، وأراهم مناسكهم وعلَّمهم . وخرج ﷺ على طريق الشجرة فى يوم السبت لأربع — وقيل لخمس — ليال بقين من ذى القعدة ، وقيل يوم الخميس ، أوست بقين منها ، نهارا بعد أن أدَّهن وترجل واغتسل وتجرّد فى ثوبين ١٥

---

(١) وانظر طبقات ابن سعد ١ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، والاستيعاب ١ : ٢٣٨ ، وصفة الصفوة ١ : ٧٤ ؛ والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ١٤٩ — ١٥٣ ، والإصابة ١ : ٢٣٢ ، والخصائص ٢ : ١٥٩ ، وتاريخ الخميس ٢ : ١٤٥ ، ١٩٨ ؛ وشرح المواهب ٣ : ١٠٧ .

(٢) سقط فى الأصول والمثبت عن عيون الأثر ٢ : ٢٧٢ . ٢٠

صُحَارِيين[١] : إزار ورداء . وأخرج معه نساءه كلهن فى الهوادج ، وصلى العصر بذى الحُلَيْفَة ، ونام بها ، وطاف فى ليلته على نسائه ثم اغتسل ، فلما أصبح صلى بها الصبح وطيبته عائشة رضى الله عنها بذَرِيرَة[٢] ممسكة .

٥ وولدت أسماء بنت عُمَيْس محمد بن أبى بكر ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ : كيف أصنع ؟ فقال : اغتسلى واستثفرى [٣] بثوب وأحرمى .

وصلى رسول الله ﷺ بمسجد ذى الحليفة ، ثم أحرم ﷺ ـــ ولم يغسل الطيب ، ولبد رأسه ـــ وقلّد بُدْنَه نعلين ،

١٠ وأشعرها فى جانبها الأيمن ، وسلت الدم عنها ـــ وكانت هَدْيَ تطوّع ـــ وساق ﷺ معه الهدى ، وكان عليه ناجية بن جُنْدَب الأسلمى ، ثم ركب ﷺ راحلته القصوى ، وكان عليها رحلٌ عليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم [٤] ، وقال ﷺ : اللهم اجعله حَجًّا

---

(١) فى الأصول « حجازيين » والمثبت عن مغازى الواقدى ٣ : ١٠٩٠ ، وطبقات

١٥ ابن سعد ٢ : ١٩٣ ، والإمتاع ١ : ٥١٢ .

(٢) الذريرة : نوع من الطيب مجموع من أخلاط . (هامش عيون الأثر ٢ : ٢٧٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٧٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٠٩ .)

(٣) فى الأصول « واستذفرى » والمثبت عن عيون الأثر ٢ : ٢٧٣ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٢٨٩ ، والقرى ص ١٣٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣١٢ وفيها « أى

٢٠ بخرقة عريضة بعد أن تحشو بنحو قطن وتربط طرفى تلك الخرقة فى شىء تشده فى وسطها فتمنع بذلك سيلان الدم كما تفعل الحائض . »

(٤) شرح المواهب ٨ : ١٥٧ .

لارِيَاء فيه ولا سُمْعَة . وأهل حين انبعثت به راحلته من عند مسجد ذى الحليفة قارنا بحَجٍّ وعُمْرَةٍ معا ، قبل الظهر / بيسير ، وقال للناس : ليهل كل منكم بما أحبّ من قِرَان وإفْرَاد وَعُمْرَة . وقيل : إن النبى ﷺ أحرم بالحجّ مفردا ، ويقال دخل مكة محرما بعمرة متمتعا ، ثم أضاف إليها حجة . وأهل النبى ﷺ : لَبَّيْكَ اللهم لَبَّيْك ، لبيك لا شريك لك لبَّيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلْك ، لاشريك لك . وأهَلَّ الناس بهذا الذى يُهل به ، فلم يَرُدَّ عليهم رسول الله ﷺ شيئا . وأمر النبى ﷺ أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية . وصلى الظهر بالبيداء ، ثم تمادى يسير المنازلَ ويؤم أصحابه فى الصلاة [١] فى أماكن ؛ فبناها الناس مساجد وعرفت مواضعها . واستهل هلال ذى الحجة الثامنة أو السادسة من خروجه ﷺ من المدينة .

فلما كان ببطن الرَّوْحَاء[٢] قال أسامة بن زيد : أتته امرأة فقالت : إن ابنى هذا به لَمَمٌ منذ سبع سنين ، يأخذه فى كل يوم مَرّتَين . فقال ﷺ : ادنيه . فأدنته منه ، فتفل فى فيه وقال : اخرج عَدُوّ الله ، أنا رسول الله . ثم قال لها : إذا رجعنا فأعلمينا ماصنع[٣] .

---

(١) فى الأصول « فى الصحارى » والمثبت عن طبقات ابن سعد ٢ : ١٧٣ .

(٢) الروحاء : اسم منهل من المدينة على قرب مرحلتين منها . (القرى ٧٦) وقيل بينها وبين المدينة حوالى أربعين ميلا ـــ وانظر وفاء الوفا ٢ : ٣١٤ .

(٣) الخصائص ٢ : ٢٠٧ .

ثم قال : أسَيْمُ ، انظر هل ترى من خَمَر لمخرج رسول الله ـــ ﷺ ؟ فقلت : يارسول الله قد دَحَس الناس الوادى ، فما فيه موضع . فقال : انظر هل ترى فيه من نَخْل أو حِجَارة ؟ فقلت : يارسول الله قد رأيت نَخْلات متفرقات ورَضْمًا من حجارة ، قال :
٥ انطلق فقل لهن : إن رسول الله ﷺ يأمركن أن تَدَانَيْن لمخرج رسول الله ﷺ ، وقُلْ للحجارة مثل ذلك . فأتيتهن فقلت ذلك لهن ، فوالله الذى بعثه بالحق نبيا لقد جعلتُ أنظر إلى النخلات يخددن الأرض خدا حتى اجتمعن ، وأنظر إلى الحجارة يتناقزن حتى صرن رضما خلف النخلات ، فأتيته فقلت ذاك له ، قال : خذ الإداوة وانطلق ،
١٠ فلما قضى حاجته وانصرف قال : أُسَيْم عُدْ إلى النخلات والحجارة فقل لهن : إن رسول الله ﷺ يأمركن أن ترجعن إلى مواضعكن [١] .

فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته المرأة ومعها كبشان وأقِط وسمن ، فقالت : يارسول الله خذ هذا الكبش . فقال لى رسول الله ﷺ : خذ هذا الكبش . فأخذ منه ما أراد (كذا) ورَدّ . وفى
١٥ بعض الروايات قال : خذ أحد الكبشين / ورُدّ عليها الآخر . وأخذ ٣٠٢ السمن والأقط . قال : ففعلت . فقالت : والذى أكرمك ما رأينا شيئا منذ فارقتنا[٢] .

ثم أتاه بَعِيرٌ فقام بين يديه ، فرأى عَيْنَيْه تدمعان ، فبعث إلى أصحابه فقال : ما لبعيركم يشكوكم ؟ فقالوا : كنا نعمل عليه ، فلما

٢٠ (١) شفاء الغرام ١ : ١٩٧ ، والخصائص ٢ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٢) وانظر الخصائص ٢ : ٢٠٣ ـــ ٢٠٨ .

كبر وذهب عمله تواعدنا لننحره غدا . فقال رسول الله ﷺ : فلا تنحروه واجعلوه فى الإبل يكون فيها [١] .

وقال الشَّرِيد بن سُوَيْد الثقفى : خرجت مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ، فبينما أنا أمشى ذات يوم إذا وَقْعُ ناقةٍ خلفى ، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ ، فقال : الشَّرِيد ؟ فقلت : نعم . قال : أَلاَ أَحْمِلُك ؟ قلت : بلى — ومابى من إعياء ولا لُغُوب . ولكنى أردت البركة فى ركوبى مع رسول الله ﷺ — فأناخ فحملنى فقال : أمعك من شعر أُمَيّة بن أبى الصَّلْت ؟ قلت : نعم . قال : هاتِ . فأنشدته مائة بيت ، كلما أنشدته بيتا قال : إيهٍ حتى أنشدته مائة بيت . فقال النبى ﷺ : إن كَادَ لَيُسْلِم . ويقال : إن النبى ﷺ لما سمع شعر أُمَيّة قال : عند الله علم أُمَيّة بن أبى الصَّلْت [٢] .

واستمر ﷺ من الرَّوْحاء حتى نزل قُدَيْدًا ، فمر بامرأة فى محفتها ومعها ابن لها صغير ، فأخذت بعضده وقالت : يارسول الله ، أَلهذا حَجٌّ ؟ قال ﷺ : نعم ولك أجره [٣] .

وفى هذه الحجة أيضا مرّ بامرأة من خَثْعَم فقالت : إن فريضة الله عز وجل أدركت أبى شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال ﷺ : نعم [٤] .

---

(١) الخصائص ٢ : ٢٠٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٣٧ ، ١٣٨ « وأتبعه بقوله قال ابن صاعد : هذا حديث غريب » وانظر الاستيعاب ٢ : ٧٠٨ ، والإصابة ٢ : ١٤٨ .

(٣) القرى ٧٥ ، والإمتاع ١ : ٥١٦ ، وشرح المواهب ٨ : ٢١٣ .

(٤) عيون الأثر ٢ : ٢٧٧ ، والقرى ٨٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٢٦ .

ثم سار حتى نزل بسَرِف ، فخرج إلى أصحابه فقال : من لم يكن معه منكم هَدْىٌ فأَحَبَّ أن يجعلها عمرة فليفعل ، ومن كان معه هدى فلا . فمنهم الآخذ بها والتارك لها ممن لم يكن معه هدى [١] .

ودخل على عائشة فوجدها تبكى ، فقال : مايبكيك ؟

٥ قالت : سمعت كلامك مع أصحابك فتمتَّعْت بعُمْرَة . قال : ومالك ؟ — أو ما بالك ؟ — قلت : لا أصلى / قال : فلا يضرك ، ٣٠٣ تكونى فى حَجِّك فعسى الله أن يرزقكها ؛ فإنما أنت من بنات آدم ؛ كتب الله عليك ماكتب عليهن [٢] .

ثم غربت عليه الشمس بسَرِف ، فجاء إلى ذى طوى فبات بها

١٠ ليلة الأحد لأربع ليال خَلَوْن من ذى الحجة ، وصلى بها الصبح . واغتسل ، ثم دخل مكة من أعلاها من ثَنِيَّة كَدَاء نهارا[٣] على راحلته القصوى ، فلما انتهى إلى باب بنى شَيْبَة ورأى البيت رفع يديه فقال : اللهم زِدْ هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزِدْ من عَظَّمَه ممن حَجَّه واعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبرًّا[٤] .

١٥ ثم أتى البيت فاستلم الركن وطاف على ناقته الجذعاء ، فرمل ثلاثا ومشى أربعا — وهو مضطبع بردائه — يَسْتَلِمُ الركنَ بمحجنه ، ثم يعطف المِحْجَن ويُقَبِّله [٥] حتى فرغ من سبعة .

---

(١) عيون الأثر ٢ : ٢٧٣ .

(٢) عيون الأثر ٢ : ٢٧٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣١٢ ، ٣١٣ ، وشرح المواهب
٢٠ ٨ : ١٦٢ .

(٣) عيون الأثر ٢ : ٢٧٣ ، وشرح المواهب ٨ : ١٦٥ .

(٤) الإمتاع ١ : ٥١٧ ، وشرح المواهب ٨ : ١٦٥ .

(٥) وانظر السيرة الحلبية ٣ : ٣١٥ مع المرجعين السابقين .

فلما فرغ أتى إلى مقام إبراهيم الخليل فجعل المقام بينه وبين البيت وأناخ ناقته عند المقام ، فقرأ ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[١] ثم صلى ركعتين قرأ فيهما ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ ﴾ ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما أتى الصفا قرأ ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ ﴾[٢] أَبدأُ بما بَدَأَ اللهُ به . فبدأ بالصَّفَا فَرَقِى عليه حتى رأى البيتَ فاستقبل القبلة فوَحَّدَ [٣] الله وكَبَّره وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويُمِيتُ وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله[٤] وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة حتى إذا آنْصَبَّت قدماه فى بطن الوادى رمل ، حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا ، حتى إذا كان آخر طواف على المروة قال : إنى لو استقبلت من أمرى ما استَدْبَرْت لم أسُق الهَدْيَ وجعلتها عُمْرَةً ، فمن كان منكم ليس معه هَدْي فليحل وليجعلها عمرة . فقام سُرَاقَةُ بن مالك بن جُعْشُم فقال : / أَلِعَامِنَا هذا أم لأبد الأبد ؟ فشَبَّك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى أخرى وقال : دخلت العمرة فى الحج هكذا ــ مرتين ــ بل لِأَبَد الأَبَد ، لا بل لأَبَدِ الأَبِد[٥] .

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .
(٢) سورة البقرة آية ١٥٨ .
(٣) فى الأصول « حمد » والمثبت عن القرى ١٣٤ ، وشرح المواهب ٨ : ١٦٨ .
(٤) فى الأصول « هو » والمثبت عن المرجعين السابقين .
(٥) عيون الأثر ٢ : ٢٧٤ ، والقرى ١٣٤ ، وشرح المواهب ٨ : ١٦٨ ــ ١٧١ .

وكان عبد الله بن رواحة آخذا بخطام ناقة النبى ﷺ وهو يسعى فجعل يرتجز ويقول :

ياحبذا مكة من وادى بها أهلى وعوادى
بها أمشى بلا هادى بها ترتج أوتادى

٥ ورسول الله ﷺ ضاحك من قول ابن رواحة حتى فرغ من سعيه(١) .

وجاء النبىَّ ﷺ رجلٌ من أهل اليمامة بغلام يوم ولد ، وقد لَفّه فى خرقة ، فقال له النبى ﷺ : يا غلام من أنا ؟ فقال : أنت رسول الله . فقال ﷺ : بارك الله فيك . ثم إن الغلام لم يتكلّم بعد ذلك ١٠ حتى شَبّ (٢) .

ثم ذهب النبى ﷺ إلى منزله بالأبطح — وقد ضُرِبَت له قبة من أدم — ولم يقرب الكعبة بعد طوافه حتى رجع من عرفة(٣) .

وقدم عليٌ من اليمن بِبُدْنِ النبى ﷺ فوجد فاطمة ممن حَلَّ وَلَبِسَت ثيابا صبِيغا(٤) واكتحلت ، فأنكر عليٌّ ذلك عليها ، ١٥ فقالت : أبى أمرنى بهذا . فكان [عليٌ](٥) يقول بالعراق : فذهبت

---

(١) كذا فى الأصول . والمعروف أن عبد الله بن رواحة لم يكن حيا فى حجة الوداع لأنه رضى الله عنه استشهد فى غزوة مؤتة وكانت فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة . (سيرة النبى لابن هشام ٣ : ٨٢٩ ، ومغازى الواقدى ٢ : ٧٦٩ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٠٧ ، وعيون الأثر ٢ : ١٥٣ .)

٢٠ (٢) تاريخ الخميس ٢ : ١٥٣ ، وشرح المواهب ٥ : ١٨٥ وفيهما « فكان يسمى مبارك اليمامة » .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٣٤ وقال : انفرد به البخارى .

(٤) ثيابا صبيغا : أى مصبوغة غير بيض . شرح المواهب ٨ : ١٧٣ .

(٥) إضافة على الأصول .

إلى رسول الله ﷺ مُحَرِّشا على فاطمة فى الذى صَنَعَت مستفتيا لرسول الله ﷺ فيما ذَكَرَتْ عنه ، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها . فقال : صَدَقَت ، ماقلتَ يوم فَرَضْتَ الحج ؟ قال : قلت اللهم إنى أُهِلّ بما أَهَلّ به رسولُكَ . قال ﷺ : فإن معى الهَدْي فلا تحل . وكان جملة الهدى الذى قدم به عليٌّ من اليمن ، والذى أتى به النبى ﷺ من المدينة مائة بَدَنَة (١) ٥

وأقام النبى ﷺ بمكة محرما يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء ، وخطب الناسَ فيه بمكة بعد الظهر ، وأطعم النبى ﷺ الحاج كما كانت / قريش تصنع . ٣٠٥

ثم نهض ﷺ بالحج فصعد الخميس إلى منى ومعه أصحابه ، ١٠ وفى هذا الوقت عند نهوضهم من الأبطح أحرم كلُّ من كان أَهَلَّ منهم بالحج ، فصلى النبى ﷺ بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، وبات بها فصلى بها الصبح يوم الجمعة ، ومكث قليلا حتى إذا طلعت الشمس نهض ، وأمر ﷺ بقبة من شعر فضُرِبَت بِنَمِرَة ، ثم ركب فسار ـــ ولا تَشُكّ قريش إلا أنه واقف بالمَشْعَر ١٥ الحرام بالمُزْدَلِفَة ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ـــ فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ، فوجد القُبَّة قد ضُرِبَت له بنَمِرَة ، فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس أمر ﷺ بالقَصْوَى فَرُحِّلَت له ، فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كَحُرْمَةِ يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ألا كل شيء من ٢٠

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٣٥ ، والقرى ١٣٤ ، ١٣٥ ، وشرح المواهب ٨ : ١٧٣ .

أَمْرِ الجاهلية تحت قدمى موضوع ، وإن أوّل دَمٍ أضع من دمائكم دم إياس بن ربيعة بن الحارث ــ كان مُسْتَرْضَعًا فى بنى سعد فقتلته هُذَيْل ــ ورِبَا الجاهلية موضوع ، وأوّل ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ؛ فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يُوطِئْن فُرُشَكم أحداً تكرهونه ؛ فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فلهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركتُ فيكم مالَنْ تَضِلُّوا بعده إن اعتصمتم به ؛ كتاب الله ، وأنتم مسئولون [(١)] عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونَصَحت ــ فقال ﷺ بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء / ٣٦ ويُنَكِّبُها[(٢)] إلى الناس ويقول : اللهم اشهد اللهم اشهد ــ ثلاث مرات ــ فلما فرغ من الخطبة أمر بلالا فأذن وأقام فصلى الظهر والعصر مجموعين ولم يصل بينهما شيئا .

ثم ركب رسول الله ﷺ راحلته القصوى حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته إلى الصخرات . وجعل حَبْل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة فلم يزل واقفا بالهضاب ، وقال : كل عرفة موقف إلا

---

(١) كذا فى الأصول ومغازى الواقدى ٣ : ١١٠٣ ، والإمتاع ١ : ٥٢٣ . وفى القرى ١٣٦ ، وشرح المواهب ٨ : ١٧٧ « تسألون » .

(٢) كذا فى الأصول ، والقرى ١٣٦ ، وشرح المواهب ٨ : ١٧٨ ــ ترجيحا ــ والمعنى يرددها ويقلبها إلى الناس مشيرا لهم . وفيهما إشارة إلى راوية مسلم وأبى داود « ينكتها » بالتاء المثناة بعد الكاف . وفى مغازى الواقدى ٣ : ١١٠٣ ، والإمتاع ١ : ٥٢٣ « يكبها » أى يقلبها وينكسها .

بطن عرنة[١] . ووقف على راحلته يدعو ، وأرسل إلى الناس أن يقفوا على مشاعرهم ، ونزل عليه ﷺ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[٢] ووقف معه مائة وأربعة عشر ألفا ، وقيل أكثر : مائة وعشرون ألفا ، وقيل أقل : تسعون ألفا ، ويقال غير ذلك . ولم يزل النبى ﷺ واقفا عند الصخرات حتى غربت الشمس من يومه ، وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القُرْص ، وأردف أسامة خلفه ثم دفع وقد ضم زمام ناقته حتى إن رأسها[٣] ليصيب طرف رحله ، ومضى يسير العَنَق[٤] فإذا وجد فجوةنصَّ[٥] وكلما أتى ربوة من تلك الروابى أرخى للناقة زمامها قليلا حتى يصعدها ، وهو ﷺ يشير بيده اليمنى ويقول : أيها الناس السكينة السكينة . فلما كان عند الشِّعْب[٦] الأيسر نزل ﷺ فبال وتوضأ وضوءا خفيفا ، ثم ركب حتى أتى المزدلفة فنزل بها وتوضأ ، ثم صلى بها المغرب والعشاء بأذان

---

(١) زاد مغازى الواقدى ٣ : ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، والإمتاع ١ : ٥٢٣ « وكل مزدلفة موقف إلا بطن محسر ، وكل منى منحر إلا خلف العقبة .

(٢) سورة المائدة آية ٣ .

(٣) فى الأصول « زمامها » والمثبت عن شرح المواهب ٨ : ١٨٣ ، وعيون الأثر ٢ : ٢٧٦ ، والقرى ١٣٩ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٢٥ .

(٤) العنق : سير بين الإبطاء والإسراع ، وقيل سير سهل فى سرعة ، وقيل سير سريع ، وقيل المشى الذى يتحرك به عنق الدابة . (شرح المواهب ٨ : ١٨٣ ، ١٨٤)

(٥) النص : السير السريع ، وقيل تحريك الدابة حتى يستخرج به أقصى ماعندها وقيل النص فوق العنق ؛ أى أرفع منه فى السرعة . (المرجع السابق)

(٦) وفى الإمتاع ١ : ٥٢٥ ، وشرح المواهب ٨ : ١٨٤ « وهو شعب أذاخر ؛ الشعب الذى دون المزدلفة بين المأزمين على يسار الطريق . »

واحد وإقامتين — ويقال بأذانين — ولم يُسبِّحْ[١] بينهما شيئا ، ثم اضطجع وبات بها ، فلما كان السحر أذن للضعفاء من الذرية والنساء أن يأتوا منى قبل حطمة الناس ، وقال : لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس ، فلما برق الفجر وتبيّن الصبح صلى الصبح بالناس مغلسا — أو فى انصداع الفجر — بأذان وإقامة ، ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام فوقف على قُزَح [٢] ، وقال : كل مزدلفة موقف إلا بطن مُحَسِّر . واستقبل القبلة ودعا / الله عز وجل وكبره وهلله ووحده ، ولم يزل ٣٠٧ واقفا بها حتى أسفر جدا ، ثم سار رسول الله ﷺ قبل أن تطلع الشمس يريد منى ، وأردف الفضل بن العباس خلفه ، وانطلق أسامة على رجليه فى سباق قريش ، وكان الفضل رجلا حسن الشعر أبيض وسيما ، فلما سار النبى ﷺ مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن ، فأخذ النبى ﷺ يده فوضعها على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه من الشق الآخر ينظر ، فوضع النبى ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر حتى إذا أتى النبى ﷺ مُحَسِّراً حَرَّك [٣] ناقته قليلا ، وسلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى ؛ وهى جمرة العقبة ، ولم يزل يلبى حتى أتى الجمرة التى عندها الشجرة ؛ فرماها من أسفلها من بطن الوادى بعد طلوع الشمس بسبع

(١) أى لم يصل بينهما شيئا من الصلوات . (عيون الأثر ٢ : ٢٧٦ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٢٣) .

(٢) قزح : قرن يقف عليه الإمام بالمزدلفة ، وقيل جبل سمى بقوس قزح . (معجم بلدان ياقوت) وفى شرح المواهب ٨ : ١٩٠ «جبل صغير بالمزدلفة ، وهو المشعر الحرام» .

(٣) أى أسرع قليلا . وانظر سبب هذا الإسراع فى شرح المواهب ٨ : ١٩٢ .

حصيات مثل حصى الخَذْف[١] ، التقطها له عبد الله بن عباس [٢] من موقفه الذى رمى فيه ـــ ويقال التقطها من مزدلفة ـــ وهو ﷺ على راحلته فكبر مع كل حصاة ، وقطع التلبية ـــ وهو لاضَرْبَ ولا طَرْدَ ولا إلَيْكَ إلَيْكَ [٣] ـــ وكان بلال وأسامة أحدهما ممسك بخطام ناقته والآخر مظلله بثوبه من الحر .

وأنزل النبى ﷺ المهاجرين والأنصار منازلهم ، وأمر بالتبليغ ، ثم انصرف النبى ﷺ إلى المنحر ، فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده ، ثم أعطى عليا فنحر ماغَبَرَ[٤] منها مما كان أتى به معه من اليمن وما ساقه معه من المدينة ، وكانت تمام مائة بدنة ، فيها جمل لأبى جهل فى أنفه بُرَة فضة [٥] ، ثم أمر النبى ﷺ من كل بدنة ببضعة ، فجعلت فى قدر ، فأكلا[٦] من لحمها وشربا من مرقها ، ثم حلق رأسه فأعطى أبا طلحة نصفه ، وفرق النصف الثانى على الناس : الشعرة والشعرتين ، وأخذ من شاربه وعارضيه ، وقلم أظفاره ، وأمر بشعره وأظفاره أن

---

(١) الخذف : أى الحصى الصغار التى يرمى بها ، وأصل الخذف رمى الحصاة بطرفى الإبهام والسبابة . (لسان العرب)

(٢) فى الأصول « ابن عتاب » والمثبت عن عيون الأثر ٢ : ٢٧٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٢٧ . وفى شرح المواهب « التقطها له الفضل بن العباس » .

(٣) أى لا يضرب عنده أحد ، ولا يزجر بالطرد ، ولا يقال له إليك إليك ؛ كما يفعل عند المتكبرين . (شرح المواهب ٨ : ١٩٤)

(٤) أى مابقى من البدن . (المرجع السابق)

(٥) وسبق أن أورد المؤلف جمل أبى جهل ضمن هدى النبى ﷺ فى صلح الحديبية .

(٦) أى رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

يدفنا ، وقَصّر قوم وحلّق آخرون ، فقال ﷺ : رحم الله المحلقين — ثلاثا — وفى كل مرة يقال له : / والمقصرين . فقال فى الرابعة : والمقصرين [١] .

وضحى بكبشين أملحين ، وذبح ﷺ عن نسائه البقر ، من اعتمر منهن بقرة [٢] ، وطيّبته عائشة أيضا بطيب ممسك [٣] ، ولبس القميص ، ونادى مناديه [٤] : إنها أيام أكل وشرب وذِكْرِ الله ، ثم نزل النبى ﷺ فأفاض إلى البيت ، وطاف طواف الإفاضة ويسمى طواف الصَّدَر . واختلف أين صلى الظهر يومئذ [٥] . وأتى بنى عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فقال : انزِعوا بنى عبد المطلب فلولا أن يغلب الناس على سقايتكم لنزعت معكم . فناولوه دلوا فشرب منه ، ثم رجع ﷺ من يومه إلى منى ، وخطب الناس فى هذا اليوم — وقيل ثانى يوم النحر — أعاد فيها خطبته بالأمس ، وأمرهم بأخذ مناسكهم وأوصاهم ، وقال : لَعَلّى لا أَحُجّ بعدها ، ولعلكم لا ترونى بعد عامى

---

(١) الإمتاع ١ : ٥٢٧ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٢٩ ، وشرح المواهب ٨ : ١٩٦ — ١٩٨ . وفيه تحرير للخلاف حول حدوث ذلك فى عمرة الحديبية أم فى حجة الوداع أم فيهما معا .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٧٧ ، وشرح المواهب ٨ : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٣٧٩ .

(٤) وهو حذافة السهمى كما فى مغازى الواقدى ٣ : ١١٠٩ . وفى الإمتاع ١ : ٥٢٧ هو عبد الله بن حذافة السهمى وقيل كعب بن مالك .

(٥) الإمتاع ١ : ٥٢٨ ، وهذا الخلاف حول وقوع صلاة الظهر هل كانت بمكة أو بمنى . وانظر شرح المواهب ٨ : ٢٠٧ .

هذا ، وقال : يأيها الناس ، أى شهر هذا ؟ فسكتوا ، فقال ﷺ : هذا شهر حرام ، وأى بلد هذا ؟ فسكتوا ، فقال ﷺ : بلد حرام ، وأى يوم هذا ؟ فسكتوا فقال : يوم حرام . ثم قال : إن الله قد حرّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة شهركم هذا فى بلدكم هذا فى يومكم هذا إلى أن تلقوا ربكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال ﷺ : اللهم اشهد . ثم قال : أيها الناس ﴿ إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾(١) ألاَ و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلَقَ اللهُ السمواتِ والأرض ، وإن عدّة الشهور اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، منها أربعة حُرُم ، ثلاثة متوالية : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ورجب الذى يُدْعَى شهر مضر الذى جاء بين جمادى الآخرة وشعبان(٢) ؛ الشهر تسعة وعشرون وثلاثون ، ألا هل بلغت ؟ فقال الناس : نعم . فقال ﷺ : اللهم اشهد (٣) .

ولتوديعه ﷺ الناس سميت حجة الوداع . وحجة الإسلام ، وحجة البلاغ (٤) . وأقام بمنى بقيّة يومه وأيام التشريق ولياليها الثلاث

---

(١) سورة التوبة آية ٣٧ .

(٢) فى الأصول « رجب » والمثبت عن مغازى الواقدى ٣ : ١١١٢ ، والإمتاع ١ : ٥٣١ ، والروض الأنف ٤ : ٢٤٨ .

(٣) وانظر بقية الخطبة فى المرجعين السابقين .

(٤) الإمتاع ١ : ٥١٠ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٠٧ وفيها « سميت حجة الوداع لأن النبى ﷺ ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ، وحجة البلاغ لأنه ذكر لهم مايحل وما يحرم وقال لهم : هل بلغت ، وحجة الإسلام لأنه لم يحج من المدينة غيرها . »

يرمى الجمار الثلاث فى كل يوم عند الزوال ، كل واحدة سبع
حصيات بمثل حصى الخَذْف يُكَبِّر مع كل حصاة ، / يبدأ بالدنيا ٣٠٩
التى تلى مسجد الخيف ، ثم الوسطى ، ويقف عند كل منهما ويدعو
طويلا ، ويتضرّع ، ثم يرمى جمرة العقبة ، ولا يقف عندها ، فلما زالت
٥ الشمس فى اليوم الثالث من أيام التشريق — وذلك يوم الثلاثاء — نفر
النبى ﷺ من منى فنزل بالمُحَصَّب — وهو الأبطح(١) — فى قبة له
به [ضربها](٢) مولاه أبو رافع — وكان على ثَقَله — فصلّى به الظهر
والعصر والمغرب والعشاء .

ودخل النبى ﷺ على سعد بن أبى وقاص بعد حجه يعوده
١٠ من وجع اشتد به ، فبكى سعد ، فقال النبى ﷺ : مايُبْكِيك ؟
فقال : قد خشيت أن أموت بالأرض التى هاجرت منها كما مات سعد
ابن خَوْلَة . فوضع النبى ﷺ يده على جبهة سعد ثم مسح وجهه
وصدره وبطنه ، ثم قال : اللهم اشف سعدا ، اللهم اشف سعدا ،
وأتمم له هجرته . فقال سعد : يارسول الله ادع الله ألا يردنى على
١٥ عقبى . قال : لعل الله يرفعك وينفع بك ناسا . فقال سعد : يارسول
الله قد بَلَغَ منى الجهد ماترى ، وأنا ذو مال ولايرثنى إلا كلالة ،
أفأتصدق بمالى كُلّه ؟ قال : لا . قلت : بثلثي مالى ؟ قال : لا .
قلت : فبشطره ؟ قال : لا . قلت : الثلث ؟ قال : الثلث ، والثلث

---

(١) وفى شرح المواهب ٨ : ٢٠٩ « وهو مكان متسع بين مكة ومنى » .

٢٠ (٢) سقط فى الأصول والمثبت عن عيون الأثر ٢ : ٢٧٩ ، والسيرة الحلبية ٣ :
٣٣٣ ، وشرح المواهب ٨ : ٢٠٩ .

كثير ؛ إن صَدَقَتك من مالك صدقة ، وإن نفقتك على عيالك صدقة ، وإن يأكل أحد أهلك من مالك صدقة ، إنك أن تَذَر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفَّفُون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجِرْت فيها حتى تجعل اللقمة فى فى امرأتك . قال سعد : أُخَلَّف بعد أصحابى . فقال : إنك لن تُخَلَّف فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به رفعة ودرجة ، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويُضَرَّ بك آخرون ، اللهم امضِ لأصحابى هجرتهم ، ولاتردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد بن خولة ـــ يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة ـــ وخلف معه رجلا وقال : إن مات بمكة فلا تدفنه بها ـــ يكره أن يموت الرجل فى الأرض التى هاجر منها [1] .

ويقال إن النبى ﷺ قدم مكة عام الفتح ، فخلَّفَ سعدا مريضا / حين خرج إلى حُنَيْن ، فلما قدم من الجعرانة معتمرا دخل عليه النبى ﷺ وهو وَجِعٌ مَغْلُوب ـــ القصة ـــ وكلا الروايتين وردت الأولى فى الصحيحين والثانية فى الترمذى[2]

ولما نزل النبى ﷺ بالمحصّب دعا عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق فقال : اخرج بأختك عائشة من الحَرَم فلتُهِلَّ بعمرة ثم

---

(١) فتح البارى ٣ : ١٦٤ كتاب الجنائز ، وصحيح مسلم (فؤاد عبد الباقى) ٣ : ١٢٥٠ كتاب الوصية ، وطبقات ابن سعد ٣ : ١٤٥ ، ومغازى الواقدى ٣ : ١١١٥ ، ١١١٦ ، والرياض النضرة ٢ : ٤٠٢ ، والإمتاع ١ : ٥٣٣ .

(٢) صحيح الترمذى ٤ : ٤٣٠ باب ماجاء فى الوصية بالثلث .

لتَطُف بالبيت ؛ فإنى انتظركما هاهنا . ورقد ﷺ مرقده إلى أن فرغت عائشة من عمرتها ، فلما أتياه أذّن فى الناس بالرحيل ، وأمرهم ألا ينصرفوا حتى يكون آخرَعهدهم الطوافُ بالبيت ، ورخّص فى ترك ذلك للحائض التى كانت طافت يوم النحر [١] .

٥ ثم دخل النبى ﷺ إلى مكة سحرا ، فطاف طواف الوداع لم يرمل فى شيء منه ، ثم وقف على راحلته بالحَزْوَرَة وقال : والله إنك لخير أرض الله تعالى ، وأحبّ أرض الله تعالى إلىّ ، ولولا أنى أُخْرِجْت منك ماخرجت [٢] . ثم مضى من فوره ذلك راجعا إلى المدينة الشريفة ؛ فخرج من الثنّية السُّفْلى ، ثنية كُدى [٣] ، واستمر إلى أن

١٠ وصل المدينة الشريفة لسبع بقين من ذى الحجة أو ثمان .

وفى هذه السنة كان الحج بحمد الله تعالى فى ذى الحجة ، واستمر على ذلك ، وقال ﷺ : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، فلا شهر يُنْسَأ ، ولاعدة تُخْطَأ ، وإن الحج فى ذى الحجة إلى يوم القيامة [٤] — وقال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا

١٥ ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾[٥] وكان أول من أنسأ

---

(١) عيون الأثر ٢ : ٢٨٠ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وشرح المواهب ٨ : ٢١٢ .

(٢) شفاء الغرام ١ : ٧٤ .

٢٠ (٣) عيون الأثر ٢ : ٢٨٠ ؛ والسيرة الحلبية ٣ : ٣٣٤ ، وشرح المواهب ٨ : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٤) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٦

(٥) سورة التوبة آية ٣٧ .

الشهور من مُضَر مالك بن كِنَانَة بن خُزَيْمَة ؛ وذلك أن مالك بن كنانة نَكَحَ إلى مُعَاوية بن ثَوْر الكِنْدِي ـــ وهو يومئذ فى كندة ـــ وكانت النَّسَاءَةُ قبل ذلك فى كندة ؛ لأنهم كانوا قبل [ذلك][1] ملوكَ العرب من ربيعة ومضر ، وكانت كِنْدَة من أَرْدَاف المقاوِل ، فنسأ ثَعْلَبَةُ بن مالك ، ثم نَسَأَ بعده الحارِثُ بن مالك بن كِنَانة ، وهو / القَلَمَّس ، ثم نسأ بعد القَلَمَّس سُرَيْر بن القَلَمّس ، ثم كانت النَّسَاءَة فى بنيِ فُقَيْم مِن بنى ثعلبة حتى جاء الإسلام ، وكان آخر من نسأ منهم أبو ثُمَامَة جنادة بن عَوْف بن أمية بن عبد بن فُقَيْم ، وهو الذى جاء فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الركن الأسود ، فلما رأى الناس يَزْدَحِمُون عليه قال : أيّها الناس ، أناله جارٌ فأخروا [عنه][2] فخففه عمر رضى الله عنه بالدرة ثم قال : أيها الجلف الجافى قد أذهب الله عِزَّكَ بالإسلام .

ويقال كان أول من أنسأ الشهور عَلَى العرب ـــ فأحلت منها ما أحل وحرَّمت منها ماحرم ـــ القَلَمَّس ، وهو حذيفة بن عبد بن فُقَيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، ويقال عَدِيّ بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، ثم بعده حُذَيْفَة بن عبد بن فُقَيْم المذكور قبله ، ثم بعده ابنه عيَّاد بن حُذَيْفَة ، ثم ابنه قَلَع ، ثم ابنه أمية بن قَلَع ، ثم ابنه جنادة بن عوف ـــ أدركه الإسلام كما تقدم وأسلم ـــ وكان أبعدهم ذكرا وأطولهم أمدا يقال : إنه أنسأ أربعين سنة [3] .

---

(١) إضافة عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٣ .

(٢) إضافة عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٣ .

(٣) سيرة النبى لابن هشام ١ : ٢٨ ، ٢٩ ، وشفاء الغرام ٢ : ٣٩ ، ٤٠ .

والذى يَنْسَأُ لهم إذا أرادوا ألا يحلوا المحرم قام بفناء الكعبة يوم الصدر فقال : أيها الناس لا تحلو حُرُمَاتكم ، وعظموا شعائركم ؛ فإنى أُجَابُ ولا أُعَاب (١لقولٍ قُلْتُه . فهنالك١) يُحَرِّمُون المحرمَ ذلك العام ، وكان أهل الجاهلية يسمون المحرم صفرا الأول ، وصفرا [صفرا](٢) الآخرة ، ٥ ويقولون : صفران ، وشهرا ربيع ، وجماديان ، ورجب وشعبان . وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة . فكان ينسأ الإنساء سنة [ويترك سنة](٢) ليحلوا الشهور المحرمة ، ويحرموا الشهور التى ليست محرمة ، وكان ذلك من فعل إبليس ؛ ألقاه على ألسنتهم فرأوه حسنا ، فإذا كانت السنة التى ينسأ فيها يقوم فيخطب بفناء الكعبة ، ويجتمع الناس إليه يوم ١٠ الصدر ، فيقول : ياأيها الناس إنى قد أنسأت العام صفرا الأول — يعنى المحرم — فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به / ، ويبدءون العِدَّة ٣١٢ فيقولون : لصفر وشهر ربيع الأول صفرين ، ويقولون لشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ربيعين ، ويقولون لجمادى الآخرة ورجب جمادين ، ويقولون لشعبان رجب . ولشهر رمضان شعبان ، ويقولون لشوال شهر ١٥ رمضان ، ولذى القعدة شوال ، ولذى الحجة ذا القعدة ، ولصفر الأول — وهو المحرم الذى أنسأه — ذا الحجة ؛ فيحجون تلك السنة فى المحرم ، ويبطل من هذه السنة شهرا ينسئه (٣) .

---

(١) فى الأصول « لقوله فهنالك » والمثبت عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٣ ، وشفاء الغرام ٢ : ٤٠ .

٢٠ (٢) سقط فى الأصول والمثبت عن المرجعين السابقين .

(٣) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ ، وشفاء الغرام ٢ : ٤٠ ، ٤١ .

ويخطبهم فى السنة الثانية فى وَجْه الكعبة أيضا فيقول : أيها الناس لا تُحِلُّوا حُرُمَاتكم ، وعظموا شعائركم ؛ فإنى أجاب ولا أعاب لقول قلته ، اللهم إنى أحْلَلْتُ دَمَ المُحِلِّين طَيِّء وخَثْعَم فى الأشهر الحرم ، وإنما أحل دماءهم ؛ لأنهم كانوا يَعْدُون على الناس فى الشهر الحرام من بين العرب ، فيغزونهم ويطلبون بثأرهم ولا يقفون عن [(١)] حرمات الأشهر الحرم كما يفعل غيرهم من العرب ، وكان سائر العرب من الحلة والحمس لا يَعْدُون فى الأشهر الحرم على أحد ، ولو لقى أحدهم قاتل أبيه أو أخيه ، ولا يستاقون مالا إعظاما للأشهر الحرم إلا خثعم وطيء فإنهم كانوا يَعْدُون فى الأشهر الحرم ؛ فهنالك يُحَرِّمُون من تلك السنة المحرمَ وهو صفر الأوّل [ثم][(٢)] يَعُدُّون الشهور على عِدَّتِهِم التى عَدُّوها فى العام الأول ، فيحجون فى كل شهر حجتين .

ثم يَنْسَأ فى السنة الثانية فَيَنْسأ لهم صفرا الأول فى عدتهم [هذه][(٣)] — وهو صفر الآخر فى العدة المستقيمة — حتى تكون حجتهم فى صفر أيضا [حجتين][(٣)] فكذلك الشهور كلها حتى يستدير الحج فى كل أربع وعشرين سنة إلى المحرم ؛ الشهر الذى ابتدءوا منه الإنساء يحجون فى الشهور كلها فى كل شهر حجتين ، فلما جاء الله بالإسلام أنزل فى كتابه ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي

(١) فى الأصول « على » والمثبت عن المرجعين السابقين .
(٢) إضافة عن المرجعين السابقين .
(٣) إضافة عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٥ .

ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ ﴾(١) وأنزل عز وجل ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ آثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾(٢)

٥ ويقال إن نسيئهم الشهر الحرام كان على ضَرْبَيْن أحدهما تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شَنِّ الغارات ، وطلب الثارات . وثانيهما تأخير الحج عن وقته تحرِّيًا منهم للسنة الشمسية ، فكانوا / يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما وأكثر قليلا حتى يدور ٣١٣ الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة ؛ فيعود إلى وقته . قاله السهيلى (٣) .

١٠ وكانت قريش والعرب يرون مع إنساء الشهور أن أفجر الفجور العمرة فى أشهر الحج . ويقولون : لا تحضروا سوق عُكَاظ ومَجَنَّة وذى المجاز إلاّ مُحْرِمِين بالحج . فإذا أرادوا الحجّ والتجارة أحرموا بالحج وتوجهوا إلى سوق عُكَاظ ـــ وعكاظ وراء قَرْنِ المَنَازِل بمرحلة من طريق [صنعاء](٤) فى عمل الطائف على بريد منها ـــ وهى سوق ١٥ لِقَيْس عَيْلَان وثَقِيف ، وأرضها [لنصر](٤) ويكون به هلال ذى القعدة ، ويقيمون به عشرين ليلة ، والناس على مداعيهم وراياتهم منحازين فى المنازل ، يضبط كل قبيلة أشرافها وقاداتها ، ويدخل

---

(١) سورة التوبة آية ٣٧ .
(٢) سورة التوبة آية ٣٦ .
٢٠ (٣) الروض الأنف ١ : ٦٤ ، وشفاء الغرام ٢ : ٤١ .
(٤) إضافة عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٩٠ .

بعضهم على بعض للبيع والشراء ويجتمعون فى بطن السوق ، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجَنَّة ، وهى سوق بأسفل مكة ، على بريد منها ، وهى سوق لِكِنَانة ، وأرضها من أرض كنانة ، وهى التى يقول فيها بلال رضى الله تعالى عنه :

ألاَ ليت شعرى هل أَبِيتَنَّ ليلة بفَخٍّ وحَوْلى إِذْخَرٌ وجَلِيلُ ٥
وهَلْ أَرِدَنْ يوما مِيَاه مجَنَّةٍ وهل يَبْدُوَن لِي شَامَةٌ وطَفِيلُ(١)

وشامة وطفيل جبلان مشرفان على مَجنَّة . وأقاموا على مجَنَّة عشر ليال ، أسواقهم قائمة ، فإذا رأَوْا هلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى المَجَازِ ، وهو سوق لهُذَيْل عن يمين الموقف من عرفة قريب من كَبْكَب ، على فرسخ من عرفة ، وأقاموا به ثمانىَ ليال أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم ١٠ التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيَتَرَوَّوْن ذلك اليوم من الماء بذى المَجَاز ، ينادى بعضهم بعضا : تَرَوَّوْا من الماء لأنه لاماء بعرفة ولا بالمزدلفة ــ يومئذ ــ . وكان يوم التروية آخر أسواقهم . وإنما كان يحضر هذه المواسم بعُكَاظ ومجَنَّة وذى المجاز التُّجَّار ومن كان يريد التجارة ، ومن لم يكن له تجارة ولا بيع فإنه يخرج من أهله متى أراد . ومن كان من أهل مكة ممن ١٥ لايريد التجارة خرج من مكة يوم التروية فيترؤون من الماء . وكان الناس لا يتبايعون فى يوم عرفة ولا أيام منى ، فلما أن / جاء الله بالإسلام أحَلَّ الله ٣١٤ ذلك لهم ؛ فأنزل الله تعالى فى كتابه ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ ﴾(٢) .

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٩٠ . ٢٠
(٢) سورة البقرة آية ١٩٨ .

وكانت هذه الأسواق : عكاظ ومجنة وذو المجاز قائمة فى الإسلام ، حتى كان حديثا من الدهر . فأما عُكَاظ فإنها تركت عام خرجت الحَرُورِيَّة [١] بمكة مع أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى الإباضى فى سنة تسع وعشرين ومائة ؛ خاف الناسُ أن يُنْهَبُوا ، وخافوا الفتنة فتركت حتى الآن . ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك ، واستغنوا بالأسواق بمكة ومنى وعرفة [٢] .

وكان للناس سوق آخر لم يكن فى مواسم الحج ولا فى أشهره ، وإنما كان فى رجب ، وهو سوق حُبَاشَة [٣] ، سوق للأزد ، وهى فى ديار الأَوْصَام [٤] من بَارِق [٥] من صدر قنونا [٦] وحَلْي[٧] من

(١) أخبار مكة للأزرق ١ : ١٨٨ ، ١٨٩ . والحرورية طائفة من الخوارج تنسب إلى حروراء قرب الكوفة ، لأنه كان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا عليا رضى الله عنه ، وكان عندهم تشدد فى الدين حتى مرقوا منه . وانظر معجم البلدان لياقوت ، والمعجم الوسيط .

(٢) أخبار مكة للأزرق ١ : ١٩٠ .

(٣) حباشة : سوق للعرب فى الجاهلية بتهامة ، وقد مر ذكره والتعليق عليه فى أخبار تجارة النبى ﷺ للسيدة خديجة رضى الله عنها .

(٤) الأوصام : قرية باليمن ، ذكرها الزبيدى باسم الوصم . (هامش الأزرق ١ : ١٩١) .

(٥) بارق : واد من أعظم الأودية اتساعا كثير الخيرات كثير القرى ، ويسمى وادى شرف بين محايل والقنفذة فى تهامة عسير . (المرجع السابق ، وانظر معجم البلدان لياقوت)

(٦) قنونا : واد يمتد من جبال خثعم إلى القنفذة أيضا ويعد من أودية تهامة عسير الكبيرة . (المرجع السابق ومعجم البلدان لياقوت .)

(٧) حلى : واد ينتهى إلى مرفأ حلى على ساحل البحر الأحمر ، ويبدأ من التقاء وادى ثية مع وادى عوص أمام محايل . (هامش أخبار مكة للأزرق ١ : ١٩١ .)

ناحية اليمن ، وهى من مكة على ستّ ليال ، وهى آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية ، وكان والى مكة يستعمل عليها رجلا يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيّام من أوّل رجب متوالية ، حتى قتلت الأزد واليا [كان][1] من غَنِيّ بعثه داود بن عيسى بن موسى فى سنة سبع وتسعين ومائة ، فأشار فقهاء مكة على داود بن عيسى بتخريبها فخربها وتركت .

وكانت الإفاضة بالحج فى الجاهلية إلى صُوفَة ؛ وصُوفَة رجل يقال له أَخْزَم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأسد ، وكان أخزم قد تصدق بابن له على الكعبة يخدمها ، فجعل إليه حُبْشِية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعى الإفاضةَ بالناس على المواقف ، وحُبْشِية يومئذ يَلِى حِجَابَة الكعبة ، وأهل[2] مكة يصطفون على الموقف[2] فيقول [حُبْشِية : أجِيزِى صُوفَة . فيقول][3] الصوفى : أجيزوا أيها الناس فيجوزون .

ويقال أن امرأة من جُرْهم تزوّجها أخزم بن العاص بن عمرو ابن مازن بن الأسد ، وكانت عاقرا فنذرت إن ولدت غلاما أن تتصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها ويقوم عليها ، فولدت من أخزم الغوث ، فتصدقت به عليها ، وكان يخدمها فى الدهر الأول مع أخواله من

---

(١) إضافة عن المرجع السابق ١ : ١٩٢ .

(٢) كذا فى ت . وفى م ، وأخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٦ ، وشفاء الغرام ٢ : ٣٦ « وأمر مكة يصطف الناس على الموقف .»

(٣) إضافة عن المرجعين السابقين .

جُرْهُم ، فولى الإجازة بالناس لمكانه من الكعبة . وقالت أمه حين أتمت نذرها وخدم الغوث بن أخزم الكعبة :ـــ

إنى جعلتُ ربِّ مِن بُنَيِّه رَبِيطَةً بمكـة العِلِيّـــة
فبارِكَنّ لى بها أَلِيّة واجعله لى من صالح البَرِيّة[١]

٥ / فولى الغوث بن أخزم الإجازة من عرفة ، فإذا دفع بالناس قال : ٣١٥

لاهُمّ إنى تابع تباعةْ إن كان إثْمٌ فعلى قُضَاعة[٢]

وولى ولده من بعده فى زمن جُرْهُم وخُزَاعَة حتى انقرضوا ، ثم صارت الإفاضة فى عدوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلَان بن مُضَر فى زمن قريش فى عهد قُصَىّ ، وكانت من [بنى][٣] عدوان فى آل زيد بن عدوان ١٠ يتوارثونه ، حتى كان الذى قام عليه الإسلام ـــ كما تقدم فى سنة ثمان أبو سيارة العدوانى وهو عميلة [٤] بن الأعزل بن خالد بن سعيد بن الحارث ابن زيد بن عدوان .

* * *

« السنة الحادية عشرة »

١٥ فيها توفى النبى ﷺ فى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول ،

---

(١) أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٧ ، وشفاء الغرام ٢ : ٣١ .

(٢) شفاء الغرام ٢ : ٣٨ .

(٣) إضافة عن أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٧ .

(٤) كذا فى الأصول وشفاء الغرام ٢ : ٣٢ . وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٨٧ ٢٠ وشفاء الغرام ٢ : ٧٣ « عمير الأعزل . » .

وقيل غير ذلك ، وجهز يوم الثلاثاء ، ودفن ليله الأربعاء [١].

واستُخْلِفَ بعده أبوبكر الصديق رضى الله عنه [٢] . فلما سمع أهل مكة بموته هم أكثرهم بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عَتَّابُ بن أَسِيد فتوارى ، فقام سُهَيْل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يَزِدِ الإسلام إلا قوة ، فمن رَابَنَا ضربنا عنقه ، ثم قال : ياأهل مكة ، لاتكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد ، والله ليُتِمَّنّ الله تعالى هذا الأمر كما ذكر رسول الله ﷺ ؛ فلقد رأيته قائما مقامى هذا وهو يقول : قولوا معى لا إله إلا الله تدين لكم العرب وتؤدى لكم العجم الجزية ؛ والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر فى سبيل الله تعالى ـــ فمن بين مستهزىء ومصفق[٣] ـــ فكان ما رأيتم ، والله ليكونن الباقى . فتراجع الناس عما هَمُّوا به ، وظهر عَتَّاب بن أَسِيد ، فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أسر سهيل بن عمرو ببدر : عسى أنه يقوم مَقَامًا لاتذمه[٤] .

---

(١) وانظر سيرة النبى لابن هشام ٤ : ١٠٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٧ ، وعيون الأثر ٢ : ٣٣٥ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٤٧٠ ، والإمتاع ١ : ٥٤٨ .

(٢) وانظر تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٧ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ١٣٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٤٨٠ ، والرياض النضرة ١ : ٦١ ، وتاريخ الخلفاء ٢٧ ـــ ١٠٨ .

(٣) كذا فى الأصول . وفى الكامل لابن الأثير ٢ : ١٣٥ « ومصدق » .

(٤) سيرة النبى لابن هشام ٤ : ١٠٧٩ ، والعقد الثمين ٤ : ٦٢٤ ـــ ٦٣٠ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٢٠١ .

وفيها أرسل الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه جَرِيرَ بن عبد الله البَجَلِيّ إلى بَجِيلَة ليستنفر من قومه من ثبت على الإسلام ويقاتل بهم من ارتدَّ عن / الإسلام ، وأن يأتى خَثْعَم فيقاتل من خَرَجَ ٣١٦ غَضَباً لذى الخَلَصَةِ ، فخرج جرير وفعل ماأمره ، فلم يقم لهم أحد ٥ إلا نفر قتلهم وتَتَبَّعهم .

وفيها كان عامل مكة عَتَّاب بنُ أسِيد(١) ، وعلى الطائف عثمان ابن أبى العاص (٢) .

وفيها حج بالناس عتّاب بن أسيد ، وقيل عبد الرحمن بن عوف (٣) .

تم الجزء الأول

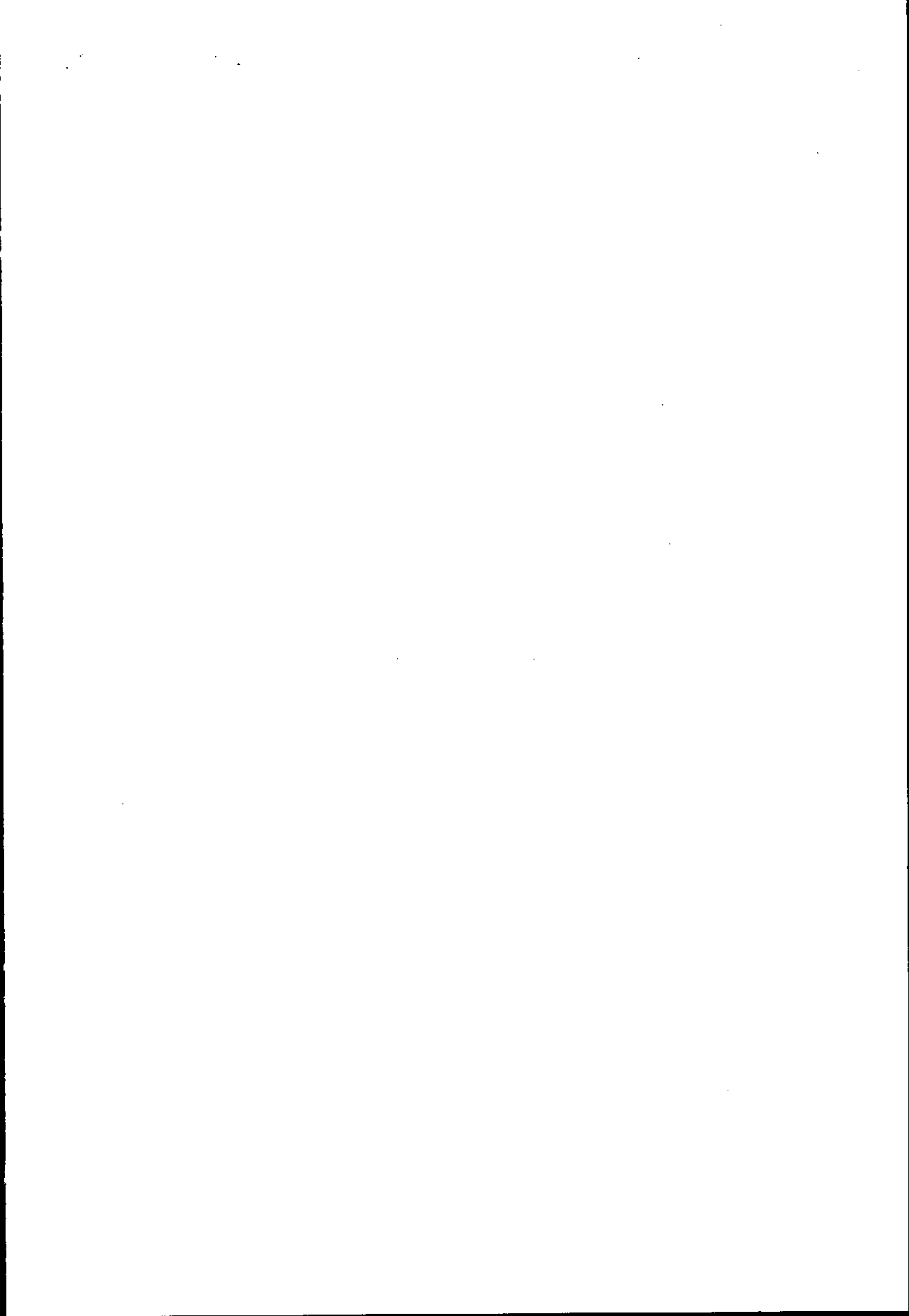
* * *

---

١٠ (١) شفاء الغرام ٢ : ١٦١ .

(٢) تاريخ الطبرى ٣ : ٢٦٣ ، ٤ : ٥٠ .

(٣) الذهب المسبوك للمقريزى ١٢ .



فهرس الموضوعات

الصفحة

مطابع جامعة أم القرى